

تأليف العلّامة شحِسْ الدّين محمّديثِه الي مَكربِّن قيم الجوزيّية

النّاشرُ الْمُ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللللّهُ اللللّ

بيمُ لِلنِّالِحَ لَا لَكُونَا لِنَّحَ لِللَّهُ الْحَدِيمُ اللَّهُ لِللَّهُ اللَّهُ اللَّالِي اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ

رب بسر یا کریم

الحد لله الذي حصل المحمة إلى الظفر بالمحبوب سبيلا ، ونصب طاعته ، والخضوع له على صدق الحبة دليلا ، وحرك بها النفوس إلى أنواع الكالات إيثاراً لطلبها وتحصيلا ، وأودعها العالم العلوى والسفلي لإخواج كماله من القوة إلى النعل إيجاداً وإمداداً وقبولا ، وأثار بها الهمم السامية والعزمات العالية إلى أشر ف غاياتها تخصيصاً لها وتأهيلا ، فسبحان من صرَّف عليها القلوب كما يشاء ولما يشاء بقدرته ، واستخرج بها ما خلق له كل حي بحكمته ، وصرَّفها أنواعاً ` وأقساماً بين بريته ، وفصَّالها تفصيلا ، فجل كل محبوب لحبه نصيباً ، مخطئاً كان في محبته أو مصيبًا ، وجعله بحبه منعَّمًا أو قتيلًا . فقسمها بين محب الرحمن ، ومحب الأوثان ، وعب النيران ، وعب الصُّلبان ، وعب الأوطان ، وعب الإخهان ، ومحب النِّسو ان ، ومحب الصبيان ، ومحب الأثمان (١) ، ومحب الإيمان ، ومحب الألحان ، ومحب القرآن . وفضّل أهل محبته ومحبة كتايه ورسوله على سائر الحبين تفصيلا ، فبالحبة وللحبة وبجدت الأرض والسموات ، وغليها قُطرت المخلوقات ، ولها تحرَّ كت الأفلاك الدائرات ، وبها وصلت الحركات إلى غاياتها ، وإنُّصلت بداياتها بنهاياتها ، وبها ظفرت النفوس بمطالبها ، وحصلت على نيــل مآربها ، وتخاصت من معاطبها (٢) ، واتخذت إلى ربها سبيلا ، وكأن لها دون غيره مأمولاً وَسُولاً ، وبها نالت الحياة الطبية وذاقت طمم الإيمان لما رضيت بالله ربًّا

⁽١) الأثمان: الأموال.

⁽٢) الماطب: المهالك، واحدِما معطب كمذمب.

وبالإسلام دينًا وبمحمد صلى الله عايه وسلم رسولا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مقر بربويته ، شاهد بوحدانيته ، منقاد إليه لمجنه ، مذعن له بطاعته ، معترف بنعبته ، فار إليه من ذبه وخطيئته ، مؤ مل لعفوه ورجته ، طامع في مغفرته ، برى إليه من خوله وقو ته ، لا يبتنى سواه ربا ولا يتخذ من دونه وليّا ولا وكيلا ، عائذ به ، ماتيج إليه ، لايروم عن عبوديته انتقالاً ولا تحويلا ، وأشهد أن محداً عبده ورسوله ، وخيرته من خلقه ، وأمينه عنده على وحيه ، وسفيره بينه وبين عباده ، أقرب الخلق إليه وسيلة ، وأعظمهم عنده مناديًا ، وأسمعهم لديه شفاعة ، وأحبهم إليه ، وأكرمهم عليه ، أرسله للإيمان مناديًا ، وإلى الجنه داعيًا ، وإلى صراطه المستقيم هاديًا ، وفي مرضاته وتحابه مناديًا ، وبكل معروف آمراً ، وعن كل منكر ناهيًا ، رفع له ذكره ، وشرح ماعيًا ، وبحل معروف آمراً ، وعن كل منكر ناهيًا ، رفع له ذكره ، وشرح عياته في كتابه المبين (١) ، وقرن اسمه باسمه ، فإذا ذكر الله ذكره ، ولا أذان حتى عياته في كتابه المبين (١) ، وقرن اسمه باسمه ، فإذا ذكر الله ذكره ولا أذان حتى بشبهد أنه عبده ورسوله شهادة اليقين :

أرسله على حين فترةٍ من الرسل ، فهدى به إلى أقوم الطرق وأوضح السبل ، وافترض على العباد محبته وما عنه ، وتوقيرَهُ والقيامَ بحقوقه ، وسدَّ إلى الجنه جميع الطرق فلم يفتح لأحدٍ إلا من طريقه . فلا مطمع فى الفوز بجزيل الثواب ،

⁽١) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الحجر : (لعمرك إنهم لنى سكرتهم يعمهون) وأكثر المفدرين على أن القسم مفصود به النبى صلى الله عليه وسلم .

والنجاة من وبيل (1) العقاب ، إلا الله لل كان خانه من السالسكين ، ولا يؤمن عبد حتى يكون أحب إليه من نفسه وولده ووالده والناس أجمعين ، فصلى الله وملائسكته وأنبياؤه ورسله وجميع عباده المؤ منين عليه ، كا وحد الله وعر ف أمته به ودعا إليه ، صلاة لا تروم عنه انتقالاً ولا تخويلاً ، وعَلَى آله الطبيين ، وسمّ تسلياً كثيراً .

أما بعد : فإن الله جلّ ثناؤه ، وتقد ست أسماؤه ، جمل هذه القلوب أوعية ، فير ها أوعاها للخيّ والفساد ، وسلّط عليها الهوى ، وامتحمها بمخالفته لتنال بمخالفته جنة المأوى ، ويستحقّ من لا يَصْلُت للجنة بمتابعته ناراً تلظى ، وجعله مركب النفس الأمارة بالسوء وقوتم وغذاها ، وداء النفس المطمئنة ومخالفته دواها ، ثم أوجب سبحانه وتعالى على العبد في هذه المدة القصيرة التي هي بالإضافة إلى الآخرة كساعة من نهار ، أو كبلل ينال الإصبع حين يدخلها في بحر من البحار (٢) ، عصيان النفس الأمارة وتعالى على ونجالية هواها ، وردعها عن شهواتها التي في نيلها رداها ، ومنعها من الركون وشهواتها التي في نيلها رداها ، ومنعها من الركون وثوابة موقراً كاملا ، وتلتذ العيون الطاعة بلحظاتها ، لتنال نصيبها من كرامته وثوابة موقراً كاملا ، وتلتذ آجلاً بأضعاف ما تركته لله عاجلا ، وأمرها بالصيام عن محارمه ليكون فطرها عنده يوم لقائه ، وأخبرها أن معظم نهاد الصيام قد ذهب ، وأن عيد اللقاء قد اقترب . فلا يطول عايها الأمد باستبطائه .

فما هي إلا ساعةٌ ثم تنقضي ويذهب هذا كله ويزول

⁽١) وبيل العقاب: شديده. قال تعالى في سورة المزمل (فأخذناه أخذاو بيلا). (٧) هذا المعنى مأخوذ من حديث رواه مسلم وغيره عن المستورد بن ثداد رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر جم ترجع » .

ولا أذن سمت، ولأخطر مَلَى قلب بشرٍ من النعيم للقِسيم، واقتضت حكمتـــه البالغة أنها لا تصل إليه إلا من طريق المسكاره والنصَب، ولا تعبُرُ إليه إلا عَلَى جسر المشقة والتعب ، فحجب بالمكروهات صيانةً له عن الأنفس الدنيّات، المؤشرَة للرذائل والسفليات، وشمرت إليه النفوس العلويات، والهمم العليَّات، المتطت في السير إليه ظهور العزمات ، فسارت في ظهورها إلى أشرف الغايات .

وركب سرَوْا والليل مُرْخ ِ رِوَاقَه ۚ قَلَى كُلُ مُنَا لِلوَادِ قَاتْمٍ ِ حدوً الأعزماتِ ضاعت الأرض بينها فصل المرام في ظهور العزائم أرتهم نجومُ الليــــــــل ما يطلبونه عَلَى عاتق الشِّيرى وهام النعائم (٢) فأشُوا حَمَى لا ينبغي لســـواهم وما أخذتهم فيــــه لومةُ لائم

أجابوا منادى َ الحبيب لما أذَّن لهم حيٌّ على الفلاح ، وبذلوا نفوسهم في مرضاته بذل الحجب بالرضا والسماح، وواصلوا السير إليه بالغدوُّ والرُّواح. فحمِدوا عند الوصول مسراهم وإنما كِحْمَدُ القوم السُّرى(٣) عند الصباح ، تعبوا قليلا ، فاستراحوا طويلا ، وتركوا حقيراً ، واعتاضوا عظما . وضعوا اللذة العاجلة والعاقبة الحيدة في ميزان العقل فظهر لهم التفاوُت ، فرأوا من أعظم السُّفه بيع َ الحياة الطبية الدائمة في النعيم المقيم باندة ساعةٍ تذهب شهوتها ، وتبقي شقوتها .

⁽١) حدا الإبل ومها : ساقها وحثها على السير بالحداء .

⁽٢) الشمري : كوكب نير يطلع عند شدة الحن . قال تعالى في سورة النجم : (وأنه هو رب الشعرى) وهما شعريان العتبور والغمت ينصاء.

⁽٣) السرى: سيرعامة الليل. يؤنث ويذكر. وهذا المثل يضرب لمن يحتمل المشقة رجاء الراحة ، وفي الحدث على مزاولة الامر ، والصبر ، وتوطين النفس حتى عمد عاتبته .

هذا وإن من أيام اللذات لو صفت للعبد من أوّل عمره إلى آخره لسكانت كسحابة صين تنقشع عن قليل، وخيال طيف مااستنم الزيارة حتى آذن بالرحيل. قال الله تعالى : (أفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّمْنَاكُمْ سِنِينَ . ثُمَّ جَاءُهُمْ مَا كَا نُوا يُوعَدُّونَ . مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَا نُوا يُوعَدُّونَ . مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَا نُوا يُعَتَّمُونَ)(1) ومن ظفر بمأموله من ثواب الله ، فسكأنه مَا أُوا يُوعَدُون . ويخشاه ، وكان عمر بن الخطاب رضى الله لم يُوتَر (٢) من دهره بما كان يحاذره ويخشاه ، وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يتمثل بهذا البيت من الشعر :

كأنك لم تُوتَرُ من الدهر مرةً إذا أنت أدركت الذي أنت طالبه

فصدل

وهذا ثمرة المقل الذي به عُرف الله سبحانه وتمالى وأسماؤه وصفات كاله ونموت جلاله ، وبه آمر المؤ مِنُون بكتبه ورسله ولقائه وملانكته ، وبه عُرِفت آیات ربوبیته وأدلة وحدانیته ومعجزات رسله ، وبه امتینت أوامره واجتنبت نواهیه ، وهو الذي تَلَيّح العواقب فراقبها ، وعمل بمتنفى مصالحها ، وقاوم الهوى فرد جیشه مفاولا ، وساعد الصبر حتی ظفر به بعد أن كان بسهامه مقتولا ، وحث عَلَى الفضائل ، ونهى عن الرذائل ، وفتق للمانى وأقدا الفوامض ، وشد أزر المزم فاستوى عَلى سُوقه ، وقوى أزر الحزم حتى حظى من الله بتوفیقه ، فاستجلب ما يَزين ، وننى ما يَشِين ، فإذا نزل وسلطانه أسر جنود الهوى فحصرها فى حبس من ترك لله شيئاً عوضه الله خيراً منه ، ونهض بصاحبه إلى منازل الملوك ، إذا صيّرالهوى الملك بمنزلة العبد للملوك ، قهى شجرة العام المادك ، إذا صيّرالهوى الملك بمنزلة العبد للملوك ، قهى شجرة المحاصاحة إلى منازل الملوك ، إذا صيّرالهوى الملك بمنزلة العبد للملوك ، قهى شجرة المحاصاحة المحافية الله منازل الملوك ، إذا صيّرالهوى الملك بمنزلة العبد للملوك ، قهى شجرة المحاصات المحافية المحافية الله منازل المادك ، إذا صيّرالهوى الملك بمنزلة العبد للملوك ، قهى شجرة المحافية الله منازل المادك ، إذا صيّرالهوى الملك بمنزلة العبد للملوك ، قهى شجرة المحافية المنازل المادك ، إذا صيّرالهوى الملك بمنزلة العبد للمادك ، قمية من الله المحافية الله منازل المادك ، إذا صيّرالهوى الملك بمنزلة العبد للمادك ، قوت من الله الهوك المنازل المادك ، إذا صيّرا المورى الملك بمنزلة العبد المادك ، إذا صيّرا المورى المادك ، إذا صيّرا المادك ، إذا صيّرا المادك ، إذا صيّرا المورى المادك ، إذا صيّرا المورى المادك ، إذا صيّرا المورى المادك ، إذا صيّرا المادك ، إذا سيّرا المرتبط ال

⁽١) الآيات ٢٠٠ و٢٠٦ و٢٠٧ . سورة الشعراء.

⁽۲) وتر الرجل: أفزعه وأدركه بمكروه، ووتره أيضاً إذا أصابه بوتر وهو الذحل، أى الثار عامة أو الظلم فيه .

عِرْ قَهَا الفَكُرُ فِي المواقب، وساقهًا الصبر، وأغسا نَهَا المه، وورقها حسن انْدَاتُى، وتمرها الحسكة ، ومادَّتها توفيق مَنْ أَزَمَّة الأمور بيديه ، وابتداؤها منه وانتهاؤها إليه . وإذا كانهذا وصفه ، نقبيح أن يُدال(١) عليه عدوه فيعزله عن ممليكته ، ويحمله عن رتبته ، ويستنزله عن درجته ، فيصبح أسيراً بعمد أن كان أميراً ، وبحكوماً بعد أن كان حاكاً ، وتابعاً بعدد أن كان متبوعاً ، ومن صبير على حكمه أرنمه (٢٦ في رياض الأماني والمني ، ومن خرج عن حكمه أورده حياض الملاك والردى ، قال على بن أبي طالب رضى الله عنمه : لقمد سبق إلى جنات عدن أقوامٌ ما كانوا بأكثر الناس سلاة ولا صيامًا ولا حبُّجًا ولا اعتماراً ، لَـكُنَّهُم عَقَلُوا عَنِ اللَّهِ مُواعِظُهُ فُوجِلْتُ مُنِّسَهُ قَلُوبِهُمْ ، واطمأنت إليسه نفوسهم ، وخشمت له جوارحهم ، فناقوا الناس بهايب المنزلة وعلو الدرجة عند الناس في الدنيا وعند الله في الآخرة . و فال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ليس العاقل الذي يعرف الخير من الشر ، ولكنه الذي يعرف خير الشرين . وقالت عائشة رضى الله عنها : قد أفلح من جمل الله له عقلا . وقال ابن عباس رضى الله عنهما : ولد لـكسرى مولودٌ فأُحضر بعض المؤّدّبين ووضم العبّي بين يديه وقال : ما خير ما أو تي هذا المولود؟ قال : عقلٌ يولد ممه . قال : قإن لم يكن؟ قال : فأدبٌ حسنٌ يعيش به في الناس . قال : فإن لم يكن ؟ قال : فصاعقةٌ تحرقه . وقال بمض أهل الملم : لما أهبط الله تبارك وتمالى آدَّم إلى الأرض أتاه جُبريل عليه السلام بثلاثة أشياء : الدين ، والخلق ، والعقل ، فقال : إن الله يخيِّركُ بين هذه الثلاَثة ، فقال : يا حبريل ما رأيت أحــن من هؤُلامِ إلا في

⁽١) يدال عليه : ينلبه رينتصر عليه .

[﴿] ٢﴾ أَرْتُمه: نَمَمه ، والرَّتَع : التَّنَم ، ورَّتَع : أكل وشرب ما شاء في خصب وسعة . قال تَمَالَ في سورة يوسف (أرسله معنا غدا يرتَّع ويلمب) .

الجنسة ، ومدُّ يده إلى العقل فضُّه إلى نفسه فقال للْآخر َ بُن : اصحدا . نقالا : أمر ما أن نكون مع العقل حيث كان. فصارت الثلاثة إلى آدم عليه الملام. وهذه الثلاثة أعظم كرامةٍ أكرم الله بها عبده ، وأجلُ عطَّيةٍ أعطاه إياها . وجمل لما ثلاثة أعداء: الهوى ، والشيطان ، والنفس الأمَّارة . والحرب بينهما دُولُ وسِيجال () ، (وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ آللهِ آللهِ آلمَزِيزِ ٱلْحَسَكِيمِ) () وقال وهب بن منبِّه : قرأت في بعض ما أنزل الله تعالى : إن الشيطان لم يكابد شيئًا أشــدً عليه من مُؤْمنِ عاقل ، وإنه ليسوق مائة جاهلِ فيستجرُّهم حتى يركب. رقابهم فينقادون له حيث شاء ، ويكابد المؤ من العاقل فيُصُمِب عليه حتى ينال منه شيئًا من حاجته ، قال : و إزالة الجبل صخرةً صخرةً أهمون على الشيطان من مكابدة المؤمن العاقل ، فإذا لم يقدر عليه تحوُّل إلى الجاهل فيستأسره ، ويتمكن من قياده حتى يُسْلِمه إلى الفضائح التي يتعجل بها في الدنيا الجُلْدَ وَالرجم وَالْقَطْعُ وَالصَّابِ وَالْفَضِيحَةُ ، وَفَى الْآخَرَةُ العَارِ وَالنَّارِ وَالشَّنَارِ (٢) . وإن الرجلين ليستويان في البِرِّ ويَكُون بينهما في الفضل كما بين المشرق والمغرب بالعقل ، وما . عُبِدَ اللهُ بشيء أفضل من العقل. وقالمعاذ بن حبل رضي الله عنه : لو أن العاقل أصبح وأمسى وله ذنوبٌ بعدد الرملكان وشيكاً بالنجاة والتخلص منها ، ولو أن الجاهل أصبح وأمسى وله من الحسنات وأعمال البرّ عدد الرمل لكان وشيكاً أن لا يسلم له منها مثقال ذرَّة . قيل : وكيف ذلك؟ قال : إن العاقل إذا زلَّ تدارك ذلك بالتوبة والعقل الذي رُزقه ، والجاهل بمنزلة الذي يبني ويهدم ، فيأتيه من جهله ما يفسد صالح عمله ، وقال الحسن : لا يَسَيِّم دين الرجل حتى

⁽١) الحرب بينهم سجال: يعنى أنها مرة لهم ومرة عليهم .

⁽٢) الآية ١٢٦: سورة آل عران.

⁽٣) الشنار: أقبح العيب ، العار ، الأمر المشهور بالشنعة .

يتم عقله ، وما أودع الله امراً عقلاً إلا استنقذه به يوماً . وقال بعض الحسكاء :
من لم يكن عقله أغلب الأشياء عليه كان حقه (١) وهلاكه فى أحب الأشياء
إليه . وقال يوسف بن أسباط : العقل سراج ما بطن ، وزينة ما ظهر ، وسائس
الجسد ، وملاك أمر العبد ، ولاتصابح الحياة إلا به ، ولا تدور الأمور إلا عليه .
وقيل لعبد الله بن المبارك : ما أفضل ما أعطى الرجل بعد الإسلام ؟ قال : غريزة
عقل ، قيل : فإن لم بكن ؟ قال : أدب حسن ، قيل : فإن لم يكن ؟ قال : أخ صالح سالح يستشيره ، قيل : فإن لم يكن ؟ قال : أخ صالح عالم عاجل . وفي ذلك قيل :

ما وهب الله لأمرىء هبةً أحسن من عقله ومن أدَبِهِ . ها جمال الفتى فإن فقــدا ففقدُه للحياة أجلُ بِهِ .

فصال

وإذا كانت الدولة للمتل سالمه الهوى ، وكان من خدمه وأتباعه ، كما أن الدولة إذا كانت المهوى ، صار العقل أسيراً فى يديه ، محكوماً عليه . ولما كان العبد لا ينفك عن الهوى مادام حياً _ فإن هواه لازم له _ كان له الأمر بخروجه عن الهوى بالكليّة كالمبتنع ، ولكن المقدور له والمأمور به أن يصرف هواه عن مراتع الهلكيّة إلى مواطن الأمن والسلامة ، مثاله : أن الله سبحانه وتعالى عن مراتع الهلكيّة إلى مواطن الأمن والسلامة ، مثاله : أن الله سبحانه وتعالى لم يأمره بصرف ذلك الهوى إلى نكاح ما طاب له منهن من واحدة إلى أربع ، ومن الإماء ما شاء ، فانصرف يحسرى الهوى من محل ألى محسل ، وكانت الربح دَبوراً (٢) فاستحالت صباً ، وكذلك هو الظفر والغلبة والقهر ، لم يأمر بالخروج عنه ، بل أمر بصرفه إلى الظفر والقلبة للباطل وحزبه ، وشرع له من أنواع المغالبات بالسباق وغيره الظفر والقلبة للباطل وحزبه ، وشرع له من أنواع المغالبات بالسباق وغيره

⁽١) الحتف: الموت.

⁽٢) الدنور :ريح تهب من المغرب وتقابل القبول وهي الصبا .

مما يُمرِّنه ويَعدُّه للظفر ، وكذلك هوى الكبر والفخر والخيلاء مأذون فيه ، بل مستحب في محاربة أعداء الله . وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم أبا دُجانة سيماك بن خَرَشة الأنصارى يتبختر بين الصفين فقال : « إنها كَمِشْيَة يبغضها الله الله في مثل هذا الموطن » . وقال : إن من الخيلاء ما يحبها الله ومنها ما يبغض الله ، فالتي يحبها اختيال الرجل في الحرب وعند الصدقة وذكر الحديث (١٠ . فا حرّ م الله على عباده شيئاً إلا عو ضهم خيراً منه ، كا حرّ م عليهم الاستقسام بالأزلام (٢٠ وعوضهم منه دعاء الاستغارة ، وحر م عليهم الربا وعوضهم منه التبحارة الرابحة ، وحر م عليهم القار وأعاضهم منه أكل المال بالمسابقة النافعة في الدين بالخيل والإبل والسهام ، وحر م عليهم الحرير وأعاضهم منه أنواع الملابس الفاخرة من الصوف والكتان والقطن ، وحر م عليهم الزنا واللواط وأعاضهم منه المناخرة من المسوف والكتان والقطن ، وحر م عليهم الزنا واللواط وأعاضهم وأعضهم عنه بالأشربة اللذيذة النافعة للروح والبدن ، وحرّ م عليهم سماع آلات وأعاضهم عنه بالمعازف والمناني ، وأعاضهم عنها بالمعان ، وحرّ م عليهم المناني ، ومن تلتّ اللهو من المعاذف والمناني ، وأعاضهم عنها بالمعام الطيبات . ومن تلتّ عليهم الخبائث من المعلومات ، وأعاضهم عنها بالمعاعم الطيبات . ومن تلتّ عليهم الخبائث من المعلومات ، وأعاضهم عنها بالمعاعم الطيبات . ومن تلتّ عليهم الخبائث من المعلومات ، وأعاضهم عنها بالمعاعم الطيبات . ومن تلتّ

⁽١) فى مسند الإمام أحمد عن جابر بن عتيك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . ﴿ إِن مِن الغيرة ما يحب الله ومنها ما يبغض الله ؛ وإن من الخيلاء ما يحب الله ومنها ما يبغض الله . فأما الغيرة التي يحب الله فالغيرة فى الريبة . وأما الخيلاء التي يحب الله فاختيال الرجل بنفسه عند القتال واختياله عند الصدقة ، والحيلاء التي يبغض الله فاختيال الرجل فى الفخر والبعى » .

⁽٢) جمع زلم: السهم الذي لا ريش له . وكانوا في الجاهلية يستقسمون بالازلام ، كانوا يكتبون عليها الامر والنهى ويضعونها في وعاء فإذا أراد أحدهم أمراً أدخل يده فيه وأخرج سهماً فإن خرج مافيه الامر مضى لقصده . وإن خرج مافيه النهى كف .

هذا و تأمله هان عليه ترك الهوى المزدى ، واعتاض عنه بالنافع المجدى ، وعرف حكمة الله ورحمته و تمام نعمته على عباده فيما أمرهم به ونهاهم عنه وفيما أباحه لهم ، وأنة لم يأمرهم بما أمرهم به عالم عليهم ، ولانهاهم عنه بخلاً منه تعالى عليهم ، بل أمرهم بما أمرهم إحساناً منه ورحمة ، ونهاهم عمانهاهم عنه صيانة لهم وحدية (١) . فلذلك وضعنا هذا الكتاب وضع عقد الصلح بين الهوى والعقل ، وإذا تم عقد الصاح بينهما سهل على العبد محاربة النفس والشيطان ، والله سبحانه المستعان ، والله التحاله المستعان ، وعليه التحكلان ، فما كان فيه من صواب فمن الله فهو الموفق له والمعين عليه ، وما كان فيه من خطاع فني ومن الشيطان . والله ورسوله من ذلك بريئان . وقد جعلته تسعة وعشرين باباً :

الباب الأوّل: في أسماء الحبة.

الباب الثاني : في اشتقاق هذه الأسماء ومعانيها .

الباب الثالث: في نسبة هذه الأسماء بعضها إلى بعض.

الباب الرابع: في أن العالم العلوى والسفلي إنما وجد بالمحبة ولأجلها .

الباب الخامس : في دواعي الحبة ومتعلَّقها .

الباب السادس: في أحكام النظر وغائلته وما يجني على صاحبه.

الباب السابع: في ذكر مناظرة بين القلب والعين.

الباب الشامن : في ذكر الشُّبَهِ التي احتج بها من أباح النظر إلى من لا يحل له الاستمتاع به وأباح عشقه .

البـاب التاسع : في الجواب عما احتجت به هذه الطائفة وما لها وما عليها في هذا الاحتجاج .

الباب العاشر: في ذكر حقيقة العشق وأوضافة وكلام الناس فيه .

⁽١) الحية : الامتناع عما يضر والوقاية منه .

الباب الحادى عشر: في العشق وهل هو اضطراري خارج عن الاختيار، أو أمر اختياري ، واختلاف الناس في ذلك وذكر الصواب فيه.

الباب الثاني عشر: في سكرة العثان.

الباب الثالث عشر: في أن اللذة تابعة للهجبة في السكمال والنقصان.

الباب الرابع عشر : فيمن ١٠ح العشق وتمناه ، وغَبَطَ صاحبه على ما أُوتيَهُ من مناه .

الباب الخامس عشر : فيمن ذمَّ العشق و تبرَّم به ، وما احتجَّ به كل فريق عَلَىٰ محة مذهبه .

الباب السادس عشر : فى الحكم بين الفريقين ، وفصل النزاع بين الطائفتين .

البأب السابع عشر : في استحباب تخيَّر الصو ر الجميلة للوصال الذي يحبسه الله ورسوله .

الباب الثامن عشر : في أن دواء الحبين ، في كال الوصال الذي أباحه رب العالمين .

الباب التاسع عشر: في ذكر فضيلة الجال ، وميــل النفوس إليه عَلَى كل حال .

الباب العشرون: في علامات الحبة وشواهدها .

الباب الحادى والعشرون: في اقتضاء الحبة إفرادَ الحبيب بالحب ، وعدمَ التشريك بينه وبين غيره فيه .

الباب الثاني والعشرون: فيغيرة الحبين عَلَى أحبابهم .

الباب الثالث والعشرون: فيعفاف المحبين مع أحبابهم.

الباب الرابع والعشرون: في ارتكاب سبل الحرام ، وما يفضى إليـه من المفاسد والآلام .

الباب الخامس والعشرون: في رحمة الحبين، والشفاعة لهم إلى أحبابهم في الوصال الذي يُدين .

الباب السادس والمشرون: في ترك المحبين أدنى المحبو بَيْن رغبةً في أعلاً ما . الباب السابع والمشرون: فيمن ترك محبوبه حراماً فُبذل له حلالاً ، أو أعاضه الله خيراً منه .

الباب الثامن والعشرون: فيمن آثر عاجل المقوبة والآلام، على لذّة الوصال الحرام.

الباب التاسع والعشرون: في ذمّ الهوى ، وما في مخالفته من نيـل المني. وسميته:

(روضة الحبين ، ونزهة المشناقين)

والمرغوب إلى من يقف عَلَى هذا الكتاب أن يعذر صاحبه ، فإنه عالمه في حال بعده عن وطنه ، وغيبته عن كتبه ، فما عسى أن يبلغ خاطر ه المكدود ، وسعيه الحجهود ، مع بضاعته المزجاة (١١) ، التى حقيق بخاملها أن يقال فيه « تسمع بالمُعَيْدي خير من أن تراه » وها هو قد نصب نفسه هدفاً لسهام الراشقين ، وغَرَضاً لأسِنة الطاعنين ، فاقاريه غنمه ، وعَلَى مؤلفه غرمه ، وهذه بضاعته تعرض عليك ، ومولييّة (٢١) تهدى إليك ، فإن صادفت كفؤاً كريماً لها لن تعدم منه إمساكاً بمعروف أو تسريحاً بإحسان ، وإن صادفت غيره فالله تعالى المستعان ، وعليه التكاذن . وقدرضي من مهرها بدعوة خالصة إن وافقت قبولاً واستحسانا ، وعليه التكاذن . وقدرضي من مهرها بدعوة خالصة إن وافقت قبولاً واستحسانا ، وبررّة جميل إن كان حظها احتقاراً واستهجاناً . والنصف يهب

⁽١) مرجاة : رديمة ومردودة . والمرجى الشيء القليل . قال تعالى في سورة يوسف و وجئنا ببضاعة مرجاة » .

⁽٢) موليته: من له ولاية عليها .

خطأً المخطىء لإصابته ، وسيئاته لحسناته . فهذه سنة الله فى عباده جزاء وثواباً . ومَن ذا الذى يكون قوله كله سديداً وعمله كله صواباً ؟ وهل ذلك إلا المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى ، ونطقه وحى يوحى ، فما صح عنه فهو نقل مصدّق عن قائل معصوم ، وما جاء عن غيره فنبوت الأمرين فيه معدوم ، فإن صحّ النقل لم يكن وصوله إليه معلوماً .

فصل

وهذا السكتاب يَصلُح لسائر طبقات آلناس . فإنه يصلُح عونًا كلّى الدين وعلى الدينا، ومرقاةً للذة آلماجلة ولذة آلمقبى، وفيه من ذكر أقسام الحبة وأحكامها ومتعلقاتها، وصحيحها وفاسدها، وآفاتها وغوائلها (۱)، وأسبابها وموانعها، ومايناسب ذلك من نُكَت تفسيرية ، وأحاديث نبوية ، ومسائل فقية ، وآثار سَلْفية ، وشواهد شعرية ، ووقائع كونية، مايكون مُتيمًا لقاريه ، مُر وَحَا للناظر فيه، فإن شاء أوسعه جدًّا وأعطاه ترغيبًا وترهيبًا ، وإن شاء أخذ من هزله ومُكَعه نصيبًا ، فتارة يضحكه وتارة يبكيه ، وطوراً يبعده من أسباب آلذة آلفانية، وطوراً يرغبه فيها ويدنيه . فإن شئت وجدته واهفاكما ناصماً ، وإن شئت وجدته بنصيبك من اللذة والشهوة ووصل الجبيب مساعماً . وهذا حين الشروع في الأبواب ، والله سبحانه آلفاتح من الخير كل باب ، وهو المسؤول سبحانه أن يجمله خالصاً ولم جهه الكريم ، مدنياً من رضاه والفوز بجنات النعيم ، والله متولى سريرة العبد وكسبة ، وهو سبحانه عند لسان كل قائل وقلبه ، (وَ قُلِ آعَدُولَ فَسَيَرَى آلفهُ عَلَى مَا كُنتُم تَعْمَلُونَ وَسَتُرَدُونَ إِلَى عَالِم آلفَيْسِ وَٱلشَّهادَة فَيُنتَبُّكُم وَرَسُولُهُ وَالْهُو مِنُونَ وَسَتُرَدُونَ إِلَى عَالِم آلفَيْسِ وَٱلشَّهادَة فَيُنتَبُكُم عَلَونَ مَا كُنتُم تَعْمَلُونَ) (۲) .

⁽١) جمع غائلة : الفساد ، والشر ، والداهية .

⁽٢) الآية ١٠٦: سورة التوبة .

الباب الأول في أسماء المية

لما كان الفهم لهذا السمى أشد ، وهو بقلوبهم أعلق ، كانت أسماؤه الديهم أكثر . وهذا عادتهم فى كل ما اشتد الفهم له ، أو كثر خُلُورُه على قاربهم ، تعظماً له ، أو اهماماً به ، أو محبة له . فالأول كالأسد والسيف ، والنالى كالداهية ، والثالث كالحر . وقد اجتمعت هذه المعانى الثلاثة فى الحب ، فوضعو اله قريباً من ستين (١) اسماً وهى : المُحبَّبة ، والمُلاقة ، والمُوى ، والصَّبوة ، والصَّابة ، والشَّغف ، والمُرَّخ ، واللَّذَة ، واللَّذَة ، والبلابل ، والسَّخ ، واللَّذَة ، واللَّغب ، واللَّب والبلابل ، والسَّذ ، واللَّذ ، واللَّذ ، واللَّخ ، واللاعب ، واللاعب ، واللاعب ، واللاعب ، واللاعب ، واللاعب ، والمُون ، واللَّذ ، والدَّن ، والود ، والنَّذ ، والدَّا المُخامِر ، والود ، والنَّذ ، والنَّز ، والنَّذ ، والنَّذ

(١) كذا . ولم يذكر المؤلف منها غير خمسين ،

^{(ُ}۲) أكثر ماذكره هو من صفات الحب وآثاره كما يتضح ذلك فى الباب الثانى.

الباشاكان

في اشتقاق هذه الأسماء ومعانيها

فأما المحبة فقيل: أصلها الصفاء لأن العرب تقول اصفاء بياض الأسنان ونضارتها حَبَب الأسنان، وقيل: مأخوذة من اكحباب وهو ما يعلو الماء عند المجلر الشديد، فعلى هذا المحبة عَليان القلب وثورائه عند الاهتياج إلى لقاء المحبوب، وقيل: مشتقة من الازوم والثبات، ومنه أحب البعير إذا برك فلم يَتُم، قال الشاعر (1):

حُلْت عليه بالفلاة ضربًا (٢) ضربَ بعيرالسَّوْء إِذ أُحبًّا ﴿

فَكَأَنَّ الحُبَّ قد لزم قلبُه محبوبَه فلم يُرِم عنه انتقالا ، وقيل : بل مى مأخوذة من القَلَق والاضطراب، ومنه سُمِّى القُرُّ طحِبًا لقَلَقه فى الأُذُن واضطرابه، قال الشاع (٣):

تبیت الحیّة النضناض (۱) منه مکان الحِبّ تستمع السّرارا وقیل: بل هی مأخوذة من الحبّ جمع حَبَّة ، وهو لُبَاب الشیء وخالصه وأصله ، فإن الحبّ أصل النبات والشجر ، وقیل: بل هی مأخوذة من الحبّ الذی هو إنالا واسم وضع فیه. الشیء فیمتلی، به بحیث لا یَسَع غیرَه ،

⁽١) هو أبو محمد الفقعسي ، كما قال يا نوت في حاشيته على الصحاح .

⁽٢) مكذاً: والذي في الكشاف وكتب اللعة حلت عليه بالقفيل ضرباً أي

⁽٣) هو الراعي

^{(َ} ٤) النصناص من الحيات : الذي لا يُثْبُّت في مكانه لشرته و نشاطه أو الذي عزج لسانه و يحركه .

وَكَذَلْكَ قَلْبِ الْحُبِ لِيسِ فَيهِ سَمَةٌ لَنيرِ مُحبوبة ، وقيل : مأخوذة من الحب وهو الخشبات الأربع التي يستقر عليها ما يوضع عليها من جَرَّةٍ أو غيرها فسمى الحب بذلك لأن الحب يتحمل لأجل محبوبه الأثمال ، كا تتحمل الحَشَبات ثِمَل ما يوضع عايها ، وقيل : بل هي مأخوذة من حَبَّة القلب وهي سُويْدَ اوْه ، ويقال : مرته ، فسميت الحجبة بذلك لوصولها إلى حَبّة القلب ، وذلك قريب من قولهم : ظهره إذا أصاب ظهره ، ورأسة إذا أصاب رأسه ، ورآه إذا أصاب رئته ، وبطنه إذا أصاب رئته ، وبطنه إذا أصاب رئته ، وأما في الحبة فالأثر إنما وصل إلى المُحبّ . وبعد فنيه لغتان حَبَّ وأحبً وأما الشاعر (1) :

أَحِبُ أَبَا مروان من أجل تمره (٢) وأُعلم أن الرفق بالمرء أرْفَقُ ووالله لولا تمره ما حببت ، ولا كان أدنى من عُبَيْدٍ وَمُشْرِق

كذلك أنشده الجوهرى بالإقواء (٣) فيمع بين اللغتين ، ولكن فى جانب اللغل واسم الناعل غلبو ازباعى فقالوا : أحبة يحبّبة فهو تحبب ، وفى المنعول غلبوا فَعَلَ فقالوا فى الأكثر محبوب ولم يقولوا : مُعَب إلّا مادراً ، قال الشاعر (١) :

ولقد نزلت فلا تَظُنِّي غيرَه مني بمنزلة المُحَبِّ المُكُرَّمِ

⁽١) هو غيلان بن شجاع النهشلي كما قال ياقوت في حاشيته على الصحاح .

⁽٧) في الصحاح: ثمره، والثمر: المال المثمر يختف ويثقل، وقرأ أبو عمرو: وكان له ثمر بشم فسكون وفسره بأنواع الأموال.

⁽٣) الإفراء: اختلاف حركة الروى ، ورواية الجوهرى : أحب بفتع الألف وكسر الحاء وقال : هذا شاذ .وعلى هــذا لم يجمع فيه بين اللغتين بل جمع فيه بين المــاضى والممنارع من حب .

^(؛) مو عنترة بن شداد .

وما زرت البلى أن تكون حبيبة إلى ولا دَينٌ لها أنا طالبه وقد استعماره يمعنى الحجب، قال الشاعر:

وما هجر تك ِ النفسُ أنكِ عندها قايلٌ ولا أَنْ قلَّ منكِ نصيبُها ولكنهم يا أحسن الناسِ أُولعوا يقول إذا ما جئت هذا حبيبُها

فهذا يحتمل أن يكون بمعنى المحبوب وأن يكون بمعنى المحبب ، وأما الحب بكسر الحاء فلفة فى الحب وغالب استعاله بمعنى المحبوب قال فى الصحاح : الحب الحبة وكذلك الحب بالسكسر . والحب أيضاً الحبيب مثل خِدْن وَخَدِين ، قلت : وهذا نظير ذبيح بمعنى مذبوح ، و نِهْب بمعنى منهوب ، ورشق بمعنى مرشوق ، ومنه السب ويشترك فيه الفاعل والمفعول ، قال أبو عبيله : السب بالسكسر السكثير السباب ، قال الجوهرى : وسيبك الذي يُسَابُك ، قال حسان : السب بيس في فلست بسبي ان سبي من الرجال العكويم المسال العكويم المسلس المحال العكويم المناس المحريم المناس المحريم المناس المحريم المسلس المحريم المسلس المحريم المسلس المحريم المسلس المحريم المسلس المحريم المسلس المسلس المحريم المسلس المس

والصواب أنه عبد الرحمن بن حسان . وقد يشترك فيه المصدر والمفعول نمعو رزَق . وفي إعطائهم ضمة الحاء للمصدر سر لطيف ، فإن الكسرة أخت من الضمة ، والحبوب أخف على قلوبهم من نفس الحب ، فأعطو المحركة الخفيفة للأخف ، والثقيلة للأثقل ، ويقال : أَحَبّه مُن العجة أمّ باب هذه الأسماء .

فصل

وأَمَا كلام الناس في حدّها فكثير ، نقيل : هي الميل الدائم ، بالقلب الهائم . وقيل : إيثار الحبوب ، على جميم للصحوب ، وقيل : موافقة الحبيب ،

فى المشهد والمغيب. وقيل: اتّحاد مر اد المحب ومراد المحبوب. وقيل: إيثار مراد المحبوب على مُراد المحب . وقيل: إقامة الخدمة مع القيام بالمحرّمة . وقيل: استقلال الكثير منك لجمبوبك ، واستكثار القايل منه إليك . وقيل: استيلاء ذكر المحبوب على قلب المحب . وقيل: حقيقتها أن تَهَب كلّك لمن أحببته ، فلا يبقى لك منك شيء . وقيل: هي أرث يمحو من قلبك ما سوى المحبوب ، وقيل: هي النيرة للمحبوب أن تُذْتَقَصَ حُرْمته ، والغيرة على القلب المحبوب أن تُذْتَقَصَ حُرْمته ، والغيرة على القلب المحبوب ، وقيل: هي الغيرة للمحبوب أن تُذْتَقَص حُرْمته ، والغيرة على القلب أن يكون فيه سواه . وقيل: هي الإرادة التي لا تنقص بالجفاء ، ولا تزيد بالبر . وقيل: هي حفظ الحدود ، فليس بصادق من ادَّعي محبة من لم يحفظ حدودَه . وقيل: هي قيامك لمحبوبك بكل ما يحبه منك . وقيل: هي مُجَانَبة أن السُّكُو عَلَى كل حال كاقيل:

ومن كان من بلول الموى ذاق سَلْوَةً فإنى من اليـــــلى لها غير ُ ذائق وَأَ كُثرُ شيء نِلْتُهُ من وصالها أماني لم تَصْدُق كَلَمْةَ بارق

وقيل : نارٌ تحرق من القاب ما سوى مراد الحجبوب . وقيل : ذكر المحبوب على عدد الأنفاس كما قيل (١) :

يُرَادُ من القلب نسيانكم وَ تَأْبِي الطِّبَاعُ عَلَى النَّاقِل

وقيل: عى القلب عن رؤية غير المحبوب، وَصَمَـهُ عَن سَمَاعِ العذل فيه، وفى الحديث: «حُبُّكَ لِلشَّىء يُعْمِي وَ يَصِمَّ »(٢) رواه الإمام أحمد. وقيبل: ميلُكَ إلى الحجوب بكلسَّيَتِك ، ثم إيثارك له عَلَى نفسك وروحِك

⁽١) البيت للمتنبي .

⁽٢) في مسد الإمام أحمد من حديث أبي الدردا. رضي الله عنه: . حبك السيء يمم ويعمى . .

ومالك ، ثم موانقتك له سرًّا وجهسراً ، ثم علمك بتقصيرك في حبه ، وقيل :
هى بَذَلاك الجهود فيما يرضى الجبيب . وقيل : هى سكون بلا اضطراب ،
واضطراب بلا سكون ، فيضطرب القلب فلا يسكن إلا إلى محبوبه ، فيضطرب شوقاً إليه ويسكن عنده . وهذا معنى قول بعضهم : هى حركة القلب على الدوام إلى المحبوب وسكونة عنده ، وقيل : هى مصاحبة المحبوب على الدوام كما قيل :

ومن عَجَبٍ أَنَى أَحِنُ إِلَيْهِمُ وأَسْأَلُ عَنهِم مِن لَقَيْتُ وَهُم مَعَى وَلَا بَهُمُ عَنَى وَهُم فِي سُوادَهِ وَيَشْتَاقُهُم قلبي وَهُم بِين أَضَلُعُي وَقِيل : هِي أَن يكُون الحجبوب أقربَ إلى الحجب مِن رُوحه كما قيل : يامقياً في خاطري وجياني وبعيداً عن ناظري وعياني أنتَ روحي إن كُنتُ لستُ أراها فهي أدني إلى من كل داني وقيل : هي حضور الحبوب عند الحجب دائماً كما قيل : خيالُكَ في عيني وذكرك في في ومثواك في قلبي فأين تغيب ؟ وقيل : هي أن يستوى قرب دار الحجبوب وبعدها عند الحجب كما قيل : يا ناوياً بين الجوانح والحشي (۱) مني وإن بَعدَتُ عَلَى دِيارُهُ عَلَى عَلَى مَا العَرامُ وكما مِن الغرامُ وكما مِن الغرامُ وكما مِن الغرامُ وكما مِن الغرامُ وكما مِن بَعدَتَ أَعْشَارُهُ (۲) لا يستفيق من الغرامُ وكما مِن عَنه تَهِ مَتَكَتْ أَستارُهُ لا يستفيق من الغرام وكما مِن عَنه تَهَ مَتَكَتْ أَستارُهُ في المَنهُ المَنهُ المَنهُ وَسَارُهُ عَنه تَهَ مَتَكَتْ أَستارُهُ في اللهُ وَمِنْ مِن الغرامُ وكما مُن الغرامُ وكما مُن الغرامُ وكما مِن عنه تَهَ مَتَكَتْ أَستارُهُ في الله المَنْ العَرامُ وكما مِن الغرامُ وكما مُن العَرامُ وكما مُن المُن المُن المُن العَرامُ وكما مُن العَرامُ وكما مُنْ المُن المُن المَن المُن المَن المُن المُن

⁽١) الجوانح جمع جانحة: الاضلاع تحت الترائب بما يلى الصدر كالضلوع بما يلى الظهر والحشى: مادون الحجاب بما فى البطن. والحشا: ما المضمت عليه الضاوع.

⁽٢) جمع عشر : القطعة من كل شيء

وقيل ؛ هي ثبات القلب على أحكام الفسرام واستلذاذُ العذل فيمه والملام ا قيل (١) :

وقف الموى بى حيث أنتِ فليس لى مُتَأْخُرُ عنسه ولا مُتَقَدَّمُ

اشبهت إعدائي فصرتُ أحبهم إذ كان حظى منك حظى منهم أجدُ لللامةَ في هـــوالتُو لذبذة حُبًّا لذكرالتُو فَأَيْكُمْنِي اللَّوْمُ

فصل

وأما العَلاقة وتسمَّى العَلَقَ بوزن الفَّاتَى فهي من أسمائها قال الجوهري: والعَلَق أيضًا الهوى يقال: نظرة من ذي عَلَق ، قال الشاعر (٢٠):

ولقد أردتُ الصبرَ عنكِ فعاقني عَلَقٌ بقلبي من هواكِّ قديمُ وقد عَلَيْهَا بالكر وعَلَقَ حَبُّها بقلبه ، أي هُو يَهَا وعَلَق بها عُلُوقًا ، وسميت عَلاقةً لتعلُّق القلب بالحبوب، قال الشاعر (٣):

أعلاَقةً أمَّ الوُلَيْدِ بِسِد ما أَفنانُ رأْسِكِ كَالثَّمَامُ الْمُغْلِسِ (1)

وأما الهوى فهو ميلُ النفس إلى الشيء ، وفعله هُو يَ يَهُوَى هُوَكَى، مثل عَمِي َ يَسْمَى عَنَّى . وأما هُوَى يَهْوِى بالفتح فهو السقوط ، ومصدرهُ الهُوْيُّ

⁽١) هو لأبي الشيص.

 ⁽٢) مو ان الدمينة كما قال ياقوت.

⁽٣) مو المرار الفقسي كما قال ياقوت .

⁽٤) الثنام بالفتح: نبت يكون في الجبل يبيض إذا يبس ويشبه به الشيب. والخلس: الذي خالط سواده الساض.

بالضم ، ويقال الهوى أيضاً عَلى نفس المحبوب ، قال الشاعر :

إِن التي زعمت فؤادك ما عالى خُلَقَت هواك كَا خُلَيْت هَوَك كُرُ ويقال: هذا هوى فلان (١) وفلانة هواه ، أَى مَوْ يَّتُهُ وَعِبُوبِتِه ، وأَكْثر ما يستعمل في الحب المذموم كاقال الله تعالى : (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَ نَهْى ما يستعمل في الحب المذوح استعالاً مقيداً . ومنه لأنه يهوى بصاحبه . وقد يستعمل في الحب المدُوح استعالاً مقيداً . ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يُؤْمِنُ أَحَدُ كُم حَتَى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعال من الحب المدوح استعالاً مقيداً . ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يُؤْمِنُ أَحَدُ كُم حَتَى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعال من اللائبي وهذب أنه المنه عليه وسلم فقالت عائشة رضى الله عنها : لما جِئْتُ بِهِ » (٢) وفي الصحيحين عن عُروة قال : كانت خَوْلَة بنت حكم من اللائبي وهذب أنفسهن النبي صلى الله عليه وسلم فقالت عائشة رضى الله عنها : قال عر بن الخطاب رضى الله عنه : فهويي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال قال عر بن الخطاب رضى الله عنه : فهوي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر رضى الله عنه ولم يَهُو ما قلت ، وذكر الحديث (١٠٠ . وفي السنن أنَ أُو بينًا قال للنبي صلى الله عليه وسلم : جئت أساً لك عن الهوى فقال : « المَرْ هُ مع من أحب » .

⁽١) كذا . . ولعل الصواب : هوى فلانة .

⁽٢) الآيتان ٤٠ و ٤١ . سورة النازعات .

⁽٣) في الأربعين للنروى قال: هو حديث صحيح رويناه في كتاب الحجا

⁽٤) الآية ١٥. سررة الاحراب.

⁽ ه) في صحيح مسلم . رواه أيضاً الشيخان وأبو داود والترمدي والنسائي كما قال السيوطي.

فصل

وأما الصّبوة والصّبا فمن أسمائها أيضاً قال فى الصحاح: والصّبا من الشوق يقال منه: تصابا وصبا يَصَبُو صَبُو اللّه وَصُبُوا ، أى مال إلى الجهل، وأصبته الجارية وصبي صباء مثل سمِع سماعا، أى لعب مع الصبيان. قلت: أصل الكلمة من الميل يقال: صبا إلى كذا، أى مال إليه، وسُمّيت الصّبوة بذلك لميل صاحبها إلى المرأة الصبية والجمع صسبايا مثل مَطيّة ومَطابيا، والتصابي هو تماطي الصّبوة مثل التمايل وبابه ، والفرق بين الصّبا والصّبوة والتصابي أن التصابي هي تعاطى الصّبا وأل تنعل فعل ذى الصّبوة، وأما الصّبا فهو نفس التمايل و وأما الصّبا وأن تنعل فعل ذى الصّبوة، وأما الصّبا فهو نفس الميل . وأما الصّباؤة قالم ق من ذلك مثل الغَشْوة والكَبُوة، وقد يقال على الصنة اللازمة مثل القَسْوة، وقد يقال على الصّفة اللازمة مثل القَسْوة، وقد قال بوسف الصّديق عليه السلام: (وَ إِلّا تَصْرِفُ عَلَى مَنْ الْجَاهِلِينَ) (١)

فصل

وأما الصّبابة فقال فىالصحاح: هى رقة الشوق وحرارته، يقال: رجل صَبُّ عاشقٌ مشتاق، وقد صَبِيْتَ يَا رجلُ بالسّكسر، قال الشاعر (٢):

ولستَ تَصَبُ إلى الظاعنين . إذا ما صديقُك لم يَصْبَب

قلت: والصّبابة من المضّاعف من صبّ يَصَبّ ، وَالصّبا وَالصّبُوءَ من المعتلّ ، وهم كثيراً ما يعاقبون بينها ، فبينها تناسب لفظى ومعنوى ، قال الشاعر:

تُشَكَّى الْحَبُونَ الصَّابِهَ لَيْنَنَى عَمَّلت ما يلقُّونَ من بينهم وحدى

(١) الآية ٣٣: سورة يوسف. (٢) هو الكميت كما قال ياقوت

ويقال : رجلٌ صَبِّ وَامْرَأَةٌ صَبُّ كَا يقال : رجلٌ عَدْلُ وَامْرَأَةٌ عَدْلٌ.

فصل

وأما الشُّغَفَ فَن أَسَمَاتُهَا أَيضاً : قال الله تعالى : (قَدْ شَغَنَهَا حُبّاً)(١) قال الجوهري وغيره : والشُّغاف غلاف القلب وهو جلدة دونه كالحجاب يقال : شَنَفَه الحب ، أي بلغ شَغَافَه ، وقرأ ابن عباس رضي الله عنها (قَدْ شَغَفَهَا حُبّاً) ثم قال : دخل حُبّه مُ تحت الشُّغَاف .

فصل

وأماالشَّعَفُ بالعين المهملة فني الصحاح شَعَفَه الحُبُّ ، أَى أَحرق قلبه ، وقال أبو زيد : أمرضه ، وقد شُعِف بكذا فهو مشعوف ، وقرأ الحسن (قَدْ شَعَفَهَا حُبًا) قال : بطنها حُبًا .

فصل

وأَمَا المِقَةُ فَهِى فَعَلَةً مِن وَمِق كِبِقُ ، وَالمِقَةُ الْمُحَبَّةُ وَالْهَاءُ عُوضٌ مِن الواو كالْعَظَةُ والعِدَةُ والزِنَةَ ، فإن أصلها فعل فحذفوا الفاء فعوضوا منها تاء التأنيث حبراً للكلمة وتعويضاً لما سقط منها ، والفعل وَمِقَة كَيْقِه بالكسر فيها ، أى أُحبَّه فهو وامق .

فصل

وأَمَا الْوَجْد فَهُو الحَبِ الذي يَتَبَعُهُ الحَزِنُ ، وأَكثرُ مَا يُسْتَعَمَلُ الوَجْدُ في الحزن ، يقال منه : وَجَدَ وَجْدًا بالفتح ، ويحن نذكر هذه المادة وتصاريفها ، يقال : وجَدَ مطلوبَه تَجِده وُجوداً ، فإن تعلّق ذلك بالضالّةِ سَمَّوْهُ وَجْدَاناً ،

⁽١) الآية ٣٠. سورة يوسف.

وَوَجَدَ عليه في الغضب مَوْجِدَةً ، ووجَد في الحزن وَجْداً بالفتح ، ووجد في الحال ، أي صار واجداً وَجْداً وَوُجْداً ووجْداً بالفتح والضم والكسر وَجِدَةً إذا استغنى ، وأما إطلاف اسم الوَجْد عَلَى مجرَّد مطلق المحبة فغير معروف ، وإنما يطلق على محبة معها فقد يوجب الحزن .

فصل

وأما الكَالَف فهو من أسماء الحب أيضاً ، يقال : كَلَفِتُ بهذا الأمر أى أُولِمت به فأنا كَلِفُ به ، قال الشاعر :

فتعلّبي أنْ قد كُلِفْتُ بكمُ شم اصنعي ما شئت عن علم وأصل اللفظة من الكُلْفة والمشقّة ، يقال : كلّفه تكليفاً إذا أمره بما يشق . قال الله تعالى : (لَا يُكلّفُ ٱللهُ نَفْسًا إِلّا وُسْعَهَا) (١) ومنه تكلّفت الأم عبشّبته ، والكُلْفة ما يُتَكلّف من نائبة أو حق . والمتكلّف المتعرّض لِما لا يَعنيه ، قال الله تعالى : (قُلْ مَا أَسْأَ لُكُمْ عَلَيهُ مِنْ أَجْر وَمَا أَنا مِنَ المُتَكلّفَ مِنْ أَجْر وَمَا أَنا مِنَ المُتَكلّفَينَ) (٢) وقيل : هو مأخوذ من الأثر وهو شيء يعلو الوجة كالسّمشيم . والكلّف أيضاً : لون بين السواد والمحسرة وهي مُحْرة كدرة تعلو الوجه ، والامم الكُلْفة .

فصل

وأما التنتيم (٣) فهو التعبُّد، قال في الصحاح: تَمَيُّم الله أي عبد الله، وأصله

⁽١) الآية ٢٨٦. سورة البقرة (٢) الآية ٨٦. سورة ص٠

⁽٣) لعل الصواب هو التيم : أن يستعبد، الهوى، وهو ذهاب العقل من الهوى .

من قولهم: تبيَّمه الحب إذا عبده وذلًّا، فهو متيّم ، ويقال: تامته المرأة ، قال لَقيطُ بن زُرارة :

تامَتْ فؤادَك لو يَعْزُنْك ماصنعت إحدى نساء كَبني دُهْلِ بنِ شَيْبًا نَا فَصل

وأما العشق فهو أمر هذه الأسماء وأخبتها ، وقل ما وَلِعِت به العرب ، وكأنهم ستروا اسمه وكنّوا عنه بهذه الأسماء فلم يكادوا يُفضحوا به ، ولا تسكاد تجده فى شعرهم القديم ، وإنما أولع به المتأخرون ، ولم يقع هذا اللفظ فى القرآن ولا فى السنة إلا فى حديث سُويد بن سعيد (١) وسنتكام عليه إن شاء الله تعالى ، وبعد فقد استعماده فى كلامهم ، قال الشاعر :

وماذا عسى الواشون أَن يتحدثوا سوى أَن يقولوا إِننى لكِ عاشق نعم صدق الواشون أَنت ِ حبيبة " إِلَّ و إِن لم تَصْفُ منكِ الحلائق

قال فى الصحاح : العِشْق فَرْط الحب، وقد عَشِقها عِشْقاً مثل عِلم عِلماً وَعَشَقاً ` أيضاً عن الفراء، قال رؤ بة :

* ولم يُضِعْها بين فر لتر (٢) وَعَشْقَ *

قال ابن السرّاج: إنما حر كه ضرورة وإنما لم يحر كه بالكسر إتباعًا للمين كأنه كره الجمع بين كسرتين فإن هذا عزيز في الأسماء، ورجل عشيق مثل فسيّيق، أى كثير العشق، والتّعشقُ تكلّف العشق قال الفرّاء: يقولون امرأةُ عجبٌ لزوجها وعاشق. وقال ابن سيده: العشق عجب المحب بالمحبوب يمكون في عفاف الحب ودَعارته، يمنى في العفة والفجور. وقيل: العِشْقُ الاسم

⁽١) هو حديث : « من عشتى فعف فىكتم قمات فهو شهيد »

⁽٢) فرك: بغض وكره .

والعَشَق المصدر ، وقيل : هو مأخوذ من شجرة يقال لها : عاشقة (١) تخضر تم تَدوّق وتصفر ، قال النر"اء : عَشِقَ عِشْقًا وعَشَقًا إذا أفرط في الحب ، والعاشق الفاعل ، والمشوق المفعول ، والعَشِيقُ يقال لهذا ولهذا ، وامرأة عاشق وعاشقة قال (٢) :

وَلَدُ كَلَقُهُم الْصَرْخَدِي طَرَحْتُهُ عَشَيّة خِسْ القوم والْمَينُ عاشقة (٣) وقال الفراء: العشق نبت لَز ج ، وسُمّى العشق الذى يكون من الإنسان المُصوقه بالقلب وقال ابن الأعرابي: العَشَقة اللبلابة تخضر وتصفر وتعلق بالذى يليها من الأشجار ، فاشتق من ذلك العاشق . وقد اختلف الناس هل يُطلّق على الاسم في حق الله تعالى ؟ فقالت طائفة من الصوفية : لا بأس بإطلاقه ، وذكروا فيه أثراً لا يثبت ، وفيه : فإذا فعل ذلك عشقني وعشقته ، وقال جمهور الناس : لا يُطلّق ذلك في حقه سبحانه وتعالى ، فلا يقال إنه يعشق ، ولا يقال عشقه عبده ، ثم اختلفوا في سبب المنع على ثلاثة أقوال ، أحدها : عدم التوقين (١) بخلاف المحبة . الثانى : أن العشق إفراط المحبة ، ولا يمكن ذلك في حق الرب تعالى ، فإن الله تعالى لا يوصف بالإفراط في الشيء ، ولا يبلغ عبد ما يستحقه من حبه فضلاً أن يقال أفرط في حبه . الثالث : أنه مأخوذ من التغير ما يستحقه من حبه فضلاً أن يقال أفرط في حبه . الثالث : أنه مأخوذ من التغير ما يستحقه من حبه فضلاً أن يقال أفرط في حبه . الثالث : أنه مأخوذ من التغير ما يستحقه من حبه فضلاً أن يقال أفرط في حبه . الثالث : أنه مأخوذ من التغير ما يستحقه من حبه فضلاً أن يقال أفرط في حبه . الثالث : أنه مأخوذ من التغير ما يستحقه من حبه فضلاً أن يقال أفرط في حبه . الثالث : أنه مأخوذ من التغير ما يستحقه من حبه فضلاً أن يقال أفرط في حبه . الثالث : أنه مأخوذ من التغير ما يستحقه من حبه فضلاً أن يقال أفرط في حبه . الثالث : أنه مأخوذ من التغير المنه المناه المناه المناه المنه المناه المناه المناه المنه المناه المناه المناه المنه المناه ال

⁽١) كذا . . والذي في كتب اللغة عشقة بفتحتين وستأتى قريباً .

⁽٢) هو الراعي .

⁽٣) فى اللسان: صرخد: موضع نسب إليه الشراب فى قول الراعى . والحنس: من أظاء الإبل أن ترد الإبل الماء فى الديرم الخامس من ورودها السابق. وقوله: ولذ، يريد نوم لذيذ، والهاء فى عاشقة تمود على النوم وذكر العين على معنى الطرف.

⁽٤) التوقيف في الشرع كالنص.

كا يقال للشجرة المذكورة عاشقة (١) ، ولا يطلق ذلك على الله سبحانه وتعالى . فصل

وأما اَلْمُوَى فَنَى الصحاح: الجوى: الْمُوْقة وشدّة الوجد من عشق أو حُزْن، تقول منه: جَوِى الرجل بالكسر فهو جَوٍ مثل دَوٍ، ومنه قيل للماء المتغير المُنتن: جَوَ، قال الشاعر (٢٠):

> ثم كان الزاجُ ماء سعابِ لاجَو ِآجِن (٢) ولامطروقُ فصل

وأما الدَّنَفُ فلاتكاد تستعمله العرب في الحب، وإنما وَلع به المتأخرون، وإنما الدَّنَف بالتحريك المرض وإنما استعملته العرب في المرض . قال في الصحاح: الدَّنَف بالتحريك المرض الملازم، رَجل دَنَفَ أيضاً يعنى بفتح النون وامرأة دنف وقوم دنف، يستوى فيه المذكر والمؤتث والتثنية والجمع، فإن قلت: رجل دَنِف بكسر النون قلت: امرأة دَنِفَ أنتت وثنيت وجعت، وقد دَنِف المريضُ بالكسر ثمُّل وأدنف المرض يتعدى ولا يتعدى فهو مُدْنِف وَمُدْنَف. قلت: وكأنهم استعاروا هذا الاسم للحب اللازم تشبيهاً له به والله أعلم.

فصل

وأما الثَّجُو ُ فهو حبٌّ يتبعه هم وحزن. قال في الصحاح: الشَّجُو ُ: الهمَّ والْحُرْن ، يقال : شَحَاهُ يَشْحُوهُ شَحَوًا: إذا أحزنه ، وأشْجاه يُشْجِيه إشْجاء:

⁽١) الصواب عثقه، أنظر صفحة (٢٨).

⁽٢) هو عدى بن زيد .

⁽٣) أجن الماء: تغير طعمه ولونه ورائحته .

إذا أُغَصَّه . تقول منهما جميعاً : شَجِيَ بالكسر يَشْجَى شجى قال الشاعر (١) :

لا تذكروا القتل وقد سُبِينا فى حلقكم عظم وقد شَجِينا
أراد حلوقكم ، والشَّجَى ما يَنْشَبُ فى الحلق من عظم أو غيره ، ورجل شَج ، أى حزين وامرأة شَجِيَّة على نَعلة . فأطاق هذا الاسم على الحب للزومة كالشَّجَى الذي يعلق بالحلق ويَنْشَبُ فيه .

فصل

وأما الشوق فهو سفر القلب إلى المحبوب، وقد وقع هذا الاسم في السنة، ففي المسند من حديث عمّار بن ياسر أنه صلى صلاةً فأوجز فيها، فقيل له: أوجزت يا أبا اليقظان، فقال: لقد دعوت فيها بدّعرات سمتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بهن: اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني إذا كانت الحياة خيراً لي، وتوفّني إذا كانت الوفاة خيراً لي. وأسألك أخينيا في الغيب والشهادة، وأسألك كانة الحق في الغضب والرضا، وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك تجاة الحق في الغضب والرضا، وأسألك القصد في الفقر والغني، وأسألك نعميا لا ينفّد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بعمد الموت، وأسألك لذ النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة اللهم زينًا بزينة الإيمان، واجعلنا هداةً مهتدين (٢). وجاء في أثر إسرائيلي طال شوق الأبرار إلى لقائي، وأنا إلى لقائهم أشوق. وقد قال الله تعالى طال شوق الأبرار إلى لقائي، وأنا إلى لقائهم أشوق. وقد قال الله تعالى (مَنْ كَانَ رَدُجُو لِنَاءَ آللهِ فَإِنَّ أَجَلَ آللهِ لَاتٍ) (٣). قال بعض العارفين

⁽١) هو المسيب بن زيد مناة.

⁽٢) هكذا .. وفي بعض ألفاظه اختلاف عما في المستد وجامعي السيوطي

⁽٣) الآية ه. سورة العنكبوت.

لما علمالله شوق المحبين إلى لقائه ضرب لهم موعداً للقاء تسكن به قلوبهم . وبعد فهذه اللغظة من أسماء الحب ، قال فى الصحاح : الشوق و الاشتياق : بزاع النفس إلى الشيء ، يقال : شاقني الشيء يَشُوقُني فهسه شائق و أنا مَثُوق وشو "قنى فنسه تشو قت : إذا هيهج شوقك ، قال الراجز : .

يا دار ميّة بالدكاديك الْبُرَق (١) منّيًا الله هيَّجت شوق اللُّشْمَا أَنْ يريد المشتاق قال سيبويه: كمّز ماليس بمهوز ضرورة .

فصل

واختُلِفَ في الفرق بين الشبوق والاشتياق أيّهُما أقرى ، فقالت طائفة :
الشوق أقرى فإنه سفة لازمة ، والاشتياق فيه نوع افسال كا يدل عليه بناؤه
كالاكتساب وتحسوه ، وطالت فرقة : الاشتياق أقرى الكثرة حروفه ، وكما
قوى المهنى وزاد زادوا حروفه ، وحكمت فرقة ثالثة بين القراين . وفالت :
الاشتياق يكون إلى غائب ، وأما الشوق فإنه يكون للحاضر والغائب ، والسواب
أن يقال : الشوق مصدر شاقه يشوقه إذا دعاه إلى الاشتياق إليه ، فالشوق داعية
الاشتياق ومبداه ، والاشتياق مُوجبه وغايته ، فإنه يقال : شاقنى فاشتقت ،
فالاشتياق فعمل مطاوع لشاقنى . واختلف أرباب الشوق هل يزول الشوق
بالوصال أو يزيد ؟ فقالت طائفة " : يزول ، فإن الشوق سفر القلب إلى المحبوب ،
فإذا وصل إليه انتهى السفر .

وألقت عصاها واستقر بها النوى كَا قُرْ عَيْنًا بالإياب المسافر (٢)

⁽١) فى المتحاج يادارى قال: والدكداك من الرمل: ما لتبد منه بالأرمش ولم يرتفع والجمع الدكادك والدكاديك. والبرقة بال نم : خلط فيه حجارة ورمل وطين مختلطة والجمع برق.

⁽٢) البيت لمعقر بن حمار .

قالوا: ولأن الشوق إنما يكون لغائب فلا معنى له مع الحضور ، ولهذا إنما يقال للغائب: أمَّا إليك مشتاق: وأما من لم يزل حاضراً مع للحب فلا يوصف بالشوق إليه . وقالت طائفة : بل يزيد بالقرب واللقاء و استدلوا بقول الشاعر : وأعظم ما يكونُ الشوق يوماً إذا دَنَت الخِلْمامُ من الخيام قالوا: ولأن الشوق هو حُرقة للحبة والتهابُ نارها في قاب المحب، وذلك مما يزيده القربوالمواصلة . والصواب أن الشوق الحادث عند اللقاء والمواصلة غيرُ النوع الذي كان عند الغَيْبة عن المحب، قال ابن الروحي:

أَعَانَتُهَا والنفسُ بعد مُشُوقة إليها وهل بعد العناق تداني وأَلْمُ وَاها كَى تَزُولَ صِبَابِتِي فَيَشْتَـكُ مَا أَلْقِي مِن الْهَيَمَان ولم يك مقدارُ الذي بي من الجُوى ليَشْفيه ما ترشُفُ الشيفان كَأَنْ فَوْادَى لِيس يُشْسِقِي غَلِيلَهِ سُوى أَنْ يَرَكَى الروحين تَمْرَجان

فصل

وأما الخِلابة فمي الحبِّ الخادع ، وهو الحب الذي وصل إلى الخِلْبُ وهو الحجاب الذي بين القلب وسراد البطن. وسمى الحب خِلَابةً لأنه يخدع ألباب ' أَرْبَابِهِ ، وَالِخُلَابَةِ : الخديمة باللسانِ ، يقال : خَلَّبَهُ كَيْخُلُبِهِ بِالضَّمِ وَاخْتَابِهِ مُشْكُ وفى المنل : إذا لم تَعْلِب فاخْلُب ، أى فاخدع . والْخلية : الْخَدَّاعة من النساء قال الشاع (١):

أودى الشبابُ وحُبُّ الخالة (٢) الخابَه وقد برئت فا بالقلب من قَلَتِه (٣)

⁽١) في الصحاح: قال النمر .

⁽۲) فىالصحاح: امرأة خالة، أى مختالة، و توم خالة، أى مختالون، ويروى الحلبة أيضاً بفتح اللام على أنه جمع وهم الذين يخدعون الفساء .

⁽٣) أي يرأت من داء الحب ولم يعد بالقلب علة ٠

قال ابن السَّكِيِّت : رجلٌ خلاب ، أى خدَّاعٌ كَذَّاب ، ومنه البرق النُّلب الذى لا غيث فيه كأنه خادع ، ومنه قيل لمن يَعِدُ ولا يُنْجِز : إنما أنت برق خُلَّب ، وانْظُلَّب أيضاً : السحاب الذى لا مطر فيه ، ومنه الحديث : « إِذَا بَايَعْتَ فَقُلْ لاخِلَابة » (*) أى لا خديعة . والحب أحق ما يُسَمَّى بهذا الامم ، لأنه يُعمى ويُصِح ، ويخدع أبَّ المحب وقلبه .

فصل

وأما البـالابل فجمع بَاْبَهَا ، يقال: بلابل الحب وبلابل الشوق، وهي وساوسه وهمة. قال في الصحاح: الْبَالْبَلَةُ والْبَلْبَال : الهم وَوَسُو اس الصدر.

فصل

وأما التباريح فيقال: تباريح الحب، وتباريح الشوق، وتبداريح الجُنوى. وبرّح به الحب والشوق: إذا أصابه منه البَرْح وهو الشدة. قال في الصحاح: لقيت منه رَدْحًا بارحًا، أي شدةً وأذى، قال الشاعر:

أَجِدَّ هــــــذا عَمْرَكَ اللهَ كَا دعاك الْهَوَى بَرْحُ لعينيك بارحُ ولقيت منه بنات بَرْح وبنى بَرْح ، ولقيت منه البِرَحين والبُرَحين ، بكسر الباء وضمها ، أى الشدائد والدواهى .

فصل

وأما السَّدَم بالنحريك فهو الحب الذي يتبعه ندم ومعزن . قال في الصحاح : السَّدَم بالنحريك : النَّدَم وألحُز ن وقد سَسدِم بالكسر ، ورجل نادم سادم ونَدْمَانُ سَدْمَانُ ، وهو إتباع ، وما له هم ولا سَدَم إلا ذاك .

⁽١) الكتب الستة وغيرها .

فصل

وأما الغَيْرَات فهي جمع غُرْة ، والغَيْرَة مَا يَغَيْرُ القاب من حبُّ أو شكر أو غفلة . قال الله تعالى : (تُقِيلَ آيَّرُ الصُونَ . آلَّذِينَ مُهُمْ فِي عَمْرَةِ سَلَمُونَ) (ا) أنى في غفلة قد غَمَرَت قلوبهم . وقال تعالى : (فَذَرَهُمْ فِي عَرْبَهِم سَلَهُونَ) (ا) أنى في غفلة قد غَرَت قلوبهم . وقال تعالى : (فَذَرَهُمْ فِي عَرْبَهِم خَرَات حَلَى عَيْنِ) (الله الغَمْرُ الله الغَمْرُ الله يغطى من دخل فيه ، ومنه غمرَات للوت ، أى شدائده ، وكذلك غَرَات الحلب ، وهو ما يغطى قاب المحب فيعَمُرُهُ ، ومنه قولهم : رَجِلُ عَرْبُ الرِّدَاء ، كناية عن السخاء، لأنه يَغْمُرُهُ العَيْمِ مع السخاء عيب . قال كُثَيِّر:

خَمْرُ الرِّداء إذا تبسم ضاحكاً غَلَقِت لضَحْبَكَته رقابُ المال وقال القُطَامِيّ يصف سفينة نوح:

إلى الْجُودِي حتى صار حِجْراً وكان لذلك الْنَمَر انحسار (٣) أي لذلك الماء الذي غر الأرض ومن عليها .

نصل

وأما الوَكَ لَمُ فَهُو بَتَحْرِيكَ الْهَاءُ وأُصِلَهُ النَّرَّعِ وَالرَّوْعِ ، يَقَالَ : وَهِلَ يُوْهَلُ وَهُو يُوْهَلُ وَهُو وَهِلَ وَسُنْتَوْ هِلَ *. قال القَطَّامِيّ يَصْفَ إِبلاً :

⁽١) الآيتان ١٠ و ١١. سورة الدازيات .

⁽٢) الآية هه . سورة المؤمنون .

⁽٣) الجودى : هو الجبل الذى استوت عليه سفية سيدنا نوح عايه السلام . الحجر : الممنوع الذى له حاجز ، والغمر جمع غمرة . قال ابن سيد، : وجمع السلامة أكثر .

وترى لجيْضَتِهِنَّ عند رحيلنا وَهَلَّا كَأَنَّ بِهِنَّ جِنَّةَ أَوْلَقِ (١) وإنما كان الوَهَل من أسماء الحب لما فيه من الرَّوع ، ومنه يقال ؛ جمالُ رائع . فإن قيل : ما سبب رَوْعَة الجمال ولأى شيء إذا رأى المحبُّ محبوبة ُ فجأة يرتاع لذلك ويصفر لونه ويبُهْتُ . قال الشاعر :

وما هو إلا أن أراها نُجَاءَةً فَأَبَّتَ حتى لا أكاد أُجيب

وكثير من الناس يرى محبوبه فيصار ويرتمد ؟ قيل: هذا مما خنى سببه على أكثر المحبين فلا يدرون ماسببه ، فقيل سببه أن الجمال سلطان على القلوب ، وإذا بدا راع القلوب بسلطانه ، كا ير وعها الملك ونمو من له سلطان على الأبدان ، فسلطان الجال والمحبة على القلوب ، وسلطان الملوك على الأبدان ، فإذا كان السلطان الذي على الأبدان ير وع إذا بدا ، فكين بالسلطان الذي هو أعظم منه ؟ قالوا : وأيضاً فإن الجمال يأسر القلب فيحس القلب بأنه أسير ولا بُد لتلك الصورة التي بدت له ، فيرتاع كا يرتاع الرجل إذا أحس بمن على أسر من ذلك لم تخصل له هذه الرجل إذا أحس بمن على منه أمن كان الهوك بفؤاده إذا ما رأى محبوبة يتغير

فصل

وأما الشَّجَن فهو من أسمائه ، فإن الشَّجَن الحاجة حيث كانت ، وحاجة المحب أشد شيء إلى محبوبه ، قال الراجز :

⁽١) فى اللسان قال: وهو الروغان والعدول عن التمد ، وأصل الجيض الميل عن الثميء . والأولق: الجنون ، وقيل : الحفة من النشاط كالجنون .

إنى سأبدى لكِ فيما أبدى لى شجنان شَجَنُ بِنَجْدِ وَشَجَنُ لِيَجْدِ وَشَجَنُ لِيَجْدِ

و الجمع شجون . قال : والنفس شَتَّى شُجُو َ مُهَا) ، ويجمع على أشجان . قال الشاعر :

تُعَمَّلُ أَمْعَابِي ولم يجدوا وجدى وللناس أشجانٌ ولى شبعن وحدى وقد شَجَمَّلُ أَمْعَابِي ولم يجدوا وجدى وللناس أشجانٌ ولى شبعن وحدى وقد شَجَمَّنْ الله الخري الخري والجمع أشجان ، وقد شَجِن بالكسر فهو شاجن وأشجنه غيره وشَجَنَه ، أى أحزنه ، والحب فيه الأمهان : هذا وهذا .

فصل

وأَمَّا اللاعج فَهُو اسم فاعل من قولهم : لَعَجَهُ الفربُ إِذَا آلَمَهُ وأُحرِقَ جَلَهُ . قال الْهُذَلِي (٢٠) :

* ضرباً أَلَما بِسِبْتِ يَاْمَجُ الْجِلْدُ الْ (٣) * ويقال: هو لاعج مُحرِقة الفؤاد من الحب.

فصل

وأما الاكتئاب فهو افتعال من الكَمَابَةِ ، وهي سوء الحال والانكسار من الحزن ، وقد كثب الرجل يَكأبُ كأبة وكَابَة كَرَأَفَة وَرَآنَة ، ونشأَة ٍ

ذكر تكحيث استأ.ن الوحش والقت رفاق به والنفس شتى شجونها

(٢) في ياقوت : هو عبد الناف بن ربع الجروي ، وصدره :

ه إذا تجرد نوح قامتا معه ه

(٢) السبت بالكسر: كل جلد مدبرغ . يلمج : يؤلم ويحرق .

⁽١) أصل البيت رواه ابن برى وهو:

ونشاءة فهو كيئيب ، وامرأة كثيبة وكأباء أيضًا. قال الراجز (١٠): * أَوْ أَنْ تُرَى كَأْبَاء لم تَنْبرَنْشِقِ *

واكتأب الرجل مثله ، وَرَمَادُ مُكَمَّتَيْبِ اللون : إذا ضرب إلى السواد كا يكون وجه الكثيب ، والكآبة تتولد من حصول الحب ونوت المحبوب فتحدُثُ بينها حالة سيئة تسمى الكآبة .

فصل

وأما الوَصَبُ فهو ألم الحُب ومرضه فإن أصل الوَصَب المرض ، وقد وَصِب الرحل مَن صَب فهو وَصِب ، وأَوْصَبه الله فهو مُوصَب ، والْمَوَّمَّب التشديد الرجل مَن صَب الأوجاع . وفي الحَديث الصحيح : « لَا يُصِيبُ المؤْمِنَ مِن مَمْ . ولا وَصَب حَقَى الشّو عَلَى اللهُ مِن خَطَايَاه ، (٢) ووصَب وَلاَ وَصَب حَقَى الشّو كَم اللّم اللهُ عَلَى الأمر إذا داه م عليه . الشيء يَصِب وصُوبًا إذا دام ، تقول : وَصَب الرجل على الأمر إذا داه م عليه . قال الله تعالى : (وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا) (١) قال الله تعالى : (وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا) (١) والطاعة دائمة .

فصل

وأما الحزن فقد عُدَّ من أسماء المحبة والصواب أنه ليس من أسماسها ، وإنما هو حالة تحدث للمحب ، وهي ورود المكروه عليه ، وهو خلاف المسرة ، ولما كان الحب كان الحزن من لوازمه .

⁽١) في يافوت : هو جندل بن المثنى التلموي مخاطب ابنة أخيه .

والمبرنشق : الفرح المسرور وقد الرنشق .

⁽٢) في صحيح مسلم وغيره بألفاظ متقاربة .

⁽٣) الآية ٩. سورة الصافات.

⁽٤) الآية ٧٥. سورة النحل.

وفي المديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: « اللّهَمْ إِنّي أَعُوذُ مِنَ الْهُمُ وَالْحُزْنَ، وَالْعَجْزِ وَالْمُكَسَلَ، وَالْجُنْنِ وَالْبُخْلَ ، وَضَلَم الدّيْنِ وَعَلَيةِ الرّجَالَ » (١) ، فاستعاذ صلى الله عليه وسلم من ثمانية أشياء ، كل شيئين منهما قرينان ، فالمم والحزن قرينان ، فإن ورود المكروه على القاب إن كان لما مضى فهو الحزن، وإن كان لما يستقبل فهو الهم ، والمعجز و المحكسل قرينان فإن تخلّف العبد عن كاله إن كان من عدم القدرة فهو العجز ، وإن كان من عدم الإرادة فهو الحبل براح منه النفع بماله الإرادة فهو المكسل ، والجبن والبخل قرينان ، فإن الرجل يراح منه النفع بماله أو ببدنه ، فإن قهر الناس نوعان: نوع بحق فهو ضكع الدّين وغلّبة الرجال قرينان ، فإن قهر الناس نوعان: نوع بحق فهو ضكع الدّين ، ونوع باطل فهو غلّبة الرجال . وقد نفي الله سبحانه وتعالى عن أهل الجنه الحوف والحزن ، فالح يزنون على ما مضى ، ولا يخافون عما يأتى ، ولا يطيب العيش إلا يذلك ، والحب يازمه الخوف والحزن .

فصل

وأما الكَدَّ فَن أحكام المحبة فى الحقيقة وليس من أسما شها ، ولكن المتكلمون فى هذا الباب لا يفر قون بين اسم الشيء ولازمه وحكمه ، والسكمد المحزن المكتوم ، تقول منه : كَدِ الرجل فهو كَدِدُ وَكَدِيدُ وَ السُّحَدَةُ تَغَيَّر اللهِ نَ وَأَكْدَدُ القصَّار الثوب إذا لم يُنقَّةً .

قصل

وأما اللَّذْع فهو من أحكام المحبة أيضاً ، وأصله من لَذْع النار . يقال :

⁽١) في الصحيحين وغيرهما . والصلح : القهر .

لَذَعَتْهُ النَّالُ لَذْعًا: أحرقته ، ثم شبهوا لَذْع اللسان بَلَذْع النار ، فقالوا : لَذَعَهُ النَّالُ لَذُعًا بلسانه ، أي أحرقه بكلامه ، يقال : أعوذ بالله من لَوَاذِعِه .

فصل

وأما المُوَق فهي أيضاً من عوارض اللّب وآثاره ، والْحُرْقة تكوف من الْحُب تارة ومنه قولهم : مالك حُرْقة تجلي هذا الأمر ، وتكون من الغيظ ومنه في الحديث : « تَرَكَمُهُمْ يَتَحَرَّقُونَ عَلَيْكُمُ » .

نصل

وأما السُّهُدُ فهو أيضاً من آثار المحبـة ولوازمها، فالسُّهادُ: الأرَقُ وقد سَهَدَ الرجل بالكسر يَسْهَدَ سَهَداً، والسُّهْدُ بضم السين والهاء: القليل النوم، قال أبو كبير الْهُذَكَ:

فأَّتت به حُوشَ الجُنان مُبطَّناً سُهُداً إذا مانام ليل الْهُو ۚ جَل (١) وسيدته أنا فهو مُسَيَّد .

فصل

وأما الأرَق فهو أيضاً من آثار المحبة ولوازمها فإنه السهر . وقد أرقت بالكسر أى سهرت ، وكذلك النُـتَرَقْتُ على افتعات فأنا أرق ، وأرّ تني كذا كأريقاً ، أى سهرنى .

فصل

وأَمَا اللَّهْفُ فَن أَحَكَامُهَا وآثارِهَا أَيْضًا ، يَقَالَ : لَهِفَ بالـكَسر يَلْهَفُ

⁽١) حوش الجمنان ، أى حديد الفرّاد . والمبطن : الضامر البطن .والهوجل: الرجل الأهوج .

لَهُمَّا أَى حَزِنَ وَتُحَسِّر . وكذلك التَّامِف على الشيء . وقولهُم : يا لَمُفَّ فلان كلة يُتَكَسِّر بها على ما فات ، واللَّهْفان المتحسّر ، واللَّهِيف المضطر .

فصل

وأما الخنين فقال فى الصحاح: الخنين الشوق وتوكان النفس، تقول منه: حَنَّ عليه منه: حَنَّ إلَيْهِ كِينُ حَنيناً فهو حانٌ، والحنان الرحمة، تقول منه: حَنَّ عليه كِينُ حَنَاناً ، ومنه قوله تمالى: (وَحَنَاناً مِنْ لَدُنَّا) (١) وتحنَّنَ عليه تركم ، والعرب تقول: حَنَانك يا رَبّ وحَنَانَيْك بمسنى واحد، الى رحمتك ، قال المرموقُ العَيْس:

وَيُمْنَحُهَا بِنُو تَمُعُمِّى بِنِ سِجَوْمٍ مَعِيزَهُم حَنَانَكَ ذَا الْخَنَانَ^(٢). وقال طَرْفَة:

أَبَا مَنْدَرِ أَفْنِتَ فَاسْتَبْقِ بِمِضْنَا حَنَانَيْكَ بِمِضُ الشَّرِّ أَهُونُ مَنْ بِعِضُ وَفَى الْحَقِيْة الْحَنِينِ النَاقَة صوتها وفي الحقيقة الحنين من آثار الحب ومُوجباته ، وحنين الناقة صوتها في نِزَاعِها إلى ولدها . وحَنَةُ الرجل امرأَتُهُ . قال (٣) :

وليلة ذات دُجّى سَرَيْتُ ولم تَغْيَرُنِي حَنَّةٌ وَبَيْتُ وَلَيْتُ وَلَيْتُ وَلَيْتُ وَلَيْتُ وَلَيْتُ وَلَيْتُ وَلَيْتُ وَلَيْتُ اللّهَا أَيْنَ كَانَ الرّجِلَ كِينٌ إليها أَيْنَ كَانَ

فصل

وأما الاستكانة فهي أيضاً من لوازم اللب وأحكامه ، لامن أسمائه المختصة

⁽١) الآية ١٢. سورة مريم.

^{(ُ}٢) في اللسان : يمنحها رواية الاصمى ، أي يعطيها ، ورواه ابن الاعران: ويمنعها .

⁽٣) هو أبو محد الفقسي

به ، وأصلها الخضوع. قال الله تعالى: (فَمَا آسْتَكَانُوا لِرَبَهِمْ وَمَا يَتَفَرَّعُونَ) (')
وقال تعالى: (فَمَا وَهَنُوا لِمَاأَصَا بَهُمْ فَى سَبِيلِ آللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا آسْتَكَانُوا) '')
وأصلها استفعل من الكون ، وهذا الاشتقاق والتصريف يطابق اللفظ ، وأما
للعنى فالمستكرنُ ساكن خاشع ضد الطائش ، ولكن لا يوافق السكون
تصريف اللفظة فإنه إن كان افتعَلَ كان ينبغي أن يقال استَكَن لأنه ليس في
كلامهم افتعال ، والحق أنه استَذَهَلَ من الكون فنقلوا حركة الواو إلى الكاف
قبلها فتحركت الواو أصلاً وانفتح ماقبلَها تقديراً فقلبت ألفاً كاستقام ، والكون فيها إنابة و وذل وخضوع . وهذا يُحْمَد إذا كان لله ، وينذَمُ إذا كان
فغيره ، ومنه الحديث : « أَعُوذُ بِكَ مِنَ الخُور بَعْدَ الْسَكُونِ فِي السَقامة بعد ماكنت عليها .

فصل

وأما التّبالة فهى فعالة من تَبَلَه إذا أفناه ، قال الجوهرى : تَبَكمهم الدهر . وأتبلهم إذا أفناهم . قال الأعشى :

أأن رأت رجلاً أعشى أضر به رَيْبُ الزمان ودهر مُتْبلُ خَبلُ

أى يذهب بالأهل والولد ، وتبله الحب ، أى أسقمه وأنسده . قلت : ومنه قول كمب بن زهير بن أبي سُلّمي :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيَّمْ عنــــدها لم يُفْدَ مكبول

⁽١) الآية ٧٧ . سورة المؤمنون .

⁽٢) الآية ١٤٣٠ سورة آلعران.

⁽٣) ويروى بمد السكون وقد رجح النووى هـذه الرواية فى الأذكار والحديث رواه أيضاً مسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه ، والحور : النقص والكور : الزيادة .

فصل

وأما اللَّوْعة فقال فى الصحاح: لَوْعة الحب حُرْقته وقد لاعه الْحُب يَاوعه والْمَا اللَّوْعة فقال فى الصحاح: لَوْعة الحب حُرْقته وقد لاعة الْخُوَادِ إِلَى والْمَاعَ فَوْ ادُه أَى احترق من الشوق ، ومنه قولهم : أَتَانُ لاَعَةُ الفُؤَادِ إِلَى جَمْشِهَا . قال الأصمعى : أى لائعةُ الفؤاد وهى التي كأنها وَلْهَى من الفَزَع .

فصل

وأماالفتون فهو مصدر فَتَنَهُ يَفَتْنِهُ مُتُونًا، قال الله تعالى: (وَفَتَنَاكَ فَتُونًا) (1) أي امتحناك واختبرناك. والفيئنة يقال عَلَى ثلاثة معان (٢) ، أحدها: الامتحان والاختبار، ومنه قوله تعالى: (إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَدَّتُك) (٣) أي امتحانك واختبارُك والثاني: الافتتان نفسه ، يقال: هذه فيئنة فلان ، أي افتيّانه ، ومنه قوله تعالى: (وَأَتَقُوا فِتْنَةَ لَا تُصِيبَنَ آلَذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُ خَاصَّةً) (1) يقال: أصابته الفتّنة وَقَالَ الأعشى:

لَنْ فَتَذَنَّنِي لَهِي َ بِالأَمْسِ أَفْتَنْت سَعِيداً فَأَضِي قَد قَلَى كُلَّ مَسْلِمُ وَأَنْكُو الْأَمْسِ أَفْتَنَة . والثالث: المفتون به نفسه يُسَمَى فَتَنَة ، قال الله تعالى: (إَنَّمَ أَمُو اللَّهُ عَالَى: (أَنَّمُ اللَّهُ عَالَى: (أَنَّمُ اللّهُ عَالَى: (أَنَّمُ اللّهُ عَالَى: (أَنَّمُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ وَتُعَنَّهُم وَاللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّه وَاللّهُ عَلَى النّا مَا كُنّا مَا كُنّا مَا كُنّا مَا اللّه عَلَى اللّه عَلَى النّارِ فَمَ اللّه عَلَى النّارِ عَلَى اللّه وَاللّهُ عَلَى النّارِ فَمَ اللّه عَلَى النّارِ عَلَى النّارِ عَلَى اللّه عَلَى النّارِ فَمَ اللّه عَلَى النّارِ عَلَى اللّه عَلَى النّارِ عَلَى اللّه عَلَى النّارِ عَلْمَ اللّه عَلَى اللّه اللّه عَلَى النّارِ عَلْمَ اللّه عَلَى اللّه اللّه عَلَى اللّه اللّه عَلَى اللّه اللّه اللّه عَلَى اللّه ا

⁽١) الآية. ٤. سورةطه.

⁽٢) ذكر بعض المفسرين أن الفتنة في القرآن على خمسة عثر وجهاً وفعلها .

⁽٣) الآية ٢٥٤ . سورة الأعراف

⁽٤) الآية ٢٥. سورة الانفال.

⁽ ٥) الآية ١٥. سورة التغابن (٦) الآية ٢٣. سورة الأنعام.

يُفْتَنُونَ . ذُوقُوا فِتْلَتَكُمُ الله في يحرقون ، ومنه فتنت الذهب إذا أدخلته النار لتنظر ما جَوْدَته ودينار مفتون . قال الخليل : والفَّبْنُ : الإحراق قال الله تعالى : (يَوْمَ هُمْ عَلَى آلنّارِ يُفْتَنُونَ) وورق فَتِينٌ ، أى فضة خُورَقَة . وَافْتُسِنَ الرجل وَفُرِينَ : إذا أصابته فتنية فذهب ماله أو عقيله . فُورَقَة أَلمراة إذا ولَهْتَه ، وقوله تعالى : (فَإِنَّكُم وَمَا تَعْبُدُونَ . مَاأَنتُم عَكَيْهِ وَفَتَكُنّه المرأة إذا ولَهْتَه ، وقوله تعالى : (فَإِنَّكُم وَمَا تَعْبُدُونَ . مَاأَنتُم عَكَيْهِ فَعَالَى بِهَا تَنْبَنَ إلا مَنْ هُو صَالِ آلجَمْمِ) (٢٠ أى لا تفتنون على عبادته إلا مَنْ سبق في علم الله أنه يصلى الجحم فذلك الذي يغتن بفتنتكم إياه ، وأما قوله تعالى : (فَسَنَمْ عِلَى الباء زائدة ، وقيل : المفتون مصدر كالمعقول والميسور والحلوف والمسور ، والصواب أن يُبصِر الفَّتُونَ مَا مَنْ الله وَالله الله تعالى : (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ الله آلَذِي خَلَقَ الله مَنْ مَا الله الله تعالى : (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ الله آلَذِي خَلَقَ الله مَنْ عَلَى الله وَالله الله تعالى : (أَوَلَمْ يَوْ أَنَّ الله آلَذِي خَلَقَ الله أَنْ عَلَى الله وَالله الله الله تعالى : (أَوَلَمْ يَرُوا أَنَّ الله آلَذِي خَلَقَ الله وَله الله وَله الله وَله الله والله والمُعَلَى الله وَالله الله الله تعالى : (أَولَمْ يَنَ الله وَالشَجَرُ وَيَتَعَاوَنَانِ عَلى وَله الله وَله الله وَله الله وَالشَجَرُ وَيَتَعَاوَنَانِ عَلى الله الله وَله واحد وبضعها وهو جمع فان كان كتاجر وفي المقتود أن المُعْه موضع الفتون فما فَتَن من فَن إلا بالحبة .

فصل

وأما الجنون فن اللب ما يكون جنونًا ، ومنه قوله :

⁽ ١) الآيتان ١٣ و١٤ . سورة الداريات .

 ⁽۲) الآيات ۱۲۱ و۱۲۲ و ۱۲۳ سورة العافات .

⁽٣) الآيتان ه و ٦ - سورة القلم (٤) الآية ٢٣ . سورة الاحقاف.

⁽ ه) فى الجامع السكبير للسيوطى : المسلم أخو المسلم الح قال: رواه أبو داود والبيهق والطبراني .

وأصل المادة من السّتر في جميع تصاريفها ، ومنه أَجّنَه الليل وجَنَّ عليه : إذا ستره ، ومنه الجُنين لاستتاره في بطن أمه ، ومنه الجُنة لاستتارها بالأشجار ، ومنه المِجَنُّ لاستتار الضارب به والمضروب ، ومنه الجُن لاستتارهم عن العيون بخلاف الإنس فإنهم يُو نَسُون أَى يُر ون ، ومنه الجُنَّة بالضم وهي ما استترت به واتقيت ، ومنه قوله تعالى : (اتّخذُوا أَيْما نَهُمْ جُنَّةً) (٢٠ وأجننت الميت : واريته في القبر فهو جنين . والخب المقرط يستر العقل فلا يَعتيلُ الحجب ما ينفعه ويضره فهو شعبة من الجنون .

فصل

وأما اللّم فهو طَرَف من الجنون ، ورجل ملوم ، أى به لَمَم ، ويقال أيضًا : أصابت فلانًا من الجن لَمَّة وهو المس والشيء القليل قاله الجوهرى . قلت : وأصل اللفظة من المقاربة ، ومنه قوله تعالى : (ٱلَّذِينَ يَجْتَنبُونَ كَبَائِرَ ٱلْإِثْمُ وَأَلْفَوَ الحِشَ إِلَّا اللّهُمَ) (٣) وهي الصغائر . قال ابن عباس رضي الله عنها : ما رَأَيْتُ أَشِه باللّه ما قال أبو هريرة رضي الله عنه : إن المين تزيى وزناها النظر ، واليد تزنى وزناها البطش ، والرّبُ فِل تزنى وزناها المشي ، والنم يزنى وزناه المثنى ، والنم يزنى وزناه المثنى ، والم يزنى وزناه المثنى ، والم يزنى وزناه المثنى ، والنم يزنى وزناه المثنى ، والم يزنى وزناه المثنى ، والم يزنى وزناه المثنى ، والنم يزنى وزناه المثنى ، والم يزنى وزناه المثنى ، وغلام مؤلم ، أي قارب

⁽١) الحين: الوقت طال أو قصر.

⁽٧) الآية ١٦ . سورة الجادلة . والآية ٧ . سورة المنافقون .

⁽٣) الآية ٣٢ . سررة النجم .

البلوغ ، وفى الحديث : « إِنَّ مِمَّا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ مَايَقَتُلُ حَبَطًا أَوْ يُلِمِّ » (1) ، أى يقرب من ذلك . وبالجلة فلا يستبين كونُ اللَّمَ من أسماء الحب وإن كان قد ذكره جماعة إلا أن يقال : إِن الحبوب قد أَلمَّ بقاب الحجب ، أَى نزل به ، ومنه أَلمَ بنا ، أَى انزل بنا ، ومنه قوله :

متى تأتينا كُلْمِ بنا في ديارنا تجد حَطَبًا جَزُلًا ونارًا تأجبا

فمل

وأما الخبل فن موجبات العشق وآثاره لامن أسمائه و إن ذُكر من أسمائه فإن أصله النساد وجمع خُبُول، والخبّل بالتحريك الجن، يقال به خبّل ، أى شىء من أهل الأرض، وقد خَبّله وخَبّله وآختبكه : إذا أفسد عقله أو عضوه، ورجل مُخبّل وهو نوع من الجنون والنساد.

فصل

وأما الرَّسِيسُ فقد كَثُر فى كلامهم رَسِيسُ الهـوى والشوق ورَسِيسُ المهـاوى والشوق ورَسِيسُ الملب، فظن من أدخله فى أسماء الحب أنه منها وليس كذلك ، بل الرَّسِيسُ الشيء الثابث ، فرَسِيسُ الحبي ثباتُه ودوامُه ، ويمـكن أن يكون من رَسَّ الحُمَّى ورَسِيسها وهـو أول مسّها ، فشبهوا رَسِيسَ الحب بحـرارته وحُر قته برسيسِ الحُمَّى ، وكان الواجب عَلَى هؤلاء أن يجعلوا الأوار من أسماء الحب برسيسِ الحُمَّى ، وكان الواجب عَلَى هؤلاء أن يجعلوا الأوار من أسماء الحب برسيسِ المُحَمَّى ، وكان الواجب عَلَى هؤلاء أن يجعلوا الأوار من أسماء الحب برسيسِ المُحَمَّى ، وكان الواجب عَلَى هؤلاء أن يجعلوا الأوار من أسماء الحب برسيسِ المُحَمَّى ، وكان الواجب عَلَى هؤلاء أن يجعلوا الأوار من أسماء الحب

⁽١) فى المحيحين ، ويقال: حبطت الدابة حبطا بالتحريك إذا أصابت مرعى طيباً فأفرطت فى الاكل حتى تنتفخ فتموت. والحباط: وجع البطن من الانتفاخ لكثرة الاكل أو لاكل غير مواغتى.

⁽٢) هو عروة بن أذينة .

إذا وجدتُ أوارَ الحبِّ في كبدى أقبلتُ نحو سِقاء القوم أُ بُتَرِدُ هبنى بَرَدتُ بَبَرْد المساء ظاهرَ ه فمن لنارٍ عَلَى الأحشاء تتَّقدُ وقد وقع إضافة الرَّسِيسِ إلى الهوى في شعر ذي الرُّمة حيث يقول: إذا غيَّر النَّائيُ الحبين لم يَكَدُ رَسِيسُ الهوى من حُبٌ مَيَّة يبرَح وفيه إشكالُ نحُوى ليس هذا موضعَه.

فصل

وأما الداء المُخَامِرُ فهو من أوصافه وسُمِّى مُخَامِرًا لِمُخالطته القلب والرُّوح يقال خامره ، قال الجوهرى : والمُخَامَرة المُخالطة ، وخامر الرجل المكان إذا لزمه . وقد يكون أُخِذَ من قولهم : استخمر فلان فلاناً إذا استعبده ، وكأن العشق داء مستعبد للعاشق ، ومنه حديث مُعاذ : مَنِ استَخْمَرَ قَوْماً (١) ، أى أخذهم قهراً وتملَّكَ عليهم ، فالحب داء مخالط مُستَعْبِد .

فصل

وأما الودُّ فهو خالص الحبّ وأَلْطَفُه وأَرَّتُه ، وهو من الحبّ بمنزلة الرأَّفة من الرحة ، قال الجوهرى : وَدِدْت الرجلَ أَوَدُّه وُدُّا إِذَا أَحببته . والوِدُّ والوَدُّ السَاعر :

أيها الدائد السُائِلُ عنا وبودِّيكَ أَن ترى أَكفاني

فإنما أشبع كسرة الدال ليستقيم له البيت فصارت يا. والوِدُّ الوديد بمعنى ألمودود والجمع أُودُّمثل قِدْح وأقدُح وذئب وأُذْوُب، وها يتوادَّان وهم أُودَّاء، والوَدُود الحب ، ورجالُ وُدَدَاء يستوى فيه المذكر والمؤرَّث لسكونه وصفاً

⁽١) ذكر الزيخشرى في الزائق هذا الحديث وابن الآثير في النهاية وغيرهما من أصحاب اللغة .

داخلا عَلَى وصف للمبالغة . قلت : الوَّدُود من صفات الله سبحانه وتعالى أُصله من المَوَدَّة ، واخْتُلِفَ فيه عَلَى قوابين : فقيل ! هو وَدودٌ بمعنى وادِّ كَضَرُوب بمعنى ضارب و قَتُولِ بمعنى قاتلٍ و نؤُ وم ْ بمعنى نائم ، ويشهد لهذا ٱلقول أن فعولاً في صفات الله سبحانه و تعالى ذاعل كغفور بمعنى غافر ، وشكور بمعنى شاكر ، وصبور بمعنى سابر ، وقيل : بل هو بمعنى مَوْ دُود وهو الحبيب ، وبذلك فسره البخارى في صحيحه ، فقال : الوكود الحبيب ، والأوّل أَظهر لاقترانه بالغفور في قوله: ﴿ وَهُو َ ٱلْغَفُورُ ٱلو ْدُودُ ﴾(١) وبالرحيم في قوله: (إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ)(٢) وفيه سرٌّ لطيف وهو أنه يحب التو ابين وأنه يحبّ عبده بعد المغفرة فيغفر له ويحبه كما قال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مُحِبُّ ٱلتَّوَّا بينَ وَ يُحِبُّ ٱلدُّيَّطَاءِّرِينَ ﴾(٢) فالتائب حبيب الله ، فالودّ أصنى الحبّ وأَلطُهُه .

وأَمَا اُنْفَاتَهُ فتوحيد الحبة ، فالخليل هو الذي توحد حُبُّه لمحبوبه ، وهي رتبة لا تقبل المشاركة ، ولهذا اختصبها في العالم الخليلان إبر اهيم ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَٱ تَتَخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيرًا ﴾ (١) وصحَّ عن آلنبيَّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إِنَّ ٱللهَ ٓ ٱتَّخَذَنِي خَلِيلاً كَا اتَخَذَ إِبْرَ اهِمَ خَلِيلًا »(°) وفي الصحيح (٦) عنه صلى الله عليه وسلم: « لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَمْلِ ٱلأَرْضِ خَلِيلاً لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرِ خَلِيلاً . وَلَكِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ الرَّحْمِنِ » ، وفي الصحيح أيضًا : « إِنَّ أَبْرَأُ إِلَى كُلِّ خَلِيلِ

⁽١) الآية ١٤. سورة البروج. (٢) الآية . ٩. سورة هود. (٣) الآية ٢٢٢. سورة البقرة. (٤) الآية ١٢٤. سورة النساء.

⁽ ه) رواه ابن ماجه والبيهق رغيرهما . كما قال السيوطي .

⁽٦) في الصحيحين وغيرهما بألفاظ متقاربة . وسيأتي قريباً .

مِنْ خُلَّتِهِ »(١). ولما كانت الخُلة مرتبة لاتقبل الشاركة امتحن الله سبحانه إبراهيم الخليل بذبح ولده لما أخذ شعبة من قلبه ، فأراد سبحانه أن يخلص تلك الشعبة له ولا تكون لغيره ، فامتحنه بذبح ولده ، والمراد ذَبحه من قلبه ، لاذَ بحه بالله يه ، فلما أسلما لأمر الله وقد م محبة الله تعالى عَلَى محبة الولد ، خَلَص مقام الخُلة وفدى الولد بالذّبة .

وقيل: إنما سُمِّيت خُلَةً لتخلّل المحبة جميع أُجزاء ارَّوح ، قال:
قد تخلّت مسلك الرُّوح منى وبذا سمى الخليسل خليلا
والُخَلَّةُ الخليلُ يسترى فيه الذكر والمؤَنث لأنه فى الأصل مصدر قولك خليلٌ بَيِّنُ الْخَلَّةُ والخَلُولَة ، قال (٢٠):

ألا أُباِهَا خُلَّتَى جَابِراً بِأَن خَلَيْكَ لَمْ يُقْتَل وَيُحْمَعُ كُلَى خُلِالُ مَثْلُ وَقَلالُ . والجُلُلُ الود والصديق ، والجُلَلُ الود والصديق ، والجُلَلُ أيضاً مصدر بمعنى المُخَالَّة ، ومنه قوله تعالى : (لاَ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خِلالَ) (٣٠ ، وقال في الآية الأخرى : (لاَ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ) (١٠ ، قال امرؤ القيس : وقال في الآية الأخرى : (لاَ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ) (١٠ ، قال امرؤ القيس : وقال في الآية الأخرى : (لاَ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ) (١٠ ، قال الله ولا قالى * (٩٠)

والخليل الصديق والأنثى خايلة ، والخِلالة والخُلالة والخُلالة بكسر الخاء وفتحها وضمها : الصداقة والمردّة . قال(٢٠) :

وكيف تُو اصلُ من أصبحت خلاَلَتُهُ كأبي مَرْ حَبِ (٧)

⁽١) رواه مسلم بلفظ آخر . (٢) هو أونى بن مطر المازنى .

⁽٣) الآية ٣١. سورة إبراهيم. (٤) الآية ١٥٤. سررة البقرة.

⁽ ه) صدر البيت : صرفت الهرى عنهن من خشية الردى ولست . . . : كما قال ياقوت . (٦) هو النابغة الجمعدى . كما قال ياقوت .

⁽٧) فى السحاح: وأبو مرحب كنية النال، ويقالهو كنية عرقربالذى قيال فيه : مواعيد عرقرب.

وقد ظن بعض من لاعلم عنده أن الحبيب أفضل من الخليل ، وقال : محمد حبيب الله وإبراهيم خليل الله ، وهذا باطل من وجوه كثيرة ، منها : إنَّ النَّلة خاصة والحبية عامة فإن الله يحبُّ التوابين ويحبُّ المتطهرين ، وقال في عباده للومنين : (يُحِبُّهُم وَ يُحِبُّونَهُ) (١) ، ومنها : أن النبي صلى الله عايه وسلم نني أن يكون له من أهل الأرض خليل ، وأخبر أن أحب النساء إليه عائشة ومن الرجال أبوها (٢) ، ومنها : أنه قال : « إن الله النَّخذَ في خليلاً كما اتَّخذَ الرجال أبوها (٢) » . ومنها أنه قال : « لو كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الأرض خليلاً لا تَخذَتُ مُنَّ خَذِيدًا مِنْ أَهْلِ الأرض خليلاً لا تَخذَتُ مُنَّ خَذِيدًا مِنْ أَهْلِ الأرض خليلاً لا تَخذَتُ مُنَّ خَذَا مِنْ أَهْلِ الأرض خليلاً لا تَخذَتُ مُنَّ فَا الله قال : « لو كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الأرض خليلاً لا تَخذَتُ أَبا بَكْر خَلِيلاً وَلَكِنْ أَخُونَ لا الْإِسْلاَم وَمَوَدَتُهُ » (١٠) .

فصل

وأما الْحُلُمُ فهو مَأْخُوذُ مَن اللَّخَالَمَةَ وهيالمصادقة والمودّة ، واللَّهُمُ الصديق ، والأخلام الأسحاب ، قال الكُميّت :

إذا ابتسر الحربَ أُخْلامُهَا كِشَافًا وهُيِّجت الأَفْخُلُ (٥٠)

فصل

وأما الغرام فهو الحبُّ اللازم ، يقال : رجلُ مُغْرَمُ بَالحبُّ ، أَى قد لزمه الحب وأصل المادة من اللزوم ، ومنه قولهم رجلُ مُغْرَمُ من الفُرَّم أو الدّينُ ، قال فى الصنطح والغرَام الوّلوع ، وقد أُغْرِمَ بالشيء ، أَى أُولِمَ به ، والغريم

⁽١) الآية ٧٥. سورة المائدة.

^{(ُ} ٢) رواه البخارى ومسلم وسيأتى في الباب الرابع عشر .

⁽٣) تَقَدم تَعْرَ بجهِما في صفحة ٢٦ .

⁽ ٤) في اللسان: وأبتسر الفحل الناقة ضربها قبل الشبعة وهي شدة النسوة . وفي الـكشافأن تلقح الناقة في غير زمان لقاحها ، ويقال ذلك في الحرب على المثل .

الذى عليه اللدَّين ، يقال : خذ من غريم السوء ماسَنَحَ ، ويَكُون الغريم أيضًا الذى له الدَّين ، قال كُتَيِّر عَز ت :

قضى كلُّ ذى هَيْنِ قُوَقَى غَرِيمَه وَعَزَّةُ مَمْطُولٌ مُعَنَّى غريمُهَ وَعَزَّةُ مَمْطُولٌ مُعَنَّى غريمُهَ وهن المادة قوله تعالى فى جهنم: (إِنَّ عذَا بَهَا كَانَ غَرَامًا)(١) والغرام: الشر الدائم اللازم والعذاب ، قال بشر (٢):

ويوم النَّسَار ويوم الجِفاَ رِكَانا عَدَابًا وَكَانَا غَرَامًا ﴿ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللّلْمُلْمُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ

إن يماقب بكن غراماً وإن يُعْد طرِ جزيلاً فإنه لايبالى وقال أبو عبيدة: (إنَّ عَذَابِهَا كَانَ غَرَاماً) (1) كان هلاكاً ولزاماً لهم . وللطف الحبة عندهم واستعذابهم لها لم يكادوا يطلقون عليها لفظ الغرام وإن لمسيخ به للتأخرون .

فصل

وأما الهُيام قال فى الصحاح: هام تملى وجهه يَبِهِيمُ هَيْمًا وَهَيَمَانًا ذهب من العشق أو غيره ، وقلبُ مستهام ، أى هائم ، والهُيام بالضم: أشد العطش والهُيَامُ كالجنون من العشق ، والهُيام : داء يأخذ الإبل قتهيم لاترعى، يقال : ناقة هَيْمًاء قال : والهيام بالكسر : الإبل العِطَاش الواحد هَيْمَان ، وناقة هَيْلى

⁽١) الآية ٢٥. سورة الفرقان .

⁽٢) وكذلك هو فىااسحاح . أما فىاللسان فقد نسبه للطرماح .

⁽٣) النسار : ماءلبني عامر ، ومنه يوم النسار . والجفار : ماء لبني تميم پڻجد ومنه يومالجفار .

⁽٤) الآية ٦٥. سورةالفرقان.

مثل عطشان وعطشى ، وقدوم هيم ، أى عطاش ، وقد هاموا هُيــاما ، وقوله تبالى : (فَشَارِبُون ثُمَرْبَ الْهِيمِ) (١) هى الإبل العِطَاش . قلت : جمع أَهْمَ هِيم مثل أَحمر وحم وهو جمع فَعلاء أيضًا كصفراء وصفر (٢) .

فصل

وأَمَا التَّدْلِيهُ فَنَى الصحاح: التَّدْلِيهُ ذَهَابِ العَقَلَ مِنِ الْهُوَى ، يَقَالَ: دَلَّهُ الْخُبُّ ، أَى حَبَّرَهُ وأَدَهُمُهُ ، وَدَلِهَ هُو يَدْلَهُ قَالَ أَبُو زِيد: الدَّلُوهُ: النَّاقَةُ لَا تَكُادَ تَحَنَّ إِلَى إِلَفِ وَلا وَلد ، وقد دَلِهَتْ عَن إِلْفَهَا وَعَن وَلَدْهَا تَدُلُهُ دُلُهُ هَا.

فصل

وأما الوكه من فقال في الصحاح: الوكه : ذهاب العقل والتحيَّرُ من شدة الوجد، ورجل وَالِه وامرأة وَالِه ووالِهَ . قال الأعشى:

فَأَقْبَلَتْ وَالْمَا ثَـكُلْى عَلَى عَبَعِلِ كُلُّ دَهَاهَا وَكُلُّ عَندَهَا اجتَمَا وقد وَلِهَ يَوْلُهُ وَلَمَا وَوَلَمَا عَالَمَا وَتُولَهُ وَاتَّـلَهُ وهو افتدل أَدغُم. قال الشاهر (٣٠):

وَاتَّــــلُهُ الغُيّـــور

والنُّو ْلِيهُ أَن ُيفَرَّق بين الأم وولدها ، وفي الحديث: « لاَ يُولُّهُ وَالدِّمُّ

⁽١) الآية ٥٥. سورة الواقعة .

^{(ُ} ٢) في اللسان : جمع على فعل ثم خفف وكسرت الهاء لاجل الياء ، ومن العرب من يقول : هائم والآنثي هائمة ثم يجدمونه على هيم .

⁽٣) هو مليح الهذلي، والبيت في اللسان:

إذا ماحال دون كلام سمدى تنائى الدار واتله النيور

بِوَ لَذِهَا » (١) ، أَى لا مُجْمِلُ والهَا وذلك فى السّبايا . وناقة واله * : إذا اشتد وَجُدُهَا عَلَى ولدها صارت وَجُدُهَا عَلَى ولدها صارت الواو ياء لكسرة ماقبلها . وماء مُولَه * ومُوكَله * أرسل فى الصحراء فذهب ، وقول رُوْية :

به تَمَطَّتْ غَوْلَ كُلِّ مِيلهَ بنا حَرَاجِيجُ الْمَهَارَى النَّفَةِ (٢) أَراد البلاد التي تُولِّةُ الإنسان، أَى تحيِّره.

فصل

وأما التعبّد فهر غاية الحب وغاية الذل ، يقال . عبده الحب ، أى ذلله . وطريق معبّد بالأقدام ، أى مُذَال ، وكذلك الحجبقد ذلّلة الحب ووطاً ، ولا تصابح هذه المرتبة لأحد غير الله عز وجل ، ولا ينفر الله سبحانه لمن أشرك به في عبادته ، ويغفر ما دون ذلك لمن شاء . فيحبة العبودية هي أشرف أنواع الحبة ، وهي خالص حق الله . كلن عباده ، وفي الصحيح عن مُعاذ أنه قال : كنت سائراً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يامعاذ ، فقلت : كَبّيك يارسول الله وسعد يك ، قال : ثم سار ساعة ثم قال : يامعاذ ، قلت كبيك رسول الله وسعد يك ، وسعد الله وسعد يك ، وسعد الله وسعد يك ، قال : أقدرى ما حَقَّ الله على عباده ؟ قلت الله ورسوله أعسل ، قال : فال المباد على الله إذا فالله وسعد يك ،

^{. (1)} رواه البيهتي في السنن . كما قال السيوطي .

^{(ُ} ٧) تماعت: أي سارت سيراً طويلا . والذول: بعد المفازة . والحراجيج جمع حرجوج وهي الناقة اللحويلة على وجه الارض . والمهارى : الإبل المنسوبة . إلى مهرة بن حيدان . والناقة : السكالة والدليلة .

فعلوا ذلك ؟ أن لا يعذبهم بالنار (1) . وقد ذكر الله سبحانه رسوله بالعبودية في أشرف مقاماته ، وهي مقام التحدِّى ، ومقام الإسراء ، ومقام الدعوة ، فقال في التحدى : (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبِ مِمّا نَرَّلْنا عَلَى عَبْدِيا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ) (٢) ، وقال في مقام الإسراء : (سُبْحَانَ الّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ كَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الْحَرَامِ) (٢) ، وقال في مقام الدعوة : (وَأَنّهُ لَمّا قَامَ عَبْدُاللهِ يَوْلَ المَسْجِدِ الْحَرَامِ) (١) ، وقال في مقام الدعوة : (وَأَنّهُ لَمّا قَامَ عَبْدُاللهِ يَدْعُوهُ) (١) . وإذا تدافع أولو العزم الشفاعة الكبرى يوم القيامة يقول للسيح لحم : اذهبوا إلى محد عبدغفر الله له ماتقدم منذنبه وماتأخر . فنال ذلك المسيح لحم : اذهبوا إلى محد عبدغفر الله له ، فأشرف صفات العبد صفة العبودية ، المقام بكال العبودية لله وكالمغفرة الله له ، فأشرف صفات العبد صفة العبودية ، وأحبُّ أسمائه إلى الله آسم العبودية ، كاثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : وأحبُّ الأسمائه إلى الله عبد الله وعبد الله وعبد ألله وعَبْدُ الرَّ هُوا مَا أَصَدَ قَهَا لأن كل أَحد وأَتْ بَعْمَ عَبْدُ الله وعزم ينشأ عنه حرثه وفعله ، وكلُّ أحد حارث وهام أصد قيا لأن كل أحد وهم م ، وإنماكان أقبَعَها حرب ومرَّة لما في مسمى هذين الأسمين من الكراهة و نفور المقل عنهما وبالله التوفيق .

⁽۱) رواه الشيخان والإمام أحمد والترمذي وابن ماجه وابن حبار. كما قال السيوطي.

⁽٢) الآية ٢٣ . سورة البقرة (٢) أول سورة الإسراء .

⁽٣) الآية ١٩ . سورة الجن .

⁽٤) فى تيسيرالوصول للشيبانى : أخرجه أبوداودواللفظ له وللنسائى مختصراً كما روى النسم الأول منه مسلم والترمذي وابن ماجه وغيرهم .

الباب الثالث

في نسبة هذه الأسماء بعضها إلى بعض هل هي بالترادف أو النبان

فَالْأَسْمَاءُ الدَّالَةُ عَلَى مسمى واحد نوعان : أَحدهما أَن يَدُلُّ عليه ياعتبار الذات ققط، فهذا النوع هو المترادفُ ترادفًا محضًا ، وهذا كالحنطة والقمح والبُرِّ والأسمِ والْكُنْيَةِ والْآمَبِ إذا لم يكن فيه مدحٌ ولا ذمٌّ وإنما أتى به لجرد التعريف ، والنوع الثاني أن يدلُّ على ذاتٍ واحدة باعتبار تباكن صفاتها كأسماء الرب تعالى ، وأسماء كلامه ، وأسماء نبية ، وأسماء اليوم الآخر ، فهذا النوع مُترادِف مُ بالنسبة إلى الذات، متباين مباين النسبة إلى الصفات ، فالربوالرحن والعزيز والقدير والعَلِكُ يدل على ذات واحدة باعتبار صفاتٍ متعددة ، وكذلك البشير والنذيز والحاشر والعاقب والماحي ، وكذلك يوم القيامة ويوم البعث ويوم الجَمْعُويوم التَّغَابُن ويوم الآزَفَة ونحوها ، وكذلك القرآن والفرقان والكتاب والهُدى ونحوها ، وكذلكأسماء السيف فإنّ تعدُّدها بحسب أوصاف وإضلفات مختلفة ، كالمهنَّد والعَضْب والصَّارم ونحوها ، وقد عرَّفْتَ تبايُنَ الأوصاف في أسماء الحبة ، وقد أنكر كثير من الناس الترادُف في اللغة ، وكأنهم أرادوا هذا للعني ، وأنه ما من إسمين لمستَّى واحد ٍ إلا وبينهما فرقْ في صغةٍ أو نسبةٍ أو إضافة ، سواء عُلِمت لنا أولم تُعُمُّم ، وهـذا الذي قالوه صحيب باعتبار الواضم الواحد ، ولكن قد يَقَمُ الترادُف باعتبار واضعَيْن مختلفَيْن يسمى أحدها المسمى باسم، ويسميه الواضع الآخر باسم غيره، ويشتهر الوضعان عند القبيلة الواحدة ، وهذا كثير ومن همنا يقع الاشتراك أيضًا، فالأصل في اللغة هو التبايُن وهو أكثر اللغة والله أعلم .

الباب الرابع

فی آلد العالم العلوی والسفلی إنما وجد بالحبة ولاَجلها وألد حرکات الأفلاك والشمس والفحر والنجوم وحرالات الملائدكة والحيوانات وحركة كل متحرك إنما وجدت بسبب الحب

وهذا بابٌ شريفٌ من أشرف أبواب ألكتاب ، وقبل تقريره لابدُّ من بيان مقدمة وهي أن الحركات ثلاث : حركةٌ إرادية ، وحركةٌ طبيعية ، وحركةٌ قَسْرية ، وبيان الحصر أن مبدأ الحركة إما أن يكونمن آلمتحرك أو من غيره ، فإن كان من ٱلمتحرُّك فإما أن يقارنها شعورُه وعلمُه بها أوْلا ، فإن قارنها ٱلشعور والعلم فهي الإرادية ، وإن لم يقارنها الشعور والعلم فهي الطبيعية ، وإن كانت من غيره فهي القَسْرية ، وإن شنت أن تقول المتحرك إما أن يتحرك بإرادته أو لا ، فإن تحرُّك بإرادته فحركته إرادية ، وإن تحرُّك يغير إرادته فإما أن تكون حركته إلى نحو مركزه أولا ، فإن تحرَّك إلى جهة مركزه فحركتُه طبيعية ، وإن تحرُّك إلى غير جهة مركزه فحركتُه قَسْرية ، إذا ثبت هذا فالحركة الإرادية تابعة لإرادة المتحرَّك ، والمراد إما أن يكون مرادًا لنفسه أو لنيره ، ولا بد أن ينتهييَ المراد لغيره إلى مراد لنفسه دفعًا للدُّور والتسلسل . والإرادة إما أن تكون لجلب منفعةٍ ولذةٍ إما للمتحرُّكُ وإما لغيره ، أو دفع ِ ألم ومضرَّة إماعنالمتحرُّكُ أو عن غيره ، والعاقل لا يَجْلِبُ لغيزه منفع _ ق ولا يدفع عنه مضرةً إلا لما له في ذلك من اللذة ودفع الألم، فصارت حركته الإرادية تابعةً لمحبته، بل هذا حكم كل حيّ متحرَّك . وأما الحركة الطبيعية فهي حركة الشيء إلى مستقرٌّه ومركزه ، وتلك تَابِعةٌ للحركة التي اقتضت خروجَه عن مركزه ، وهي القَسْرية التي إنما تكون بقسر قاسر أخرجَه عن مركزه إما باختياره كركة الحجر إلى أسفل إذا رُمي به

إلى جهة فوق ، وإما بنير اختيار كُخَر كه كتحريك الرياح للأجسام إلى جهة مَهَا منها ، وهذه الحركة تابعةٌ القاسر ، وحركة القاسر ايست منه بل مبدؤها من غيره ، فإن الملائكة مُو كَّلَّةٌ بالعالم العُلوى والسفلي تدبِّره بأمر الله عز وجل كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ فَأَكُمْدَ بِّرَاتِ أَمْراً ﴾ (١) وقال: ﴿ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْراً ﴾ (٢) وقال تعالى : (وَٱلْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ، فأَلْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ، وَٱلذَّاثِرَاتِ نَشْرًا ، فَا لَفَارَ قَاتِ فَرَ قَا ، فَالْمُلْقَيَاتِ ذِكْراً ﴾ (قال: ﴿ وَٱلنَّازِعَاتِ غَرْقًا . وَ النَّاشِطَاتِ نَشْطًا ، وَالسَّا عَاتِ سَبْعًا ، فألسَّابِنَاتِ سَبْقًا، فألمُدَبِّرَ اتِ أَمْراً)(1) وقد وكَّل الله سبحانه بالأفلاك والشمس والقر ملائكةً تحرَّ كما ، ووكُّل بِالرياح ملائكةً تصرَّفها بأمره وهم خَزَ نتها، قال الله تعالى : ﴿ وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا يرج صَرْمَر عَاتِيَة)(٥) وقال غير واحد من السلف: عَتَتْ عَلَى الْخُزَّان فلم يقدروا عَلَى ضبطها (ذكره البخارى في صحيحه) ووكل بالقطر ملائكة ، وبالسحاب ملائكة تسوقه إلى حيث أمرت به ، وقد ثيت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « بَيْنَا رَجُلْ فِفَلَاةٍ مِنَ الأَرْضِ إِذْ سَمِعَ صَوْتًا في سَحَابَةٍ يَقُولُ : اسْقِ حَدِيقَةَ فَلَانٍ فَتَتَبُّعَ السَّحَابَةَ حَتَّى انْهَتْ إلى حَدِيقَةٍ فَأَفْرُغَتُ مَاءَهَا فِيهَا ، فَنَظَرَ فإذا رَجُلُ في الحديقةِ يُحَوِّلُ المَاء بمِسْحَاةٍ ، فَقَالَ لَهُ : مَااشُمُكَ يَاعَبُدَ اللهِ ؟ فَقَالَ فَلْأَنْ الإسمُ الَّذِي سَمِعَه في السَّخَابَةِ ، فَقَالَ : إِنَّى سَمِعْتُ قَائِلاً يَقُولُ في هٰذه السَّحَابةِ : اسْقِ حَدِيقَةَ فُلاَنِ، فَمَا تَصْنَعُ فِي هَذِهِ الْخُدِيقَةِ ؟ فَقَالَ. إِنَّى أَنظُرُ مَا يَغْرُجُ مِنْهَا فَأَجْعَلُهُ ثَالَاتَةَ أَثْلاَثٍ:

⁽١) الآية ه. سورة النازعات. ، (٢) الآية ٤. سورة الذاريات.

⁽٣) أوائل سورة المرسلات . (٤) أوائل سورة النازعات .

⁽٥) الآية ٦. سورة الحاقة.

فَكُثُ أَتَصَدَّقَ بِهِ ، وَثُلُثُ أَنْفَهُ عَلَى عِيالِي ، وثُلُثُ أَرُدُهُ فِيها » (1) . ووكّل الله سبحانه بالجبال ملائسكة ، وثبت عن الذي صلى الله عليه وسم أنه جاءه ملك الجبال يسلم عليه ويستأذنه في هلاك قومه إن أحب ، فقال : « بَل أَسْتَأْنِي الجبال يسلم عليه ويستأذنه في هلاك قومه إن أحب ، فقال : « بَل أَسْتَأْنِي الجبال يسلم عليه ويستأذنه في هلاك قومة إن أحب عليه لا يُشرِكُ بِهِ شَيْبًا (٢) » ووكّل بالرّحم ملكما يقول : يارب نطفة ؟ يارب علقة ؟ يارب مضغة ؟ يارب مضغة ؟ يارب ذكر أم أنثى ؟ فما الرزق ؟ فما الأجل ؟ وشق ما سعيد ؟ ووكّل بكل عبد وممقلبات من يبن يديه ومن خلفه أقلم اثنان يحفظونه من أمر الله (٣) ، ووكّل بالرحة بالموت ملائكة ، وبالعذاب ملائكة ، وبالمؤمن ملائكة في النبور ، ووكّل بالرحة الطاعات أزا ، ووكّل بالنار ملائكة ، وبالمؤمن ملائكة " ينبونها ويوقدونها ، ويصنعون أغلالها ويشومون بإمرها ، ووكّل بالجنة ملائكة " يبنونها ويوقدونها ، ويصنعون أغلالها ويستعون أرائكها وسُرُرها ورحافها وتمارقها وزرابيها ويقدونها ويفرشونها ، والسنه العالمي والجنة والنار بتديو الملائكة بإذن ربهم تبارك وتعالى وأمره ، والميشه والمي والجنة والنار بتديو الملائكة بإذن ربهم تبارك وتعالى وأمره ، والميشه ما أمرهم والمؤمن الله ما أمرهم المؤمن الله ما أمرهم والمؤمن الله والمؤمن الله والمؤمن الله ما أمرهم والمؤمن الله ما أمرهم والمؤمن الله ما أمرهم والمؤمن الله ما أمرهم والمؤمن الله والمؤمن الله ما أمرهم والمؤمن الله والمؤمن الله والمؤمن الله والمؤمن المؤمن المؤمن

⁽١) أخرجه مسلم مطولاً .

⁽ ٧) فى كتاب النفاء . بل أرجو ، وقال شارحه الحفاجى : هــذا الحديث رواه الثبيخان وأصحاب الكتب الستة .

⁽٣) من أمر الله: بأمر الله وإذنه كما جاء في تفسير الحازن .

⁽ ٤) يۇزونە : يغرونە .

^{(ُ}هُ) الارائك: الاسرة المنجدة المرينة . والصحاف: آنية الاكل. والنمارق: الوسائد . والزراني : البسط.

⁽٦) الآية ٧٧ . سورة الانبياء .

ويَغَعُلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)(١) . فأخبر أنهم لا يعصونه في أمره ، وأنهم قادرون عَلَى تنفيذ أوامره ليس بهم هجز عنها ، بخلاف من يترك ما أمر به عجزاً فلا يعصى الله ما أمره ، وإن لم يفعل ما أمره به ، وكذلك البحار قد وكلت بها ملائكة تسجرها (٢) وتمنعها أن تفيض عَلَى الأرض فتغرق أهلَها ، وكذلك أعمال بني آدم خيرُها وشرُها قد و كلت بها ملائكة تحصها وتحفظها وتكتبها ، ولهذا كان الإيمان بالملائكة أحد أركان الإيمان الذي لا يَتم الا به . وهي خس : الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر .

وإذا عُرِفَ ذلك عُرف أن كل حركة في العمالم فسببها الملائكة ، وحركتُهم طاعة الله بأمره وإرادته ، فيرجع الأمركاه إلى تنفيذ مراد الرب تعالى شرعًا وقدَرًا ، والملائكة م المنقذون ذلك بأمره ، ولدلك سُمُّوا ملائكة من الألوكة وهي الرسالة ، فهم رسل الله في تنفيذ أوامره .

والمقصود أن حركات الأفلاك وما حوته تابعة النحركة الإرادية المستلزمة للمحبة ، فالحجبة والإرادة أصل كل فعل ومبداه ، فلا يكون الفعل إلا عن محبة وإرادة ، حتى دفعه للأمور التى يبغضها ويكرهها ، فإنما يدفعها بإرادته ومحبته لأضدادها واللذة التى يجدها بالدفع كما يقال : شنى غيظه ، وشنى صدره ، والشفاء والعافية يكون للمحبوب وإن كان كريها ، مثل شرب الدواء الذى يُذفع به ألم المرض ، فإنه وإن كان مكروها من وجه فهر محبوب لما فيه من زوال المكروه وحصول الحبوب ، وكذلك فعل الأشياء المخالفة للهوى ، فإنها وإن كانت مكروهة فإنما تفعل للحبة وإرادة ، وإن لم تكن محبوبة النفسها فإنها

⁽١) الآية ٦ . سورة التحريم .

⁽ ٢) تسجرها: تملزها . قال الله تعالى : (والبحر المسجور) .

مستازيمة للمحبوب لنفسه . فلايترك الحي ما يُحِبه ويهواه ، إلا لما يُحِبّه ويهواه ، ولكن يترك أضعفهما محبة لأقواها محبة ، ولذلك كانت المحبة والإرادة أصلاً للبغض والكراهة ، فإن البغيض المكروه ينافى وجود المحبوب ، والفعل إما أن يتناول وجود المحبوب أو دفع المكروه للستازيم لوجود المحبوب ، فعاد الفعل كله إلى وجود المحبوب .

والحركة الاختيارية أصلُها الإرادة ، والقسرية والطبيعية تابِفتان لها ، فعاد الأمر إلى الحركة الإرادية ، فجميع حركات العالم العلوى والسفلى تابعة للإرادة والمحبة ، وبها تحرك العالم ولأجلها ، فهى العلة الفاعلية والغائية ، بل هى التى بها ولأجلها ، فحد تحرك العالم ، فحا تحرك في العالم العلوى والسفلى حركة إلا والإرادة والحبة سببها وغايتُها ، بل حقيقة المحبة حركة نفس المحب إلى محبوبه ، فالحبة حركة بلا سكون . وكال الحبية هو العبودية ، والذل ، والخضوع ، والطاعة المحبوب ، وهو الحق الذي به وله خُلقت السموات والأرض والدنية والآخرة ، قال تعالى : (وما خُلقنا السموات والأرض وما بَيْنَهُما إلا بالحق ") وقال الله تعالى : (وما خُلقنا السموات والأرض وما بَيْنَهُما باطلاً) (٢) وقال الله تعالى : (وما خُلقنا السموات والأرض وما بَيْنَهُما باطلاً) (٢) وقال الله تعالى : (وما خُلقنا ألسماء وآلارض وما بَيْنَهُما باطلاً) (٢)

والحق الذي خُلِق به ولأجله الخلق مو عبادة الله وحده التي هي كال محبته والخصوع والذُّل له ، ولو ازم عبوديت من الأمر والنهى والثواب والعقاب ، ولأجل ذلك أرسل الرسل ، وأنزل الكتب ، وخلق الجنّة والنار . والسموات والأرض إنما قامت بالعدل الذي هو صراط الله الدي هو عليه وهو أحبّ

⁽١) الآية ٨٥. سورة الحجر . (٢) الآية ٢٧. سورة ص.

⁽٣) الآية ١١٦ . سورة المؤمنون .

الأشياء إلى الله تعالى قال الله تعالى حاكيًا عن نبية شعيب عايمه السلام: ﴿ إِنَّى تُوَّكُلْتُ عَلَى أَلَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلاَّ هُو ٓ آخِذٌ بِنَاصِيتَهِا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)(1) فهو على صراط مستقيم في شَرْعه وقدَره ، وهو المندل الذي يه ظهر الخلق والأمر والثواب والعقاب ، وهو الحق الذي به وله خُلقت السَّمُواتُ والأرضُ ومابينهما ، ولهذا قال المؤمنون في عبادتهم : (رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بِأَطِلاً سُبُحَانَكَ ﴾ (٢) فنزَّ هو اربهم ســــــبحانه أن يكون خلق السَّمُو َاتَ عَبَثَا لفه حَكَمَةً ولا غايةٍ محمودة ، وهـو سبحانه يحمد لهذه الغايات المحمودة كما يُحمَّد لذاته وأوصافه ، فالغايات المحمودة في أفعاله هي الحسكمة التي يحبها ويرضاها ، وخَلَق مايكره لاستلزامه مايحبه وتَرَتُّب الحبوب له عليه ، ولذلك يترك سبحانة فمل بعض مايحبة لما يترتب عايه من فوات محبوب له أعظمَ منه ، أو حصول مكروه أكرهَ إليه من ذلك المحبوب، وهذا كما تُبَطَّ قلوب أعدائه عن الإيمان به وطاعته ، لأنه يكره طاعاتهم و ُيفَوِّت بها ماهو أحبُّ إليه منها من جهادهم وما يترتب عليه من المُو الاة فيه والمعاداة ، وبذل أوليائه نفوستهم فيمه ، وإيثار محبته ورضاه على نفوسهم ، ولأجل هــذا حلق الموت والحياة وجعل ما على الأرض زينة لها، قال تعالى : (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْـلُو َكُمْ أَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا)(٣) . وقال : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلأَرْضِ زِينَةً كَمَا لِنَبْلُو مُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ مُعَادً)(1) .

⁽١) الآية ٥٦ . سورة هود .

⁽٢) الآية ١٩١٠ سررة آل عران .

⁽٣) الآية ٢. سورة الملك.

⁽٤) الآية ٧ . سورة الكهف.

وقال تعالى : (وَهُو َ الّذِي خَلَقَ السَّو اَتِ وَ الْأَرْضَ فِي سِنَة أَيَّامِ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاء لِبُلُو كُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَكَمٌ) (١) فأخبر سبحانه عن خاق العالم والموت والحياة وتزيين الأرض بما عليها أنه للابتلاء والامتحان ليختبر خالمه أيهم أحسن عملاً ، فيكون عمله موافقاً لمحابِّ الرب تعالى ، فيوافق الغاية التى خُلق هو لها وخُلق لأجلها العالم ، وهي عبر ديته المتضمنة لحبته وطاعته، وهي العملُ الأحسنُ وهو مَو اقيعُ محبته ورضاه ، وقدَّر سبحانه مقادير تخالفها عملاً ، عكمته في تقديرها ، وامتحن خلقه بين أمره وقدَره ليبلوم أيهم أحسنُ عملا .

فانتسم الخلق في هذا الابتلاء فريقين : فريقاً داروا مع أوامره وعابّه ، ووقفوا حيث وقف بهم الأمر ، وتحر كواحيث حر كم الأمر ، واستعملوا الأمر في القدر ، وحكم الأمر الأمر في عمر القدر ، وحكم الأمر على القدر ، ونازعوا القدر بالقدر امتثالا لأمره واتباعاً لمرضاته ، فهؤلاء م الناجون .

والفريق الثانى عارضوا بين الأمر والتَدَر ، وبين مايحبه ويرضاه ، وبين ماقدً ره وقضاه ، ثم افترقوا آربع فِرَقِ :

فرقة كذّبت بالقدر محافظة على الأمر، فأبطلت الأمر من حيث حافظت على الأمر، فأبطلت الأمر من حيث حافظت على القدر، فإن الإيمان بالقدر، فإن الإيمان بالقدر نقض تكذيبه إيمانه،

وفرقة ودّت الأمر بالقدّر وهؤلاء من أكفر الخلق، وهم الذين حكى الله قولهم في القرآن إذ قالوا: (لَوْ شَاء اللهُ مَا أَشْرَ كُنّا وَلا آ بَاؤُنّا وَلا حَرَّ مُنّا

⁽١) الآية ٧. سورة هود.

مِنْ شَى ْءَ) (١) . وقالوا أيضاً : (لَوْ شَاءَ اللهُ مَاعَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَى ْءَ كُعْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّ مْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ أَشَىءً) (٣) . وقالوا أيضاً : (لَوْ شَاءً الرَّخْنُ مَاعَبَدُنَا هُمْ) (٣) . وقالوا أيضاً : (أَنَطْعِيمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ ٱللهُ أَطْعَمَهُ) (١) . وقالوا أيضاً : (أَنَطْعِيمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ آللهُ أَطْعَمَهُ) (١) .

فِعلهم الله سبحانه وتعالى بذلك مكذِّبين خارصين ليس لهم علم ، وأخبر أنهم في ضلال مبين .

وفرقة دارت مع القدر ، فسارت بسيره ، ونزلت بنزوله ، ودانت به ، ولم تبال وافق الأمر أوخالفه ، بل دينها القدر ، فالحلال ماحل بيدها قدراً ، والحرام ماحر مَتْهُ قدراً ، وهم مع من غلب قدراً من مسلم أو كافر ، براً كان أو فاجراً ، وخواص هولاء وعُبّادُهم لما شَهدوا الحقيقة الكونية القدرية صاروا مع الكفار المسلّطين بالقدر ، وهم خُفراؤهم ، فهؤلاء أيضاً كفّار .

وفرقة وقفت مع القدر مع اعترافها بأنه خلاف الأمر ، ولم تدن به ولكنها استرسلت معه ، ولم تُحَكِّم عليه الأمر و تحجزت عن دفع القدر بالقدر التباعاً للأمر ، فبؤلاء مفر طون ، وهم بين عاجز وعاص لله ، وهؤلاء الفر ف كلهم مُوْ تَوُن بشيخم إبليس ، فإنه أوّلُ من قدّ م القدر على الأمر وعارضه به ، وقال : (ربّ بما أغر يتني للأز يّبَن لَهُم في الأرض وَلَأُغو يَنتَهُم أَجْمَعِينَ)(٥) وقال : (فَبِما أغر يَنتَى لَأَوْمُدَنَ لَهُم صِراطَكَ المُسْتَقيم)(١) فرد أمر الله وقال : (وانقسم أتباعه أربع فر ق كا رأيت ، فإبليس بقدره ، واحتج على وبه بالقدر . وانقسم أتباعه أربع فر ق كا رأيت ، فإبليس

⁽١) الآية ١٤٨٠ سورة الانعام (٢) الآية ٣٥. سورة النحل.

⁽٣) الآية ٢٠. سورة الزخرف (٤) الآية ٤٧. سورة يس.

⁽٥) الآية ٣٩. سورة الحجر . (٢) الآية ١٥. سورة الأعراف .

فركاتُ العالمَ العُلوى والسفلى وما فيهما مرافقة للأمر ، إما الأمر الدينى الذي يحبه الله ويرضاه ، وإما الأمر السكونى الذي قدَّرة وقضاه ، وهو سبحانه لم يقدِّره سدِّى ولا قضاه عبراً ، بل لما فيه من الحسكة والغايات الجيدة ، وما يترتب عليه من أمور يحب غاياتها وإن كره أسبابها ومبادئها ، فإنه سبحانه وتعالى يحب المغفرة وإن كره معاصى عباده ، ويحب السَّتْر وإن كره ما يَسْتر عبد عليه من النار ، ويحب عبد عليه عليه من النار ، ويحب العفو كا في الحديث : « ألَّلُهُم النَّكُ عَفُو الله الذي يُمتِق عليه من النار ، ويحب العفو كا في الحديث : « ألَّلُهُم النَّد وإن كره السبب الذي يُمتِق عليه من النار ، ويحب العقو كا في الحديث : « ألَّلُهُم النَّد ويجب التَّوابين وتوبتهم وإن كره معاصيهم كره ما يه في وان كره معاصيهم وإن كره ما معاصيهم وإن كره ما يه في المؤوار ، ويحب التَّوابين وتوبتهم وإن كره معاصيهم

⁽١) الآية ٨٤. سورة مريم.

⁽۲) روی بالاسانیدالمسمیحة فی کتب التر مذی واانسائی وابن ماجه وغیرهما کا جاء فی الاذکار للنروی

التى يتوبون إليه منها، ويحب الجهاد وأهلَه بل هم أحبُّ خلقه إليه وإن كره أَمْنال من يُجاهدونه، وهذا بابُ واسع قد فُتِح لك فادخل منه يُطاهك عَلى رياضٍ من المعرفة مُونِقَةٍ مات مَنْ فاتته بحسرتها، وبالله التوفيق.

وهدذا موضع يضيق عنه عدّة أسفار واللبيب يدخل إليه من بابه ، وسر هدذا الباب أنه سبحانه كامل في أسمائه وصفاته ، فله السكال المطلق من جميع الوجوه الذي لا نقص فيه بوجه ما ، وهو يحب أسماءه وصفاته ، ويحب ظهور آثارها في خلقه ، فإن ذلك من لوازم كاله ، فإنه سبحانه وَتر سيب الوّر ، الوّر ، جميل يحب الجمال ، عليم يحب العلماء ، جواد يحب الأجواد ، قوى ، والمؤمن القوى أحب إليه من المؤمن الضعيف ، حَرِي يحب أهل الحياء ، وفي عب أهل الحياء ، وفي يحب أهل الوفاء ، شكور يحب الشاكرين ، صادق يحب الصادقين ، محسن يحب الحسين .

فإذا كان يحبّ العفو والمغفرة والحِلْم والصفح والسَّتْر لم يكن بدّ من تقديره للأسباب التي تظهر آثار مذه الصفات فيها ، ويَسْتَدِلُ بها عباده على كال أسمائه وصفاته ، ويكون ذلك أدعى لهم إلى محبته وحده وتمجيده والثناء عليه بما هو أهمله ، فتحصُل الغاية التي خَلَق لها الخلق ، وإن فاتت من بعضهم فذلك الفوات المكروه له أمراً فذلك الفوات المكروه له أمراً هو أحبُ إليه من عدمه ، فتأمل هذا الموضع حق التأمل . وهذا منكشف هو أحبُ إليه من عدمه ، فتأمل هذا الموضع حق التأمل . وهذا منكشف يوم القيامة للخليقة بأجمعهم حين يجمعهم في صعيد واحد ، ويُوصِل إلى كل تفسي ما ينبغي إيصاله إليها من الخير والشر ، واللذّة والألم ، حتى مثقال الذّرة ، ويوصيل كل نفس إلى غاياتها التي تشهد هي أنها أولي بها ، فينئذ يَنْطِق الكون ويوصيل كل نفس إلى غاياتها التي تشهد هي أنها أولي بها ، فينئذ يَنْطِق الكون

وَأَجْمَهُ بِحَمَدُهُ تِبَارِكُ وَتَمَالَى قَالًا وَحَالًا ، كَا قَالَ صَبَحَانُهُ وَتَمَالَى : (وَتَرَى الْمَكَارِكَةَ حَافِيْنَ مِنْ حَوْلِ آلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمَدُ رَبِّهِمْ وَ وَفِي بَيْنَهُمْ الْمَكَارِكَةَ حَافِيلَ الْحَدُ يَعْمَدُهُ عَلَى ذَلَكَ الْحَدَى الْمَدَى حَكَمَ فَيه ، فَيَحْمَدُهُ أَهِلَ مِعْينَ ، بِلَ كُلُ أَحد يَحْمَدُهُ عَلَى ذَلَك الحُرَكِم الذَى حَكَمَ فَيه ، فَيَحْمَدُهُ أَهل السَّمُواتُ وَالْهِلُ الْأَرْضَ، وَالْأَبُرِارُ وَالْفَجَارُ ، وَالْإِنْسُ وَالْجِنَّ حَتَى أَهلُ النَارِ. فَلْ النَّارِ وَالْفَجَارُ ، وَالْإِنْسُ وَالْجِنَّ حَتَى أَهلُ النَارِ وَالْمَالُ وَإِنْ حَدْدَهُ لَيْقِلْوبَهُم مَا وَجَدُوا عليه قال إلى الله وَانْ حَدْدَه لَيْقَاوِبَهُم مَا وَجَدُوا عليه قال إلى الله وَانْ حَدْدَه لَيْقَاوِبَهُم مَا وَجَدُوا عليه سَبِيلًا ، وهذا والله أَعْمُ هو السَّرُ الذَى حَذْفَ لأَجِلُهُ الفَاعِلُ فَى قُولُه : (قِيلَ النَّارِ اللهُ الله عَلَى اللهُ وَالله لَمْ ، والله تَمَالَى النَّوْلَ اللهُ وَقُلُهُ لَمْ ، والله لَمْ ، والله تَمَالَى مَمَ اللهُ وَقَالُهُ لَمْ ، والله تَمَالَى السَّوابُ .

⁽١) الآية ٧٥. سورة الزمر

⁽٢) الآية ٧٧. سورة الزمر.

⁽٣) الآية ١٠. سورة التحريم ،

الباب الخامن

فی دواعی الحبۃ ومنعلقها

الداعى قد يراد به الشعور الذى تنبّعه الإرادة والميل ، فذلك قائم بالحجب ، وقد يُراد به السبب الذى لأجله وُجدت الحجة وتعلقت به ، وذلك قائم بالمحبوب، ونحن نريد بالداعى مجموع الأمرين ، وهو ماقام بالحجوب من الصفات التي تدعو إلى محبّته ، وما قام بالحجب من الشعور بها ، والموافقة التي بين المحب والمحبوب ، وهى الرابطة بينهما وتسمّى بين المخلوق والمحلوق مناسبة وملاءمة .

فهاهنا أمور: وصف المحبوب وجماله، وشعور المحب به، والمناسبة وهى العلاقة والملاءمة التي بين الحجب والحبوب، فتى قويت الثلاثة وكمكت، قويت المحبة واستحكت، ونقصان الحبة وضعفها بحسب ضعف هذه الثلاثة أو نقصها، فتى كان المحبوب في غاية الجمال، وشعور المحب بجاله أتم شعور، والمناسبة التي بين الروّحين قوية ، فذلك الحب اللازم الدائم، وقد يكون الجمال في نفسه ناقصاً لكن هو في عين المحب كامل، فتسكون قوة محبته بحسب ذلك الجمال عنده، فإن حبّك للشيء يُعمى ويُصِم ، فلا يرى المحب أحداً أحسن من عبوبه، كما يُحبِّكي أنَّ عَزَّة دخلت على الحبَّاج فقال لها: ياعزَّة والله ما أنت كم قال فيك كُنيِّر، فقالت : أيها الأمير إنه لم يَر ني بلامين التي رأيتني بها. ولا ريب أن المحبوب أحلى عين محبه وأ كبر في صدره من غيره، وقد أفصح مهذا القائل في قوله (1):

فوالله ما أُدرى أَزِيدَتْ ملاحةٌ وحُسْناً على النَّسُوان أَم لِيسلى عَقْلُ

⁽١) هو الحكم بن معمر الحنضرى .

وقد يكون الجال مُوقرًا لكنه ناقص الشعور به فتضعف عبته لذلك ، فلو كُشف له عن حقيقته لأسر قلبة ، ولهذا أمر النساء بستر وجوههن عن الرجال ، فإن ظهور الوجه يُسْفِر عن كال المحاسن فيقع الافتتان ، ولهذا شرع للخاطب أن ينظر إلى المخطوبة ، فإنه إذا شاهد حسنها وجالها كان ذلك أدعى المخاطب أن ينظر إلى المخطوبة ، فإنه إذا شاهد حسنها وجالها كان ذلك أدعى إلى حصول المحبة والألفه ينهما كا أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : «إذا أراد أحد كم خطبة آمراة فلينظر إلى ما يَدْعُوهُ إلى نِكاحِها فإنه أحرى أن يُؤدم بينهما مه الله وانتفت ويصابح . ومنه الأدام الذي يصلح به الخبز ، وإذا وُجِد ذلك كالله وانتفت المناسبة والعلاقة التي بينهما لم يَصْلح به الخبز ، وإذا وُجِد ذلك كالله وانتفت المناسبة والعلاقة التي بينهما لم تستحكم المحبة ، وربما لم تقع البتة ، فإن التناسب الذي بين الأرواح من أقوى أسباب المحبة .

* فَكُلُّ امرىء يصبو إلى من يناسبهُ *

وهذه الناسبة نوعان: أصلية من أصل الخلقة ، وعارضة بسبب المجاورة أو الاشتراك في أمر من الأمور ، فإن من ناسب قصدُك قصدَه حصل التوافَّى ، مين رُوحك ورُوحه ، فإذا اختلف القصدُ زال التوافَّى ، فأما التناسب الأصلى فهو اتفاق أخلاق وتشاكل أرواح وشوق كل نفس إلى مُشاكلها ، فإن شبه الشيء ينجذب إليه بالطبع ، فتكون الروحان متشاكلتين في أصل الخلقة ، فتنجذب كل منهما إلى الأخرى بالطبع ، وقد يقع الانجهذاب والمهل

⁽۱) مأخوذ من حديثين الآول رواه أبي داود ولفظه: , إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر إلى مايدعوه إلى الكائمية في في الآخر رواه النسائي عن المنيرة بن شعبة رضى الله تعالى عنه قال المنظمة المراأة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى: أنظرت إليها؟ قلت أن لا قال أن فانظر إليها فإنه أجدر أن يؤدم بينكا .

بالخاصَّية ، وُهذا ﴿ يَعَلَّ وَلا يُعرَف سَبُبُه كَانْجَذَابِ الحَـديد إلى الحجر الْمِغَاطِيس ، ولا ريب أن وقوع هذا القَدَّر بين الأرواح أعظم من وقوعة بين الجادات كما قيل :

هاسنُها هَيُولَى (١) كل حسن ومِغْنَاطِيسُ أَفْيْدَةِ الرجال وهِذَا الذي حَمَّدَ الرجال بعض الناس على أن قال : إن العشق لا يقف على النحسن والجال ولا يلزم من عَدّ مِه عَدَّمُه ، وإنما هو تشاكل النغوس وتمازُجُها في الطباع المخلوقة ، كما قيل (٢):

وما الْخُبُّ من حُدْنِ ولا من مَلاحة ولكنه شيء به الرُّوحُ تَكُلَفُ^(٣) قال هذا القائل: فحقيقتُهُ أنه مِرْ آة يُبصر فيها المحبُّ طباعَه وَرِقَّته في صورة مجبوبه ، فني الحقيقة لم يحبّ إلا نفسه وطباعَه ومشاكلَه .

قال بعضهم لمحبوبه : صادفتُ فيك جوهرَ نفسى ومُشَاكَلتُهَا فى كل أُصوالها ، فانبعثت نفسى ، وهذا وانقادت إليك ، وإنما هَو يتُ نفسى . وهذا معيح من وجه ، فإن المناسبة عِلَّةُ الضَّمِّ شَرْعًا وقَدَرًا ، وشاهِدُ هذا بالاعتبار أَن أُحبُّ الأغذية إلى الحيوان ما كان أُشبَهَ بجوهر بدنه وأكثر مناسبة له ، وكما قويت المناسبة بين الغاذى والغذاء كان ميلُ النفس إليه أكثر ، وجما بعدت المناسبة حصات النَّهُرَةُ عنه ، ولا ربب أن هذا قَدْرٌ زائدٌ على مجرَّد الحسن

⁽١) الهيولى: مادة الثيء الذي يصنع منها. وعند القدماء: مادة ليس لها شكل ولا صورة معينة قابلة للتشكيل والتصوير، وهي التي صنع الله تعمالي منها أجزاء العالم المادية.

⁽٢) هو لمحمد بن داود الظاهري كاجاء في ديوان الصبابة .

⁽٣) كلف النيء وبه : أحبه وأولع به .

والجال ، ولهـذا كانت النفوس الشريفة الزكية الماوية تعشق صفات السكال بالذات ، فأحب شيء إليها العـلم والشجاعة واليفة والجود والإحسان والصبر والثبات لمناسبة هذه الأوصاف لجوهرها ، بخلاف النفوس اللئيمة الدنيّة فإنها بمعزل عن محبّة هذه الصفات ، وكثير من الناس يحمله على الجود والإحسان فرط عشقه ومحبّته له واللذّة التي يجدها في بذله ، كا قال المأمون : لقد حُبِّ إلى العفو حتى خشيت أن لاأو جرعليه . وقيل للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى : تعلمت هـذا العـلم لله ؟ فقال : أما لله فعزيز ، ولكن شيء حُبيّب إلى تعالى : تعلمت هـذا العـلم لله ؟ فقال : أما لله فعزيز ، ولكن شيء حُبيّب إلى قفعاته . وقال آخر : إلى لأفرح بالعطاء وألتذ به أكثرو أعظم بما يفرح الآخذ بما يأخذه منى . وفي هذا قيل في مدح بعض الكرز ماء من أبيات : وتأخذ من أبيات : وقال شاعر الحاسة :

تراه إذا ماجئت من الأجواد يعشق الجود أعظم عشق ، فلا يصبر عنه مع حاجته وكثير من الأجواد يعشق الجود أعظم عشق ، فلا يصبر عنه مع حاجته إلى ما يحود به ، ولا يقبل فيه عذل عاذل، ولا تأخذه فيه لومة كلائم ، وأما عشاق العلم فأعظم شَعَفاً به وعشقاً له من كل عاشق بمعشوقه ، وكثير منهم لا يَشْفَلُهُ عنه أجل صورة من البشر . وقيل لامرأة الرئت بير بن بكار أو غيره : هنيئاً لكِ إذ ليست لك ضَرَّة ، فتالت : والله لهذه الكتب أضر على من عده ضرائر .

⁽١) البارح: الريح الحارة في الصيف.

⁽۲) البيت ازهير بن أبي سلمى ، وقد ورد فى شرح ديوانه (ص ١٤٢) طبعة ذار الكتب الممرية . ونسب فى الآغانى (ج ١٣) طبع بولاق لعب الله ابن الزبير الإسدى م

وحدثنى أخو شيخنا عبد الرحمن بن تيمية عن أبيسه قال : كان الجُدُّ إذا دخل الحلاء يقول لى : اقرأ في هذا النكتاب وارفع صوتك حتى أسمع . وأعرف من أصابه مرض من صداع و حقى وكان الكتاب عند رأسه ، فإذا وَجَد إفاقة قرأ فيسه ، فإذا غُلب وضعه ، فدخل عليه الطبيب يوماً وهو كذلك فقال : إن هذا لا يُحِل لك فإنك تُمين على نفسك و تكون سبباً لفوات مطلوبك . وحدَّثنى شيخنا قال : ابتدأنى مرض فقال لى الطبيب : إن مطالعتك وكلامك في العلم يزيد المرض ، فقلت له : لا أصبر على ذلك وأنا أحاكك إلى علمك ، أليست للفس إذا فرحت وسرت قويت الطبيعة فلافعت المرض ؟ فقال : بلى ، فقلت له : فإن نفسي تُسرُّ بالعلم فتقوى به الطبيعة فأجد راحة ، فقال : هذا خارج عن علاجنا ، أو كا قال :

فعشق صفات السكمال من أنفع العشق وأعلاه ، وإنما يكون بالمناسبة التي بين الرُّوح و تلك الصفات ولهذا كان أعلى الأرواح وأشرفها أعلاها وأشرفها معشوقاً كما قيل :

أنت القتيلُ بكلِّ من أُحبَدِته فاختر لنفسك في الهوى من تصطفى فإذا كانت المحبة بالمشاكلة والمناسبة ثبتت وتمكنت ولم يُزِ لها إلا مانع أقوى من السبب، وإذا لم تكن بالمشاكلة فإنما هي محبة لغرض من الأغراض تزول عند انقضائه وتضمحل ، فن أحبك لأمر ولى عندانقضائه ، فداعى المحبة وباعثها إن كان غرضا للمحب لم يكن لمحبته بقاء ، وإن كان أمراً قائماً بالمحبوب سريع الزوال والانتقال زالت محبته بزواله ، وإن كان صفة لازمة فحبته باقية بيقاء داعيها مالم يعارضه معارض يوجب زوالما ، وهو إما تغير حال في المحب ، بيقاء داعيها مالم يعارضه معارض يوجب زوالما ، وهو إما تغير حال في المحب ، أو أذى من المحبوب ، فإن الأذى إما أن يُضعِف المحب ... أو يزيلها .

قال الشاعر:

خذى العفو منى تستديمى مَوَدَّتى ولا تَنْطِقى فى سَوْرتى حين أَغضَب فإنى رأيتُ الحبَّ في القلب والأذى إذ اجتمعا لم يَكْبَثِ الحبُّ يذهب

وهذا موضع انقسم المحبُّون فيه قسمين : ففرقة قالت : ليس بحبّ سحيج مايزيله الأذى ، بل علامة الحب الصحيح أنه لاينقص بالجفوة ولا يذهبه أذى قالوا: بل المحب يلتذ بأذى محبوبه له ، كما قال أبو الشّيص :

وقف الهوى بى حيث أنتِ فليسلى مُتَأَخَّـرْ عـنه ولا مُتَقَدَّمُ وَأَهَنْدِنِي فَأَهْنَتُ نفسى جاهـداً مامَنْ يهون عليك بمن يُكرم أشبهت أعـدائى فصرتُ أحبَّهم إذ كان حظّى منك حظّى منهم أجدُ الملامة في هـدواكِ اذيذة حــبًا لِذ كركِ فَلْيَكُونِي اللوَّم (١)

فهذا هو الحب على الحقيقة فإنه متضمن لغاية الموافقة ، بحيث قد اتخذ مرادة ومراد محبوبه له ، وأحب مرادة ومراد محبوبه من نفسة ، فأهان نفسه موافقة لإهانة محبوبه له ، وأحب أعداءه لما أشبههم محبوبه في أذاه ، وهذا وإن كانت الطباع تأباه لكنه مُوجَبُ الحب التام ومقتضاه ، وقالت فرقة : بل الأذى مزيل للحب ، فإن الطباع محبولة على كراهة من يؤذيها ، كما أن القلوب محبولة على حب من يحسن إليها . وما ذكره أولئك فدعوى منهم .

والإنصاف أن يقال: يجتمع فىالقلب بغضُ أذى الحبيب وكراهتُه ، ومحبتُه من وجه آخر ، فيحبه ويُبغض أذاه ، وهـذا هو الواقع ، والغالبُ منها يوارى

⁽١) تقدمت هذه الأبيات في الصفحة ٢٢.

المغلوب ويبق الحُمَّم له ، وقد كشف عن بعض هـــــذا المعنى الشاعر ُ فى قوله (١).

ولو قلت ِ طَمَاً فى النار أَعلمُ أَنه رضاً لكِ أَو مُدُن لنا من وصالاتِ لللهُ مَدُن لنا من وصالاتِ للدَّمتُ رِجْ للهِ عَوها فوطئتُها هدَّى منكِ لى أَو ضِلَةً من ضلالكِ وإن ساء فى أن خَطَرتُ بِبَالِكِ (٢)

فهذا قد أنصف حيث أخبر أنه يسوؤه أن ينالَه محبوبُه بمساءة ويسرّه خطورُه بباله ، لا كمن ادَّعى أنه يلتذ بأذى محبوبه له ، فإن هـذا خارج عن الطباع ، اللهم إلا أن يكون ذلك الأذى وسيلة إلى رضى الحبوب وقريه ، فإنه يلتذ به إذا لاحظ غايته وعاقبته ، فهذا يقع ، وقد أخبرنى بعض الأطباء قال : إنى ألتذ بالدواء الكريه إذا علمت ما يحصل به من الشفاء ، وأضعه على لسانى وأثر شفه محبة له ، ومن هـذا التذاذ الحبين بالمشاف التي توصلهم إلى وصال عبوبهم وقريه ، وكما ذكروا روح الوصال وأن ماهم فيه طريق موصل إليه ، لذ لهم مقاساته ، وطاب لهم تحمله . كا قال الشاعر :

لها أحاديثُ من ذكراك تَشْفُلُهَا عن الشراب وتُلْهِها عن الزاد لها بوجهك نور تستضىء به ومن حديثك فى أعقابها حادى إذا شَكَتْ من كَلا لِ السير أوعدُها رَوْحَ اللقاء فتقوى عند ميعاد

وللقصود أن الحبة تستدعى مشاكلةً ومناسبة ، وقد ذكر الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها: أن امرأة

⁽١) هو عبد الله بن الدمينة .

⁽ ۲ سیاتی هذا البیت فیالباب اامشرین وفیه کن ساءنی ... لقد سرنی الخ، وهو السواب.

كانت تدخل على قريش فتضحكهم ، فقدمت المدينة فنزلت على امرأة تُضعك الناس ، فقال النبى صلى ألله عليه وسلم : على من نزلت فلانة ؟ فقالت : على فلانة المضحكة ، فقال : « الأرواح جُنُودٌ نَجَنَّدَةٌ ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا النَّلَفَ ، وَمَا للضحكة ، فقال : « الأرواح جُنُودٌ نَجَنَّدَةٌ ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا النَّلَفَ ، وَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا النَّلَفَ ، وَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا النَّلَفَ ، وَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا النَّلَفَ » . وأصل الحسديث في الصحيح (١) . وذُكر لبقراط رجل من أهل النقص يحبه فاغتم لذلك وقال : ما أحبني إلا وقد وافقتُه في بعض أخلاقه ، وأخذ المتنبي هذا المعني فقلبه وأجاد فقال :

وإذا أتتك مَذَمَّتي من ناقص فهى الشهادة لى بأنى فاضل (٢) وقال بعض الأطباء: العشق متزاج الروح بالروح لما ينهما من التناسب والنشاكل، فإذا امتزج الماء بالماء امتنع تخليص بعضه من بعض، ولذلك تَبْلُغُ الحجة بين الشخصين حتى يتألم أحدها بتألم الآخر، ويَسْقَمَ بسقمه وهو لايَشْعُر، ويُدْكر أن رجلاً كان يحب شخصاً فرض فدخل عليه أصحابه يعودونه فوجدوا به خفة فانبسط معهم، وقال: من أين جنتم ؟ قالوا: من عند فلان عدناه، فقال: أو كان عليلاً ؟ قالوا: نعم وقد عُوني، فقال: والله لقد أنكرت عليي مذه ولم أعرف لها سبباً غير أنى توهت أن ذلك املة نالت بعض من أحب ، فقال وجدت في يومى هسذا راحة ففرحت طمعاً أن يكون الله سبحانه وتعالى ولقد وجدت في يومى هسذا راحة ففرحت طمعاً أن يكون الله سبحانه وتعالى شفاه، ثم دعا بدواة فكتب إلى محبوبه (٣٠):

⁽١) رواء البخارى ومسلم وأبو داود وغيرهم .

⁽٢) في بعض نسخ الديوان:

ه فهى الشهادة لى بأنى كامل ه

⁽٣) الشعر لابى نواس قاله فهرحة بن نجاح كافى ديوانه (ص ٢٩٩) ممسر ببعض اختلاف وزيادة بيتين والفواف فيه مفتوحة خطاباً للمذكر . وجاء فى ديوان العبابة لابن أبى حجلة أنها قيلت فى عنان جارية الناطنى فهى هناك كما هى هنا مكسورة خطاباً للمؤنث .

إنى حُمِيْتُ ولم أَشْعُر بِحُمَّاكِ حَتَى تَحَدَّثَ عُوَّادِي بِشَكُواكِ ِ فقلتُ ما كانت الْخُمَّى لَتَظُرُ قَنِي من غير ما سبب إلا لِحُمَّاكِيِّ وخَصلة كنتُ فيها غيرَ مُتَّهَم عَافانيَ اللهُ منها حين عافاك حتى اتفتت نفسى ونفسُك في هـذا وذاك وفي هـذا وفي ذاك

و يُعْسَكِي أَن رجلاً مرض مَن يحُبُّهُ فعاده المحبِّ فرض من وقته ، فعوف يحبوبه فياء يمو ده فلما رآه عُو في من وقته وأنشد:

> مَرضَ الْمبيبُ فَعُدْتُهُ فَرضتُ من حَذَرى (١) عليه وأتى الحبيبُ يعبودُني فبرئت من نظري إليه

وأنت إذا تأمّلتَ الوجودَ لاتكاد تجد اثنين بتحابّان إلا وبينهما مشاكلةٌ أو اتفاق في فعلِ أو حالٍ أو مَقْضِدٍ ، فإذا تباينتِ المقاصدُ والأوصاف والأفعال والطرائق لم يكن هناك إلا النَّفْرَةُ والبعدُ بين القاوب ، ويكنى في هذا الحديثُ الصحيح عن رسول الله صلى الله عليمه وسلم : « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهُمْ وَتَرَاجُهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمْثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا اشْتَكَلَّى مِنْهُ عُضُو تَدَاعَى لَهُ سَأَيْرُ الْجُسَلَدِ بِالْخُتَّى والسَّهَرِ »(٢).

فإن قيل: فهذا الذي ذَكرتم يقتضي أنه إذا أحب شخص شخصاً أن يكون الآخر يحبه فيشتركان في الحبة ، والواقع يشهد مخلافه ، فسكم من محبٌّ غير محبوب بل بسيف البغض مضروب ، قيل : قد اختلف الناس في جواب هذا السؤال ، فأما أبو محمد بن حزم فإنه قال : الذي أذهب إليه أن العشق اتصال بين أجزاء النفوس المقسومة في همذه الخلقة في أصل عُنْصُرِها الرفيع ، لا عَلَى

⁽۱) فی روایة آخری : من وجدی علیه .

⁽٢) رواه مسلم في صميحه وأحمد في مسنده .

ما حكاه محمد بن داود عن بعض أهل الفلسفة أن الأرواح أكر مقسومة لمكن على سبيل مناسبة قواها فى مَقرِّ عالمها العارى ومجاورتها فى هيئة تركيبها. وقد علمنا أن سر التمازج والتبائن فى المخلوقات إنما هو الاتصال والانفصال، فالشكل إنما يستدعى شكلة والمثل إلى مثله ساكن . وللمجانسة عمل محسوس وتأثير مشاهد. والتنافر فى الأضداد، والموافقة فى الأنداد، والنزّاع فيا تشابه موجود بيننا، فكيف بالنفس وعالمها العالم الصافى الخفيف، وجوهر ها الجوهر الصقاد المعتدل، وسنخها المهائم العالم الاتفاق والميل والتو ق والانحراف السموة والنفّار؟ والله تعالى يقول: (هُو َ ٱلّذِي خَلَقَكُم مِن نَفْس وَاحِدة في وَالمَع الله والته تعالى يقول: (هُو َ ٱلّذِي خَلَقَكُم مِن نَفْس وَاحِدة في وَالمُع الله والله والته عنه ولو كان وعن نجد كثيراً من يُو ثر الأدنى ويعلم فضل غيره ولا يجد تحيداً لقلبه عنه، ولو كان للموافقة فى الأخلاق لما أحب المره من لا يساعده ولا يوافقه، فعلمنا ولو كان للموافقة فى الأخلاق لما أحب المره من لا يساعده ولا يوافقه، فعلمنا أنه نهى في ذات النفس، وربما كانت الحبة لسبب من الأسباب، وتلك تغنى بغناء منها.

قال: وبما يؤكد هذا القول أننا قد علمنا أن المحبة ضُروب: فأفضائها محبة المتحابين في الله عز وجل إما لاجتهاد في العمل، وإما لاتفاق في أصل المذهب، وإما لفضل علم يُمنتَحُه الإنسانُ. وعبةُ القرابة، ومحبةُ الألفة والاشتراك في المطالب، ومحبةُ التصاحب والمعرفة، ومحبةُ لبرٌّ يضعه المرء عند أخيه، ومحبةُ المطلم في جاه المحبوب، ومحبةُ المتحابَّين لسرٌ يجتمعان عليه يازمها سَتْرُه،

⁽١) السنخ: الأصل من كل شيء.

⁽٢) الآية ١٨٨ . سورة الاعراف.

وعبة البلوغ اللذة وقضاء الوَطَرِ ، وعبة المشقالي لا علة لها إلا ما ذكرنا من اتصال النفوس . وكل هذه الأجناس فنقضية مع انقضاء عللها ، وزائدة بزيادتها ، وناقصة بنقصانها ، متأكدة بدنوها ، فاترة ببعدها ، حاشا محبة المشق الصحيح المتمكن من النفس . ثم أورد هذا السؤال(1) قال : والجواب أن نفس الذي لا يحب من يُعبه مُكَنَّنَفة الجهات ببعض الأعراض الساترة ، والخبيب المعيطة بها من الطبائع الأرضية ، فلم تحس بالجزء الذي كان متصلاً بها قبل حلولها حيث هي ، ولو تخلصت لاستويا في الاتصال والمحبة . ونفس المحب متخلصة عالمة بمكان ما كان يَشر كما في المجاورة . طالبة له قاصدة اليه باحثة عنه مشتهية للاقاله ، جاذبة له لو أمكنها كالمغناطيس والحديد ، وكالنار باحده عنه المحبود .

وأجابت طائفة أخرى أن الأرواح خُلِقَتْ عَلَى هيئة الكُرَة ثُمُ قُسِمت ، فأى رُوحين تلاقيتا هناك وتجاورتا تألفتا فى هذا العالم وتحابتا ، وإن تنافرتا هناك تنافرتا هنا ، وإن تألفتا من وجه وتنافرتا من وجه كانتا كذلك هاهنا ، وهذا الجواب مبنى على الأصل الفاسد الذى أصَّله هؤلاء أن الأرواح موجودة قبل الأجساد ، وأنها كانت متعارفة متجاورة هناك ، تتلاق وتتعارف وهذا خطأ ، بل الصحيح الذى دل عليه الشرع والعقل أن الأرواح مخلوقة مع الأجساد ، وأن الملك المورك كل بنفخ الروح في الجسد ينفخ فيه الروح وح إذا مضى الأجساد ، وأن الملك المورك كل بنفخ الروح في الجسد ينفخ فيه الروح إذا مضى

⁽١) يشير إلى السؤال الذي تقدم في الصفحة ٧٤ وهو: فإن قبل فهذا الذي ذكرتم يقتضى أنه إذا أحب شخص شخصاً أن يكون الآخر يحبه فيشتركان في الحنبة والوانع يشمسهد بخلافه . وهماذا السؤال ايس لفظ ابن حزم وإنما أورده المؤلف بالمعنى .

على النطقة أربعة أشهر ودخلت في الخامس، وذلك أوَّل حدوث الرُّوح فيه. ومن قال إنها مخلوقة قبل ذلك فقد غلط، وأقبح منه قول من قال: إنها قديمة ، أو تو قف في ذلك، بل الصواب في الجواب أن يقال: إن المحبة كا تقدم قسمان : محبة عرضية غرضية أن فهذه لا يجب الاشتراك فيها بل يقارنها مَقْتُ المحبوب وبغضة للمحب كثيراً، إلا إذا كان له معه غرض نظير عرضه فإنه يحبه لغرضه منه ، كا يكون بين الرجل والمرأة اللذين لكل منها غرض مع صاحبه . والقسم الثاني محبة روحانية سببها المشاكلة والاتفاق بين الرُّوحين، فهذه لا تكون إلا من الجانبَين ولا بد، فلو فتش المحب المحبوب لوجد عنده من محبته نظير ما عنده أو دونه أو ذوقه .

فصل

وإذا كانت المحبة من الجانبة بن استراح بها كل واحد من المحبين ، وسكّن ذلك بعض ما به وعدة ، نوعاً من الوصال ، وقالت امرأة من العرب : حَجَبَت ولم أَحْبُج لذنب عِلمته ولكن لتُعديني على قاطع الحبيل ذهبت بعقلى في هواه صغيرة وقد كبرت سنّى فرد لا به عقلى وإلا فسو الحب يبنى وبينه فإنك يامولاى توصف بالعدل وقال آخر :

فياربِّ أَشغلها بحبى كما بهـ الله شَعَلْتَ فؤادى كَى بخفَّ الذى بيا وقالت امرأة تعاتب بَعْلَها . أَسأَل الذى قسم بين العباد معايشهم أن يَقْسِم الحبَّ بينى وبينك ، ثم أنشدت :

أُدعو الذي صَرَف الهوى منِّي إليك ومنك عني وقال آخر:

فياربُّ إن لم تَقْسِمِ الحبُّ بيننا بشَطَرَين فاجعلني عَلَى هجرها جَلَّدا وأعقبني السُّلوانَ عنها ورُدَّلي فؤاديَ من سَلَّمَى أَثْبُكَ به حَمْدا وقال أبو الهُذَيْلِ المَلَّاف : لا يجوز في دَوْر الفلك ولا في تركيب الطبائم ولا في الواجب ولا في المكن أن يكون محبٌّ ليس لمحبوبه إليه ميل، وإلى هذا اللذهب ذهب أبو العباس الناشيء حيث يقول:

> عيناكِ شاهدَ تان أنكِ من حَرٌّ الهوى تجدين ما أَجِدُ بك مابنا لكن عَلَى مَضَضَ تَتَجَلَّدِين وما بنا جَلَدُ

وقال أبو عُبَيْنَة :

تبيتُ بنا تَهْذِي وأَهْذِي بذكرها كلانا يقاسي الليلَ وهُوَ مُسَهَّدُ تَقُرُ بَدُنِي حِينَ أَغْفُو وِنلتقي وأَسَأَلُمَا يَقَظَانَ عَنَّهُ فَتَحْجَدُ

وما رَقَدَتْ إلا رأتني ضجيعُها كذاك أراها في الكرى حين أرْقُدُ كلانا سواء في الهوى غير أنها تَجَلَّدُ أُحيـــانًا ومالي تَجَلَّدُ وقال عُرْوَةُ بِنِ أَذَيْنَةً :

إِن التي زَعَتُ فَوْادَكُ مَأَهَا خُلِقَتَ هُواكُ كَاخُلِقْتَ هُوَّى لَمَا فبك الذي زُعَت بها فكلاكا أبدى لصاحب الصّبابة كلّها

فإذا تشاكلت النفوس وتمازجت الأرواح وتفاعلت تناعلت عنها الأبدان، وطلبت نظير الامتزاج والجوار الذي بين الأرواح ، فإن البدن آلة الرُّوح ومَركَبُهُ ، وبهذا ركَّب الله سبحانه شهوة الجاع بين الذكر والأنثى طلبًا

للأمتزاج والاختلاط بين البدنين ، كما هو بين الرُّوحين ، ولهذا يسمى جماعًا وخِلاطاً ونسكلحاً وإنضاء، لأن كل واحد منها يُفضى إلى صاحبه فيزول الفضاء بينها .

فإن قيل : فهذا يوجب تَأْكُدَ الحبُّ بالجاع وقو تَهُ به والواقعُ خلافه، فإن الجاعَ يُطْنِيء نار الحبة ويُـبَرِّد حرارتَها ويسكّن نفسَ المحب، قيل: الناسُ مختلفون في هذا فمنهم من يكون بعد الجاع أقوى محبةً وأمكن وأثبت مما قبلَه، ويكون بمنزلة من وُصف له شيء ملائمٌ فأحبُّه ، فلما ذاقه كان له أشدًّ محبة ، وإليه أشدَّ اشتياقاً ، وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث عروج الملائكة إلى ربهم أنه سبحانه يسألهم عن عباده — وهو أعلم بهم — فيقولون: إنهم يسبحونك ويحمدونك ويقدّسونك فيقول: وهل رأوني ؟ فيقولون : لا ، فيقول : فكيف لو رأونى ؟ فتقول الملائكة : لو رأوك لكانوا أشدَّ تسبيحاً وتقديساً وتمجيداً ثم يقولون : ويسألونك الجنة فيقول : وهل رأوها ؟ فيقولون: لا ، فيقول: فكيف لو رأوها ؟ فتقول الملائكة: لو رأوها لكانوا أشدَّ لها طالبًا وذكر الحديث(١). ومعلومٌ أن محبةً من ذاق الشيء الملائمَ وعُدِمَ صبرَه عنه أقوى من محبـة من لم يَذُقُّهُ ، بل نفسه مفطومةٌ عنه، والمودَّةُ التي بين الزوجين والمحبةُ بعد الجماع أعظمُ من التي كانت قبله . والسببُ الطبيعي أن شهوة القلب عَمْزَجَةٌ ۚ بِلذَّةَ الدين ، فإذا رأت الدينُ اشتهي القلب ، فإذا باشر الجسمُ الجسمَ اجتمع شهوةُ القلب ولذَّةُ العين ولذة المباشرة ، فإِذا فارق هذه الحال كان نزاعُ نفسه إليها أشدً ، وشوقه إليها أعظمَ كما قيل:

وأكثرُ ما يكونُ الشوقُ يومًا إذا دنت الديارُ من الديار

⁽١) رواه البخارى مطولا ومسلم والإمام أحمد .

ولذلك يتضاعف الألم والحسرة على من رأى محبوبه أو باشره ثم حِيلً بينه وبينه ، فتضاءُفُ أَلَمَهِ وحسرته في مقابلة مضاعفة لذَّة من عاوده ، وهذا في جانب المرأة أقوى فإنها إذا ذاقت عُسَيْلَةَ الرجل ولا سما أوَّل عُسَيْلَة لم تـكد تصبر عنه بعد ذلك ، قال أيمن بن خُرَيم :

يميت العتـــاب خِلاظ ُ النساء و يُحيى اجتناب الخِلاط العتمايا

وتزوّج زهير بن مسكين الفهرى جارية ولم يكن عنده مايرضيها به ، فلما أمكنته من نفسها لم تُرَّ عنده ماترضي به قذهبت ولم تَمَدُّ ، فقال في ذلك أشعاراً كثيرة ، منها:

تقول وقد قَبَّلْتُهُما أَلف قُبْلَةٍ كَفاك أَماشي الديك سوى القُبَلُ فقلت لها حبٌّ على القلب حفظُه وطولٌ بكاء تستفيض له المُقَـلُ . فقالت لمسر الله مالذة الفتى من الحب في قول يخالفه الفعل

وقال آخر:

فقالت حبلُنك حبل انقطاع ولمت أريد حبًا ليس فيــــه متاع منك بدخسل في متاعي إذا ماالصبُّ لم يكُ ذاجاع وتى المحبوبَ كالشيء المُضاع . جماع الصب غاية كل أنثى وداعية لأهـــل الشق داعى فإنك بعد هذا لن تُراعى خلي عن جاعك ان تطاعي

رأت مُنِّي سمادُ بلا جاءٍ فقلت لهمال اوقد ولَّت تعالَىٰ وإنك لو سألت بقماء يوم

فقالت مرحبًا بفتَّى كريم ولا أهلاً بذِي أَخَلِنْع ِ البَرَاع (١) إذا ما البعل للم يك ذا جاع ينوى في البيت من سقط المتاع وقال آخر:

ولما شكوتُ الحبُّ قالت كذبتَني فكم زؤرة مني قصدتُك خاليًّا فَىا حُلَّ فَيَهَا مِنِ إِزَارِ لِلذَّهِ قَمَدَتُ وَحَاجَاتُ الفَوَادَ كَمَا هِياً وهل راحةٌ للمرء في ورد مَنْهُلِ وبَرْجِعُ بعد الوِرْد ظمآنَ صادياً وقال العباس بن الأحنف:

وصلاً يَجِلَّ على كل اللذَّاذات لمِيصَفُ وصل للمشو قَيْن لم يَذُ قا(٢) وقال هُدْبَة بن الْخُشْرَم:

والله مايَشْني الفؤاد الهائمـــا ننتُ الرَّق وعَقْدُكُ المَّانُمـــا ولا الحديثُ دونأن ُتلازما ولا اللَّزامُ دون أن تفاعما(٣) ولا الفيام دون أن تفاقما(١) وتعلو القوائم القوائم القوام ا وقال آخر:

فى نظرة قضت الوَّطْر قولا لماتكة التي

⁽١) الحنم : الذي يكتني من النساء بالمنازلة والملاعبة ، وخنع فلان النساء : مال لهُن وعاشرهن بالمنازلة والملاعبة . واليراع : الجبان الذي لا قلب له . وعلى . النشبه : من لا رأى ولا عقل له .

⁽٧) كذا ... والبيت غير ،وجود في ديوان الاحنف المطبوع .

⁽٣) الفعام: أن تشم رائحة جسدها وتملأ به أنفك.

⁽٤) الفقام: أن تقبلها حتى ترتوى. والفقم: اللحي وفي الحديث (من حفظ ما بين فقميه) أي ما بين لحبيه .

آنی أریدك للنسكا حرولاأریدك للنظر الوكان هذا مقنمی لقنیت عنها بالقس

وقال آخر:

دواه الحب تقبيسل وشَمْ ووضع للبطون على البطون ورَهْزُ تَذْرُفُ المينان منه وأُخذُ بالمناكب والقرون (١) وقالت امرأة وقد طلبت منها المحادثة:

ليس بهذا أمرتنى أثّى ولا بتقبيل ولا بشمم الكن جماعاً قد يسلّى همى يسقط منه خاتمى في كُدِّى وقد كشف الشاعر سبب ذلك حيث يقول:

لُوضَمَّ صبُّ إِنْهَ أَنْهَ أَنْهُ أَنْهَ أَنْهَ مِن قبل ذَاك تَأْلَفَتْ فَتَأَلَّفَتْ مِن قبل ذَاك تَأْلَفَتْ فَتَأَلَّفَتْ مِن قبل ذَاك تَأْلَفَتْ وَقَالَ المؤلف:

سألت نفيه الخب عن علّة الهوى وقلت له أشكو إلى الشيخ حالياً فقال دواء الحب أن تلصق الحشا بأحشاء مَنْ تهوى إذا كنت خاليا وتتَعَدا من بعد ذاك تما نقا وتكثّمة حتى يُرى لك ناهيا فتقضى حاجات الغؤاد بأسرها على الأمن مادام الحبيب مُؤاتيا إذا كان هذا في حال فبيّذا وصال به الرحمن تلقاه راضيا وإن كان هذا في حرام قإنه عذاب به تالتي العنا والمكاويا فال هؤلاء: ولا يستحكم الحب إلا بعد أن يَشُق الرجل رداءه وتشق الراق المشوقة بُر قُمُهَا ، كا قال الشاعر:

⁽١) الرهز: شدة الحركة في الجماع. والقرن: ذُوَّابِة المرأة، الحصلة من الشعر

إِذَا شُقَّ بُرُوْدٌ شُقَّ بِالْبُرْدِ بُرُ قَعْ ﴿ دَوَالَّيْكَ حَتَى كَلُّنَا غِيرُ لانسِ فكم قد شققنا من رداء مُعَبّر ومن برقع عنطفلة غير عانس(١) ولما بلغ بعضَ الظرفاء (٢) قولُ اللَّامون : ما الحبِّ إلاَّ قبلةُ . الأبيات (٣)

قال: كذب المأمون ثم قال:

وباض الحبُّ في قلبي فوا ويلا إذا فرَّخُ وما ينفعني حبي إذا لم أكنُس ٱلبَرْبَعَرُ (١) وإن لم يَضَع الأصْلَ عُ خُرجيه عَلَى المطبخ

وقال ابن الرُّومي :

أُعانقُهُما والنفسُ بعدُ مَشُوقَةً إليها وهل بعد العِناق تدانى وأَلْتُمُ فَاهَا كَى تَزُولَ صَبَابَى فَيَشَتَدُ مَا أَلَقَىٰ مِنِ الْهِمَانَ ولَمْ يَكُ مُقدارُ الذي بي من الجَوَى لِيَشْفِيَّه ما ترشُفِ الشفتان كُأَن فؤادى ليس يشفى عَليلًه سوى أَنأرى الرُّوحين تمزجان (٠٠)

وقال الطبراني في معجمه الأوسط: حدَّثنا بكر بن سهل: حدُّثنا عبدالله ابن يوسف: حدّ ثنا مجد بن مسلم ، عن إبراهيم بن مُيسَرَة ، عن طاوس ، عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رجلاً قال: يارسول الله عندنا يتيدة قد خطبها

⁽١) محبر: مزينومنمن . والعانس: البكر النصف والجمع عوانس وعنس .

⁽٢) هو أبو العبر كما جاء في الأغاني للاصفهاني .

⁽٣) ستأتي الابيات في صفحة ٨٥. وفيها : ما الحب إلا نظرة.

⁽٤) البربخ : منفذ المياه ومجراه ، والبالوعة من الحزف وغيره وهو هنا

⁽٥) تقدمت هذه الأبيات في صفحة ٢٢

رجلان: مُوسِرٌ ومُعْسِرٌ ، وهي تهوى المُعْسِرَ ، ونحن نهوى المُوسِرَ ، : فقال:

«لَمْ يُرَ لِلْمُتَحَابِّبِنَ مِثْلُ التَّرَّ ويجِ »قال أبو القاسم الطبراني: لم ير وه عنطاوس الا إبراهيم ، ولا رواه عن إبراهيم إلا محد بن مسلم ، وسفيان الثورى ، تفرَّد به مُؤَمَّل بن إسماعيل عن الثورى انتهى . وقد رواه أبو الفرج بن الجورى من حديث حسَّان بن يشر: حدَّ ثنا أحد بن حرَّ ب : حدَّ ثنا ابن عُينيَة : حدثنا معرو ، عن جابر فذ كره . وقال المعافى بن عِران : حد ثنا إبراهيم بن يزيد ، عن سليان بن موسى ، عن عرو ، عن طاوس ، عن ابن عباس رضى الله عنهما . وحدَّ ثنا على بن حرب الطائى : حدَّ ثنا ابن عُينيَة ، عن إبراهيم بن مَيْسَرة ، عن طاوس . وذكره الدارقطنى في كتاب الغرائيب وقال : تفرَّ د به يزيد عن مروان ، عن عرو بن هرون ، عن عثمان بن الأسود الملكى ، عن إبراهيم بن مَيْسَرة ، من علوس . وذكره الدارقطنى في كتاب الغرائيب وقال : تفرَّ د به يزيد ابن مروان ، عن عرو بن هرون ، عن عثمان بن الأسود الملكى ، عن إبراهيم بن مَيْسَرة ، عن طاوس .

وقالت هند بنت المُهَّب: ما رأيت لصالحي النساء وشِرَ ارهن خيراً من إلحاقهنَّ بمن يَسْسَكُنَّ إليه من الرجال، ولَربَّ مسكونٍ إليه غير طائل والسَّكَن عَلَى كل حال أوفق.

وذكر الحاكم فى تاريخ نيسابور من حديث أبى هريرة رضى الله عنه يرفعه: أرْتَبعُ لاَيَشْيَعْنَ مِنْ أَرْبَعِ : أَرْضْ مِنْ مَطَرٍ ، وأَنْشَى مِنْ ذَكْرِج وَعَيْنٌ مِنْ نَظَرٍ ، وَعَالِمٌ مِنْ عِلْمٍ . وهذا باطل قطعًا عَلَى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كثير عن أبى هويرة رضى الله عنه (١) . وذكر العلبرانى فى معجمه

⁽١) ذكر همذا الحديث فى طبقات الحنابلة لابن أبى يعلى من رواية الحاكم أيضاً عن عائشة رضى الله عنها لاعن أبي هريرة، وفى سنده عبدالسلام بن عبدالندرس وجاء فى تهذيب التهذيب قول أبى حاتم فى عبد السلام: يروى الموضوعات لا يخل الاحتجاج به منها حديث: أربع لا يشبعن من أربع الح ثم قال: هذا منكر.

الأوسط من حديث ابن عمر يرفعه : فَضُلُ مَا بَيْنَ لَذَة ٱلْمَرْأَة وَلَذَة ٱلرَّفِ الرَّجِلِ كَاتُمُ مَا بَيْنَ لَذَة ٱلْمَرْأَة وَلَلَ لَمْ يَرْوهِ عَن كَأْثَرِ ٱلْمِخْيَطِ فِي ٱلطِّينِ إِلاَّ أَنَّ ٱللهَ سَتَرَهُنَ يُا لَيْهَ وَقال : لَم يَرْوهِ عَن ليث إلا أبو للسيب سَلْم بن سلام عن سويد عن عبد الله بن أسامة عن يعقوب ابن خالد عن عطاء عن ابن عمر رضى الله عنهما . قلت : وهذا أيضاً لايصيحُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإسناده مظلم لا يحتج بمثله .

فصل

ورأت طائفة أن الجماع ميفسد العشق ويبطله أو يضعفه ، واحتجت بأمور منها: أن الجماع هو الغاية التي تُطلّب بالعشق فما دام العاشق طالبًا فعشقه ثابت ، فإذا وصل إلى الغاية قضى وطرّه ، وبردت حرارة طلبه ، وطَفِئت نارُ عشقه . قالوا: وهذا شأن كل طالب لشيء إذا ظفر به ، كالظمآن إذا رَوِى ، والجائع إذا شبيع ، فلا معنى للطلب بعد الظفر . ومنها: أن سبب العشق فكرى وكا قوى الفكر ، ومنها: أنه قبل قوى الفكر ، ومنها: أنه قبل الظفر ممنوع ، والنفس مُو لَعَة بحبّ ما مُنِمَت منه كا قال () :

وزادنى كَلَفًا في الحبأن مُنِعَتْ أَحَبُّ شيء إلى الإنسان مامُنِعًا وقال الآخر (٢):

لولا طرّادُ الصيد لم تَكُ لَدَّةٌ فَتَطَارَدى لى بالوصالِ قليلا قالوا: وكانت الجاهلية الجملاء في كفرهم لايرجون ثواباً ولا يخافون سَتَاباً ، وكانوا يصونون العشق عن الجماع ، كما ذُكر أن أعرابيًّا عَلِق امرأةً فيكان

⁽١) هو الاحوص.

⁽٢) هو كشاجم كما جاء في ديوان الصبابة .

يأتيها سنين وماجرى يينهما ريبة ، قال : فرأيت ايلة بياض كنّها فى ليلة ظلماء فوضعتُ يدى عَلَى يدها فقالت : مه لانفسد ماصَلَح فإنه مانكح حبٌّ إلا فسد. فأخذ ذلك المأمون فقال :

ما الحب إلا نظرة وغز كف وعَشَد أو كُتُب فيهما أو كُتُب فيهما في أجل من نفث الفقد ما الحب إلا هكذا إن نُكم الحب فَسَد من كان هذا حبّه فإيما في الوكد وهَو ي آخر امرأة فدام الحال ينهما في اجتماع وحديث ونظر ، ثم إنه جامعها فقطعت الوصل ينهما فقال :

لو لم أواقع دام لى وصلُها فليتنى لا كنتُ واقعتُها وقيل لآخرَ شكا فراق عبوبة له (١٠):

ا كثرتَ منْ وَطْنِها وَٱلوَطْهِ مَسَامَةٌ اللهِ عَادِفُق بنفسك إن الرفق محمود

وذكر عمر بن شَبَّة عن بعض علماء أهل المدينة قال: كان الرجل يحب الفتاة فإذا ظفر مها بمجلس تشاكيا وتناشدا الأشعار، واليوم يشير إليها وتشير إليه فيعدُها وتنعدُه ، فإذا النقيالم يَشُكُ حبًّا ولم يُنشد شعرًا وقام إليها كأنه أشهد عَلَى نكاحها أبا هريرة رضى الله عنه .

أَغُطُ مَن دَاخَلَ الدِّهَا مِن مِنصَرِفاً إِلاَّ وخَلْخَالِمَا قَدْ قَارِبِ السَاقَا قَالِ الْأَصْمَى: قَلْتَ لَأَعْرِ ابِيةً: مَا تَعْدُونَ الْمُشْقَ فِيكُمْ ؟ قَالَتَ: الْمِناقُ وَالشَّرَةِ وَالْفَهْرَةُ وَالْحَادِثَةِ.

⁽١) ستأتي القصة في صفحة ٨٩.

ثم قالت : ياحضرى فكيف هو عندكم ؟ قات : يقعد بين شُعَبها الأربع ثم يُجهدها. قالت : يا ابن أخى ماهذا عاشق هذا طالب ولد .

وسئل أعرابي عن ذلك فقال: مَصُّ الرِّيق ، ولَمْ الشَّفَة ، والأخذ من أطايب الحديث ، فكيف هو فيكم أيها الحضرى ؟ فقال: القفس ((١) الشديد، والجمع بين الركبة والوريد، ورَهَزُ يوقظ النائم، ويَشْنَى القلب الهائم. فقال: بالله مايفعل هذا العدو الشديد فكيف الحبيب الودود؟

وقال بعضهم: الحبّ يطيب بالنظر و يَفْسُد بالنمزِ . قال هولاء : والحب الصحيح يوجب إعظام المحبوب وإجلاله والحياء منه ، فلا تطاوع نفسه أن يلقى جلباب الحياء عند محبوبه ، وأن يُلقِيهَ عنه ، فني ذلك غاية إذلاله وقهره كا قيل :

إذا كان حظ المرء بمن يُحبَّه حراماً فحظى ما يحلُّ ويَجُملُ حديث كاء المُرْنِ بين فُصُوله عتاب به حسن الحديث يُفصَّل وكَثُمُ فم عَذْب اللَّمَاتِ كَأَيْما جناهن شهد فَتَ فيه القَرَ نَقَلُ وما العشق إلا عفة ونزاهة وأنسُ قاوب أنسُهن التفزُّل وإنى لأستحيى الحبيب من التي تريبُ وأدعى للجميل فأحمِل وزعم بعضهم أنه كان يُشرَط بين العشيقة والعاشق أنَّ له من نصفها الأعلى وزعم بعضهم أنه كان يُشرَط بين العشيقة والعاشق أنَّ له من نصفها الأعلى عليه، وفي ذلك قال شاعر القوم:

فللحب شطر معللَق من عِقَاله ِ وللبَعْل شعار مايرام مَنييع

⁽١) عفسه عفساً : طرحه على الارض وضادله سنفطأ شديداً ، وضربه على عجزه .

وقال الآخر ؛

لها شطر فرن حِلِّ وَبِلِّ وَنصفُ كَالْبَتَعِيرَة ما يهاج (١)
وهذا كان من دين الجاهاية فأبطلته الشريعة ، وجعلت الشّطُرين كليهما
للبّعل . والشعر اله قاطبة لايرون بالمحادثة والنظر اللّجنبيات بأساً ، وهو مخالف للشرع والعقل فإن فيه تعريضاً الطبع لما هو مجبول على لليل إليه ، والطبع يُسرِق ويَعَلَيبُ ، وكم من مفتون بذلك في دينه ودنياه ، فإن قيل فقد أنشد الحاكم في مناقب الشافعي له:

يقولون لا تنظُرُ و تلك بليَّةٌ أَلا كُلَّ ذَى عينين لابدً ناظرُ وليس اكتحالُ المين بالمين ريبةً إذا عَفَّ نما بين ذاك الضائر (٢)

فإن محت عن الشافعي فإنما أراد النظر الذي لا يدخل تحت التكليف، كنظرة الفَجْأة أو النظر المباح . وقد ذهب أبو بكر محمد بن داود الأصفهائي إلى جواز النظر إلى من لا يحل له كما سيأتي كلامه إن شاء الله تعالى . قال أبو الغرج بن الجوزى: وأخطأ في ذلك وجر عليه خطؤه اشتهاره بين الناس وافتضاحه . وذهب أبو محمد بن حزم إلى جواز العشق للأجنبية من غير ريبة ، وأخطأ في ذلك خطأ ظاهراً فإن ذريعة العشق أعظم من ذريعة النظر ، وإذا

⁽¹⁾ البل بالمكسر: المباح يقال: حل بل وهو إتباع. والبحيرة: الناقة، كانت فى الجاهلية إذا ولدت خسة أبطن، شقوا أذنها وأعفوها أرب يننفع بها ولم يمنموها مرعى ولا ماء، وقد أبطلها الإسلام. قال تعالى: (ما جعل الله من بحيرة) الآية ١٠٦. سورة المائدة.

⁽٢) فى معجم البلدان لياقوت أن هذين البيتين للخضيل بن عبيد فلم تتأكد لسبتهما إلى الشافعي .

كان الشرع ُ قد حرّ م النظر لما يؤدى إليه من المفاسد كما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالى، فكيف يجوز تعاطى عشق الرجل لمن لا يحل له ؟

والمقصود أن هذه الفرقة رأت أن الجماع يفُسد العشق فغارت عليه مما يفسد ُه . وإن لم تتركه ديانة . وقيل لبعض الأعراب : ماينال أحد كم من عشيقته إذا خلى بها ؟ قال : اللّمس والقُبَل وما يشاكلها . قال : فهل يتطاولان إلى الجماع ؟ فقال : بأبى وأمى ليس هذا بعاشق ، هذا طالب ولد . ويُحكى أن رج لّا عشق امرأة ققالت له يوماً : أنت صحيح الحب غير سقيعه — وكانوا يُسمون الحب على الخنا الحب السقيم — فقال : نعم ، فقالت : اذهب بنا إلى المنزل ، فما هو إلّا أن حصلت فى منزله فلم يكن له همة غير جماعها ، فقالت له وهو كذلك :

أسرفت في وطائنا والوَطه مَقْطَعَةٌ فارفُق بنفسك إن الرفق محمود فقال لها وهو على حاله:

لولم أطأكِ لما دامت محبتُنا لكن فعلىَ هذا فعلُ مجهود

فنفرت من تحته وقالت: ياخبيث أراك خلاف ماقات من صحة الحب، ولم تجعل جماعى إلّاسبباً لذهاب حبك، والله لاضمنى وإياك سقف أبداً. وسيأتى تمامُ الحكلام فى هذا فى باب عفاف الحبين، إن شاء الله تعالى.

فصل

الخطاب بين الفريقين أن الجماع الحرام يفسد الحبّ ، ولا بدّ أن تنتهى الحبة بينها إلى المعاداة والتباغض والقلي كا هو مشاعَد الماداة والتباغض والقلي كا هو مشاعَد الله آخرها قلّ وبغض ، فكيف إذا قاربها ما هو من أكبر السكبائر ؟

وهذه عداوة بين يدى المداوة الكبرى التى قال الله تعالى فيها: (آلاً خيلاء يو مَمْذِ بَعْضُهُمُ لِيَعْضَ عَدَو إِلَّا آلُمُتَّينَ) (١) وسنذ كر إِن شاء الله تعالى من طَفِر بمحبوبه وترك قضاء وَطَوِه منه رغبة فى بتاء محبته وخشية أن تنقلب قلى وبغضاً فى الباب الموعود به فإن ذلك أليق به . وأما الجاع اللباح فإنه يزيد الحب إذا صادف مراد الحب ، فإنه إذا ذانى الذّته وطَعْبه أوجب له ذلك رغبة أخرى لم تكن حاصلة قبل الذّوق . ولهذا لا يكلد البكر ان يصبر أحدهما عن الآخر ، هذا مالم يعرض للحب ما يفسده ويُوجب نقله إلى غير الحبوب . وأما مااحتج به الآخرون فجوابه أن الشهوة والإرادة لم تُطنّأ نارُها بالسكلية ، بل فترت مهوة ذلك الوقت ثم تعود أمنالها ، وإنما يظهر هذا إذا غاب أحدُها عن حبيبه ، وإلا فا دام بمرأى منه وهو قادر عليه متى أحب فإن النفس تسكن بذلك وتعلم بنه وبينه أشتد طلبه ولباس وهو قادر عليه ، فإن نفسه تسكن عنده ، فإذا حيل بينه وبينه أشتد طلبه ولباس وهو قادر عليه ، فإن نفسه تسكن عنده ، فإذا حيل بينه وبينه أشتد طلبه نفسه منه ، وربما انقلبت محبته كراهية . وسيأتي مَزيدُ بياني لهذا في باب سُلُو نفسه منه ، وربما انقلبت محبته كراهية . وسيأتي مَزيدُ بياني لهذا في باب سُلُو نفسه منه ، وربما انقلبت محبته كراهية . وسيأتي مَزيدُ بياني لهذا في باب سُلُو نفسه منه ، وربما انقلبت محبته كراهية . وسيأتي مَزيدُ بياني لهذا في باب سُلُو نفسه منه ، وربما انقلبت محبته كراهية . وسيأتي مَزيدُ بياني لهذا في باب سُلُو نفسه منه ، وربما انقلبت محبته كراهية . وسيأتي مَزيدُ بياني لهذا في باب سُلُو

فصل

ودواعى الحبّ من المحبوب جماله ، إما الظاهر ُ أو الباطن أوها معاً ، فتى كان جميل الصورة جميل الأخلاف والشّيمَ والأوصاف كان الداعى منه أقوى ، وداعى الحبّ من المحبّ أربعة أشياء: أوّ للمُـا: النظر إما بالعين أو بالقلب إذا

⁽١) الآية ٢٧ . سورة الزخرف.

وُصنَ له ، فكثير من الناس يحبغيره ويفنى فيه محبة وما رآه لكن وُصنَ له ، ولهذا نهى النبى صلى الله عليه وسلم ألقر أمّ أن تنفت القر أمّ لز وجها حَتى كأنّه ينظر إليها (والحديث في الصحيح) (١١) ، انثانى: الاستحسان ، فإن لم يورث نظر ه استحساناً لم تقع الحبة ، الثالث : الفكر في المنظور وحديث النفس به ، فإن شغل عنه بغيره مما هو أهم عنده منه لم يَعْلَق حبّه بقابه ، وإن كان لا يعدم خطرات وسواح ، ولهذا قيل : العشق حركة قلب فارغ ، ومتى صادف هذا النظر والاستحسان والفكر قلباً خالياً تمكن منه كا قيل :

أتاني هو اها قبل أن أعرِف الهوى فصددف قلبًا خاليًا فتمكّنا فإن قيل: فهل يتوقّن عَلَى الطمع في الوصول إلى المحبوب أم لا؟ قيل:

الناسُ في هذا عَلَى أقسام: منهم من يعشق الجالَ اللَّطْكَقَ ، فقلبُه مُعلَّقُ به إن استقلّت ركائبُه ، وإن حلت مضاربُه ، وهذا لا يتوقف عشقُه عَلَى الطمع . ومنهم من يعشق الجالَ المقيّد سوالا طَمِعت نفسهُ في وصاله أم لم تطمع ، ومنهم من لايعشق إلا من طمعت نفسه في وصاله ، فإن يئس منه لم يَعْلَق حبُّه بقلبه ، والأقسام الثلاثة واقعة في الناس ، فإذا وُجد النظر والاستحسانُ والفكر والطمع عاجت بلابُله ، وأمكن من معشوقه مقاتله ، واستحكم داؤه ، وعجز

عن الأطباء دواؤه .

تالله ما أسَرَ الهوى من عاشق إلا وعز على النفوس فَكَاكُهُ وإذا كان النظر مبدأ العشق، فحقيق بالمطلق أن لا يعرض نفسه للإسار الدائم بواسطة عينه ، وإذ قد أفضى بنا الكلام إلى النظر فلنذكر حُكْمه وغائلته .

⁽۱) رواية البخارى: «لا تباشر المرأة المرأة فتنمتها لزوجها كأنه ينظر إليها، ورواه أبو داود والنرمذي والإمام أحمد في مسنده. ونعت: وصف.

البائلاس

فى أمكام النظر وغائلة، وما يجنى على صاحب

وقد جعل الله سبحانه الدين مر آة القلب ، فإذا غض العبد بصر م غض الهلب شهو ته وإرادته ، وإذا أطلق بصر م أطلق القلب شهو ته . وفي الصحيح أن الفضل بن عباس رضى الله عنهما كان رديف (٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر من مُر دلفة إلى منى ، فرّت ظُنُن (٣) كبرين فطفق الفضل ينظر إلى الشق الآخر (١) ، وهذا إلى بن كفو ل رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه إلى الشق الآخر (١) ، وهذا منه وإنكار بالفعل . فلو كان النظر جائزاً لأقر معليه . وفي الصحيح عنه صلى الله نايه وسلم أنه قال « إن الله عَنْ وَجَل كَتَب على ابْنِ آدم حَظّة مِن الرّقي الرّ

⁽١) الآيتان ٣٠ و ٣١. سورة النور .

⁽٢) الرديف. الراكب خلف الراكب.

⁽ ٣) جمع ظمينة : الراحلة يرتحل عليها ، المودج ، الزوجة .

⁽٤) في البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم .

ووقعت مسألة: ما تقول السادة العاماء فى رجل نظر إلى امرأة نظرة فعلق حبَّما بقلبه واشتد عليه الأمر، فقالت له نفسه: هذا كله من أوّل نظرة فلو أعَدْتَ النظر إليها لرأيتها دون مافى نفسك فساوت عنها، فهل يجوز له تعمُّدُ النظر ثانياً لهذا اللعنى؟.

فكان الجواب: الحمد لله لا يجوز هذا لمشرة أوْجُه: أحدها: أن الله سبحانه أم بغص البصر ولم يجعل شفاء القلب فيا حرّ مه عَلى العبد. الثانى: أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن نظر الفَجْأَة ، وقد علم أنه يؤثّر في القلب فأمر بمداواته بصرف البصر لا بتكرار النظر. الثالث: أنه صرّح بأن الأولى له وليست له الثانية ، ومحال أن يكون داؤه مما له ودواؤه فيما ليس له. الرابع: أن الفاهر قوة الأمر بالنظرة الثانية لاتناقصه ، والتجربة شاهدة به ، والظاهر

⁽۱) أورده المنذرى بنحوه وقال : رواه مسلموالبخارى باختصار والنسائي وأبو داود .

⁽٢) رواه أحمد والترمذي وأبو داود . كما قال الحافظ المذري .

أن الأمر كارآه أولَ مرَّةٍ فلا تحسنُ الخاطرة بالإعادة . الخامس: أنه ربما رأَى ماهو فوق الذي في نفسه فزاد عذابُه . السادس : أن إبايس عند قصده للنظرة الثانية يقوم في ركائبه فيزين له ما ليس بحسن لِتَتَيَّمَّ البلية . السابع: أنَّه لايُمَانُ على بليته إذا أعرض عن امتثال أوامر الشرع وتداوى بما حرّمه عليه ، بل هو جديرٌ أن تتخلف عنهالمعونة . الثامن : أن النظرة الأولى سهم مسمومٌ مسمومٌ من سهام إبليس ، ومعلوم من أن الثانية أشدَّ سمًّا فكيف يتداوى من السمّ بالسمِّ؟ . التاسع : أن صاحب هذا اللَّهَام في مقام معاملة الحق عزَّ وجلَّ في ترك محبوب كما زءم ، وهو يريد بالنظرة الثانية أن يتبيّن حال المنظور إليــه ، فإن لم يكن مرضيًّا تركه ، فإذاً يكون تركه لأنه لا يلائم غرضة لا لله تعالى ، فأين معاملةُ الله سبحانَهُ بترك المحبوب لأجله ؟ . الماشر : يتبين بضرب مثل مطابق للحال وهو أنك إذا ركبتَ فرساً جديداً فالت بك إلى درْب ضيق لاينفذُ ولا يمكنها تستدير فيه للخروج ، فإذا همَّت بالدُّخول فيه فاكبحها لئلا تدخل ، فإذا دخلت خطوةً أو خَطوتين فَصِيحُ بها ورُدُّها إلى وراء عاجلًا قبل أن يتمكَّن دخوكُما ، فإن رَدَدْتها إلى ورائها سَهُل الأمر ، وإن توانيت حتى ولَحَت(١) وسُمْتُهَا داخلًا ثم قت تَجْذبها بذَنبها عَسُر عليك أو تعذُّر خروجُها ، فهل يقول عاقل إن طريق تخليصها سَو قها إلى داخل ؟ فسكذلك النظرة إذا أثَّرت في القلب ، فإن عَجِل الحازمُ وحَمَم المادَّة من أوَّلها سَهُل علاجُه ، وإن كرَّر النظر ونقب عن محاسن الصورة ونقايها إلى قلب فارغ فنقشها فيـــــه تمكنت المحبة ، وكا تواصلت النظرات كانت كالماء يستى الشجرة فلا تزال شجرة الحب تَنْمَى حتى يفسد القلب ويُعْرَضَ عن الفكر فما أُمِر به ، فيخرج

⁽١) ولجت: دخلت.

بضاحبه إلى المحن، ويوجب ارتكاب المحظورات والفتن، ويلقى القلب فى التألف. والسبب فى هـذا أن الناظر التذَّت عينُه بأوّل نظرة فطلبت المعاودة، كأكل الطعام اللذيذ إذا تناول منه لقمة، ولو أنه غضَّ أوَّلاً لاستراح قلبُه وسلم، وتأمّل قول النبى صلى الله عليه وسلم: «النظرة سهم مَّ مَسْمُومٌ مِن سِهام إبْديس (١) » فإن السّهم شأنه أن يسرى فى القلب فيعمل فيـه عمل السمّ الذى يُسْقاه المسموم ، فإن بادر واسْتَفْرَ عَه وإلا قتله ولابدً .

قال المَرُّوذِيُّ: قلت لأحمد: الرجل ينظر إلى المماوكة . قال: أخاف عليه الفتنة ، كم نظرة قد أُلقت في قلب صاحبها البلابل^(٢) . وقال ابن عباس: الشيطان من الرجل في ثلاثة: في نظره وقابة وذكره ، وهو من المرأة في ثلاثة: في بصرها وقلبها وعَجُزها .

فصل

ولما كان النظرُ من أقرب الوسائل إلى الحرَّم اقتضت الشريعة تحريمة ، وأباحَتْه في موضع الحاجة ، وهذا شأن كل ماحرُّم تحريم الوسائل فإنه يباح للمصابحة الراجحة ، كا حُرِّمت الصلاة في أوقات النهى لئلا تكون وسيلة إلى النشبُه بالكفّار في سجودهم للشمس ، أبيحت المنسلحة الراجحة كقضاء الفوائت وصلاة الجنازة و فعل ذوات الأسباب على الصحيح . وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « النظرة سهم مسموم من سهام حنبل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « النظرة سهم مسموم من سهام إليس فَمَنْ عَضَ بَصَرَهُ عَنْ تَحَاسِنِ آ مُرَأَة أَوْرَثَ آلله كُلْبَة حَلاَوَةً تَجَدّها

⁽١) رواه الإمام أحمد في مسنده .

⁽٢) جمع بلبال وبلبالة : شدة الهم والوساوس .

إِنْ يَوْمٍ عَيْلَقَاهُ » ، أو كما قال . وقال جرير من عبدالله رضي الله عنهما : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظر الفَجْأَة فَأْسَ بِي أَن أَصَرَفُ بَصِرِي (١). ونظرةُ النَّجْأَة هي النظرةُ الأولى التي تقع بغير قصدٍ من الناظر ، فما لم يَعْتَمدُه القلبُ لا يما قب عليه ، فإذا نظر الثانيةَ تعبُّداً أَثِمَ ، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم عند نظرة الفَجَّأَة أن يَصرِفَ بصره ولا يستديمَ النظر ۽ فإن استدامته كتكريره ، وأرشد من ا بتُلِي بنظرة الفَجَّأة أن يداويه َ بإتيان آمرأً ته ، وقال: إِنَّ مَعْهَا مِثْلَ الَّذِي مَعْهَا (٢) ، فإن في ذلك التسلي عن المطلوب بجنسه . والثاني أن النظر يثير قو"ة الشهوة فأمره بتنقيصها بإتيان أهله، ففتنة النظر أصلُ كل فتنة كما ثبت في الصحيحين من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما أنَّ الذي " صلى الله عليه وسلم قال: « مَا تَرَ كُتُ بَعْدِى فِثْتَةٌ أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّساء (٣) » ، وفي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد أُنْلُد ْرى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: « انتَّموا الدُّنيَّا وَانتُّموا اللِّنساء » وفي مسند محمد بن إسحاق السر الج من حديث على بن أبي طالب رضي الله عنه عن الذي صلى الله عليه وسلم : «أَخْوَ فُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْمَسَاءِ وَالْمُمْرُ » وقال ابن عباس رضى الله عنهما: لم يكفَّر من كفر ممن منى إلامن قِبَلِ النَّمَاء ، وكفر ُ من بق من قبل النساء.

⁽١) رواه مسلم وأبو داود والترمذي . كما قال الحافظ المذرى .

^{(ُ} ٧ ُ) ورد الأمر بإتيان الأهل فى مثل هذه الحالة فى أحاديث رواها أحمد ومسلم وأبو داود .

⁽٣) رواه البخارى ومسلم وأحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه . كما قال السيوطي .

فصل

وفى غضّ البصر عدَّة فوائد: أحدها تخليص القلب من ألم الحسرة ، فإنه من أطلق نظر م دامت حسرته ، فأضرُّ شى، عَلَى القلب إرسال البصر ، فإنه ير يه ما يشتد طلبه ولاصبر كه عنه ولاوصول له إليه ، وذلك غاية لله وعدابه، قال الأصمى : رأيت جارية في الطواف كأنها مَهاة م فيمات أنظر إليها وأملاً عيني من محاسنها فقالت لى : يا هذا ما شانك ؟ قلت : وما عليك من النظر ؟ فأنشأت تقول :

وكنتَ متى أرسلتَ طَرَفَك رائدًا لقلبك يومًا أَتَمَبَتُكَ المَناظرُ رأيتَ الذي لا كله أنت قادر عليه ولا عن بعضه أنت صابر .

والنظرة تفعل فى القلب مايفعل السهم فى الرَّمِيَّة ، فإن لم تقتله جرحته ، وهى بمنزلة الشرارة من النار تُرَّمٰى فى الحشيش اليابس ، فإن لم يُحرقه كله أحرقت بعضة كما قيل :

كل الحوادث مَبْداها من النظر وَمُعظَمُ النار من مُسْتَصْفَرِ الشَّرر كَا الحوادث مَبْداها من النظر وَمُعظَمُ النار من مُسْتَصْفَرِ الشَّرر وَلاَوْتَرَ وَللرَّهِ مَا دَام ذَا عَيْنِ يُقَلِّبُهَا فَأَعِيْنِ الغيدِ موقوف عَلَى الخطر يَسُرَّ مقلتَ عا ما ضرَّ مهجته لا مرحباً بسرور عاد بالضرر والناظر يَرْمَى من نظره بسهامٍ غَرَضها قلبُه وهو لا يَشْعُرُ ، فهو إنما يرْمى قلبَه ، ولى من أبيات :

يا رامياً بسهام اللَّحْظ ِ مجتهداً أَنْتَ القتيلُ بما ترمى فلا تُصِبِ وباعثَ الطرف يَرْ تاد الشَّفاء له تَوَقَّهُ إِنَّه يأْتيك بالمَطَبِ

وقال الفرزدق:

تَزُوَّدَ مَنْهَا نَظْرَةً لَمْ تَدَعُ لَهُ فَوْاداً وَلَمْ يَشْعُرُ بَمَا قَدْ تَزُوَّدا الله أرَ مقتولًا ولم أر قائلًا بنير سلاح مثالَها حين أقصدا وقال آخر:

فإنى من عيني أتيت ُ ومن قلي فَمَا أَبْقِيا لِى كُلُّ مِن رقادٍ ولا لُبِّ إِ وْمَنَ كَانَ يُؤْتِّي مِن عَدُوٌّ وَحَاسَدٍ هَا اغْتُورَانِي (١) نظرةً ثم فسكرةً وقال آخر :

وماكل من يُرْأَى تصاب مقاتلُهُ قتيل صـــديق حاضرٍ مايُريلُهُ رمانی بها طَرْنی فلم تُخْطِ مقاتی إذا مُتُ فَابِكُونَى قتيـــــلاً لِطَرَ فه وقال ابن المتز:

متيم يرعى نجومَ الدُّجي يبكي عليــــــه رحمةً عاذله عيني أشاطت (٢) بدمي في الهوى فابكو اقتيلاً بعضهُ قاتلُه

ومثله للمتنبى :

وأنا الذي اجْتَكَبَ المنيَّة طرفُه ﴿ فَمَن الْمُطَالِبُ والقتيلُ القاتلُ وقال أيضًا:

يانظرةً نفت ِ ارْ قادَ وغادرت في حدّ قلبي ما بَقَيتُ فلولا

كانت من الكحلاء سُؤْلى وإنما أُجَلِي تَمَثَّل في فؤادي سُولا وقال أيضًا :

(١) اعتوراني : تداولاني .

 ⁽٢) أشاط دمه وأشاطه غيره أملك : أو عرضه للقتل

وُقِيَ الْأُميرُ من العيون (١٦ فإنه مالا يزول بيأســه وسخالُه يستَأْسِرُ البطلَ الكَمِيّ (٢) بنظرة ويحول بين فؤاده وعزاله

وقال الصورى:

إذا أنت لم تَرْعَ البروقَ اللوامحا ونمت جرى من تحتك السيل ُ سَائِحًا غَرَسْتَ الهوى باللحظ ثم احتقرتَه وأهملتَــة مُسْتَأْنِسًا مُتَسامِعا ولم تدرُّ حتى أينعت شَجَراتُهُ وهبّت رياحُ الوجـد فيــه لَواقعا فأمسيت تستدعي من الصبر عازبًا عليك وتستدني من النوم نازحاً (٢)

ودخل أصبهان مُغَنُّ فكان يتغنَّى بهذين البيتين:

سماعًا ياعبادَ الله مني وكفُّوا عن ملاحظة الملاح

فإن الحبَّ آخر ُ المنايا وأوَّلُهُ شـسبيه المُزاح

وقال آخر :

وشادن ('' لما بدا أَسْلَمْنِي إلى الرَّدَى بظَرَفَة ولطفـــه وطَرفه لما بدا أردتُ أن أصيده فصاد قلبي وعدا

وقال آخر ميعاتب عينه:

تَاللَّهِ تَطْمَعُ أَنْ أَبَكِي هُوَى وَضَنَّى وَأَنْتَ تَشْبِعِ مِن مُغْضِ وَمِن وَسَن ميهات حتى تُرى طَرْفًا بلا نَظَر حَمَا أَدْى في الهوى شخصًا بلا بَدَن

واللهِ يابصرى الجانى عَلَى جسدى لأطفأن َّ بدمعِي لَوْعَـة الخزَنِ

⁽١) في ديوان المتنى : وقى الأمير هوى العيون .

⁽٧) المكمى: الشجاع، الجرىء، المقدام كان عليه السلاح أو لم يكن .

⁽٣) عازيا ونازحا : بعيدا .

⁽٤) الشادن: ولد الظبية وجمعه شوادن.

وقال آخر:

يامن يرى سقىي يزيد ُ وعِلَّتى أَعْيَتْ طبيبي لا تعجبن فهكذا تَجْنى العيونُ عَلَى القلوب

وقال آخر:

لواحظُنَا تَجِئَى ولا عِلْمَ عندنا وأَنفسُنا مَأْخُوذَةُ بِالجُوائُو'' ولم أَرَى أُغِي من نفوس عفائفٍ تُصَدِّق أَخْهَارَ العيون الفواجر ومن كانت الأجفان حُجَّابَ قلبه أَذِنَ عَلَى أَحْسَانُه بالفواقر'' وقال آخر:

ومستفتح بابَ البسلاء بنظرة تزوَّد منها قلبهُ حَسْرَةَ الدَّهْرِ فوالله ماتدرى أيدرى ما جنث على قلبه أم أهلكته وما مدرى

وقال آخر:

أنا ما بين عدوينن ما قلبي وطرفي ينظر الطرف ويهوى السقلب والمقصود حَتْني

وقال الخفاجي (۴)

رَمَتْ عَيْهَا عَنِي وَرَاحَتَ سَلَيْمَةً فَمَنْ حَاكُمْ بِينِ السَّلَحِيلة وَالنَّبْرِي (١) فياطَرْ فُ قد حذَّر تُك النظرة التي خَلَسْت فاراقبت نهياً ولا زَجْرًا

⁽١) الجرائر جمع جريرة: الذنوب والجنايات .

^{(ُ} ٧) الفواقر جمَّع فاقرة : الدواهي .

⁽٣) هو عبد الله بن سعيد المعروف بابن سنان الحفاجي وهو غير الشهاب احمد الحفاجي فإن هذا متأخر .

⁽٤) المبرى: الباكية.

وياقلبُ قد أرداك طرفى مرَّةً فَوَيحَك لِمْ طاوعتَهَ سَرَّةً أَخْرَى وَلِي مَن أَبِياتٍ لِعَلَى مَعْناها مبتكر:

أَلَم أَقُل لك لاتَسْرِقْ ملاحظة فسلرقُ اللحظ لا ينجو من الدَّرَك (١) نصبتُ طرفى له لمنسَرِقْ ملاحظة فكان قلبي أوْلى منه بالشَّرَك

الفائدة الثانية أنه يورثُ القلب نوراً وإشراقاً يظهر في العين وفي الوجه وفي الجوارح ، كا أن إطلاق البصر يورثه ظلمة تظهر في وجهه وجوارحه . ولهذا والله أعلم ذكر الله سبحانه آية النور في قوله تعالى : (الله نُورُ السّموات وجله وجالاً والله أعلى في الله نورُ السّموات والمأرض عقيب قوله : (قُلُ لِهُ وَمِنْينَ يَنُضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ)(٢) وجله الحديث مطابقاً لهذا حتى كأنه مشتق منه وهو قوله : « النظرة سهم مسموم من سهام إبليس ، فن غض بصرة عن محاسن امرأة أورث الله قَالْبة نوراً »(٣) الحديث المعابة أبليس ، فن غض بصرة عن محاسن امرأة أورث الله قَالْبة نوراً »(٣) الحديث الله قالمة أنوراً »(٣)

الفائدة الثالثة أنه يورث محمة الفراسة فإنها من النور و عَمَراته ، وإذا استنار القلب محمّت الفراسة لأنه يصير بمنزلة الراآة المحبّلُوة تظهر فيها للعلومات كما هي ، والنظر بمنزلة التنفّس فيها ، فإذا أطلق العبد نظراء تَذَفّسَت نفسه الصّعداء في مراآة قلبه فَطَمسَت نورَها كما قيل :

مِوْ آةُ قَلْبِكَ لا تُريكُ صلاحَه والنفسُ فيها دائمًا تتنفَّس

وقال شجاع السكر مانى: من عمر ظاهرَه باتبّاع السنة ، وباطنَـه بدوام المراقبة ، وغض بصره عن المحارم ، وكفَّ نفسه عن الشهوات ، وأكل من

⁽١) الدرك: النبعة أو العقاب وهي ما يترتب على النعل من الخير والشر إلا أن استعماله في الشر .

^{. (}٢) الآيتان ٣٥ و٣٠ . سورة النور .

⁽٣) تقدم هذا الحديث في ص (٩٦) وفيه : أورث الله قلبه حلاوة .

الحلال لم تخطى، فراسته . وكان شجاع لاتخطى، له فراسة . والله سيحانه وتعالى يجزى العبد على عمله بما هو من جنسه ، فمن غض بصر م عن المحارم عوصه الله سبحانه وتعالى إطلاق نور بَصِيرته ، فلما حبس بصر م لله أطلق الله نور بَصِيرته ، ومن أطلق بصر م في المحارم حبس الله عنه بَصيرته .

الفائدة الرابعة أنه يفتح له طرق العلم وأبوابه ، ويسهل عليه أسبابه ، وذلك بسبب نور القلب ، فإنه إذا استنار ظهرت فيه حقائق المعلومات ، وانكشفت له بسرعة، ونفذ من بعضها إلى بعض ، ومن أرسل بصره تكدّر عليه قلبُه وأظلم ، وأنسد عليه باب العلم وطُرُمة .

الفائدة الخامسة أنه يورث قُوَّة القلب وثباته وشجاعته ، فيجمل له سلطان البصيرة مع سلطان الحجة . وفي الآثر : إن الذي يخالف هواه يَفْرَق (١) الشيطان من ظله ، وله ذا يوجد في التبيع لهواه من ذل القاب وضعفه ومهانة النفس وحقارتها ما جعله الله لمن آثر هواه على رضاه . قال الحسن : إنهم وإن تعملكت بهم البغال وطَقَطَقَت بهم البراذين (٢) إن ذل المعصية لنى قلوبهم . أبي الله إلا أن يذل من عصاه . وقال بعض الشيوخ : الناس يطلبون العز بأبواب الملوك ، ولا يجدونه إلا في طاعة الله . ومن أطاع الله فقد والاه فيا أطاعه فيه ، ومن عصاه فقد عاداه فيا عصاه فيه ، وفيه قسط ونصيب من فعل من عاداه بمعاصيه ، وفي دعاء القنوت : إنه لا يَذِل من واليت ، ولا يَعِز من عاديت .

الفائدة السادسة أنه يورث القلب سروراً وفرحةً ، وانشراحاً أعظم من اللذّة والسرور الحاصل النظر ، وذلك لقوره عدوّه بمخالفته ومخالفة نفسه وهواه ،

⁽۱) يفرق : يخشى و يخاف .

^{(ُ} ٧ ُ) الهملجة : حسن سير الدابة . والطقطقة : حكاية صوت حوافرالدواب. وللبراذين : الدواب مفردها برذون وبرذونة .

وأيضاً فإنه لما كُف لذته وحبس شهوته لله وفيها مسرّة نفسه الأمّارة بالسوء أعاضه الله سبحانه مسرّة ولذة أكل منها ، كما قال بعضهم: والله لَلذَّة العفة أعظم من لذَّة الذنب. ولا ريب أن النفس إذا خالفت هواها أعقبها ذلك فرحاً وسروراً ولذة أكل من لذَّة موافقة الهوى بما لا نسبة بينهما. وهاهنا يمتاز العقل من الهوى.

الفائدة السابعة أنه يُخلِّص القلبُ من أسر الشهوة ، فإن الأسمير هو أسمرُ شهوته وهواه ، فهو كما قيل :

* طليق برأى الدين وهو أسير *

ومتى أسرت الشهوة والهوى القلب تمكّن منه عدوُّه وسامه سوء العذّاب

كمصفورة في كف طفل يسومها حياض الردى والطفل بلهو ويلعب الفائدة الثامنة أنه يسد عنه باباً من أبواب جهنم ، فإن النظر باب الشهوة الحاملة على مُواقعة الفعل ، وتحريم الرب تعالى وشرعه حجاب مانع من الوصول ، فتى هَنَك الحجاب ضرى (۱) على المحظور ، ولم تقف نفسه منه عند عاية ، فإن النفس في هذا الباب لاتقتع بغاية تقف عندها ، وذلك أن لذتها في الشيء الجديد ، فصاحب الطارف لا يُقتيعه التليد (۲) ، وإن كان أحسن منه منظراً وأطيب تخبراً ، فغض البصر يَسُدُّ عنه هذا الباب الذي عَجَرَت الملوك عن استيفاء أغر اضهم فيه .

الفائدة التاسمة أنه يقوى عقلَه ويزيده ويثبته ، فإن إطلاق البصر وإرسالَه

⁽۱) ضرى به أو عليه : لزمه وأولع به ، اعتاد. وتجرأ عليه .

⁽٢) النليد. القديم وضده الطارف.

لاَ يَحْصُلُ إِلاَ مِن خِفّة العقل وطيشه وعدم ملاحظته للعواقب، فإن خاصّة العقل ملاحظةُ العواقب. ومُرْسِلُ النظر لو علم ماتجنى عواقبُ نظره عليه لما أطلق صره، قال الشاعر:

بوأعقلُ الناسِ من لم يرتكب سبباً حتى يفكّر ما تجنى عواقب الفائدة العاشرة أنه يُحلِّص القلب من سُكر الشهوة ور قدة الغفلة ، فإن إطلاق البصر يوجب استحكام الغفلة عن الله والدار الآخرة ، ويوقع في سكرة العشق ، كا قال الله تعالى عن عشاق الصور : (لَعَمْرُكُ إِلهُمُ النِي سَكْرَتِهِمُ العَمْدَ ، فالنظرة كأس من خر ، والعشقُ هو سكر ذلك الشراب ، يعمَّهُون) (١) . فالنظرة كأس من خر ، والعشقُ هو سكر ذلك الشراب ، وسكر ألعشق أعظمُ من سكر الخر ، فإن سكر ان الخر يُفيق ، وسكر ان العشق قدًا يفيق إلا وهو في عسكر الأموات ، كا قيل :

⁽١) الآية ٧٧. سورة الحجر.

⁽٢) السم الناقع : البالغ الأثر ، القاتل .

⁽٣) الدأء المضال: الشديد المعجز ، الذي لا طب له .

⁽٤) الوضاءة :الحسن والجمال والنظافة

الغلام الأمرد فاتهموه . وقد ذكر ابن عدى في كامله من حديث بقية عن الوازع عن أبي سَلَمَة عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحدَّ الرجل النظر إلى الغلام الأمرد ، وكان إبراهيم النَّخَمى وسفيانُ الثوريُّ وغيرُها من السلَفَ يَنْهُوْن عن مجالـة المردان . قال النَّخَمى : مجالستُهم فتنة وإنما هم بمنزلة النساء . وبالجلة فسكم من مُرسل لحظاته رجع بجيش صبره مغلولا ، ولم يُقلع حتى تَشَحَّط (١) يبنهم قتيلا .

يا ناظراً ما أقلمت كمَظاله حتى تشحّط بينهن قتيلا

⁽١) تشحط: نخبط واضطرب وتمرغ.

الباب السابع

فى ذكر مناظرة بين القلب والعين ولوم كل منهما صاحب والحسكم بينهما

لماكانت العين رائداً ، والقلب باعثًا وطالباً ، وهذه لها لذَّةُ الرؤية ، وهذا في للدة الظفر ، كانا في الهوى شريكي عنان . ولما وقعا في العناء ، واشتركا في اللهلاء ، أقبل كلُّ منهما يلوم صاحبَه ويعاتبُه .

فقال القلب للمين: أنت التي سُمْةِنِي إلى موارد الهَلَكَات، وأوقعةِني في الحسرَات بمُتَابِعتك اللَّحَظات، ونز هت طرفك في تلك الرياض، وطلبت الشفاء من اللَّدَ ق المراض، وخالفت قول أحكم الحاكمين: (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ)(١) وقول رسوله صلى الله عليه وسلم: (النَّظَرَ الله الْمَرْأَةِ سَهُمْ مَسْمُومٌ مِنْ سَيهاً مِ وَوَل رسوله صلى الله عليه وسلم: (النَّظَر الله إلى الْمَرْأَةِ سَهُمْ مَسْمُومٌ مِنْ سَيهاً مِ إِيلِيس، فَمَنْ تَرَكَهُ [من] خَوْف الله عَز ق وَجَل أثابَهُ الله إيماناً يجِد عَلاوته في قديم عارب بن دار ، عن صلة ، عن حذيفة .

وقال عمر بن شَبَّة: حدثنا أجمد بن عبد الله بن يونس، حدثنا عنبسة بن عبد الرحمن القرشي، حدثنا أبو الحسن المدنى، حدثنا على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: « نَظَرُ الرَّجُلِ في محاسنِ المَرَ أَةَ سَهُمْ مِنْ سِهَامِ إبليسَ مَسْمُومٌ ، فَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذَلْكِ السَّهُمْ الْمَرَ أَةَ سَهُمْ مِنْ سِهامِ إبليسَ مَسْمُومٌ ، فَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذَلْكِ السَّهُمْ الْمَرَ أَةَ سَهُمْ مِنْ مِهامِ إبليسَ مَسْمُومٌ ، فَمَن أَعْرَضَ عَنْ ذَلْكِ السَّهُم المسوم؟ أَعْقَبُهُ الله عَادَةٌ تَسُرُّه » (٢٠) . فمَن الملومُ سوى من رمى صاحبَه بالسهم المسموم؟ أَوْ ماعلتِ أَنْهُ لِيسَ شيء أَضَرَّ على الإنسان من العين واللسان ؟ فما عَطِبَ أَوْ ماعلتِ أَنْهُ لِيسَ شيء أَضَرَّ على الإنسان من العين واللسان ؟ فما عَطِب

⁽١) الآية ٣٠. سورة النور .

⁽٢) تقدم ع مذه الأحاديث في المنصحتين ٩٥ و.٩٦ .

أ كثر من عطب إلا بهما ، وما هَلَكَ أ كثر من هَلَكَ إلا بسببهما ، فلله كم من مو رد هَكَ كة أورداه، ومصدر ردّى عنه أصدراه، فمن أحب أن يميا سعيداً أو يعيش حميداً فليَه من عنان طرفه ولسانه ليسلم من الضرو ، فإنه كامن في فضول المكلام وفضول النظر . وقد صرّح الصادق للصدوق بأن العينين تزنيان وها أصل زنى الفرج ، فإنهما له رائدان ، وإليه داعيان ، وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفَحاة فأمر السائل أن يَصرف بصره ، فأرشده إلى ماينفعه ويدفع عنه ضرره ، وقال لابن عمه على رضى الله عنه عند راً فأرشده إلى ماينفعه ويدفع عنه ضرره ، وقال لابن عمه على رضى الله عنه عند راً في ما يوقع في الفتنة ويورث الحسرة : « لا تُنبع النظرة النظرة النظرة ، ومن كثرت له ما يوقع في العقلاء : من سرّح ناظره ، أتعب خاطره ، ومن كثرت كظانه ، دامت حَسَراته ، وضاعت عليه أوقاته ، وفاضت عبراته ، وقول النظم (٢) :

نظرُ العيون إلى العيون هو الذى جعل الهلك إلى الفواد سبيلا ما زالت الله خطات تغزو قلبه حتى تَشَحَّط ينهن قتيلا وقال آخر (٣):

تَمَتَّمْتُمَا يَا مَقَاتَى " بنظــــرة وأوردة ـــــا قلبي أمرَ الموارد أعيني " كُفًا عن فؤادى فإنه من الظلم سعى اثنين في قتل واحد

فصل

قالت العين . ظلمتني أُولاً وآخراً ، وبُؤْتَ بإيْمي باطناً وظاهراً ، وما أنا

⁽١) تقدمت هذه الأحاديث في الصفحات ٩٥ و٩٦٠

⁽٢) البيتان لابن مرداس كاجاء في سحر العيون .

⁽٣) البيتان للأرجاني كما جاء في تزيين الاشواق وفيهما:أعيناي .

إلارسولاً الداعي إليك ، ورائدُك الدالُّ عليك .

وإذا بعثت برأند نحو الذى تهاوى وتَعْتَبِهُ ظلمت الرائدًا

فأنت الملك المطاع، ونحن الجنود والأتباع. أركبتني في حاجتك خيلًا البربد، ثم أقبلت على بالتهديد والوعيد . فلو أمر تني أَن أَغاق على بابى ، وأرخى على حجابي ، لسمت وأطعت ، وكما رَعَيْت في الحمي (١) ورتعت ، أرسلتني لصيد قد نُصِيَت لك حبائلُه وأشراكه ، واستدارت حولك فيخَاخُه وشباكه . فغدوت أسيراً ، بعد أن كنت أميراً ، وأصبحت تماوكاً ، بعد أن كنت مليكا . هذا وقد حكم لى عليك سيد الأنام وأعدل الحكام عليه الصلاة والسلام ، حيث يقول: « إنَّ فِي الجُسَدِ مُضْفَةً إِذَا صَلَحَت صَامِحَ لَمَا سَائِرُ الجُسَدِ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ لَمَا سَائِرُ الْجَسَدِ ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ (٢) » ، وقال أبو هو برة رضى الله عنه : القلب ُ مَلِك والأعضاء جنودُه ، فإن طاب الملكُ طابت جنوده ، وإذا خَبِثُ اللَّكَ خَبْتُ جَنُودُه . ولو أنعمتَ النظرَ لعلمت أن فعاد رعيتك بفسادك ، وصلاحَها ورشدَها برشادك، ولكنك هلكت وأهلكت رعيَّتك، وحَمَلت عَلَى العمين الضعيفة خطيئَتك ، وأصل بليَّتِك أنه خلا منك حبُّ الله وحبُّ ذكره وكلامه وأسمأته وصفاته ، وأقبلتَ على غيره وأعرضت عنه ، وتعوَّضت بحب مَنْ سواه والرغبة فيه منه . هذا وقد سمت ماقص عليك من إنكاره سبحانه على بني إسرائيل استبدالهُم طعامًا بطعامٍ أدنى منه ، فذمَّهم على ذلك ونعاه عليهم ، وقال : « أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدْنَى بِا لَّذِي هُوَ خَـيْرٌ (٣)

⁽١) الحمى: الموضع فيه كلاً يحمى من الناس أن يرعىفيه. وحمىالله محارمه ورتعت الماشية: رعت كيف شاءت في خصب وسعة .

⁽۲) رواه البخاري ومسلم وغيرهما .

⁽٣) الآية ٣١ . سورة البقرة .

فَكِيفِ بَن استبدل بمحبة خالقه وفاطره ، ووليّة ومالك أمره ، الذى لاصلاح له ولا فلاح ، ولا نعيم ولا سرور ، ولا فرحة ولا نجاة ، إلا بأن يوحّد في الحب ، ويكون أحبّ إليه مما سواه ، فانظر بالله بمن استبدلت ؟ وبمحبة مَن تعوّضت ؟ وضيت لنفسك بالحبس في الحش⁽¹⁾ ، وقلوب محبيه تجول حول العرش . فلو أقبلت عليه وأعرضت عمن سواه لرأيت العجائب ، وَلا مُنت من المتالف والمعاطب ، أو ماعلمت أنه خصّ بالفوز والنعيم ، مَنْ أتاه بقلب سليم ، أى سليم ما سواه ، ليس فيه غيرُ حبه واتباع رضاه . قالت ، وبين ذنبي وذنبك عند الناس كما بين عماى وعماك في القياس . وقد قال من بيده أزمّة وأشمور : (فَإِنّهَا لا تَعْمَى آلاً بْصَارُ ولكين تَعْمَى آلفُكوبُ ٱلّذِي في الشياس .

فصل

فلما سمت الكبد تحاوُرَهما الكلام ، وتناوُكَهما الخصام ، قالت : أنها على هلاكى تَسَاعَدْتُما ، وعلى قتلى تعاونتها . ولقدأ نصف من حكى مناظر تسكما ، وعلى لسانى منظلماً منسكما :

⁽١) الحش مثلثة : البستان. وهو أيضاً المخرج. وكانوا يقضون حواتجهم في البساتين .

⁽٢) الآية ٢٦. سورة الحج.

⁽٣) أنكاما : أوقع بها ؛ ونسكى : غلب وقهر وانتمر .

و قال آخر (١):

يقول قلبي لطّر في أن بكي جزعًا تبكي وأنت الذي حَمَّلْتَنَى الوَجَعَا فَقَالُ طرفى له فيها يعاتبـــه بل أنت حَمَّلْتَنَى الآمال والطَّمَعَا حتى إذا ماخلا كل بصاحبـه كلاهما بطويل التُّقم قد قنيعًا نادتهما كبدى لاتبعدا فلقد قطعماني بمـــا لاقيمًا قطعًا وقال آخر:

عاتبتُ قلبی لما رأیت جسمی نحیلا فازم القلب طرف وقال کنت الرسولا فقال طرف لقلبی بل کنت أنت الدلیلا فقال کی تخیا ترکتانی قتیرلا

ثم قالت: أنا أتولى الحسكم بينكما. أنها في الباية شريكا عنان ، كما أنسكما في اللذّة والمسرة فرسارهان. فالعين تلتذ ، والقاب يتمنّى ويشتهى ، ولهذا قال فيكما القائل:

ولما سَاوْتُ الحبُّ بَشَر ناظرى لقلبي فقال القلبُ لى ولك الهنا تخلَّصت من إحياء ليلكِ ساهراً وخلَّصتنى من لوعة الهجر والضنا كلانا مُهنَّا بالبقاء فإن تعكن فلا أنت يبقيك النرامُ ولا أنا وإن لم تَذْرَكُمُم عناية مُقَلِّب القلوب والأبصار، وإلا فما لكِ من قُرَّة ولا لقلب من قرار، قال الشاعر:

فوالله ما أدرى أنفسى ألومُها على الحبّ أم عينى المشُومَةُ أم قلبى فإن لُتُ عينى اللهُ مَا الدنبُ للقلب فإن لُتُ عينى قالت الذنبُ للقلب

⁽١) فى سحر العيون أنه ابن جنــكيتا البغدادى .

فعينى وقلبى قد تقاسمها دى فيارب كن عونًا على العين والقلب قالت: ولما سقيت القلب ماء الحبة بكؤوسك ، أوقدت عليه نار الشوق فارتفع إليك البخار ، فتقاطر منتك فشر قت بشر به أولاً ، وشر قت بحر ناره ، ثانياً ، قال :

خذى يدى ثم اكشنى الثوب فانظرى ضى جسدى لكنى أتستر وليس الذى يجرى من العين ماؤها ولكم الروح والجسد إذا اختصابين يديه قالت: والحاكم ين الذى يحكم بين الروح والجسد إذا اختصابين يديه فإن فى الأثر المشهور: لا تزال الحصومة يوم القيامة بين الجلائق حتى تختصم الروح والجسد فيقول الجسسد للروح: أنت الذى حرّ كتنى وأمر تنى وصر فتنى، وإلا فأنا لم أكن أعر ك ولا أفعل بدونك . فتقول الروح له : وأنت الذى أكلت وشربت وباشرت وتنمت، فأنت الذى تستحق العقوبة ، فيرسل الله سبحانه اليهما ملكا يمكم ينهما فيقول: مَفَلَكًا مَثَلُ مُقعد بصير وأعنى يمشى، دَخلا بستانًا فقال المقد الأعنى: أنا أرى مافيه مِن الثمار ولكن لا أبصر ولكن لا أبصر المقد المقد القال القداد الأعنى المناقل القيام ولكن لا أبصر المقد بن المارة ولكن لا أبصر المقد بن قال له المقد المقد القيام ولكن لا أبصر المقد بن قال له المقد المقد الذي في فأنت تمشى وأنا أتناول ، فعلى من تكون العقوب في فيقول : عليهما ، قال فكذاك أنتما الله وبالله التوفيق .

(١) راجع لحا"مة كتاب شرح الصدور السيوطى،

اليات النامن فى ذكر الشبر التى المنج بها من أباح النظر إلى مه لا بحل والاستمناع بروأباح عشقه

قالت هذه الطائنة: بيننا وبينكم الكتاب، والسنة، وأقوال أثمة الإسلام والمعتول الصحيح.

أما الكتاب فقولُه تعالى : (أَوَ لَمْ يَنْظُرُ وَا فِي مَلَكُوتِ السَّمُوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءً) (١) وهذا يَعُمَّ جَمِعَ ماخلق الله فما الَّذِي والأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءً) (١) وهذا يَعُمَّ جَمِع ماخلق الله فما الَّذِي أُخرِج من عمومه الوجه المليح ؟ وهو من أحسن ماخلق . وموضع الاستدلاله به والاعتبار أقوى ، ولذلك يُسَبَّح الخالق سبحانه عند رؤيسه ، كما قال بعض الناظرين إلى جميل الصورة :

ذى طلعة سبحات فالتي صبحه ومماطف (٢) جلّت يمينُ الغارس مرّت بأرجاء الخيــــال طيوفهُ فبكت عَلَى رَسم السُّلُة الدارس (٣)

ورؤية الجمال البديع تُنْطِق أَلْسِنَة الناظرين بقولهم : سبحات الله ربّ العالمين ، وتبارك الله أحسن الخالقين ، والله تعالى لم يخلق هذه المحاسن عَبثًا ، وإنما أُظهرها ليستدل الناظر اليها عَلَى قدرته ووَحْدانيته وبديم صُنْعِه ، فلا تُعطَّل عا خُلقت له .

وأما السُّنَّة فالحديثُ المشهور: « النَّظَرُ ۖ إلى ٱلْوَجْدِ المَلِيحِ عِبَادَةٌ (١٠) .

⁽١) الآية ١٨٤. سورة الأعراف.

⁽٢) المواضع التي تتثني من الجسد .

⁽٣) درس درساً . عفا وذهب أثره وبلي وتقادم عهده .

[﴿] ٤) سيأتي الكلام على هذا الحديث وما بعده في الباب التاسع.

وفى الحديث الآخر: « أطْلُبُوا النَّذِيرَ مِنْ حِسَانِ ٱلْوُجُوهِ » . وفى هـذا إرشادٌ إلى تصفَّح الوجوه وتأمَّلها . وخطب رجلُ آمرأَةً فاستشار النبى صلى الله عليه وسلم فى نكاحها ، فقال : هَلْ نَظَر ْتَ إِلَيْهَا ؟ فقال : لا ، قال : اذهب فانظر اليها . ولو كان النظر مراماً لما أطلق له أن ينظر فإنه لا يأمن الفتنة .

وأما أقوالِ الأُمَّة فحكى السمعاني · إن الشافعي رضي الله عنــه كتب إليــه رجلُ َ في رقعة :

سل المفتى المسكى همل فى تزاوُر ونظرة مشتاق الفؤاد جُناح (١) فأجابه الشافعي :

معاذَ إلهِ الْعَرَّشُ أَن يُذْهِبِ التق تلاصُقُ أَكبادٍ بهِنَّ جراح وذكر الخرائطي هذا السؤال والجواب عن عطاء بن أبي رَبَاح ، وأوَّلُهُ : سألت عطاء المكيَّ . وذكر الحاكم في مناقب الثافعي رضي الله عنه من شعره :

يقولون لا تنظر وتلك بليَّةٌ ألا كلُّ ذى عينين لابدً ناظر وليس آكتحالُ المين بالمين ريبةً إذا عفَّ فيا بين الضائر وذكر الاسترباذى في كتاب مناقب الشافعي أن رجلاً كتب إلى سعيد ابن المسيَّب:

يا سيدً التابعين والبَرَرَهُ نسيتُ في العشق سورة البقرهُ فكن بفتواك مشفقاً رَفِقاً بأهي بك اللهُ أكرمَ البَرَرَهُ هل حبراً م اللهُ لَهُمَ خد فتى أوصافه بالجنال مشتمرِهُ

⁽١) الجناح بالضم : الإثم والجرم والميل إلى الإثم .

فأجابه سعيد :

ياسائلي عن خلي لوعت ما عليك بالصب بر تَحْمَدَنَ أَثَرَهُ ولا تكن طالب الفاحشة أو كالذي ساق سيله مطرة وراقب الله واخش سَطُوته وخالف الفاسقين والفَجَ رَهُ ووقبل الخصد من حبيك ذا في كل يوم وليسلة عَشَرَهُ وقال أبو المباس المبرّد في الكامل: قال أعرابي أنشدنيه أبو العالية: سألت الفتي المكيّ ذا العلم ما الذي يحل من التقبيل في رمضان فقال لي المكيّ أما لزوج في في فسيع وأما خُ لَيْ الله الخطيب في كتاب رواه مالك عن بعضهم:

أقول لُفْتِ بين مكلَّةَ والصفا لك الخيرُ هل في وصلهنَّ حرام وهل في تُعمُوتِ المُنْجِل مهضومة الحشا

عِذَابِ الثنالِيَّ إِنْ لَشَتُ أَثَامِ (٢). وَخَابِ الثنامِ اللَّهِ وَسَالَت دَمُوعُهُ عَلَى الخَدِّ مِن عِينِهِ فَهِى تُوَامُ اللَّهِ وَسَالَت دَمُوعُهُ عَلَى الخَدِّ مِن عِينِهِ فَهِى تُوَامُ اللَّهِ عَلَى الخَدِّ مِونَ نَيامِ اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللْهُ عَلَى اللْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللْمُعَلِّمُ عَلَى اللْمُعَلِّمُ عَلَى اللْمُعَلِّمُ عَلَى اللْمُعَلِّمُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللْمُعَلِّمُ عَلَى اللْمُعُلِمُ عَلَى اللْمُعَلِيْكُوالِمُ اللَّهُ عَلَى الْمُعْمِقُولُ عَلَى اللْمُعَلِمُ عَلَى الل

وقال الحاكم فى كتاب مناقب الشافعى: حدثنا أبو العلاء بن كُوشيار الحارى ، أنبأنا على بن سايان الأخفش ، عن محمد بن الجهم قال: سمعت الربيع يقول. حضرت الشافعى بمكة وقد دفع إليه رجل رقعة فيها:

⁽١) الحلة : الصدانة والمحبة الني تخللت القلب والصديق يستوى فيــه المذكر والمؤنث ، وخلة الإنسان أهل مودته وخلة الرجل : الزوجة .

 ⁽٢) الحجل: النيد وهو الخلخال أيضاً. وجارية صوت: لا يسمع لخلخالها
 صوت لامتلاء ساقيها، ومهضومة الحشا: ضامرة البطن.

أقول لمفتى خَيْفِ مَكَةً والصفا لك الخيرُ هل في وصلهن حرام وهل في تحمُوت الخَجْل مهضومة الحشا

قال فوقَّع الشافعي فيها :

فقال لى المفتى وفاضت دموعه عَلَى الخَدِّ من عين وهن تُوَام ألا ليتنى قبَّلت تلك عشيةً يبطن مِنِّى والمُخرِ مُون قيام وقال عمر و بن سفيان ابن ابنة جامع بن مُر ْخِيَة (١):

إنا سألنا مالكاً وقرينَـــه ليث بن سعد عن ليثام الوامق (٢) أيجوز قالا والذى خلق الورى ماحراً م الرَّحْنُ تُعبلة عاشق ذكر ذلك صاحب كتاب رستاق الاتفاق وهو شاعر المصريين، وأنشد فيه العمرو بن سفيان هذا وكتب بها إلى ابن عُيَيْنَة :

قلنا لسفيان الهلالى مر ق حر مت ضم العاشق المشتاق لمبيه من بعد كأي ناله فأجاب لا والواحد الخلاق وأنشد فيه كجده جامع ، وكتب بها إلى على بن زيد بن جدعان : سألنا ابن جُدُعان بن عرو أخا العلا أيَعْرُ م لم الحِجْبِ في ليلة القسدر فقال لنا المسكى وناهيك علمه ألا لا ومن قد جاء بالشّفع والو تر وأنشد لإبراهيم بن المدبر وكتب بها إلى أبي بكر بن عياش أحد وأثمة القراء:

⁽۱) فى تاج العروس: ومرخية كمحسنة لقب جامع بن مالك بن شداد قال: وفى النسكملة لقب جامع بن شداد بن ربيمة بن عبد الله بن أبى بكر بن قلاب. (۲) الوامق: المحب.

سَأَلَت ابن عَيَّاشِ وَكَانَ معلَّمًا لك الخير مل في ضمَّة الِلْبَ من وِدْر فقال أبو بكر ولا في لشامه ألم يأتنا النذيل بالو ضع للإضر

وأنشد لآخر : وكتب بها إلى الإمام أحمد بن حنبل قال : وزغم بعضهم أنه إستعاق بن مُتناذ بن زهير شاعر أهل مصر في وقته :

سَأَلتُ إمام الناس تَعْمِلَ ابنِ حَنْبَل عن الضمِّ والتقبيل هل فيه من بأس فقال إذا جنل العَـزاء قواجب لأنك قد أحيت عبـدا من الناس

وأنشد لابن مُرْخِيّة ، وكتب بها إلى أبي حنيفة :

كتبتُ إلى النعان يوماً رسالةً نسائله عن لَثْم حبِّ ممنَّع فقال لنا لا إثم فيه وإنه شعى إذا كانت لعشر وأربع وكتب رجل إلى أبي جعنر الطحاوى:

أباجه فير ماذا تقول فإنه فلا تُنْكِرَنْ قُولَى وَأَبشر برحمة الإله عن الأمر الذي عنه نسأل أَ بِالْخُبِّ عَارْ أَمِمَنِ الحِبِ مَهْرَبُ وهلمن أَحَالًا أَهل الصبابة كَجْهل وهل بمباحر فيــــة قتل متيَّم يهاجره أحبابه وهــو يوصل فرأيكَ في ردِّ الجواب فإنني بما فيه تقضى أيها الشيخُ أفل فأجابه الطَّيْحاوي:

سأقضى قضاء في الذي عنه تسأل وأحكم بين العاشقين فأعدل فديتك ما بالحب عار عَلِمْتُهُ وللمُعارِ تركُ الحب إن كنت تعقل

إذا نابنا خَطْبٌ عليك المُعَوَّل

ومهما لحا في الحبِّ لاحر فإنه لعمرك عندى من ذوى الجهل أجهل

⁽١) لحا: لام.

وليس مباحًا عندنا قتل مسلم بلاترة (١) بل قاتل النفس يُتَمَلَ والكنه إن مات في الحب لم يكن له قَو د فيه ولا عنه يُعقَل (٢) وصالك من تهوى وإن صد واجب عليك كذا حكم المتيم ينعل فهذا جواب فيه عندى قناعة لما جئت عنه أيها الصب تسأل

ويكنى أن الممتزلة من أشد الناس تعظيماً للذنوب ، وهم يخلدون أصحاب الكبائر ولا يرَوْنَ تحريم ذلك ، كما ذكره الحافظ أبو القاسم ابن عساكر فى تاريخة المشهور لبعض المعتزلة :

سَأَلُنَا أَبَا عَبَاثَ عَمْراً وواصلاً عن الضمِّ والتقبيل للخَـدُّ والجيد فقالا جيمًا والذي هـو عادلُ يجوز بلا إثم فدع قولَ تفنيد^(٣)

وقال إسحاق بن شبيب:

سألنا شيوخ الواسطيين كلهم عنالرَّشْفِ والتقبيل هل فيهما إثمُ م فقالوا جيعاً ليس إثماً لزوجة ولا خُلَّةٍ والضمُّ من هذه غُمُ وأنشد أبو الحسن على بن إبراهيم بن محسد بن سعد الخير في كتابه شرح المكامل:

> فلما أَن أُبيح لنا التلاق تمانَمُنا كَا اعْتَنَق الصديقُ وهل حَرَجًا تراه أَو حرامًا مَشُوقٌ ضَمَّهُ صِبُّ مَشُوقٌ

وقال الخطيب في تاريخ بغداد: حدَّثنا أبو الحسن على بن أيوب بن الحسن إملاء ، حدَّثنا أبو عبد الله المَرْزُباني وابن حَيُّويَه وابن شاذان قالوا: حدَّثنا

^(1) النَّرة : الذحل ، أي النَّار عامة أو الظلم نميه .

رُ ٧) النود: القصاص . والعقل : الدية .عقل الفتيل: أعطى ديته . وقد عقل عنه ، أى غرم عنه إذا لومته دية فأداها عنه .

⁽٣) تفند فلان : تندم لرأى أخطأ فيه .

أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة نفطو يه بيتر طبة قال: دخلت على محمد بن داود الأصبهاني في مرضه الذي مات فيه فقلت له: كيف تجدك ؟ قال: حب من تعلم أورثني ماترى ، فقلت له: مامنعك عن الاستمتاع به مع القدرة عليه ؟ قال: الاستمتاع على وجهين : أحد ما النظر اللباح ، والثاني اللذة المحظورة ، قال النظر المباح فأورثني ماترى ، وذكر القصة (١) . وستأتى في باب عفاف فأما النظر المباح فأورثني ماترى ، وذكر القصة ولا عشقة حراماً . وجرى على العشاق . والمقصود أنه لم يَرَ النظر إلى معشوقه ولا عشقة حراماً . وجرى على هذا الذهب أبو محمد بن حَزْم في كتاب « طوق الحمامة » له . قالوا: ونحن نحاكم إلى واحد يُعدّ بآلاف مؤلفة وهوشيخ الإسلام ابن تيمية فإنه سئل:

ماتقول السادة الفقهاء رضى الله عنهم فى رجل عاشق فى صورة وهى مُصِرّة على هجره منذ زمن طويل لاتزيده إلا بعداً ، ولا يزداد لها إلا حبّاً ، وعشقه لهذه الصورة من غير فسق ولا خنى ، ولا هو ممن يُدَنِّسُ عشقه بزنى ، وقد أنضى به الحال إلى الهلاك لامحالة ، إن بقى مع محبوبه على هذه الحالة ، فهل يخل لمن هذه حاله أن يُهجر ؟ وهل يجب وصاله على الحبوب المذكور ؟ وهل يأثم ببقائه على هجره ؟ وما يجب من تفاصيل أمرها ؟ ومالكل واحد منهما على الآخر من الحقوق مما يوافق الشرع الشريف ؟

فأجاب بخطه بجواب طويل قال في أثنائه: فالعاشقُ له ثلاثُ مقامات: ابتدالا، وتوسَّط ، ونهاية . أما ابتداؤه فواجب عليه فيه كتمانُ ذلك وعدمُ إفشائه للخلق، مراعياً في ذلك شرائط الفتو ة من العقة مع القدرة ، فإن زاد به الحال إلى المقام الأوسط فلا بأس بإعلام محبوبه بمحبته إياه ، فيخف بإعلامه وشكواه إليه ما يجد منه ، ويحذر من اطلاع الناس على ذلك ، فإن زاد به الأمر حتى خرج عن الحدود والضوابط التحق بالحجانين والموسوسين . فانقسم العشاق

⁽١) القصة في صفحة ١٣٢

قسمين: قسم قَنِعُوا بالنظرة بعد النظرة ، فمنهم من يموت وهو كذلك ولا يُظهر سر ملائحد ، حتى محبوبه لابدرى به ، وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم: « مَن عَشِقَ فَمَفَ قَسَكَنَمَ فَمَاتَ فَهُو شَهِيدٌ » (1) ، والقسم الثانى أباحوا لمن وصل إلى حد يخاف على نفسه منه القبلة في الحين ، قالوا: لأن تركها قد يؤدِّى إلى هلاك النفس ، والقبلة صغيرة وهلاك النفس كبيرة . وإذا وقع الإنسان في مر ضَين داوى الأخطر ولا خطر أعظم من قتل النفس، حتى أوجبوا على الحبوب مطاوعته على ذلك إذا علم أن تركذلك يؤدِّى إلى هلاكه ، واحتجُّوا بقول الله مطاوعته على ذلك إذا علم أن تركذلك يؤدِّى إلى هلاكه ، واحتجُّوا بقول الله وبقوله تعالى : (إن تَخْتَنُبُوا كَبَائر مَا تُنْهُوْنَ عَنْهُ نُكفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّنَاتِكُمْ) (٢) وبقوله تعالى : (الذين يَجْتَنْبُونَ كَبَائر اللهِ يَهْ اللهِ عَلَى اللهُ الله عَلى الله الله الله على الله الله عنى قال : إن الله قد غفر لك (١) شيء الله الله تعالى : (وأقيم الصَّلاة طرَ في النَهَار وَزُلَقا مِن اللّيلِ إِنَّ الحُسنَاتِ فَانُول الله تعالى : (وأقيم الصَّلاة طرَ في النَهَار وَزُلَقا مِن اللّيلِ إِنَّ الحُسنَاتِ عَشْقَهُ بزي ي ، ولا يَصْعِبه بخني فَيُنظَرُ في حاله ، فإن كان من الطبقة الأولى عشقة بزي ، ولا يَصْعِبه بخني فَيُنظَرُ في حاله ، فإن كان من الطبقة الأولى عشقة بزي ، ولا يَصْعِبه بحني فَيُنظَرُ في حاله ، فإن كان من الطبقة الأولى

⁽١) أنكر المؤلف هذا الحديث وذكر رأيه في تخريجه في أواخر الباب الرابع عشر

⁽٢) الآية ٣٠. سورة النساء.

⁽٣) الآية ٣٢. سورة النجم.

⁽ع) أخرجه الترمذى بنحوه وفى إسناده قيس بن الربيع وضعفه وكيع وابن المدنى وقال ابن معين : ضعيف الحديث لايشاوى شيئاً . وكما رواه الترمذى ايضاً من طريق آخر وقال : هذا الحديث ليس يمتصل لان عبد الرحمن بن أبى ليل لم يسمع من معاذ وكذا قال ابن المدينى وابن خريمة : لم يسمع من معاذ بن جبل رضى الله عنه . راجع تفسير الحازن وتهذيب التهذيب .

⁽ه) الآية: ١١٥ . سورة هود .

فالنظر كافي لهم إن صدقت دعواهم ، وإن كان من الطبقة الثانية فلا بأس بشكواه إلى محبوبه كى يَرِقَ عليه ويرحمه ، وإن غلب عليه الحال فالتحق بالثالثة أييح له ماذ كرنا بشرط أن لا يكون أ نمُوذَجًا لفعل القبيح الحرَّم ، فيلتحق بالكبائر ويستحقّ القتل عند ذلك ويزول عنه العذر ويحقّ عليه كلة العذاب . انتهى ماذكرناه من جوابه .

قالوا: وقد جو زت طائفة من فقهاء السلف والخلف والعلماء استمناء الإنسان بيده إذا خاف الزنى (١) ، وقد جو زت طائفة من الفقهاء لمن خاف على نفسه فى الصوم الواجب من شدَّة الشَّبَق أن تتشقق أنثياه أن يجامع امرأته ، و بَنُوا على ذلك فرعاً: وهو إذا كان له امرأتان حائض وصائمة فهل يطأهده أو هسذه على وجهين . ولا ريب أن النظر والقبلة والضم إذا تضمَّن شفاءه من دائه كان أسهل من الاستمناء باليد والوطء فى نهار رمضان .

وقد جوتز بعض الفقهاء المرأة إذا خافت الزنى أن تتخذ لهــا شيئاً تدخله في فرجها وتخرجه لثلا تقع في محظور الزني .

ولا ريب أن الشريعة جاءت بالتزام الدخول فى أدنى المفسدتين دفعاً لأعلاما ، وتفويت أدنى المصلحتين تحصيلاً لأعلاما ، فأين مفسدة النظر والقبلة والضم من مفسدة المرض والجنون أو الهلاك جملة ؟ فهذا مااحتجّت بههذه الفرقة ونحن نذكر مالها وما عليها فى ذلك بحول الله وقو ته وعونه .

⁽١) لئن أجاز العلماء ذلك لمن خشى من الزنا فإنهم لم يطلقوا جوازه إطلاقاً يبيح استعمالها لمن أراد وكلما أراد ولم يبيحوها إلا بالقدر الذي يمنع من ارتكاب جريمة الزنا وبعد استنفاد الوسائل الني تساعد على إطفاء نار النهوة مثل الصوم واجتناب كل مايثيرها من نظر وقراءة .

الباب الناسع

فى الجواب عما المنجت به هذه الطائة: ومالها وما عليها فى هذا الالمنجاج

وشُبَهُمُمُ التي ذكروها دائرة بين ثلاثة أقسام: أحدها: نقُول محيحة للاحجة لهم فيها، والثاني: نقُول كاذبة عن نسبت إليه من وضع النُسَّاق والنُجّار كما سنبينه، الثالث: نقُول مُجْمَلَة محتملة لخلاف ماذهبوا إليه.

فأما احتجاجهم بقوله تعالى : (أَوَلَمْ يَنظُرُ وا في مَلَكُوتِ آلسَّمُو آتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللهُ مِنْ شَيْء)(1) فهو نظير احتجاجهم بعينه عَلَى إباحة السياع الشيطانى الفسق بقوله تعالى : (فَبَشِّرْ عِبَادِ . ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلِ فَيَكَبِّمُونَ أَحْسَنَهُ)(٢) ، قالوا : والقولُ عامٌ فَحَمَّلُوا لفظه ومعناه ماهو برى لا منه . وإنما القول هاهنا ما أمرهم الله باستاعه ، وهو وَحْيُهُ الذى أنزله عَلَى رسوله وهو الذى قال فيه : (أَفَهُمْ يَدَّبَرُوا ٱلْقُولُ) (٣) وقال تعالى : (وَلَقَدْ وَصَّانَا مَمُ مُنْ رَبِّكُمْ) والنظر الذى أَمَر السبحانه به المؤدّى أَحْسَنَ مَا أَثْرِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ) والنظر الذى أَمَر الذى أَمَر الله المؤدّى الله معرفته والإيمان به ومحبّته والاستدلال على صدق رُسله فيا أخبروا به عنه من أَمْاله وعقابه وثوابه ، لا النظرُ الذي يوجب تعلَّق الناظر من أَسْمائه وصفاته وأفعاله وعقابه وثوابه ، لا النظرُ الذي يوجب تعلَّق الناظر من أَسْمائه وصفاته وأفعاله وعقابه وثوابه ، لا النظرُ الذي يوجب تعلَّق الناظر من أَسْمائه وصفاته وأفعاله وعقابه وثوابه ، لا النظرُ الذي يوجب تعلَّق الناظر الذي يوجب تعلَّق الناظر من أَسْمائه وصفاته وأفعاله وعقابه وثوابه ، لا النظرُ الذي يوجب تعلَّق الناظر الذي أَمَانِهُ وسفاته وأفعاله وعقابه وثوابه ، لا النظرُ الذي يوجب تعلَّق الناظر الذي يوجب تعلَّق الناظر الذي أَمْدَاله وعقابه وثوابه ، لا النظر الذي يوجب تعلَّق الناظر الذي أَمْدِي النظر الذي يوجب تعلَّق الناظر الذي أَمْدُولُ النظر النظر الذي يُوبِ النظر النظر النظر النظر الذي النظر الذي النظر النظر

⁽١) الآية ١٨٤ . سورة الأعراف .

⁽٢) الآيتان ١٧ و١٨. سورة الزمر.

⁽٣) الآية ٦٩ . سورة المؤمنون .

⁽٤) الآية ٥١ . سورة النصص

⁽ه) الآية هه . سورة الزمر .

بالصورة التي يُحْرُمُ عليه الاستمتاع بها نظراً ومباشرة ، فيذا النظر الذي أس الله سبحانه وتعالى صاحبه بغض بصره ، هذا مع أن القوم لم يُبْتَاوْا بالمرْدان ، وهم كلموا أشرف نفوساً ، وأطهر قلوباً من ذلك ، فإذا أمرهم بغض أبصارهم عن الصورة التي تباح لهم في بعض الأحوال خشية الافتتان ، فكيف النظر عن الصورة التي تباح لهم في بعض الأحوال خشية الافتتان ، فكيف النظر بيثاب عليه الناظر ، وهو نظر موافق لأمره ، يقصد به معرفة ربه ومحبّته ، يثاب عليه الناظر ، وهو نظر موافق لأمره ، يقصد به معرفة ربه ومحبّته ، لا النظر الشيطاني . ويشبه هذا الاستدلال استدلال بعض الزنادقة المنتسبين إلى الفقه على حل الفاحشة بمعلوك الرجل بقوله تعالى : (إلا عَلَى أَزْوَاجِهِم أَوْ مَامَلَكَت أَيْمَا مُهم فإ مَهم عَيْرُ مُلُومِين) (١) ، ومُعتقد ذلك كافر حلال ألام بعد قيام المجة عليه ، وإنما نسترت هذه الطائفة لمواها وشهَواتها ، وأوهمت أنها تنظر عبرة واستدلالاً ، حتى آل بيعضهم الأمر إلى أن ظنّوا أن نظرهم عبادة ، لأنهم ينظرون إلى مظاهر الجال الإلهى ، ويزعمون أن الله سبحانه وتعالى عن قول إخوان النصارى يظهر في تلك الصورة الجيلة ، ويجاون هذا طريقاً إلى الله ، كا وقع فيه طو الف كثيرة ممن يذّعي المعرفة والساوك .

قال شیخنا رحمه الله تعالی: (۲) و کفر مهؤ لاء شر من کنر قوم لوط، وشر من کفر قوم لوط، وشر من کفر عبّاد الأصنام، فإن أولئك لم يقولوا: إن الله سبحانه يتجلّی ف الله الصورة، وعُبّاد الأصنام غایه ما قالوه: (مَانَعْبُدُهُمْ إِلَّا لَیْقَرّ بُونَا إلی الله زُلْقی)(۲) ، وهؤلاء قالوا: نعبدهم لأن الله ظهر فی صُوره، وحکی کی شیخنا: أن

⁽١) الآية ٦ سورة المؤمنرن. والآية ٣٠. سورة المعارج .

⁽٢) هو شيخه أبو المباس أحمد بن تيمية .

⁽٣) الآية ٣ سورة الزمر.

رجلاً من هؤلاء مراً به شابُّ جيلُ فيمل يتبعه بصراء ، فأنكر عليه جليسُ له وقال: لا يَصَلُّح هذا الثلك ، فقال: إنى أرى فيه صفاتِ معبودى وهو مَظْهُرْ من مظاهر جماله ، فقال : لقد فعلت به وصنعت ، فقال : و إن . قال شيخنا : قُلَعَنَ الله أُمَّـةً معبودُها مَوْ طُووْها . قال : وسـئل أفضلُ متأخريهم العفيفُ التِّلْمُسَانِي فقيل له : إذا كان الوجود واحداً فما الفرق بين الأُخت واالمِنت والأجنبية حتى تحلُّ هذه ؟ فقال : الجميعُ عندنا سواء ولكن هؤلاء المحجوبون قالوا: حرامٌ ، فقلنا : حرامٌ عليكم (١) . ومن هؤلاء الزنادقة من يخصّ ذلك ببعض الصُّور ، فهؤلاء من جنس النصارى بل هم إخوانهم ، فالنفار عند هؤلاء إلى الصُّورَ الحرَّمة عبادة ، ويشبه أن يكون هذا الحديث من وضع بعضهؤلاء الزنادقة ، أو مُجَّان الْفُسَّاق ، و إلا فرسول الله صلى الله عليـــه وسلم برىء منه . وسئل شيخنا عمن يقول : النظر إلى الوجه الحسن عبادة ، ويروى ذلك عن النبي صلى الله عليــه وسلّم، فهل ذلك صحيح أم لا؟ فأجاب بأن قال: هذا كذبُ باطل، ومن روى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم أَو مايشبهه فقد كذب عليه صلى الله علية وسلم، فإن هذا لم يَرْوِهأُحدُ من أهل الحديث لا بإسناد محيح ولا ضعيف بل هو من الموضوعات ، وهو مخالفٌ الإجماع المسلمين. فإنه لم يقل أُحدُ إِن النظر إِلَى المرأَّة الأجنبية والصبيِّ الأمرد عبادة . ومن زعم ذلك ، فإنه يُستتاب فإن تاب و إلا تُتل ، فإن النظر منه ماهو حرامٌ ، ومنه ماهو مكروه م، ومنه ماهو مباحٌ والله أعلم. وأما الحديث الآخر، وهو: ﴿ أَطْأَلْبُوا الْخَيْرَ مِن

⁽١) مانظن إلا أن هذه الكلمة مكذوبة على العفيف فليس من المعقول أن يقولها مع ماقيل من أنه كان من الاولياء الصالحين .

حسانِ الوجوه (1) » فهذا وإن كان قد رُوى بإسناد إلا أنه باطل لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولو صح لم يكن فيه حجة لهذه الطائفة ، فإنه إنما أمر بطلب الخير منهم لا بطلب وصالهم و نيل المحرّم منهم ، فإن الوجه الجيل مظنة الفعل الجيل ، فإن الأخلاق في الغالب مناسبة للخلقة بينهما نسب قريب، وأما أمر النبي صلى الله عليه وسلم للخاطب بأن ينظر إلى المخطوبة فذلك نظر للحاجة ، وهو مأمور به أمر استحباب عند الجهور ، وأمر إيجاب عند بعض أهل الظاهر ، وهو من النظر المأذون فيه لمصلحة راجحة ، وهو دخول الزوج على بصيرة وأبعد من ندمه و نَفر ته عن المرأة ، فالنظر المباح أنواع هذا أحدكها مخلاف النظر إلى الصورة الحرّمة .

فصل

وأما ما ذكره السمعانى عن الشافعيِّ — رحمه الله تعالى — فن تحريف الناقل. والسائلُ لم يذكر لفظ الشافعي ، والبيتان هكذا ها :

سأَلت الفتى المكنَّ فى تزاوُر ونظرة مشتان الفؤاد جُناح فقال معاذ الله أن يُذهبَ التق تلاصُقُ أَكبادٍ بهنَّ جِراح فهذ االسائل هو الذى ذكر السؤال والجواب، وهو مجهول لا يُعرَّف هل هو ثقة أم لا ؟ ثم إن الجواب لا يَدُلُّ على نقصود هذه الفرقة بوجه ما ، بل هو جعة عليها فإنه نهى أن يُذهب التق تلاصُق هذه الأكباد ، فكأنه قال :

⁽١) فى أدب الدنيا والدين للماوردى: سئل ابن عائشة عن قول الذي صلى الله عليه وسلم: «اطلبوا الحوائج من حسان الوجوه» فقال: ممناء من أحسن الوجوه التي تحل. وقال شارحه . أى الطلقة المستبشرة وجوههم، وقيل: من له بشر عند الطلب وإن لم يكن جميل الوجه .

لاتتلاصق هذه الأكباد ائلا يُذهب تلاصقها التقى ، فالتلاصق المذكورفاعل ، والتقى مفعول ، فكأنه قال : لايفعل لئلا يُذهب التلاصُق النتى . وجواب آخر وهو أن هذا التلاصُق إنما يكون غير مذهب للتقى إذا كان فى عشق مباح بل مستخب كعشق الزوجة والأمكة (١) .

وأما ما ذكروا عن سعيد بن للسيّب — رحمه الله تعالى — فقد أجابعنه سعيد نفسه ، فإنه لما مر" به مُرْخِيَةُ هـذا السائل سويد نفسه ، فإنه لما مر" به مُرْخِيَةُ هـذا السائل سويد : هـذا من أكذب العرب ، قيـل : كيف يا أبا مجمد ؟ قال : أليس الذي يقول :

سألت سعيد بن المُسيَّب مفتى الـــمدينة هل فى حبّ دَهماء (٢) من وزر فقال سعيد بن المسيَّب إنما تُلام على ما تستطيع من الأمر كذب والله ماسألنى عن شيء من هذا قط ولا أفتيته . وإذا كان هذا جواب سعيد في مثل هذا فما جوابه لمن سأله أن يقبّل حبيباً أجنيباً كل يوم وليله عشرة ؟ فقبّح الله الفسقة الكذّابين عَلى العلماء لاسما عَلى مثل سعيد ، فهؤ لاء كليم فسمّة كاذبون أرادوا تنفيق فسقيم بالكذب عَلى علماء وقهم ، كا نفق الفاسق أبو نواس كذبه على إسحاق بن يوسف الأزرق . قال عبد الله

⁽۱) وردت هذه النصة فى طبقات السبكى: عن الربيع بن سلمان وفيها قال الربيع : فأنكرت على الشافعى أن يفتى لحدث بمثل هذا فقلت : يا أبا عبد الله تفتى بمثل هذا لمثل هذا الشاب ؛ فقال لى : يا أبا محمد ، هدذا رجل هاشمى قد عرس فى هذا الشهر ، يعنى شهر رمضان ، وهو حديث السن ، فسأل هل عليه جناح أس يقبل أو يضم من غير وطى م فأفتيته بهذا ؟ قال الربيع : فتبعت الشاب فسألته عن حاله فذ كر لى أنه مثل ماقال الشافعى ، قال : فما رأيت فراسة أحسن منها .

 ⁽٢) الدهماء: السوداء: والشفة الدهماء: الخالصة الحرة وعامة النساس وسوادهم.

ابن محمد بن عائشة: أتيت إسحاق بن يوسف الأزرق يوماً ، فاماراً ني بكي ، قلت: ما يبكيك ؟ قال: ياجارية ، اثتيني بالقرطاس فإذا فيه مكتوب:

ياساحرَ المقاتين والجيدِ وقاتلي منه بالمواعيب و توعدني الوصلَ ثم ُتمْلِفُنِي ويلاه من مخلفٍ لموعودي حدَّثني الأزرق المحدِّثعن شمرٍ وعوفٍ عن ابن مسعود لايخُلفُ الوعدَ غير كافرةٍ أو كافرٍ في الجحيم مَصْفُود

كذب والله على وعَلَى التابعين وعَلَى الصحابة · ولو صح عن سعيد لم يكن السم فيه حجة فإن سعيداً أمره بالصبر أوَّلاً ، ومراقبة الله وخوف سطوته و مخالفة الفسَقة ، ثم أمره بتقبيل خد من يحبه كلَّ يوم عشر مرات ، وهدذا قطعاً إنما أراد به من يحل له تقبيله من زوجة أو سُرِّية ، فأمره أن يعتاض بقبلها من لا يحل له ، ولا يَظُن بعلماء الإسلام غير هذا إلا مُفرط في الجهل أو مُنهَمَ على الدين .

وأما ذكره المبرَّد عن الأعرابي الذي سأَل المنتي الحَيَّ عن القبلة في رمضان فقال: الزوجة سبعُ والحُلَّة ثمان فهذا المستفتى والمُفتى لا يُعرَف واحدٌ منهما حتى يقبَل خبرُه، ولو صحَّ ذلك وعُرف المستفتى والمفتى لكانت انْظلة هي أمَت الجليلة، وهي التي يحلِّ تقبيلُها ثمانيًا فأكثر.

وأما أن يفتى أحد من أهل الإسلام بأنه كيل تقبيلُ المرأة الأجنبية الحرَّمة عليه ثمانيًا في رمضان أو غيره فماذ الله من ذلك ، وهكذا حكمُ الأثر الذي ذكره الخطيب في كتاب رواه مالك ، ولا يُظَن بسالم أنه تمنَّى أن يقبِّل امرأةً أجنبيةً وهو مُحرِم ببطن وتى ، فإن القبلة المذكورة تعرَّ نس الحجَّ للفساد وتُبطله عند طائنة ، فإن صحَّ هذا فإنما أراد امرأته أو أمتَه .

وأما الأثر الذى ذكره الحاكم فى مناقب الشافعى - رحمه الله تمالى - فليس بين الحاكم وبين الربيع من يحتج به . ويدل عَلَى أن القصة كذبُ ظاهر من أن المستفتى زعم أن الشافعى أجاب بقوله: فقال لى المفتى وفاضت دموعُه . وهذا إنما هو حكاية المستفتى قول المفتى فَن هو الحاكى عن الشافعى ؟ فدعوا هذه الأكاذيب والتُرَّهات .

وأما ما ذكرتم عن عمرو بنسفيان ابن بنت جامع فمن ذكر هذا عن عمرو ابن سفيان ؟ ومن هو عمرو بن سفيان ابن بنت جامع بن مُرْخِيَةَ هذا ؟ وهــذا موضعُ البيتين المشهورين :

سأَلْنَا عَن ثُمَالَةً كُلَّ حَى فقال القائلون ومَنْ ثُمَالَهُ (١) فقات محدُ بنُ يزيدَ منهم فقالوا زدتَنَا بهم جَهاله

وهل يجيل لأحد أن يصدِّق عن مالكِ والليثِ بن سعد أنهما أَجازا تقبيل خد المرأة الأجنبية المعشوقة أو خد الأمرد الجيل الصورة ؟ هذا وقصةُ مالك مع الذى ضم صبيًّا إليه فأفتى بضربه سمائة سوط فات ، فقال له أبو الفتى: قتلت ابنى ، فقال : قتله الله . فمَن هذا تشديدُه وفتواه هل يفتى بجواز تقبيل خدود المُر د الحسان ؟ نعم ماحر م الرحمنُ قبلة عاشق بجلُ المعشوقه مواصلته ، ولا قبلة الرجل خد ولده كما قبّل الصدِّيق حرضى الله عنه حدد ابنى ابنته عائشة رضى الله عنه ، ورأى أعرابي النبي صلى الله عليه وسلم يقبّل أحد ابنى ابنته وقال : وإنكم لَتُنَبَّهُون الصبيان ؟ إن لى عشرة من الولد ماقبّلتهم ، فقال : وقال : وإنكم لَتُنَبَّهُون الصبيان ؟ إن لى عشرة من الولد ماقبّلتهم ، فقال :

⁽۱) فى ترجمة المبرد لابن خلىكان : ثمالة واسمىه عوف بن أسىلم بطن من الآزد . وذكر النالى فى الأمالى : إنها لعبد الصمد بن الممذل وأورد هذين البيتين وبعدهما ثالث قال : ويقال : إن هذه الابيات البرد وكان يشتهى أن يشتهر بهسذه التبيلة فصنع هذه الابيات فشاعت وحصل له مقصوده من الاشتهار .

« أَوَ أَمْلِكُ لَكَ إِنْ نَزَعَ اللهُ الرَّحْمَةَ مِنْ قَأْمِكَ » (١) ؟

وأما صاحبُ كتاب رُسْتاق الاتفاف وهو شاعر المصريين فلمحرُ اللهِ لقد أفسدت إذ أسندت ، قإنه الفاسقُ الماجنُ المستَّى أبا الرَّقَعْمَقَ (٢) ، ولكن لا ينكر هذا اللّنُ بهذا الإسناد ، فإنه لا يليق إلا به .

وأما قصة إبراهيم بن المدبِّر عن أبى بكر بن عيَّاش فقل مُعَير مُصَدَّق عن قائل غير معصوم .

وأما ماذكروا عن الإمام أحمد — رحمه الله تعالى — فوالذى لا إله غيره إنه لمَن أقبح الكذب عليه ، ولو أن هذا الكاذب الفاسق نتى هذه الكذبة بغيره لراج أمر ها بعض الرواج ، ولكن من شدة جهله نققها بأحمد ابن حنبل وهو كمن نسب إليه القول بأن القرآن مخلوق ء أو تقديم على على الله أبي بكر ، أو تقديم الرأى على السُنّة ، وأمثال ذلك ، وكذلك ماذكره عن أبي حنيفة رحمه الله تعالى ، ولو صح لم يكن فيه حجة لهذه الطائمة ، فإنه قال : لا إثم فيه إذا كانت لعشر وأربع ، ولم يقل إذا كانت أجنبية ، ونحن نقول يما قال أبو حنيفة — رحمه الله تعالى — إذا كان المشوق حلالاً .

وأما ماذكر عن الطَحاوى فلا نعلم صحته ، وإن صح فإنما أراد به التقبيل اللباح ، فإن الرجل قد يُبتلى بهجر زوجته أو أَمَته له فيسأ ل أطباء الدين وأطباء الجسم وأطباء الحب عن دوائه ، فيجيبه كل منهم بمقتضى علمه وما عنده ، وقد شكى مُغيث زوج بَريرة حبّه لها فشفع عندها النبى صلى الله عايه وسلم أن

⁽١) من حديثين رواهما البخارى ومسلم.

^{(ُ} ٧) هو أحمد بن محمد الالطاكى له ترجمة فى يتيمة الدهر للثمالمي ووفيات الاعيان لابن خلسكان.

تراجعه فلم تفعل(١) ، وشكى إليه رجلٌ أن امرأته لا تُردُّ يدَّ لأمسِ فقال : طلِّها ، نقال : إني أخاف أن تتبعها نفسي ، نقال : استمتع بها. ذكره الإمام أحمد والنسائي. قال بعضأهل السلم: راعي النبي صلى الله عليه وسلم دفع أعلى المفسدتين بأدناهما ، فإنه لما شكى إليه أنها لاتر دُ يد كلمس أسره بطلاقها ، فلما أخيره عن حبتها وأنه يخافأن لا يصبرً عنها ولعل حبَّه لها يدَّعوهإلى معصية أمره أن يمسكها مداواةً لقلبه ودَفعًا للمفسدة التي يخافها باحتمال المفسدة التي شكي منها . وأجاب أبو عبيدة عنه بأنها كانت لاتر كريد لامس يطلب منها العطاء ، فكانت لآتَرُكُ يدَ من سألهـا شيئًا من مال الزوج ، ورُدَّ عليه هذا التأويلُ بأنه لايقال لطالب العطاء لامس و إنما يقال له ملتمس. وأجابت طائفة أخرى عنه بأن طرآن المصية عَلَى النكاح لاتوجب فساده . وقال النسائي : هذا الحديث مُنكر . وعندى أن له وجماً غير مداكلة ، فإن الرجل لم يشك من المرأة أنها تزنى بكل من أراد ذلك منها ، ولو سأل عن ذلك لما أقرَّ ، رسول الله صلى الله عليه وسلم عَلى أَن يقيم مع بَغِيٌّ ويكون زوجَ بَغِيٌّ دُيُّونًا (٢) ، وإنما شكى إليه أنها لا تجذِّرِبُ نفسها بمن لاعبها ووضع يدَّه عليها أو جذب ثوبها ونحو ذلك ، فإن من النَّسَاء من تلين عند الحسديث واللعب ونحوه . وهي حَصَانُ (٣) عنيفة إذا أريد منها الزني ، وهــذا كان عادةً كثير من نساء العرب ولا يَعُدُون ذلك عيبًا ، بل كانوا في الجاهليــة يرون للزوج النصف الأسفل وللمشيق النصف الأعلى .

فللحِبُّ مَا ضَمَّت عليه نقابها وللبّعلِّ مَا ضَمَّت عليه المَارِّدُ

⁽١) رواء البخارى وأحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه .

⁽٢) الديوث: الذي يقود على أله.

⁽٣) المرأة الحصان: المتزوجة والعفيفة .

والمقصود أن القوم كانوا مع العاشق على معشوقه إذا كان يُباح له وصاله ، وسنذ كر ذلك في باب مساعدة العشاني بالمباح من التَّلاق إن شاء الله تعالى .

وأما ماذكروا عن شيوخ المتزلة وشيوخ الواسطيّين ، فأما أبو عمات الملذكور وهو عمرو بن عبيد ، وواصل وهو واصل بن عطاء، وهما شيخا القوم ولو أفتيا بذلك لنكانت فتيا من مبتدعين مذمو مين عند السّلف والحكف ، فكيف والحبر بذلك رجل مجهول من المعتزلة كذب على من يعظمها المعتزلة لينفق فِستْمة ؟

وأما قصة محمد بن داود الأصبهانى فغايتها أن تكون من سعيه المعفّو المغفور، لا من عمله المشكور، وسلّط الناس بذلك على عرضه، والله يغفر لنا وله، فإنه تعرّض بالنظر إلى السقم الذى صار به صاحب فراش، وهذا لوكان ممن يُباح له لكان نقصاً وعيباً، فكيف من صبى أجنبي ؟ وأرضاه الشيطان بحبه والنظر إليه عرب مواصّاته، إذا لم يطمع فى ذلك منه، فنال منه ما عرّف أن كيده إليه عرب مواصّاته، إذا لم يطمع فى ذلك منه، فنال منه ما عرّف أن كيده لا يتجاوزه وجعله قدوة لمن يأتم به بعده كأبى محمد بن حزم الظاهرى وغيره، وكيدُ الشيطان أدّق من هذا.

وأما أبو محمد فإنه على قدر بُبُسه وقَسُوته فى التمسُّك بالظاهر و إلغائه للمعانى والمناسبات والحِلَم والعِلَل الشرعية انماع فى باب العشق والنظر وسماع الملاهى المحرَّمة ، فوسع هذا الباب جدَّا وضيق باب المناسبات والمعانى والحَلَم الشرعية جدًّا ، وهو من انحرافه فى الطرفين حين رد الحَديث الذى رواه البخارى فى محيحه فى تحريم آلات اللهو بأنه معاتى غير مُسند ، وخَنِي عليه أن البخارى للى من عمَّد عنه وسمع منه ، وهو هشام بن عَمَّار ، وخنى عليه أن الحديث قد أسنده غير واحد من أعمة الحديث غير هشام بن عَمَّار ، فأبطل سُنَّة محيحة أسنده غير واحد من أعمة الحديث غير هشام بن عَمَّار ، فأبطل سُنَّة محيحة أسنده غير واحد من أعمة الحديث غير هشام بن عَمَّار ، فأبطل سُنَّة محيحة أسنده غير واحد من أعمة الحديث غير هشام بن عَمَّار ، فأبطل سُنَّة محيحة أسنده غير واحد من أعمة الحديث غير هشام بن عَمَّار ، فأبطل سُنَّة محيحة أسنده غير واحد من أعمة الحديث غير هشام بن عَمَّار ، فأبطل سُنَّة محيحة أسنده غير واحد من أعمة الحديث غير هشام بن عَمَّار ، فأبطل سُنَّة محيحة أسنده غير واحد من أعمة الحديث غير هشام بن عَمَّار ، فأبطل سُنَّة الحديث غير هيعة المناسبة المناسبة وسم المناسبة وسم المناسبة عنه وسم المناسبة و المناسبة وسم المناسبة

ثابتةً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لامَطْعَنَ فيها بوجهٍ (١) .

وأما من حاكتمونا إليه وهو شيخ الإسلام ابن تيمية فتحن راضون بحكه ، فأين أباح له النظر آلحرام وعشق المردان والنساء الأجانب ؟ وهل هذه إلا كذب ظاهر عليه ؟ وهذه تصانيفه وفتاواه كلما ناطقة بخلاف ما حكيتموه عنه ؟ وأما الفتياالتي حكيتموها فكذب عليه لا تناسب كلامة بوجه، ولولا الإطالة لذكرناها جميعها حتى يعلم الواقف عليها أنها لاتصدر عمن دونه فضلا عنه ، وقلت لمن أوقفني عليها : هذه كذب عليه لايشبه كلامه ، وكان بعض الأمراء قدأوقفني عليها قديماً وهي بخط رجل متهم بالكذب ، وقال لى: ما كنت أظن الشيخ برقة هذه الحاشية ، ثم تأملتها فإذا هي كذب عليه ،

وأما ماذكرتم من مسألة البزام أدنى المفسد تين الدفع أعلاها ، فنحن لانتكر هذه القاعدة بل هى من أصح قواعد الشريعة ، ولكن الشان فى إدخال هذه الصورة فيها . بل نحاكم إلى هذه القاعدة نفسها فإن احمال مفسدة ألم الحب مع غض البصر وعدم تقبيل المحبوب وضمه ونحو ذلك أقل من مفسدة النظر والتقبيل ، فإن هذه المفسدة تَجُرُّ إلى هلاك القاب و فساد الدين ، وغاية ما يُقدَّر من مفسدة الإمساك عن ذلك سقم الجسد أو الموت تفاديًا عن التعرض للحرام ، فأين إحدى المفسدتين من الأخرى ؟ عَلَى أن النظر والقبلة التعرض للحرام ، فأين إحدى المفسدتين من الأخرى ؟ عَلَى أن النظر والقبلة

⁽۱) الحديث الذي يشير إليه هو قوله صلى الله عليه وسلم: , ليسكونن من أمتى أقوام يستحلون الحر (أى الفرج) والحرير والحر والممازف ولينزان أقوام إلى جنب علم يروح عليهم بسارحة لهميا آيهم لحاجة فيقولوا إرجع إلينا غداً فيبيتهم الله تعالى ويضع العلم ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم النيامة ، .

والضمُّ لانمنع السقم والموت الحاصل بسبب الحبُّ ، فإن العشق يزيد بذلك ولا يزول .

فا صبا بَهُ مشتاق عَلَى أَمَلِ من الوصال كمشتاق بلا أمل ولا ريب فى أن محبة من له طمع أقوى من محبة من يئس من محبوبه، ولهذا قال الشاعر:

وأبرحُ ما يكون آلحب يوماً إذا دَنتِ الدّيارُ من الدّيارُ من الدّيارُ من الدّيارُ من الدّيارُ عن الدّيارُ عن فإن قيل : فقد أباح الله سبحانه للمضطر الميتة والدم ولحم الخنزير ، وتناوُلها في هذه الحال واجب عليه . قال مسروق والإمام أحمد و حمهما الله تعالى . . من اضطر الى أكل الميتة فلم يأكل فمات دخل النار ، فغايةُ النظرة والتُبلة والضّمة أن تكون محرّمةً ، فإذا اضطر العاشق إليها فإن لم تكن واجبةً فلا أقل من أن تكون مباحة ، فهذا قياس واعتبار سحيح ، وأين مفسدة موت العاشق إلى مفسدة ضمة ولنمه ؟

قالجواب أن هذا يتبين بذكر قاعدة ، وهي أن الله سبحانه وتعالى لم يجعل في العبد اضطراراً إلى الجماع بحيث إن لم ينعله مات ، بخلاف اضطراره إلى الأكل والشرب واللباس ، فإنه من قوام البدن الذي إن لم يباشره هلك ، ولهذا لم يبيح من الوطء الحرام ما أباح من تناؤل الغذاء والشراب المحرام ، فإن هذا من قبيل الشهوة واللذة التي هي تتمة و نَضْلة ، ولهذا يمكن الإنسان أن يعيش طول عمره بغير تزوج وغير تَسَر ، ولا يمكنه أن يعيش بغير طمام ولاشراب وللذا أمر الذي صلى الله عايه وسلم الشباب أن يداو وا هذه الشهوة بالصوم ، وقال ولهذا أمر الذي عشاق آلمُر دان : (إنّ كُم لَتَانُونَ الرّ جَالَ شَهُوة مِن دُونِ تَعالى عُن عشاق آلمُر دان : (إنّ كُم لَتَانُونَ الرّ جَالَ شَهُوة مِن دُونِ

النّساء)(١) فأخبر أن الحامل عَلَى ذلك مجر دُ الشهوة لا الحاجة فضلاً عن الضرورة ، والشهوة الجرد دة لاتلتحق بالضروريات ولا بالحاجات ، والحمية عنها خشية إفضائها إلى مرض أصعب منها جار مجرى الحقية عن تناول ما يضر من الأطعمة والأشربة ، وذلك لاتدعو الضرورة ولى تناول الفاكهة المفرة قد تشهية ، فالقُبلة والنظر والفي ويحوها جار مجرى تناول الفاكهة المفرة والزفرة المضر للمحموم ومن به مرض يضره معه تناول ذلك ، فإذا قال المريض: أنا إن لم أتناول ذلك و إلا خشيت الموت لم يكن صادقاً في قوله ، وإنما الحامل له عَلى ذلك مجرد و الشهوة ، وربما زاد تناول ذلك في مرضه ، فالطبيب الناصح لايفسح له فيه ، فكيف يفسح الشارع الحكيم الذي شريعته غاية الناصح لايفسح له فيه ، فكيف يفسح الشارع الحكيم الذي شريعته غاية طب القلوب والأديان وبها تحفظ صحتها وتدفع موادّها الفاسدة في تناول ما يزيد الداء ويقوّيه ويسحده ؟ هذا من المحال ، بل الشريعة تأمر ما يزيد الداء ويقوّيه ويسب هذا الداء خوفاً من استحكامه وتولد داء آخر بالحبية عن أسباب هذا الداء خوفاً من استحكامه وتولد داء آخر

وأما مسألة مَنْ خاف تشقّى أنتُكِيه وأنه يباح له الوَطْه في رمضان، فهذا ليس على إطلاقه، بل إن أمكنه إخراج مائه بغير الوَطْه لم يَجُزُ له الوَطْه بلا نزاع، وإن لم يمكنه ذلك إلا بالوَطْء المباح فإنه يجرى مجرى الإفطار لعذر للرض ثم يقضى ذلك اليوم، والإفطار بالمرض لايتوقَّف على خوف الهلاك، فكيف إذا خاف تَلَفَ عُضو من أعضائه القاتلة، بل هذا نظير من اشتدً عضو عطشه وخاف إن لم يشرب أن يحدث له دالا من الأدواء، أو يتلف عضو

⁽١) الآية ٨١ سورة الاعراف، والآية ٥٥ سورة النمل وفيها (أتنكم).

من أعضائه، ، فإنه يجوز له الشربُ ثم يقضى يوماً مكانه . فإن قيل : فلو اتفق له ذلك ولم يكن عنده إلا أجنبية هل يباح له وَملْؤُها لئلا تتلف أُنكَياه؟ قيل: لايباح له ذلك ، ولسكن له أن يخرج ماءه باستمنائه ، فإن تعذَّر عليه فهل بجوز له أن يمكنها من استخراج مائه بيدها؟ هذا فيه نظر ، فإن أبيح جرى مجرى تطبيب المرأة الأجنبية للرجل ومسما منه ما تدعو الحاجة إلى مَسِّه. وكذلك تطبيبُ الُرجل للمرأة الأجنبية ومَشُّه ماتدعو الحاجة إليه والله أعلم .

وقد سئل أبو الخطاب محفوظ بن أحمد الكَلْوَدْاني في رقعة :

قل لأبي الخطاب نجم المُدى وتُقد وقر العالم في عصره لا زلت في فتواك مستأمناً من خُدُع الشيطان أو مكره . ماذا ترى في رَشَا أَغْتِيكِ عاز اللَّهِي والدُّرَّ في تغره(١) لم يَعْكِ بدر التِّمَّ في حُسْنه حتى حكى الزُّنبُورَ (٢) في حُضْره فهــــل يُجيز الشرعُ تقبيلَه لمستهام خاف من وزره أم هل عَلَى المشتاق في ضبّه من غير إدناء إلى صدره إثم إذا ما لم يكن مضمِراً غير الذي قدم من ذكره

قأحاب:

قد فاق أهل العصر في شعره وعَطْف زَنْدَيْك مَلَّى نُعَـره

يا أيها الشيخُ الأديب الذي • تسأَل عن تقبيل بدر الدُّجي

⁽١) الرشا: ولدالظبية إذا قوى ومشى . والأغيد: المتثنى في لينونعومة ، واللمي : سمرة في الشفة تستحسن. وشفة لمياء : لطيفة رقيقة اللحم -

⁽ ٢) الزنبور والزنبار : حشرة اليةاللسع ، وهو أيضاً :الخفيف الظريف . والحضر: عدو في وثب ، وارتفاع الفرس في وثبه .

هل ورد الشرع بتحليك لمنهام خاف من وِزْرِه من قارف الفتنة ثم ادعى الم مصة قيد نافق في أمره هل فتنةُ المرء سـوى الضمّ والت تبيــــــل للحبِّ عَلَى تغـره وهــــل دواعي ذلك المشتمى إلا عناقُ البدر في خِـــــــــــدره وبذُّلُه ذاك لمشتاقـــه يزرى عَلَى هاروتَ في سَيْحُره ولا يُجِيزُ الشرعُ أُسبابَ ما يُورِّط السلمِ في حَظْره فانجُ ودع عنك صُدَاع الهـوى عاك أن تسلم من شرِّه هذا جوابُ الكَلْوَزَانِيُّ قد جاءك يرجو الله في أجـــره

> فهذا جو اب أهل العلم، وهو مطابقٌ لمـاذكر ناه ،والله تعالىأعلم. وسئل الإمام أبو الفرج بن الجوزيّ ــ رحمه الله ــ بأبيات :

ياأيها العالم ماذا ترى في عاشق ذاب من ألوّجد من حبّ ظبي أُغيدٍ أُهيف ممل المُخيّا حسن القدّ فهـل ترى تقبيسلَه جائزاً فى الفمرِ والعينين والخــدُّ إن كنت ماتفتي فإنى إذاً أصبيح من وجدى وأستعدى

فكتب _ رحمه الله تعالى _ الجواب:

ياذا الذي ذاب من الوَجُمد وظل في ضُرٌّ وفي جَدْدِ إسمع فدتك النفس من ناصح بنصحه يَهْدِي إلى الرُّ شدِ لوصح منك المشق ماجئتني تسألني عنه وتستعدي فالعاشقُ الصادقُ في حب ماباله يسمال ماعندى

قلبَك بالتعذيب والصَّدِّ

غَيَّيه العشقُ فما إن يُرى يُعيدُ في العشق ولا يُبدى إلا لما حلَّــــله ربُّنا في الشرع بالإبرام والتقدُّد فَعَدِّ مِنْ طُرُقُ الْهُوى مُعْرِضًا وقف بباب الواحدِ الفَرْ د وسَــله يَشفيك ولا يبتــلى وعفَّ في العشقِ ولا تُبدِّهِ وَأَصْبِرْ وَكَاتُمْ غَايَةَ الْجُهْد فإن ثَمَت تَعتسبًا صابراً تفز غَداً في جنبة الخلد

الباب العاشر

تى ذكر حقيقة النصق وأوصافه وكلام الناس فيه

فالدى عليه الأطباء قاطبة أنه مرض وَسْوَ اسى شبيهٌ بالماليخوليا ، كَجْلِبُهُ المرد إلى ننسه بتسايط فكره على استحسان بعض الصُّمور والشمائل ، وسببهُ النفسانيُّ الاستحسان والفكر ، وسببُه البدُّنيُّ ارتفاع بخار ردى، إلى الدّماغ عن مَنيِّ محتقن ، ولذلك أكثر مايعترى العُزَّاب ، وكثرة الجماع تزيله بسرعة . وقال بعض الفلاسفة : العشق طمع من يتو لَّد في القلب و يتحرُّك ويَنْمِي ، ثم يترى ويجتمع إليه مواد من الحرص ، وكلَّا قوى ازداد صاحبُه في الاهتياج واللَّجاج والتمادي في الطمع والحرص على الطلب ، حتى يؤديَّه ذلك إلى الغمُّ والقَكَق ، ويكون احتراقُ الدم عند ذلك باستحالته إلى السوداء والتهاب الصفراء وانقلابها إليها . ومن غلبة السوداء يحصُلُ له فسادُ الفكر ، ومع فساد الفكر يكون زوالُ العقل ورجاء مالا يكون وتمنَّى مالا يتمّ حتى يؤذِّيَ إلى الجنون، فينتذ رَّ بماقتل العاشقُ نفسه ، ورَّ بما مات غمًّا ، وربما نظر إلى معشوقه فات فرحًا ، وربما شَهِيَ شَهْقَةً فتختنق رُوحُه فيبتى أَربعةً وعشرين ساعةً فيظُأَنُّ أنه قد مات ، فيدفن وهو حي ، وربما تنفَّس الصُّعداء فتختنق نفسُه في تامور (١) قلبه ، وينضم عليها القلبُ ولا ينفرج حتى يموت ، وتراه إذا ذُكر له من يهواه هرب دمهُ واستحال لونهُ . وقال أفلاطون : العشق حركةُ النفس الفارغة . وقال أرسطاطاليس : العشق عمى الحس عن إدراك عيوب الحبوب. ومن هذا أُخذُ جرير قولَه :

⁽١) التامور:دم القلب، وقيلكل دم .

فلست براء عيب ذى الودِّ كلَّه ولا بعض مافيه إذا كنت راضيا فعين الرِّضى عن كلِّ عيب كليلة ولكن عين السُّخط تُبدِي المساويا وقال أرسطو: العشق جهل عارض صادف قلباً فارغاً لاشُغل له من تجارةٍ ولا صناعة . وقال غيره: هــــو سوء اختيار صادف نفساً فارغة . قال قيس بن الملوت :

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا وقال بعضهم: لم أرّ حقّاً أشبة بباطل ، ولا باطلا أشبة بحق من العشق ، هزله جد ، وجد ، هزل ، وأوله العب ، وآخر ، عمل . وقال الجاحظ: العشق اسم لما فَصَل عن الحبة ، كما أن السّرف اسم لما جاوز الجود ، والبخل اسم لما جاوز الاقتصاد ، فكل عشق يسمّى حبّا ، وليس كل حب يسمّى عشقا ، والحبة جنس والعشق نوع منها . ألا ترى أن كل محبة شوق ، وليس كل شوق محبة ؟ وقالت فرقة أخرى : العشق هو الاستهيام (٢) والتضرع واللو دان بالمعشوق ، والوجد هو الحب الساكن ، والهوى أن يهوى الشيء فيتبعة غيّا كان أو رشداً ، والحب حرف ينتظم هذه الثلاثة . وقال المأمون ليحيى بن كان أو رشداً ، والحب حرف ينتظم هذه الثلاثة . وقال المأمون ليحيى بن فقال له مُمّامة بن أشرس : اسكت يايحي ، إنما عليك أن تجيب في مسألة طلاق ، أو تحرم صاد ظبياً ، فأما هذه فن مسائلنا عن ، فقال له الأمون : قل طلاق ، أو تحرم صاد ظبياً ، فأما هذه فن مسائلنا عن ، فقال له الأمون وأرواحها ، يا تمامة : قال : العشق جليس مُمْتيع ، وأليف مُؤنيس : وصل حب ملك مالكه لطيفة ، ومذاهبه غامضة ، وأحكامه جارية ، ماك الأبدان وأرواحها ،

⁽١) كذا . والاستهيام: الهيام : وهو جنون النشق .

والقلوبَ وخواطِرَها ، والعقولَ وآراءها ، قد أعلى عِنانطاعتها ، وقوَّةَ تصرُّفِها تو القلوبَ مَسْكَكُه . فقال له المَـأُمون : وادى عن الأبصار مَدْخَلُه، وعمِى في القلوب مَسْكَكُه . فقال له المُـأْمون : أحستت بالنُمامة . وأمر له بألف دينار .

وقال بغضهم: قلت لمجنون قد أذهب عقلَه العشق: أُجِز هذا البيت:
ومَا الحبُّ إِلَا شَعَلَةٌ قَدَحَتْ بها عيونُ اللَّهَا باللَّحظ بين الجوانح
فقال بديهاً:

ونارٌ الهوى تخنى وفى القلب فعلُها كفعل الذى جاءت به كفتُ قادح وقال الأصمى: سألت أعر ابيًا عن العشق فقال: جلَّ والله عن أن يُرنى، وخَنِي عن أبصار الورى، فهو فى الصدور كامن ككُمون النار فى الحجر، إن قدح أورى، وإن تُرك توارى. وقال بعضهم: العشق نوع من الجنون، والجنون فنون، فالعشق فن من فنونه. واحتج بقول قيس (():

قالوا جننت بمن تهوى فقلتُ لهم أَلعشقُ أعظمُ مَمَا بِالْجِـــانين العشقُ لايستفيق الدهرَ صاحبُه وإنما رُضرَع المجنونُ في الحين (٢)

وقال آخر: إذا امتزجت جواهر النفوس بوصف المشاكاة أنتجت لمح نور ساطع تستضىء به النفس فى معرفة محاسن المعشوق فنسلك طريق الوصول إليه وقال أعرابى: العشق أعظم مسلكاً فى القلب من الرُّوح فى الجسم، وأملك بالنفس من ذاتها، بطن وظهر فامتنع وصفه عن اللسان، وخَفَى نعته عن البيان فهو بين السِّحر والجنون، لطيف المسلك والسُمون، وقيل: العشق مملك غَشُومٌ (٣)، مُسَلَّطٌ ظلوم، دانت له القلوب، وانقادت له الألباب، وخضعت

⁽١) هو قيس بن الماوح المعروف بمجنون ليلي .

⁽٢) تقدم هذان البيتان في صفحة ٤٤

⁽٣) الغشوم: الذي يخبط الناس ويأخذ كل ماندر عليه.

له النفوس . العقل أسيرُه ، والنظرُ رسولُه ، واللحظُ لفظه ، دقيقُ المسلكَ ، عسيرُ المُثْوَرَج . وقيل لآخر : ما تقول في العشق؟ فقال : إن لم يكن طَرَفًا من الجنون ، فهو نوع من السحر .

وأما الفلاسعةُ المشاؤون^(۱) فقالوا: هو اتفاق أخلاق، وتشاكل تَحَبَّاتٍ وَيَجانُسُها، وشوقُ كُلِّ نفس إلى مُشاكلها وتجانسها فى الخلقة القديمـة قبـل إهباطها إلى الأجساد، قلت: هذا مبنى على قولهم الفاسـد بتقديم النفوس على الأبدان، وعليه بنى ابن سينا قصيدته المشهورة:

* هَبَطَت إليك من المحلِّ الأرفَع ِ

وسمعت شيخنا يحكى عن بعض فضلاء المناربة وهو جمال الدين بن الشريشي شارح المقامات أنه كان ينكر أن تكون هذه له قال: وهي مخالفة لما قررده في كتبه من أن حدوث النفس الناطقة مع البدن.

وقال آخرون فى وصفه: دَق عن الأفهام مَسْاكُه ، وخَوَى عن الأبصار موضعه ، وحارت العقول فى كيفية تَمَكُنه ، غيرأن ابتداء حركته وعظم سلطانه من القلب ، ثم يتغشّى سائر الأعضاء فيبدى الرِّعدة فى الأطراف ، والصفرة فى الألوان ، والضعف فى الرَّاى ، واللَّجلَجَة فى الكلام . والزَّلَلَ والعثار ، حتى النسب صاحبه إلى الجنون . وقيل لأبى زهير المدينى : ما العشق ؟ قال : الجنون والذلّ وهو داء أهل الظرَّف . ونظر عاشق إلى معشوقه فارتعدت فرائصه وأندل وهو داء أهل الظرَّف . ونظر عاشق إلى معشوقه فارتعدت فرائصه وغشى عليه ، فقيل لحكيم : ما الذي أصابه ؟ فقال : نظر إلى من يحبه فانفرج وغشى عليه ، فقيل لحكيم : ما الذي أصابه ؟ فقال : نظر إلى من يحبه فانفرج وغشى عليه ، فقيل المجلّم بانفراج القلب . فقيل له : نحن نحب أولاد نا وأهلنا ولا

⁽۱) المشاؤون: أتباع أرسطو . وقيل : لقبوابه لآنه كان يعلم م وهم مشاة ، أو لآن محل التعليم كان يسمى بالممشى .وفى تاج العروس للزبيدى: المشائيون : فرقة من الحكماء كانوا يمشون فى ركاب أفلاطون .

يصيبنا ذلك ، فقال : تلك محبةُ العقل وهذه محبةُ الرَّوح ، قال :

وما هو إلا أن يراها فُجَاءة تصطك رجلاه ويسقط للجنب والشاعر في وقال: العشق ملك مسلّط على قهر الناوس وأشر القلوب ، قال الشاعر في ملك القلوب فأصبحت في أسره وبود ها. أن لا يُفك إساره والأحشاء وقال أعرابي في وصفه: بالقلب وَثْبَتُه ، وبالنؤاد وَجْبَتُه (١) ، وبالأحشاء ناره ، وشائر الأعضاء خُدّامه ، فالقلب من العاشق ذاهل ، والدمع منه منه ناحل . مرور الليالي تجدده ، وإساءة الحبوب لاتفسده وقيل: ليس هو موقوفاً على الحسن والجال ، وإنما هو تشاكل النفوس وتمازُجها في الطباع المخلوقة فيها كما قيل:

وما الحبُّ من حُسَنِ ولامن مَلاحة ولكنَّه شيء به الروح تَكُلَف وقيل : أوّل العشق عَناء ، وأوسطه سُقْم ، وآخر ُ وقتل . كما قال ابن الفارض رحمه الله :

هو الحبُّ فاسْلَمْ بالحْشاماالهوىسَمَلُ في اختاره مُضْنَى به وله عَمْلُ وعشْ خاليًا فالحبُّ أوَّله عنَى (٣) وأوْسَطُهُ سُقْمٌ وَآخرُه قتلُ

⁽١) وجبته: خفقته واضطرابه.

⁽٢) هملت العين: فاضت وسالت .

⁽٣) في الديوان: قالجب راحته عنا . وأوله سقم . . . الدخ .

الباب الحادي عيشر

فی المشق هل هو اضطراری خارج عن الاختبار أو أمر اختباری واختلاف الناس تی ذلك وذكر الصواب فیه

فنقول: اختلف الناس فى العشق هل هو اختياريٌّ أو اضطر ارى خارج عن مقدور البشر ؟ فقالت فرقة :هو اضطر ارى ٌ وليس باختيارى ، قالوا :وهو بمنزلة محبة الظمان للماء البارد ، والجائع للطمام ، وهذا بما لا يُمْلَكُ .

قال بمضهم : والله لو كان لى من الأمر شيء ماعذ بن عاشقاً ، لأن ذنوب المُشّاق اضطرارية ، فإذا كان هذا قولَه فيا تولد عن الدشق من فعل اختيارى فما الخشق نفسه ؟ وقال أبو مجمد بن حزّم : قال رجل لعمر بن الحطاب رضى الله عنه : ياأميرالمؤمنين ، إنى رأيت آمرأة فمشقتها، فقال عمر: ذاك ممالا يُملك . وقال كامل في سمّاني :

يلومونني في حُب سَلْني كأنما يَرَوْنَ الهوى شيئًا تَيَمَّتُهُ مِرْاً عَمْدا أَلا إنما الحبُّ الذي صَدَعَ الحشا قضاء من الرحمن يَبلو بِهِ العَبْدَا

وقال التميمي في كتاب امتزاج الأرواح: سـئل بعض الأطباء عن العشق فقال: إن وقوعة بأهله ليس باختيار منهم ، ولا بحرصهم عايه ، ولالذة لأكثرهم فيه ، ولكن وقوعه بهم كوقوع العلل الله فغة . والأمراض المتافية ، لافرق بينه وبين ذلك . وقال للدائني : لام رجل رجلاً من أهل الهوى فقال: لوصح لذى هو مى اختيار لاختار أن لايهوى. ويَدُل على ذلك من السنّة مارواه

⁽١) تيمم الشيء: تعمده وارتجاه .

البخارى فى صحيحه من قصة بريرة أن زوجها كان يمشى خلفها بعد فراقها له وقد صارت أُجنبية منه، و دموعُه تسيل عَلى خدَّيه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم ؛ « ياعَبَّاسُ أَلاَ تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُغِيث بَريرَة وَمِن بُغْض بَريرة مُغِيثاً ؟ ثم قال لها : لَوْ رَاجَعْتِيهِ ، فقالت : أَتَأْمُر نِي ؟ فقال إِنَّمَا أَنَا شَافِع ، قالت : لا عَلَيْهُ عَن عشقها فى هذه الحال ، إذ ذلك شى لا يُملك مُ لا عَلَك مُ ولا يدخل ثحت الاختيار . وقال جامع :

سأَلَّت سعيدُ بنَ المسيَّبِ مفتى الله مدينة هل في حبِّ دَهُمَاءَ مِن وِزْرِ فقال سعيدُ بن المسيَّبِ إنما يلام على ما يُسْتطاع من الأمر (۱) قالوا: والعشقُ نوع من العذاب ، والعاقلُ لا يختار عذابَ نفسه ، وفي هذا قال المؤمَّل:

شَفَّ الْمُؤَمَّلَ يُومَ الْحُسِرَة النظرُ ليت المومَّلَ لم يُخْلَق له بَصَرُ يَكُنَى الْحُبِيِّن فى الدنيا عذابُهم واللهِ لاَعَذَّبَتْهُمْ بعدها سَقَرَ فيقال: إنه عَمِى بعد هذا. وقال آخر: ليس الهوى إلى از أَى فَيَمْلِكُه، ولا إلى العقل فَيَدُركَه، ثم أنشد:

ليس خَطْبُ الهـوى بخطب يسير لايُنَبَيْكَ عنه مثلُ خبير (٢) ليس أُمرُ الهـوى يُدَبَّر بالرأ ى ولا بالقيـاس والتفكير إنما الأمرُ في الهـوى خطَرَاتُ تُحدِثَاتُ الأمور بعـد الأمور وقال القاضى أبو عمر محمد بن أحمد بن محمد بن سلمان النُوقاً تي (٣) في كتابه

⁽١) تقدم هذان البيتان وفيهما : تلام.

⁽٢) قيل أنها لعلية بنت المهدى ؛ حكاه الصولى كانى تزيين الاشواق .

⁽٣) نوقات : محلة بسجستان يقال لها : دنوها فعربت .

« محنة الظر "اف»: العشافُ معذورون عَلَى الأحوال ، إذ العشق إنما دهاهم عن غير اختيار ، بل اعتراهم عن جبر واضطرار، والمرد إنما يلام على مايستطيع من الأمور ، لا عَلَى المَدْضَى عليه والمقدور . فقد قيل : إن الحامل كانت ترى يوسف عليه الصلاة والسلام فتضع خلها ، فكيف ترى هذه وضعته ؟ أباختيار كان ذلك أم باضطرار ؟ قال غيره : وهؤلاء النسوة قطّمن أيديمن لما بدا لهن حسن يوسف عليه السلام وما تمكن حبّه من قلوبهن ، فكيف نو شُغِفن حبّا ؟ وكان مُصْعَبُ بنُ الزَّبْ بير إذا رأته المرأة حاضت لحسنه وجاله . قال فيه الشاعر :

إنما مُصْعَبُ شهابُ من الله و تُجلَّت عن وجهة الظلماء ومن هاهنا أُخذ أُحد بن الحسين الكندى للتنبي قوله:

تق الله واستر ذا الجال ببر قع فإن لحت حاضت في الخدور العواتق (١) فإذا كان هذا من بجرد الرؤية فكيف بالمحبة التي لا مُلك ؟ وقال هشام ابن عُر وة عن أبيه : مات بالمدينة عاشق فصلى عليه زيد بن ثابت ، فقيل له فى ذلك فقال : إنى رَحْتُه . ورؤى أبو السائب الحزومي وكان من العلم والدين بمكان _ متعلقاً بأستار الكعبة وهو يقول : أللهم آرحم العاشقين وقو قلوبهم واعطف عليهم قلوب المعشوقين ، فقيل له فى ذلك فقال ؛ والله للدُعاله لهم أفضل من عُمْرَةٍ من الجمر القر الله علم أنشد :

ياهَجْرُ كُفَّ عن الهوى ودع الهوى للماشية بن يطيبُ يا هَجْرُ مَاذَا تريدُ من الذين جنو بُهم قَرْحَى وَحَشْد و قلوبهم جَمْرُ

⁽١) في ديوان المتنبي : خف الله . والعواتق : الشابات من النساء .

⁽٢) الجمرانة: موضع بين مكة والظائف على سبعة أميال من مكة .

مُتَبَلِّدِين (1) من الهوى ألوانهم عمياً مُجِنِّن قلوبهم صُغْرُّ وسوابقُ العَبَرَات فوق خدوده در تقيض كأنهـــا قَطْرُ ويُذكرُ أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم مر بجارية تتغنَّى:

أقبلت فلاح لها عارضان كالسبج أدبرت فقلت لها والفؤاد في وهسبج هدل على ويحكما إن عشقت من حرج

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا . قال شيخ الإسلام زكريا الالصارى فى شرح الرسالة : هذا حديث موضوع. ويدل قول المؤلف : ويذكر على أنه غير متأكد من صحة الحديث .

(٣) الآية ٢٨٦ آخر سورةالبقرة .

(١٠ م-رومنة المحبين)

⁽١) المتبلد: المتردد المتحير الساقط إلى الأرض من الضعف.

⁽۲) فى الرسالة القثميرية جاء : وقدروى أن رجلاً أنشد بينيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

يا عادُلى والأمرُ فى يده هلا عَذَلْتَ وفى يدى الأمرُ وإنما ينبغى العذلُ قبل تعلقُ هذا الداء بالقلب كما قيل فيه:

يُذكِّر نيحم وارتُمخُ شاجِرِ ﴿ فَهَلَا تَنْزَحُم قَبِلَ التَّقَدُّ مِ (١)

وقالت فرقة أخرى: بل اختياري تابع مموى النفس وإرادتها، بل هو استحكام الهوى الذي مدح الله من نهى عنه نفسه فقال تعالى: (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَ نَهْى النَّفْسَ عَنِ الْهَوْى. فَإِنَّ ٱلْجُنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى)(٢) فيحال أن ينهى الإنسان نفسه عما لايدخل تحت قدرته.

قالوا: والعشق حركة آختيارية للنفس إلى نحو محبوبها ، وليس بمزلة الحركات الاضطرارية التى لاتدخل تخت قدرة العبد . قالوا: وقد ذم الله سبحانه و تعالى أمحاب الحبة الفاسدة الذين يحبون من دونه أنداداً ، ولو كانت الحبة اضطرارية لما ذُمُّوا عَلَى ذلك . قالوا: ولأن الحبة إرادة قو يَّية ، والعبد يُحمد ويذم على إرادته، ولهذا يُحمد مُريدُ الخير وإن لم يفعله ، ويُدَم مريدُ الشرِّ فإن لم يفعله ، ويُدَم مريدُ الشرِّ وإن لم يفعله ، ويُدَم مريدُ الشرِّ وإن لم يفعله ، ويُدَم مريدُ الشرِّ وإن لم يفعله ، وقد ذم الله الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ، وأخبر أن لم عذابًا ألياً . ولو كانت الحبة لا يُمْلَكُ لم يتوعّدهم بالعذاب على وأخبر أن لم عذابًا ألياً . ولو كانت الحبة كلا يمُلَكُ لم يتوعّدهم بالعذاب على

⁽۱) أى يذكرنى بتلاوة الآية (أتقتاون رجلا أن يقول ربى الله) وقد اختلف الرواة فى قائل هذا البيت فبمضهم ينسبه لشريح بن أبى أوتى ، وبمضهم للاشتر النخمى، وبمضهم لنيرهما . وهو من أبيات قيلت فى محمد بن طلحة رضى الله عنه لما طمنه الفاتل فذكره الفرآر . لان حم على قول قتادة اسم من أسماء الرقآن .

⁽٢) الآيتان .؛ و ١؛ سورة النازعات

ما لا يدخل تحت قدرتهم . قالوا: والعقلاء قاطبة مُنظَّبِقُون عَلَى لوم من يحبُ ما لايدخل تحته . وهذا فطرة فطر آلله عليها الخلق ، فلو آعتذَر بِأَنى لا أُملك قلبى لم يقبلوا له عذراً .

فصل

وفصل النزاع بين الفريقين أن مبادىء العشق وأسبابة اختيارية داخلة عن التكليف، فإن النظر والتفكّر والتعرّض للمحبة أمر اختياري ، فإذا أتى بالأسباب كان تر متب المسبّب علما بغير اختياره كا قيل:

تُوَلَّعَ بِالعَشْق حتى عَشِقْ فلما استقل به لم يُطِقْ رَأَى اللهِ اللهِ عَلَى اللهِ اللهِ عَرْقُ فلما تمكن منها غَرِقُ تَكَنَّى منها غَرِقُ تَكَنَّى الإِقَالَةَ من ذَنبه فلم يستطعها ولم يَسْتَطِقُ

وهذا بمنزلة السكر من شُرْب الحر ، فإن تناوُل المسكر اختيارى وما يتولد عنه السكر اضطراري ، فتى كان السبب واقعاً باختياره لم يكن معذوراً فيا تولد عنه بغير اختياره ، فتى كان السبب محظوراً ، لم يكن السكران معذوراً . ولاريب أن متابعة النظر واستدامة الفكر بمنزلة شرب المسكر فهو يلام على السبب ، ولهذا إذاحصل العشق بسبب غير محظور لم يلم عليه صاحبه ، كن كان يعشق امرأته أو جاريته ثم فارقها وبتى عشقها غير مفارق له ، فهذا لا يلام على ذلك كانقدم في قصة بريرة ومُفيث اله بغير اختياره ، على أن عليه مدافعته وصرف بصرة وقد تمكن العشق من قابه بغير اختياره ، على أن عليه مدافعته وصرفه بصرة وقد تمكن العشق من قابه بغير اختياره ، على أن عليه مدافعته وصرفة

⁽١) انظر الصفحة ١٤٣.

عن قلبه بضد ، فإذا جاء أمر " يُغلّبه فهناك لا يلام ببد بذل الجهد فى دفعه ومما يبين ما قلناه أن سكر العشق أعظم من سكر الخركا قال الله تعالى عن عُشّاق الصّور من قوم لوطي : (لَعَمَّرُ اللهُ إِنَّهُمْ كَنِي سَكَرَ رَبِيمْ يَعْمَهُونَ)(١) وإذا كان أدنى السكرين لا يُعذر صاحبه إذا تعاطى أسبابه ، فكيف يُعذر صاحبه إذا تعاطى أسبابه ، فكيف يُعذر صاحب السكر الأقوى مع تعاطى أسبابه ؟ وإذ قد وصلنا إلى هـذا الموضع فلنذكر باباً فى سكرة الحب وسبها ،

⁽١) الآية ٧٢ سورة الحجر .

البائبالثإنى عيثر

في سكرة العشاق

ولا بدّ قبل الخوض فى ذلك من بيان حقيقة السكر وسببه و تَوَكَّده فنقول: السّكر لذّة يغيب معها العقلُ الدى يُعْلَم به القولُ ويحصلُ معه التمييز . قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا اللَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْرَبُوا الصَّارَةَ وَأَ نَمُ سَسَكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا ما تَقُولُونَ وَنَ أَنْ الله الله الله الله الله الله يزول بها حكمُ السكران أن يعلم ما يقول ، فتى لم يعلم ما يقول ، وهذا هو فتى لم يعلم ما يقول فهوفى السكر ، وإذا علم ما يقول خرج عن حكمه ، وهذا هو حدُّ السّكران عند جمهور أهل العلم .

قيل للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى : بماذا يُعلَم أنه سكران ؟ فقال : إذا لم يعرف ثوبة من ثوب غيره ، و نعله من نعل غيره . ويُذكر عن الشافعي رحمه الله تعالى أنه قال : إذا اختلط كلامه المنظوم ، وأفشى سر"ه الشافعي رحمه الله تعالى أنه قال : إذا اختلط كلامه المنظوم ، وباح بسرته المكتوم . وقال محمد بن داود الأصفهانى : إذا عز بت عنه الهموم ، وباح بسرته المكتوم ، فالسكر يجمع معنيين : وجود كذاة ، وعدم تمييز ، والذى يقصد المكتوم ، فالسكر فد يتصد أحدكها وقد يقصد كليهما ، فإن النفس لها هو مي وشهوات تاتند بإدراكها ، والعلم بما والعلم بما والعلم المنافعة والآجلة يمنعها من تناؤلها ، والعلم يأمرها بأن لا تفعل ، فإذا زال العقل الآمر والعلم الكاشف انبسطت والعلم يأمرها ، وصادفت مجالا واسعاً .

وحرَّم الله سبحانه وتعالى السكر الشيئين ذكرها في كتابه من قوله:

⁽١) الآية ٤٢ سورة النساء.

(إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بِيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَاءَ فَى الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدُّكُمْ عَنْ ذِكْرِ آللهِ وَعَنِ آلصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ)(١) فأخبرَ الله سبحانه أنه يوجب المفسدة الناشئة من النفس بواسطة زوال العقل ، ويمنع المصلحة التي لا تَتِمُ إلا بالعقل .

وقد يكون سبب السكر أَلَمَا كَا يكون الذَّة . قال الله تعالى : (يَاأَيُّهَا الله تعالى : (يَاأَيُّهَا الله النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُم فَي إِنَّ زَلْزَلَة السَّاعَة شَى لا عَظِيم في عَلْمَ مَر وَنها تَذْهَل كُلُ مُر ضِيعة عَمَّا أَرْضَعْت وَتَضَع كُلُ ذَاتِ عَلْ مَلْ الله سَدِيد في النَّاسَ سُكارَى وَمَاهُم بِسُكَارَى وَلَدَيكِن عَذَابَ الله شَدِيد في النَّاسَ مَكَارَى وَمَاهُم بِسُكَارَى وَلَدَيكُون سببه قوة الفرح بإدراك الحبوب بحيث يختلط كلامه ، وتتغيّر أفعاله بحيث يزول عقله ، وربا قتله الفرح ببب طبيعي وهو انبساط دم القلب انبساطاً خارجاً عن العادة ، والدم حامل الحار الغريزى فيبرد القلب بسبب انبساط دمه فيحدث عن العادة ، والدم حامل الحار الغريزى فيبرد القلب بسبب انبساط دمه فيحدث الموت .

وقد جرى هذا لأحمد بن طُولون أمير مصر وانه مر بصياد في يوم بارد وعنده أبني له ، فرق عليهما، وأمر غلامه أن يدفع إليه ما معه من الذهب ، فصبه في حِجْره ومضى ، فاشتد فرحه به فلم يحمِل ماورد عليه من الفرح فقضى مكانه، فعاد الأمير من شأنه فوجد الرجل ميتاً والصبى يبكى عند رأسه فقال : من تحت و فقال : من شيئاً فقتله مكانه ، فقال الأمير : صدق نحن قتلناه . أتاه الغنى و هدلة شيئاً فقتله مكانه ، فقال الأمير : صدق نحن قتلناه . أتاه الغنى و هدلة شيئاً فقتله مكانه ، فقال الأمير : صدق نحن قتلناه . أتاه الغنى و هدلة شيئاً فقتله مكانه ، فقال الأمير : صدق نحن قتلناه . أتاه الغنى و هدلة شيئاً فقتله مكانه ، فقال الأمير : صدق نحن قتلناه . أتاه الغنى و هدلة شيئاً فقتله مكانه ، فقال الأمير : صدق نحن قتلناه . أتاه الغنى و هدلة شيئاً فقتله مكانه ، فقال الأمير : صدق نحن قتلناه . أتاه الغنى و هدلة بالمناه و من المناه ، فقال الأمير : صدق نحن قتلناه . أتاه الغنى و هدلة بالمناه ، فقال الأمير : صدق نحن قتلناه . أتاه الغنى و هدلة بالغنه ، فقال الأمير : صدق نحن قتلناه . أتاه الغنى و هدلة بالمناه ، فقال الأمير : صدق نحن قتلناه . أتاه الغنى و هدلة بالمناه . ألم بالمناه بالمناه بالمناه ، فقال الأمير : صدق نحن قتلناه . أتاه الغنى و هدلة بالمناه . ألم بالمناه بالمن

⁽١) الآية ٤٠ سورة المائدة .

^{. (}٢) أول سورة الحج .

واحدة (۱) فَعَجِزَ عن احمَاله نقتمه ، ولو أعطيناه ذلك بالتدريج لم يقتمه فرّض الصبيّ عَلَى أن يأخمذ الذهب فأبى وقال : والله لاأمسك شميئًا قتلى أبى .

والمقصودُ أَن السكرَ يوجب اللذَّة ويمنع العلم، فمنه السكرُ بالأطعمة والأشرية، فإن صاحبَها يحصلُ له لذَّة وسرور بها يحمله على تناوُلها لأنها نغيب عنه عقله فتغيب عنه الهموم والغموم والأحزان تلك الساعة، ولمكن يُغلَطُ فى ذلك فإنها لا تزول ولكن تتوارى، فإذا محا عادَت أعظمَ ما كانت وأوفرة، فيدعوه عَوْدُها إلى العَوْد كما قال الشاعر:

وكأس شربت على الذّة وأخرى تداويت منها بها ومن الناس من يقصد بها منفعة البدن وهو غالط ، فإنه يترتب عليها من المفرّة المتولّدة عن السكر ماهو أعظم من تلك المنفعة بكثير ، واللذّة الحاصلة بذكر الله والصدالة عاجلاً وآجلاً أعظم وأبقى وأدفع للهموم والغموم والأحزان .

وتلك اللذّة أجابُ شيء للهموم والغموم عاجلاً وآجلاً ، فني لذّة ذكر الله والإقبال عليه والصلاة بالقلب والبدن من المنامة الشريفة العظيمة السالمة عن المفاسد الدافعة للمضار عنى وعوض ، للانسان الذي هو إنسان عن تلك اللذّة الناقصة القاصرة المائعة لما هو أكل منها ، الجالبة لألم أعظم منها .

⁽١) وهلة واحدة : أى دفعة واحدة .

فصل

ومن أسباب السكر حبُّ الصُّور ، فإنه إذا استحكم الحبُّ وقوى أسكر الحجب ، وأشعارُهم بذلك مشهورة كثيرة ولا سيا إذا اتصل الجاع بذلك الحب ، فإن صاحب ينقص تمييزه أو يعدم فى تلك الحالة بحيث لا يميز ، فإن انضاف إلى ذلك السكر سكر الشراب بحيث يجتمع عليه سكر المموى وسكر الخر وسكر ُ الدّة الجلع فذلك غاية السكر . ومنه ما يكون سببه حب المال والر ناسة وقوة الغضب ، فإن الغضب إذ قوي اوجب سكراً يقر بمن سكر الخر .

ويدخل ذلك فى الإغلاق الذى أُبطل النبى صلى الله عليه وسلم وقوع الطلاق فيه بقوله: « لاطَلَاقَ فَى إغْلَاق » (١) رواه أُبو داود وقال: أُظنه الغضب. وفسّره الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى أيضًا بالغضب.

ومما يدُل على محسة ذلك قولُهُ تعالى : (وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ الشَّرُ اللهُ لِنَاسِ الشَّرَ السَّعَجَالَهُمْ بِالنَّهِمِ الْمَهْمِ أَجَلُهُمْ)(٢) قال السلَف فى تفسيرها : هو الرجل يدعو على نفسه وأهله فى وقت الغضب من غير إرادة منه لذلك ، فلو استجاب الله دعاءه لأهلكه وأهلك من دعا عليه ، ولكن لرَّحته لما علم أن الحامل له على ذلك سكرُ الغضب لا يجيب دعاءه .

ومن هذا قولُ الواجد لراحلته بعد يأسه منها وإيقاله بالهلاك: اللهم أنت

⁽١) فى الجامع الصغير: , لا طلاق ولا عتاق فى إغلاق ، قال: رواه أحمد فى مسنده وأبو داود وابن ماجه والحاكم ، وكذلك أورده المؤلف فى رسالته: , إغاثة اللهفان فى حكم طلاق النضبان ، .

⁽٢) الآية ١١، سورة يونس.

عبدى وأنا ربك ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَخْطَأُ مِنْ شَدِّةً الْفَرَحِ » (١) ولم يكن بذلك كافر العدم قصده . وذكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك تحقيقاً لشدة الفرح الذي أفضى به إلى ذلك . وإنما كانت هذه الأشياء قد توجب السكر لأن السكر سببه ما يوجب اللذَّة القاهرة التي تغمر العقل ، وسبب اللذَّة إدراك المحبوب ، فإذا كانت الحبة قويَّة وإدراك المحبوب قويًّا والعقل ضعيفاً حدث السكر ، لكن ضعف العقل يكون تارة من ضعف المحبة وتارة من ضعف المحبة وتارة من فعف المحبة الله والعشق والخر مالا يحصل من السكر للمبتدئين في إدراك الرئاسة والمال والعشق والخر مالا يحصل لمن اعتاد ذلك وتمكن فيه .

فصل

ومن أقوى أسباب السكر المُوجِبة له سماعُ الأصوات المطربة من جهتين: من جهة أنها في نفسها توجب لذَّة قوية ينغمر معها العقل، ومن جهة أنها عمر النفس إلى نحو محبوبها كائناً ماكان، فيحصُل بتلك الحركة الشوقُ والطلب مع التخيّل للمحبوب وإدناء صورته إلى القلب واستيلائها على الفكرة لذَّة عظيمة تقهرُ العقل، فتجتمع لذّة الألحان ولذَّة الأشجان، ولهذا يَقُونُ المَعنيُّون بهذه اللذّات سماعَ الألحان بالشراب كثيراً ليسكل لهم السكرُ بالشراب مهذه الحال والعشق والصوت المطرب، فيجدون من لذّة الوصال وسكره في هذه الحال مالا يجدونه بدونها.

فالخرُ شرابُ النفوس ، والألحانُ شَرابُ الأرواح ، ولا سيّما إذا اقترن بها من الأقوال ما فيه ذكر المحبوب ووصفُ حال المحب على مقتضى الحال التي

⁽١) من حديث رواه مسلم .

هو فيها ، فيجتمع سماعُ الأصوات العليبة وإدراكُ المعانى المناسبة ، وذلك أقوى بكثير من اللذّة الحاصلة بكل واحد منها على انفراده ، فتستولى اللذّة على النفس والرّوح والبدن أتمّ استيلاء فيحدث غايةُ السكر . فكيف يدّعى العذر من تعاطى هذه الأسباب ويقول : إن ماتولّد عنها اضطراريٌ غيرُ اختيارى وبالله التوفيق .

البابغ البالغ المنعبيق

في أنه اللذة ثابعة للمحبة في السكمال والنقصاب

فَكُمَا قُو يَتِ الْحِبُةُ قُويت اللَّهُ مُ بِإِدْرَاكُ الْحِبُوبِ ، وهذا البابُ من أُجِلَّ أبواب الكتاب وأنفعها . ونذكر فيه بيانَ معرفة اللذَّة وأقسامها وسراتها فنقول: . أما اللذَّة ففُسِّرت بأنها إدراكُ لللائم كما أن الألم إدراك المنافي . قال شيخنا: والصوابُ أن يقال إدراكُ الْمُلائم سببُ اللذَّة ، وإدراكُ المنساف سببُ الألم ، فاللذَّة والألم يَنْشَآنَ عن إدراك اللكرُّم والمُنافى ، والإدراكُ سبب لما ، واللذَّة أظهر من كل ما تُعَرُّف به فإنها أمرٌ وجداني ، وإنما تُعرُّف بأسبامها وأحكامها . واللذَّةُ والبهجةُ والسرورُ وقُرَّةَ العـين وطيبُ النفس والنعمُ أَلفاظُ مُتقاربةُ المعنى ، وهي أمر مطاوب في الجملة ، بل ذلك مقصود كل مي ، وذلك أمر -ضروريٌّ من وجوده ، وذلك في المقاصد والغايات بمزلة الحيسّ والعلوم البديهية فى المبادىء والمقدّمات ، فإن كل حى له علم وإحساس ، وله عمل وإرادة ، وعلمُ الإنسان لا يجوز أن يكون كما له نظريًّا استدلاليًّا لاستحالة الدُّور والتسلسل، بل لابدّ له من عملم أوَّلهُ بُديهي يبدّهُ النفس ويبتدىء فيها ، فلذلك أيسمي بديهيًّا وأُوَّليًّا ، وهو من نوع ما تُضطرُ إليه النفس ويُسمَّى ضروريًّا . فإن النفس تُضطر إلى العلم تارةً وإلى العمل أخرى ، وكذلك العملُ الاختياريُّ للوادئ له مُرادٌ ، فذلك المرادُ إما أن يُراد لنفسه أو لشيء آخر ، ولا يجوز أن يكون كلُّ مراد مراداً لغميره حمذراً من الدُّور والتسلسل ، فلا بدُّ من مراد مطلوب معبوب لنفسه ، فإذا حصل المطلوبُ المرادُ المجبوب فاقترانُ الذَّة والنعمة والفرح والسرور وقرّة العينبه على قدر قوّة محبته وإرادته والرغبة فيه ، وذلك أمر ذَوْقي وجدى ، ولهذا يغيب على أهل الإرادة والعمل من السالكين اسم النوق والوجد لما في وجود المراد المطلوب من الذوق والوجد الموجب للفرح والسرور والنعيم . فهاهنا ثلاثة أنواع من الأسماء متقاربة المعاني ، أحدها الشهوة والإرادة والميل والطلب والحجة والرغبة ونحوها ، الثاني : الذّوق الورجد والوصول والظفر والإدراك والحصول والنين ونحوها ، الثالث : اللذّة والفرح والنعيم والسرور وطيب النفس وقرّة العين ونحوها ، وهذه الأمور الثلاثة متلازمة .

فصل

وإذا كانت اللذّة مطاوبة لنفسها فهى إنما تُذُمَّ إذا أعقبت ألما أعظم منها أو منعت لذّة خيراً منها ، و تحمّد إذا أعانت على اللذّة الدائمة المستقرة وهى لذة الدار الآخرة ونعيمها الذى هو أفضل نعيم وأجله كا قال الله تعالى : (وَلاَ نُضيعُ أَجْرَ اللّهُ تعالى : (وَلاَ نُضيعُ أَدُو لَا يَتَقُونَ) (١٠) ، وقال تعالى : (بَلْ تُوْبِرُ وَنَ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَلَدَارُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ

⁽١) الآيتان ٥٦ و ٥٧ . سورة يوسف .

⁽٢) الآية ٣٠. سورة النحل.

⁽٣) الآيتان ١٦ و ١٧ . سورة الأعلى .

⁽ ٤) الآية ٦٤ . سورة النكبوت .

(فَاقَضِ مَا أَنْتَ قَاضِ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ آلَمُنَاةَ ٱلدُّنيا . إِنَّا آمَنا بِرَ بَنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السَّحْرِ وَٱللهُ خَيْرٌ وَأَ بْتَى) (1) ، وَاللهُ سبحانه و تعالى إنما خاق الخلق لدار القرار وجعل اللذة كلما بأسرها فيها كا قال الله تعالى : (وَفِيهَا مَانَشْتَهِيهِ آلاً نَفْسُ وَ تَلَذَ آلاَغِينُ) (3) ، وقال تعالى : (فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسُ مَا أُخِنِي لَهُمْ مِنْ قُرَّةٍ أَعْيُنِ) (3) ، وقال النبي صلى الله عالى : (فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسُ مَا أُخِنِي لَهُمْ مِنْ قُرَّةٍ أَعْيُنِ) (4) ، وقال النبي صلى الله عالى : أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَالاً عَيْنُ رَأَتْ اللهُ عَلَى وَلَا النبي صلى وَلاَ أَذُن سَمِقتُ وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْب بَشَر بَلُهُ مَا اطْلَمْتُمْ (1) ﴾ أي غير ما الله عنه ، وهذا هو الذي قصده الناصح لقومه الشفيقُ عليهم حيث قال : (يَاقَوْمُ مُ آتَبِعُونِ أَهْدَكُمُ سَجِيلَ ٱلرَّشَادِ . يَاقَوْمُ مَ إِنَّمَا هَذِهِ آلَدُنيَا مَاعَ مُنْعَمِنُ أَهْدَكُمُ اللهُ أَنْنَا مِناعٌ مُنْعَمَّمُ بِهَا مَنَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِي دَارُ الْقَرَارِ) (٥) فأخبرهم أن الدُّنيا متاع مُنتَمَّعُ مِن اللهُ عَيْمَ مَا اللهُ عَيْمَا مَا اللهُ عَيْمَ مِنْ وَالنَاية . المُنتَقُومُ والناية . المُنتَقِرُهُ والناية .

فصل

وإذا عُرِنَ أَن لَذَّاتِ الدنياونعيمُها متاعُ ووسيلةُ إلى لَذَّات الدار الآخرة ولذاك خُلِقت كا قال النبي صلى الله عليه وسلم: « الدُّنْيَا مَتَاعُ وَخَيْرُ مَتَاعِ

⁽۱) الآيتان ۷۲ و ۷۳ سورة طه.

⁽٢) الآية ٧١ سورة الوخرف.

⁽٣) الآية ١٧ سورة السجدة .

⁽٤) رواة البخارى ومسلم والترمذى ببعض اختلاف فى الزيادة الاخيرة وهى لم ترد فى رواية البخارى .

⁽٥) الآيتان ٣٨ و ٣٩ سورة المؤمن .

الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ »(١) فكلُّ لَدَّة أعانت عَلَى لَذَاتِ الدار الآخرة فهى عبوبة مَرْضِيَة للرَّب تعلى ، فصاحبُها يلتذ بها من وجهين : من جهة تنعمه وتُرَّة عينه بها ، ومن جهة إيصالها له إلى مرضاة ربه وإفضائها إلى لذة أكل منها ، فهذه هى اللذة التي ينبغى للعاقل أن يسعى فى تحصيلها ، لااللذَّةُ التي تُعقبُهُ عَلية الألم و تفوَّتُ عليه أعظمَ اللذات ، ولهذا يثابُ المؤمنُ على كل ما بلتذ به من المباحات إذا قصد به الإعانة والتوصُّلَ إلى لذة الآخرة ونعيمها ، فلا نسبة بين لذة صاحب الزوجة أو الأمّة الجيلة التي يحبها وعينه قد قرَّت بها ، فإنه إذا باشرها والتذَّ قلبُه وبدنه ونفسُه بوصالها أثيب على تلك اللذة فى مقابلة عقوبة صاحب الذة المحرَّمة على لذّته ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ، «وَ في عقوبة صاحب اللذة الحرَّمة على لذّته ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ، «وَ في عقوبة صاحب اللذة الحرَّمة على لذّته ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ، «وَ في بُضْع أَحْرُ مُ أَحْرُ قَالُوا يَارَسُولَ ٱللهِ أَيْاتِي أَحَدُ نَا شَهُو تَهُ وَ يَسكُونُ لَه بُضْع أَحْرُ مُ قال : أَرَّا يَتُم فَى الْمَالِلُه عليه وزْرٌ وقالوا : نعم فيها : فيكذلك إذا وضَمَها في المُلكل يَكُونُ لَه مُؤْرِد » (١٠) .

واعلم أن هذه اللذّة تتضاعف و تتزايد بحسب ما عند العبد من الإقبال على الله وإخلاص العمل له والرغبة في الدار الآخرة ، فإن الشهوة والإرادة المنقسمة في الشّور اجتمعت له في صورة واحدة ، والخوف والهم والغم المنتسمة في الشّور اجتمعت له في صورة واحدة ، والخوف والهم والغم الذي في اللذة المحرّمة معدوم في لذّته ، فإذا اتنق له مع هذا صورة جميلة ورزف حُبّما ورزقت حُبّه وانصرفت دواعي شهوته إليها ، و قصرَت بَصَرَه عن

⁽١) رواه مسلم قال السيوطى : ورواه الامام أحمد في مسنده والسائي .

⁽۲) رواهمسلموسياتى بعضه معزواتخريجه للنسائى والبضع :الجماع أوالفرج نفسه وعقد الزواج وهو أيضاً يبق الطلاق كما هو .

النظر إلى سواها ونفسة عن النطبع إلى غيرها فلا مناسبة بين لذّته ولذّة صاحب الصورة الحرَّمة. وهسذا أُطيب نعيم يُنالُ من الدُّنيا ، وجعله النبي صلى الله عليه وسلم ثالث ثلاثة بها يُنال خير الدُّنيا والآخرة وهي : قلب شاكر ، ولسان ذاكر ، وزوجة حسناه إن نظر إليها سرته ، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله، فالله المستعان .

وقال القاسم بن عبدالرحمت : كان عبدالله بن مسعود رضى الله عنه يقرأ القرآن فإذا فرغ قال : أين العُزّاب ؟ فهقول : ادنوا منى ثم قولوا : اللهم ارزقنى امرأةً إذا نظرتُ إيها سرتنى ، وإذا أمرتها أطاعتنى ، وإذا غِبْت عنها حفظت غيبتى فى نفسها ومالى .

والألم والحزن والهم والغم ينشأ من عدم العلم بالمحبوب النافع ، أومن عدم إدادته وإيثاره مع العلم به ، أو من عدم إدراكه والظفر به مع محبته وإدادته ، وهذا من أعظم الألم . ولهذا يكون ألم الإنسان في البرزخ (١) وفي دارالحيوان (٢) بنوات محبوبه أعظم من أله بفواته في الدنيا من ثلاثة أوجه ، أحدها : معرفته هناك بكال مافاته ومقداره ، الثاني : شدة حاجته إليه وشوق نفسه إليه مع أنه قد حيل بينه وبينه كمال قال الله تعمالى : (وحيل بينم و وبين مايشتمون) (١) والثالث : حصول ضده المؤلم له . فليتأمل العاقل هذا الموضع ولينز لنفسه منزلة من الثالث : حصول ضده المؤلم له . فليتأمل العاقل شيء وأحوجه إليه فواتا لاير جي تدار كه وحصل على ضده ، فيالها من مصيبة ما أوجعها ، وحالة ما أ فغاهها ، تدار كه وحصل على ضده ، فيالها من مصيبة ما أوجعها ، وحالة ما أ فغاهها ،

⁽١) البرزخ: الحاجربين شيئين، ومابين الموت والبعث، فن مات فقد دخل البرزخ. قال تعالى: (ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون).

⁽٢) دار العيوان: هي الدار الآخرة.

⁽٢) آخر آية من سورة سبأ .

قأين هذه الحال من حالة مَنْ يلتذُّ في الدنيا بكل ما يقصد به وجه الله سهحانه وتمالى من الأكل والشرب واللباس والنكاح وشفاء النيظ بقهر المدو وجهاد في سبيله، فضلاً عما يلتذ به من معرفة ربه وحبه له وتوحيده والإثابة إليه والتوكل عليه والإقبال عليه وإخلاص العمل له والرضا به وعنه ، والتفويض إليه وفرح القلب وسروره بقربه والأنس به والثوق إلى لقائه كافي الحديث الذي معجه اين حبّان والحاكم : « وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّذَرِ إلى وَجْهِكَ وَالشَّوْقَ إلى لقائدي الله الله والرقت الذي معجه والمقوى والنقس والدنيا والمدو الظاهر ، فكيف إذا تجر دت الروح وفارقت والموى والنقس والدنيا والمدو الظاهر ، فكيف إذا تجر دت الروح وفارقت من آلنَّهِ عَلَيْم والمولى والنقس والدنيا والمدو الظاهر ، فكيف إذا تجر دت الروح وفارقت من آلنَّه عَلَيْم فينا لك مِن آلنَّه وَكَنَى بِأَلله عَلَيْم أَله والمناس المناس المناس والمناس المناس والمناس المناس والمناس والمناس المناس والمناس المناس والمناس والمناس المناس المناس والمنات والمناس المناس المناس والمناس المناس المناس المناس والمناس المناس المناس والمناس المناس المناس والمناس المناس المناس المناس المناس عن فيها المناس والمناس المناس المناس المناس عن أنواع اللذة والبهجة والسرور مالا عين رأت ولا أذن سمت ولا خطر على على المناس عن فيل دار النعم فينا لك من أنواع اللذة والبهجة والسرور مالا عين رأت ولا أدن سمت ولا خطر على على المناس المناس المناس المناس المناس المناس المناس عن ذلك رَعَام ، ولا تعبد الله المناس المن

خَفَافِيشُ أعشاها النهارُ بضوئه ولاَءَمَها قِطَعُ من الليـل مظلم (٣) تجول حول المرش، وتندس تجول حول المرش، وتندس في الأحجار، إذا طارت النفوس الزكية إلى أعْلى الأوكار.

⁽١) تقدم مطولا ومعزوا إلى مسند أحمد في الصفحة.٣.

⁽٢) الآيتان ٢٨ و ٢٩. سورة النساء.

^{(ُ} ٣ ُ) الحفاش : الوطراط يبصر في الليل ويممى في النهار والجمع خفافيش . ولاحمها : وافقها . والفطع بالسكسر : ظلمة آخر الليل أو القطمة منه .

وكل لذة أعقبت ألما أو منعت لذة أكل منها فليست بلذة في الحقيقة وإن غالطت النفس في الالتداذ بها ، فأى لذّة لآكل طعام شهى مسموم يتمطّع أمعاء عن قريب ؟ وهذه هى لذّات الكُفّار والفُسّا في بعلوهم في الأرض وفسادهم و فرحهم فيها بغير الحق ومرَحهم . وذلك مثل لذّة الذين اتخذوا من دون الله أولياء يجبونهم كحب الله ، فنالوا بهم مَودة بَيْنهم في الحياة الدنيا ، مم استحالت تلك اللذة أعنلم أكم وأمرة . ومن ذلك لذة المقائد الفاسدة والفرح بها ، ولذة غكبة أهل الجور والظلم والعدوان والزبي والسرقة وشرب المسكرات ، وقد أخبر الله سبحانه وتعالى أنه لم يُمكننهم من ذلك لخير يريده المسكرات ، وقد أخبر الله سبحانه وتعالى أنه لم يُمكننهم من ذلك لخير يريده نبك هم ، إنما هو استدراج منه لينيلهم به أعظم الألم قال الله تعالى : (أيحسبكون أنما ننيدهم به أعظم الألم قال الله تعالى : (أيحسبكون أنما في نيده في الخيرات بل لايشهرون) (١) وقال تعالى : (فَالا تُعجبك أمو النهم ولا أولادهم إنها يريد الله ليعذ بينهم وقال تعالى : (فَالا تُعجبك أمو النهم ولا أولادهم إنها يريد الله ليعذ بيعد بها في المخياة الدنيا وتزهي أنفهم ولا أولادهم إنها يريد الله ليعذ بيعد بها في المخياة الدنيا وترزه هي أنفهم ولا أولادهم إنها يريد الله ليعذ بيعد بها في المخياة الدنيا وتزهي أنفهم ولا أولادهم إنها يريد الله ليعد الله ليعذ بهم في الخياة ولدنا ولا وتعالى الله وتعالى ولا أولادهم إنها يريد الله ليعد بها في المخياة الدنيا وترزه و أنفهم والمهم والمؤمن) (١) .

فصل

وأما اللذّة التي لا تعقب ألماً في دار القرار ولا توصل إلى لذّة هناك فهي لذّة باطلة ، إذ لامنفعة فيها ولا مضرّة ، وزمنُهَا يسيرُ ليس لتمتُع النفس بها قدر وهي لابدً أن تَشْفَلَ عما هو خير وأنفعُ منها في العاجلة والآجلة وإن لم تَشْفَلُ

(١١ م-رومنة الحيين)

⁽١) الآيتان :٥٥و٥٦ . سورة المؤمنون.

^{(ُ}٢) الآية ٦٥ . سورة التوبة .

عن أصل اللذة في الآخرة وهذا القسم هو الذي عناه النبي صلى الله عليه و سلم بقوله:
لا كُلُّ لَهُ و يُلْمُو يَهُ الرَّجُلُ فَهُو بَاطلٌ إِلاَّ رَمْيَهُ بِبَوْسِهِ وَتَأْدِيبَهُ فَرَسَهُ وَمُلاَعَبَتَهُ أَهْلَهُ فَإِلَّهُمْنَ مِنَ المُقَّ » (١) (رواه مسلم) ولهذا كانت لذة اللعب بالدف في العرس جائزة فإنها تعين على النكاح ، كا تعين لذة الرحى بالقوس وتأديب الفرس على الجهاد ، وكلاها محبوب لله . فما أعان على حصول محبوبه فهو من الحق ، ولهذا عدّ ملاعبة الرجل امرأته من الحق لإعامتها على مقاصد النكاح الذي يحبه الله سبحانه وتعالى ، ومالم يُعِنْ على محبوب الرب تعالى فهو باطل لافائدة فيه، ولكن إذا لم يكن فيه مضرّة وراجحة لم يُحرّم ولم يُنه عنه، ولكن إذا لافائدة فيه، ولكن إذا مقيمًا عنده عن ذكر الله وعن الصلاة صار مكر وها بغيضًا للرب عز وجل مقيمًا عنده إما بأصله وإما بالتحاور فيه . وكل ماصدً عن اللذة المطلوبة فهو وبال على ضاحبه ، فإنه لو اشغنل حين مباشرته له بما يننعه ويَجْلِبُ له اللذة المطلوبة ضوو بالناقية لمكان خيراً له وأنفع .

ولما كانت النفوس الضعيفة كنفوس النساء والصبيان لاتنقاد إلى أسباب اللذة العظمى إلا بإعطائها شيئاً من لذة اللهو واللعب بحيث لو فطمت عنه كل الفطام طلبت ما هو شر كما منه رخص لهسا من ذلك فيا لم يرخص فيه لنسيرها . وهذا كما دخل عر بن الخطاب رضى الله عنه على الذي صلى الله عليه وسلم وعنده جوار يضربن بالدنف فأسكتهن لدخوله وقال «هذا رُجُلُ لا يُحِبُ الْباطِل » (٢) فأخبر أنذلك باطل ولم يمنعهن منه لما يترتب لهن

⁽١) غير موجود في صحيح مسلم ، وقال الراقي في تخريج أحاديث الإحياء : رواه أصحاب السنن الاربعة .

⁽٢) رواه الإمام أحمد فى قصة أخرى ئيس فيها ذكر الدف والجوارى بل قاله صلى الله عليه وسلم للا سود بن سريع وكان ينشده شعراً .

عليه من المصلحة الراجحة ، و يَثْرُ كُنَّ به مفسدةٌ أرجح من مفسدته ، وأيضاً فيحصلُ لهم من التألُّم بتركه مفسدةٌ هي أعظمُ سن مفسدته ، فتمكينهم من ذلك من بأب الرحمة والشنقة والإحسان ، كا مكن النبي صلى الله عليه وسلم أَبَا عُمَير من اللعب بالعصنور بحضرته (١)، ومكن الجاريتين من النناء بحضرته (٢) ومكنُّ عَائشةً رضى الله عنها من النظر إلى الحبَشَّة وهم يلعبون في المسجد (٢) ، ومكَّن تلك المرأة أن تضرب عَلَى رأسه بالدُّف (٣) و نظائر ذلك . فأين هذا من أتخاذ الشيوخ المشار إليهم المقتدى بهم ذلك دينًا وطريقًا مع التوسُّع فيه غاية التوسُّع ِ بما لاريب في تحريمه ؟ ونظيرُ هذا إعطاء النبي صلى الله عليه وسلم المؤلَّفَةَ قلوبهم من الزكاة والغنيمة لضعف قاوبهم عن قلوب الراسخين في الايمان من أصحابه ، ولهـذا أعطى هؤلاء ومنع هؤلاء وقال: أَ كِلْمُهُمْ إِلَى مَاجَّعَلَ اللهُ في قلوبهم من الغَناء والخير ، ونظير هـذا مزاحُه صلى الله عليه وسـلم مع مزَّز كان يمزح معه من الأعراب والصبيان والنساء تطييباً لقلوبهم ، واستجلاباً لإيمانهم ، وتفريحًا لهم . وفي سراسيل الشُّعبيُّ أَن النبيُّ صلى الله عليه وسلم مرَّ على أصحاب الدِّركِلَة فقال : « خذوا يابني أَرْفِدَة (١) حَتَّى تَعْلَمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى أَنَّ فِي دِينِنَا فَشَحَةً » (ذكره أبوعبيد وقال: الدِّركَلَة : لعبة السجم) فالنبيُّ صلى الله عليه وسلم يبذُل النهوس من الأموال والنافع مايتأُلَّهُمَا به على الحق المأمور به ويكون المبذول بما يلتذُّ به الآخذ ويحبه ، لأن ذلك وسيلةٌ إلى غيره ، ولايفعل

⁽۱) البخارى ومسلم والترمذى .

⁽٢) هو في الصحيحين.

⁽٢) ربما يشير بذلك إلى إنشاد النساء عند قدوم رسول الله صلى الله عليه قال الحافظ السراقي : رواء البيهق في دلائل النبرة و ليس فيه ذكر للدف والالحان .

⁽٤) أرفدة : ابو الحبش . والحديث رواه الخرائطي في اعترل القلوب وفي الصحاح بلفظ حدوا .

ذلك مع من لايحتاج إليه كالمهاجرين والأنصار، بل يبذل لهم أنواعًا أخرَ من الإحسان إليهم، والمنافع في دينهم ودنياهم .ولما كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ممن لايحب هذا الباطل ولا سماعه، ولا يحتاج أن يُتَأَلَّفَ بما يُتَأَلَّفُ به غيرُه، وليس مأموراً بما أمر به النبيُّ صلى الله عليه وسلم من التأليف على الإيمان به، وطاعته بكل طريق - كان إعراضه عنه كالاً بالنسبة إليه، وحالُ النبي صلى الله عليه وسلم أنكلُ .

فصل

إذا عُرف هذافاً قسامُ اللذَّات ثلاثة * : لذَّة * جُمَانية ، ولذة خيالية وَهُمِية ، ولذَّة خيالية وَهُمِية ، ولذَّة خيالية وَهُمِية ،

فاللدة الجثمانية لذّة الأكل والشرب والجماع ، وهذه اللذة كيشترك فيها مع الإنسان الحيوان البهيم ، فليس كال الإنسان بهذه اللذة لمشسساركة أبقص الحيوانات له فيها ، ولأنها لو كانت كالا لكان أفضل الإنسان وأشرفهم وأكملهم أكثرهم أكلاً وشربًا وجماعًا ، وأيضًا لو كانت كالا لكان نصيب وسل الله وأنبيائه وأوليائه منها في هذه الدار أكل من نصيب أعدائه . فلما كان الأمر بالضد تبين أنها ليست في نفسها كالا ، وإنما تكون كالا إذا تضمّنت إعانة على اللذة الدائمة العظمي كا تقدم .

فصل

وأَمَا اللذَّة الوهميَّةُ الخياليــة فلذةُ الرِّئاسة والتماكظم على الخاقي والفنخر والاستطالة عايهم . وهذه اللذة وإن كان طُلابُها أشرف نفوساً من طلاب اللذة الأولى فإن صاحبها الامتها وما توجبه من المفاسد والمضار أعظمُ من التذاذ النفس بها، فإن صاحبها منتصب لعاداة كل من تعاظم وترا سعليه . ولهذا شروط وحقوق تفوت على صاحبها كثيراً من لذاته الحسيّة ، ولايتم إلا بتحيّل مشاف وآلام أعظم منها . فليست هذه في الحقيقة بلذة وإن فرحت بها النفس وسُرَّت بحصولها . وقد قيل : إنه لاحتميقة للذة في الدُّنيا وإنما غايتُها دفع آلام كا يُدفع ألمُ الجوع والعطش وألمُ الشهوة بالأكل والشرب والجاع . ولذلك يُدفع ألمُ الجول وسقوط القدر عند الناس بالرِّئاسة والجاه . والتحقيق أن اللذة آمر وجودي يستازم دفع الألم بما بينهما من النضاد .

فصل

وأما اللذة ألعقلية الرُّوحانية فهى كلذة المحرفة والعلم والاتصاف بصفات الكلل من الكرم والجود والعفة والشجاعة والصبر والحلم والمروءة وغيرها ، فإن الالتذاذ بذلك من أعظم اللذات ، وهو لذة النفس الفاضلة العلوية الشريفة ، فإذا النصبَّت اللذة بذلك إلى لذة معرفة الله تمالى ومحبته وعبادته وحده لاشريك له والرضا به عوضاً عن كل شيء ولايتتموَّض بغيره عنه فصاحب هذه اللذة في جنة عاجلة نِسْبتها إلى لذات الدنيا ، كنسبة لذة الجنة إلى لذة الدنيا ، فانه ليس للقلب والرُّوح ألذُّ ولا أطيب ولا أحلى ولا أنعم من عبة الله والإقبال عليه وعبادته وحده وقرة الهين به والأنس بقربه والشوق إلى لقائه وروقيته ، وإن مثقال ذرّة من هذه اللذة لا يُعدّل بأمثال الجبال من لذّات الدنيا ولذلك كان مثقال ذرّة من إيمان بالله ورسوله يُخلّص من الخلود في دار الآلام ولذلك كان مثقال ذرّة من إيمان بالله ورسوله يُخلّص من الخلود في دار الآلام

فكيف بالإيمان الذي يمنع دخو لَها؟ قال بعض العارفين: مَنْ قرَّت عينه بالله قرَّت به كُلُّ عين ، ومَنْ لم تَقَرَّ عينه بالله تقطَّمت نفسه على الدنيا حَسَرَات ، ويكنى في فضل هذه اللذة وشرفها أنها تخرِج من القلب ألم الحسرة على مايفوت من هذه الدنيا ، حتى إنه ليتألَّم بأعظم مايلتذ به أهابها ، و يفرُّ منه فرارَهم من المؤلم . وهذا موضع الحاكم فيه الذوق لا يجرَّدُ لسان العالم . وكان بعض العارفين يقول : مساكين أهل الدنيا خرجوا من الدئيا ولم يذوقوا طيب نعيمها ، فيقال له : وما هو ؟ فيقول : محبة الله والأنس به والشوق إلى لقائه ومعرفة أسمائه وصفاته .

وقال آخر: أطيب ما فى الدنيا معرفتُه ومحبَّتُه ، وألذُّ مانى الآخرة رؤيتُهُ وسماعُ كلامه بلا واسطة .

وقال آخر: والله إنه كَيَمُرُ بالقاب أوقات أقول فيها: إن كان أهل الجنة في مثل هذه الحال إنهم لني عيش طيب. وأنت ترى محبة مَنْ في محبته عذاب القلب والرُّوح كيف توجب لصاحبها اذّة يتمنى أنه لايفارقه حبَّه كا قال شاعر الحاسة:

تَشَكَّى المحبون الصبابة ليتنى عملت ما يلقون من ينهم وَحدى (١) فكانت لقلبى لذَّةُ الحبِّ كلمُّا فلم يَلقَهَا قبلى محبُّ ولا بعدى قالت رابعة : شَغَلُوا قلوبهم بحب الدنيا عن الله ، ولو تركوها لجالت فى اللكوت ثم رجعت إليهم بطرائف الفوائد ، وقال سكم المؤواس : تركتمؤه ، وأقبل بعض ، ولو أقبلتم عليه لزأيتم العجائب ، وقالت أمرأة من (١) تقدم هذا البيت في الصفحة ٢٧ .

العابدات: لو طالعت قاوب المؤمنين بفكرها ما ذُخر لها في حُبُب النيوب من خير الآخرة لم يَصْفُ لها في الدنيا عين ، ولم تَقَرَّ لها في الدنيا عين ، وقال بعض الحجين : إن حبَّه عز وجل شغل قاوب مُحبَّيه عن التاذُذ بمحبة غيره ، فليس لهم في الدنيا مع حبه عز وجل الذَّة تد الى محبته ، ولا يؤمنون في الآخرة من كرامة الثواب أكبر عندهم من النظر إلى وجه محبوبهم ، وقال بعض السَّلف : مامن عبد إلا وله عينان في وجهه يبصر بهما أمر الدنيا ، وعينان في قلبه يبصر بهما أمر الآخرة ، فإذا أراد الله بعبد خيراً فتح عينيه اللَّتَيْنِ في قلبه فأبصر بهما من اللذَّة والنعيم مالا خطر له مما وَعَد به مَنْ لا أصدق منه حديثاً ، وإذا أراد به غير ذلك تركه على ما هو عليه ثم قرأ : (أمْ عَلَى تُولوب أَ قفالها) (١) ولو لم يكن للقلب المشتغل بمحبة غير الله المعرض عن ذكره العقوبة إلا صدؤ ه وقسوته يكن للقلب المشتغل بمحبة غير الله المعرض عن ذكره العقوبة إلا صدؤ ه وقسوته وتعطيله عما خُلق له لسكنى بذلك عقوبة .

وقد روى عبد العزبز بن أبى رَوَّاد عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنَّ هذه القُلُوبَ تَصْدَأُ كَمَا يَصْدَأُ الله على الله عليه وسلم : إنَّ هذه القُلُوبَ تَصْدَأُ كَمَا يَصْدَأُ المَّدِيدُ ،قيل: يَا رَسُولَ ٱلله فَمَا جِلَاؤُهَا ؟ قال : « تِلاَوَةُ الْقُر • آنِ » (٢) وقال بعض العارفين : إن الحديد إذا لم يُستمل فَ غَشيه الصَّدَأُ حتى يفسد ه ، كذلك القلب إذا عُطِّل من حب الله والشوق إليه وذركره عَلبه الجهل حتى يميته ويُه لكه . وقال رجل للحسن : يا أبا سعيد أشكو إليك قدوة قلبي ، قال: أذبه بالذّ كر . وأبعد القلوب من الله القلب القاسى ، ولا يُذهب قساوته إلا حب متافى ، وإن لم وخوف من عج ، فإن قيل : ما السبب الذي لأجله ياتذ الحجب بحبه وإن لم أو خوف من عج ، فإن قيل : ما السبب الذي لأجله ياتذ الحجب بحبه وإن لم

⁽١) الآية ٢٤ سورة محمد .

⁽٢) في شرح الإحيا ملك ها فظ المراق قال: رواه البيهق في الشعب بسندضعيف.

يظفر بحبيبه ؟ قيل: الحبّ بوجب حركة النفس وشدة طلبها ، والنفس خُلِقت منحركة بالطبع كحركة النار ، فالحب حركتُها الطبيعية ، فكلّ من أحب شيئاً من الأشياء وجد فى حبه لذّة ورَوْحاً ، فإذا خلا عن الحب مطلقاً تعطلت النفس عن حركتها و تُقلت ركسلت وفارقها خفة النشاط. ولهذا تجد السكسالي أكثر الناس همّا وغمّا وحزناً ، ليس لهم فرخ ولا سرور ، بخلاف أرباب النشاط والجد فى العمل أى عمل كان ، فإن كان النشاط في عمل هم عالمون بحسن عواقبه وحلاوة غايته ، كان التذاذه بمجه ونشاطهم فيه أقوى . وبالله التوفيق .

الباب الرابع عيشر

قيمى مدح العشق وتمناه ، وغبط صاميه على ما أونيه من مناه

هذا موضع انقسم الناس فيه قسمين، وربما كان الشخص الواحد فيه مجموعُ الحالتين . فقسمٌ مدحوا المثنقَ وتمنُّوه ورغبوا فيه ، وزعموا أن مَن لِم يَذُق طعمَه لم يذف طعم العيش. قالوا: وقد تبيَّن أن كال اللذَّة تابع لـكال الحبّ فأُعظم الناس لذَّةً بالشيء أكثرُ هم محبـةً له، وقد تقدَّم تقريرُ ه. قالوا: وقد حبُّ اللهُ سبحانه وتعمالي إلى رُسُله وأنبيانُه نساءهم وسراريهم ، فسكان آدم أبو البشر شديدَ الحبة لحرَّاء ، وقد أُخبر اللهُ سبَّعانه وتعالى أنه خلق زوجته منه ليسكن إليها . قالوا : وحبُّه لها هو الذي حمله على موافقتها في الأكل من الشجرة . قالوا: وأوَّلُ حبٌّ كان في هذا العالم حبُّ آدمَ لحوًّا، وصار ذلك سنَّةً في ولده في المحبة بين الزوجين . قالوا: ومذا داود من محبته للنساء جمع بين مأنَّة المرأة . وكذلك ابنُه سليان . قالوا : وقد عاب اليهودُ - عليهم لعائن الله — رسولَ الله صلى الله عليه وسلم محبة النساء وكثرة تزوُّجه،فأنزل اللهسبحانه وتعالى ذبا عن رسوله صلى الله عليه وسلم و إخباراً بأن ذلك من فضله و إنعامه عليه: ﴿ أَمْ يَعْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَى مَا آتَاكُمُ اللهُ مِنْ فُضْ لِهِ فَقَدْ آتَكَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ أَلْكِتَابَ وَأَلِمْكُمَّةً وَآتَيْنَاكُمْ مُلْكُمَّا عَظِيمًا)(١) . قالوا: وقد كان عند إبراهيم خليل الرحمٰن أَجمل النساء سارَّة ، ثم تسرَّى بهاجر وكانت المحبة لها . قال سعد ابن أبي وقَّاص رضي الله عنه : كان إبراهيم الخليل يحب سُرِّيَّتُــه هاجر معبةً

⁽١) الآية ٥٣ . سورة النساء.

شديدة ، وكلن يزورها في كل يوم على الْبُران من الشام من شغفه بها .

قال الخرائطي: حدّ ثنا نصر بن داود ، حدّ ثنا الواقدى، عن محمد بن صالح ، عن سعد بن إبراهيم ، عن عامر بن سعد ، عن أبيـ فذكره ، وقد ثبت في الصحيح من حديث السُّعبي عن عمر و بن العاص رضي الله عنسه قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم عَلى جيش وفيهم أبو بكر وعمر ٌ رضى الله عنهما ، فلما رجعت قلت: يا رسول الله ، من أحبُّ النَّاس إليك ؟ قال: وما تريد ؟ قلت : أحب أن أعلم . قال : عائشة ، قلت : إنما أعنى من الرجال ، قال : أبوها(١) وذكر مبارك بن نُضالة عن على بن زيد عن عتب عن عائشة ، أن فاطمة رضى الله عنهم ذكرتها عند النبي سلى الله عليه و سلم نقال لها: يَابُذَيَّة إنها حبيبة أبيك . وأصل الحديث في الصحيح من حديث الليث عن ابن شهاب عن محد. ابن عبد الرحمن عن عائشةَ رضى الله عنها قالت : أرسل أزواج النبي حسلي الله عليه وسلم فاطمة بنت النبي صلى الله عليه. وسلم إليه ، فدخلت وهو مضطجم معى في مير على (٢) ، فقالت : يا رسول الله ، إن أزواجَك يسألنك العمدل في ابنة أبي قُحافة ، وأنا سَاكتة ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَلَسْتِ تُمِيِّينَ مَا أُحِبُ ؟ قالت : كُلِّي ، قال : فأُحِيِّي هذه م (٣) وثبت في الصحيح من حديث حماد بن سلمة عن أيوب عن أبي قلابة عن عبد الله بن يزيد عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله حالى الله عاليه وسلم يَقْسِمُ بين نسائه فيمدل

⁽١) رواه البخارى ومسلم بنعوه .

[﴿] ٢ ﴾ المرط : كساء من خُرَ أو صنوف أركتان يؤتزر به ومتلفع به المرأ جمعه مروط .

⁽٣) رواه مسلم والنسائي .

ويقول: « اللَّهِمَّ هَٰذَا فِعْلِى فِيمَا أَمْلِكُ فَلَا تَلُونِي فِيهَا تَمَالِكُ وَلَا أَمْلِكُ » (١) يريد صلى الله عليه وسلم أنه يعليق العدل بينهن في النفتة عليهن والقَسمُ بينهن ، وأما التسوية بينهن في الحبة فليست إليه ولا بملكها.

وقال ابن سيرين : سألت عَبِيدة (٢) عن قوله تعالى : ﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيمُوا أَنْ تَعْدِلُوا مَيْنَ ٱلنِّسَاءَ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ)(٣) فقال : يعنى الحبَّ والجاع .

وقال ابن عباس: لا يستطيع أن يبدل بينهن في الشهوة ولو حرص.

وقال أبو قيس مولى عمر و بن العادس: بسنى عمر و إلى أمّ سَـلَمة فقال: سلها أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُقَبِّلُ أَعْلَه وهو صائم ؟ فإن قالت لا فقل لها إن عائشـة رضى الله عنها حدَّثتنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلمكان يقبلها وهو صائم ، فسألها فقالت: لا ، فأخبرها بما قال عبد الله (١) ، فقالت أمّ سلمة رضى الله عنها إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى عائشة رضى الله عنها لم يتمالك عنها ، أما أنا فلا . وفال بيان الشعبى " : أتانى رجل فقال : كُل آمّهات المؤ منين أحب إلا عائشة ، فقلت : آما أنت فقد خالفت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانت عائشة رضى الله عنها أحبهن إلى قلبه .

وقال مُصغّبُ بن سعد: فرض عمر بن الطاب رضى الله عنه لأمهات المؤمنين رضى الله عنهن عشرة آلاف عشرة آلاف، وزاد عائشة ألفين وقال:

⁽۱) رواه أبو داودوالترمذىوالنسائى وابن ماجهوابن حبان في صحيحه وجاء في تفسير الغرطبي ج ٥ . اللهم هذه قسمتي ،

⁽٢) هو عبيدة السلماني كما جاء في تفسير الفرطبي

⁽٣) الآية ١٢٩. سورة النساء.

[﴿] كَ ﴾ كَذَا..ولمن الصواب أبو عبد الله أو عمرو والثابت في شخيح مسلم أنه صلى الله عليه وسلم كان يقبل أم سلمة وهو صائم .

إنها حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان مسروق إذا حدَّث عن عائشة رضى الله عنها يقول : حدَّثتنى الصدِّ يتنه أبنت السدِّ يق حبيبة رسول ربّ العالمين المبرّأة من فوق سبع سموات . قال أبر مجمد بن -زم : وقد أحب من الخلفاء الزاشدين والأثمة المَهْدِيين كثير .

قال الخرائعلى: واشترى عبد الله بن عمر َ جارية وميّة فسكان يحبّها حبّا شديداً ، فوقعت ذات يوم عن بنلة له فجمل يمسنع التراب عن وجهها ويفدّيها . وكانت تقول له : أنت قالون ، تمنى جيد ، ثم إنها هربت منه فوجد عليها وجداً شديداً وقال :

قد كنتُ أحسبني قالونَ فانسرفت فاليوم أعسلمُ أنى غيرُ قالون وقصة مُغيث وعشقه بريرة سي إله كان يطوف وراءها ودموعُه تسيل على خديه (۱) في الصعيح . وكان عُرُوة بن أذَينَة شيخُ مالك من العلماء الثقات الصُّلَحاء وقفت عليه امرأة فنالت : أنت الذي يقال له الرجلُ الصالح وأنت تقول :

إذا وجدتُ لهيبَ الحبّ في كَبِدى عَدَتُ نحو سِقاء القوم أَبْتَرِدُ هذا بَرَدْتُ بَبَرْدِ المساء ظاهرَه فن لنار على الأحشاء تُتَقِدُ ؟ (٣) وكان محمد بن سيرين ينشد:

إِدَا خَدِرَتَ رَجْلِي تَذَكَّرَت من لها فناديت لُبُنْنِي باسمها ودعَوْتُ دعوتُ التي لو أن نفسي تُطيعني لألقيتُ نفسي نحوها وقضيَّتُ (٣)

⁽١) تقدمت هذه القصة في الصفيحة ١٤٢.

^{(ُ} ٧) تقدم هذان البيتان بتغييرف اللفظ في الصفحة ٣ ٤ ولم ينسبا إلى قائلهما.

⁽٣) البيتان لتيس بن ذريع .

وقال صالح عن ابن شهاب: حد ثنى عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة أن ابن مسعود رضى الله عنه قال: ينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قريب من ثمانين رجلاً ليس فيهم إلا قرشى ، والله ما رأيت صنحة وجوه قط أحسن من وجوههم يومئذ ، قال: فذ كروا النساء فتعداً نوا فيهن وتحد ثت معهم حتى أحببت أن نسكت ، قالوا: ولو لا لطانة الحب ولذّته ما تمدًاه للتمنون . وقال شاعر الحاسة:

قالوا: والعشقُ المباحُ مما يؤجر عليه العاشقُ كما قال شريك بن عبد الله ' - وقد سئل عن العُشّاق - فقال: أشدَّهم حبًّا أعنائهُم أجراً. وصدق والله . إذا كان للمشوق ممن يحبّ اللهُ للماشق قربَه ووسلَه. وقالت امرأة:

لن يقبلَ اللهُ من ممشوقة عمادً يوماً وعاشقُها كَلْفَاتُ مهجور ليمتُ بمأجورةٍ في قتــل عاشقِها لكرن عاشقَها في ذاك مأجور

ونحن نقول: متى باتت مهاجرة لفراش عاشقها الذى هو بعلُها لعنتها الملائكة حتى تصبح. قالوا: والعشق يسنى السلل ويُذهب الهم ويبعث عَلَى حسن اللباس وطيب المطعم ومكارم الأخلاق ويعلى الملمة ويحمل عَلَى طيب الرائحة وكرم العشرة وحفظ الأدب والروءة ، وهو بلاء الضالحين ومحنة العابدين ، وهو ميزان المقول وجلاء الأذهان ، وهو خاق الكرام كما قيل :

وما أَحببتُهَا فَهُمْنَا ولكن رأيتُ الحبَّ أخلاقَ الكرام قالوا: وأرواحُ المُثَّاق عَطرَةٌ لعلينة، وأبدانهمرقيقةٌ ضعيفة، وأزواجُهم

⁽١) تقدم هذان البيتان في المستعمة ١٦ .

بطيئة الانقياد لمن قادها ، حاشا سكنها الذى سكنت إليه ، وعقدت حبَّها عليه . وكلامُهم ومنادمتهم تزيد فى العقول ، وتحرك النفوس ، وتطرب الأرواح ، وتلهو بأخبارهم أولو الألباب .

فأحاديث العُشّاق زينة مجالسهم ، ورُوح محادثتهم ، ويكنى أن يكون الأعرابي الذي لا يُذْكر مع الماوك ولا مع الشجعان الأبطال يعشق ويشتهر بالعشق فيُذْكر في مجالس الملوك والخلفاء ومَن دو تَهم ، وتدوَّن أخبارُه وتُو وَى أشعارُه ، ويُبتى له العشقُ ذكراً مخدّداً . ولولا العشق لم يُذكر له المرص ولم يُرْفَعُ له رأس .

وقال بعض العقلاء: العشقُ للأرواح بمنزلة الغــذاء الأبدان، إن تركمَــه ضرّك، وإن أكثرت منه قتلك .

وقال ابن عبد البَرَ في كتابه « بهجة المجالس » : و ُجد في محيفة لبعض أهل الهند : العشق ارتياح جُمِل في الرُّوح ، وهو معنى تُدْتَجُه النجوم في مَطَارح شُعاعها ، ويتولَّد في الطبّاع بوصلة أشكالها ، وتقنب له الرُّوح بلطيف جوهرها ، وهو بُعدَ جلاء القلوب ، وصيقل الأذهان مالم يُفرط ، فإذا أفرط صارسقاً قاتلاً ، ومرَضاً مُنهكاً "لا تنفذُ فيه الآراء ، ولا تَنْجَعُ فيه الجُليل ، والعلاجُ منه زيادة فيه .

وقال أعرابي : هو أنيس النفس ، ومحادث العمّل ، يُجِنّهُ الضائر ، وتخدمه الجوارح . وقال عبدالله بن طاهر أميرُ خُر اسان نولده : اعتقوا تَظْرُ وُوا ، وعِقُوا تَشَرُ فُوا ، وقال عبدالله بن طاهر أميرُ خُر اسان نولده : اعتقوا تَظْرُ وُوا ، ويعقوا تشرُ فُوا ، وقال قدامة : وصفه بعض البلغاء فقال : يشجّع الجبان ، ويسخّى البعيل ، ويصَفّى ذهن البليد ، ويفصح لسان العَرِي لم ويبعث حَرْم العاجز ،

⁽١) كذا .. والصواب ناهكا لأن فعله ﴿لأَى:أَىٰمَصْنِياً .

ويَذَلُ له عز اللوك ، وتُصْدَع له صَو لَهُ (١) الشَّجاع ، ومو داعيةُ الأدب ، وأول البي تُمُتَق به الأذهانُ والغِلَن ، وتستخرَج به دقائقُ للكايد والحِيل ، وإليه تستروح الهمم ، وتسكن نوافر الأخلاق والشَّم ، يُمثم جليسه ، ويؤنس اليفه . وله سرور يجول في النفوس ، وفرح يسكن في النلوب . وقيل لبعض الرؤساء: ابنك قد عشق، فقال : الحمد لله ، الآن رقّت حواشيه ، رلك أفت معانيه ، ومكنت ممائله ، وظر أفت حركاته ، وحسنت عباراته ، وجادت رسائله ، وحلّت شمائله ، فواظب عَلَى للله ، واجتنب القبيح .

وقيمل لآخر ذلك فقال: إذا عشق لَطُفَ وظر ُفَ وَدَق ً وَرَق ً وَرَق ً وقيل لبعضهم : متى يكون الفتى بايغاً ؟ قال: إذا صنّف كتاباً ، أو وصف هرّى أو حبيباً . وقيل لسميد بن أسلم: إن ابنك شرع فى الرقيق من اللسر : فقال: دءوه بَظْر ْفُ وينْفاف ويَلْفاف . وقال الهباس بن الأحنف:

وما الناسُ إلا الماشقون ذوو الهوى ولا خيرَ فيهن لأُنيحب ويَمَثَنَىُ وقال الحسين بن مُعاَير:

إِن الغواني جنة رَ ثِمَا نُهَا لَ نَصْرُ الْمَيَاةُ فَأَيْنِ عَنْهَا لَمُوْفَ وَ (٢) لُولًا ملاحتهن ما كانت لنا دنيا نَلَذُ بها ولا نتصرف

وقال غيره :

ولا خيرَ في الدنيا ولا في نميمها وأنت وحيدٌ مفردٌ غيرُ عاشق وقال آخر:

حل الميشُ إلا أن تروحَ وتغتدى وأنت بِكَأْسِ العثيق في الناسِ نشوانُ

⁽١) الصولة:السطوة في الحرب و محرها ويقال:موذومبولة : مقدام

⁽٢٠) عزفت نفسه عن الشيء: انصرفت عنه وزهدت فيه .

وقال العَلوى:

ما دِنتُ بالحب إلاً والحبّ دينُ الكرام

و قال آخر:

ومن ذا له عقل سليم ولا يَهُوى نظرتُ إليها نظرةً فرَويتُها

وقال آخز:

وما سر"ني أنى خَلِيٌّ من الهوى

وقال آخر :

وما تُلفِّتُ إلا من المشقِ مُهنجَتي وهل طاب عيش لامرىء غير عاشق

وقال آخر:

ولا خيرَ في الدنيا بغير صباً بة ولا في نعيم ليس فيــه حبيبُ

وفال السُكُمَيْت:

ماذاق بُوْس معيشة ونعيمها نما مضى أُحدُ إذا لم يَعْشَق

وقال آخر:

وما طابت الدنيا بغير محبــــةِ

وقال آخر:

أَسَكُن إِلَى سَكَنَ لَنَذُ بِحَبِّهِ

وقال آخر:

وقال آخر:

إذا أنت لم تَمْشَقُ ولم تَدْرِ مِالهُوى فَكُن حَجَراً مِن يابِسِ الصَّحْرِ جَلْمُدا

ولو أن لى مايين شرقي ومغرب

أَلْمَتُونَ فيم حلاوةٌ ومَرارةٌ فاسأَل بذلك من تطعَّم أَوْذُوتِي

وأي نعيم لامرىء غير عاشق

ذهب الزمانُ وأنت خال مفرد

وقال آخر:

إذا أَنت لم تَعْشَقُ ولم تَدْرِ ماالهوى فقم فاعتلف تِبْنَا فأنت حِمَــارُ وقال آخر:

إذا لم تَذُقُ في هذه الدارصَبُوةُ (١) فيها والحيـــاةُ سواه وقال الأقرعُ بنُ مُعاذ:

ولا خيرَ فى الدُّنيا إِذا أَنت لم تَزُرُ حبيباً ولا وافى إليك حبيبُ وقال آخر:

وماذاق طَمَ العيش من لم يكن له حبيب إليه يطمئن ويتسكن وقال على بن أبي كثير لابن أبي الزرقاء: هل عشقت قط حتى تكاتب وتراسل وتواعد ؟ فال: لا ، فقال: لا يجيء منك شيء . وكان لبعض الملوك ولل واحد ساقط الميمة دنيء النفس فاتر ، فأراد أن يُرسَّحَه للملك فسلط عليه الجوارى والتيبان (٢) فعشق منهن واحدة ، فأعلم بذلك الملك فسر وأرسل إلى المعشوقة أن تجنى عليه وقولى : إني لاأصلح إلا لملك أو عالم ، فلما قالت له ذلك أخذ في التم وما عليه الملوك من أدوات الملك حتى برع في ذلك . وقال المر رُباني : سئل أبو نو فل هل يسلم أحد من العشق ؟ فقال : نعم الجلف الما الما الذي ليس له فضل ولا عنده فهم ، فأما من في طبعه أدبي ظر في أو معه دَمانة أهل الحجاز وظر ف أهل العراف فيهات . وقال على بن عبدة : لا يخلو أحد من صبو ق إلا أن يكون جافي الخواز منقوص الهمة أو على خلاف تركيب الاعتدال .

. (۱۲م. روضة الحبين)

⁽١) السبوة : الشوق والحنين والميل إلى الحبيب.

⁽٢) جمع قينة: الامة المنشية، وقيل الامة منشية كانت أوغير منشية .

⁽٣) الجلف: الغليظ الجانى والاحمق.

قالوا: ولا يكمُل أحدٌ قط إلا من عشقه لأهل الكمال وتشبّه بهم . فالعالم يبلغ في العلم بحسب عشقه له ، وكذلك صاحب كل صناعةٍ وحرفة . ويكني أن الغاشق يرتاح لكريم الأخلاق والأفعال والشّم لتُحْمَد شمائله عند معشوقه كما قال :

ويزتاح للمعروف في طالب الدُلي لتُحُمَّدَ يَوْمَا عند ليلي شمائلُه (١) ويزتاح للمعروف في طالب الدُلي الضعف يلوذ ويتسَّودُ ويقول :

وَدِدْتُ بَأَن الحَبَّ كَيْمَعُ كُلَّهُ فَيُقذَّ ثَى فَى قلبى وينغلق الصَّدْرُ فَلَا ينقضى الحَرُ الحَدْرُ فَلا ينقضى ما فى نؤادى من الهوى ومن فرحى بالحبّ أو ينقضى العمرُ

نقلت: يافتى ، أما لهذه البينيّة (٢) حُرْ مة منه عن هذا الكلام ؟ فقال: بلى والله ولكن الحبّ ملأ قلبى بفرح التذكر ، ففاضت الفكرة فى سرعة الأوبة (٢) إلى من لا يشذّ عنه معرفة مابى ، فتمنّيت الذي . والله ما يسرّ بى ما بقلبى منه مافيه أمير المؤ منين من الملك ، وإنى أدعو الله أن يُتبته فى قلبى ما بقلبى منه مافيه أمير المؤ منين من الملك ، وإنى أدعو الله أن يُتبته فى قلبى عمرى ، ويجعله ضجيعى فى قبرى ، دَرَيْتُ به أولم أدر . هذا دعائى أو أنصر مَن من حَجَّتى ، ثم بكى ، فقلت : مايبكيك ؟ قال : خوف أن لا يستجاب دعائى ، وله قصدت وفيه رغبت بما يعطى الله سنائر خلقه . ثم مضى . قالت هذه الفرقة ، وغاية ما يقد رغبت بما يعطى الله سنائر خلقه . ثم مضى . قالت هذه الفرقة ، وغاية ما يقد رفي أن يعتبل صاحبه كما هو معروف عند جماعة من العشق أنه يقتُل صاحبه كما هو معروف عند جماعة من العشق أنه يقتُل صاحبه كما هو معروف عند جماعة من العشق . وقد قال سُويْدُ بن سعيد الحُد ثانى حدّثنا على بن مُسؤر ، عن أبي يحيى القيّات ، عن مجاهد ، عن ابن عباس رضى الله عنها ، عن النبى صلى الله عليه القيّات ، عن مجاهد ، عن ابن عباس رضى الله عنها ، عن النبى صلى الله عليه المُلّات ، عن مجاهد ، عن ابن عباس رضى الله عنها ، عن النبى صلى الله عليه المُلّات ، عن مجاهد ، عن ابن عباس رضى الله عنها ، عن النبى صلى الله عليه المُلّات ، عن عاهد ، عن ابن عباس رضى الله عنها ، عن النبى صلى الله عليه الله عليه الله عليه الله عنها ، عن النبى عليه الله عليه الله عنها ، عن النبى عن عن ابن عباس رضى الله عنها ، عن النبى عليه الله عليه الله عنها ، عن النبى عن عالم عن النبى عن عباس رسي الله عنها ، عن النبى عن عنه عنه المناس الله عنه المؤلّات المؤلّات

⁽١) الشمائل جمع شمال : الاخلاق واالمباع .

⁽٢) البنية: الكمبة المشرفة.

⁽ ٣) الأوية: الرجعة .

وسلم أنه قال : « مَنْ عَشِقَ فَكَتَمَ وَعَفَّ وَصَبَرَ فَاتَ فَهُو شَهِيدٌ (١) » رواه عن سُوِّيدُ جِمَاعَةٌ . وقال الخطيب: حدَّثنا أبو الحسن على بن أيوب إملاء منه حدَّثنا أبو عبد الله المَرْ زُباني وابنُ حَيُّويَه وابن شاذانقالوا: حدَّثنا أبو عبدالله إبراهيمُ بن ممد بن عرفة نِفْطَوَيْهُ قال: دخلت عَلَى مجمد بن داود الأصبهاني في مرضه الذي مات فيمه فقات له: كيف تجدك ؟ فقال : حبُّ من تعمل أورثني ماترى . فقلت : ما منعك من الاستمتاع به مع القدرة عليه ؟ فقال : الاستمتاع عَلَى وجهين : أَحدُها النظر المباح ، والثانى اللذَّة المحظورة . فأما النظرُ المباحُ فأورثني ماتري ، وأما اللذَّة المحظورةُ فإنه منعني منها ماحدٌ ثني أبي ، حدَّثنا سويد بن سميد ، حد ثنا على بن مسهر ، عن أبي يحيى القَمَّات ، عن مجاهد ، عن ابن عباس رضى الله عنها ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَن " عَشَيْنَ ۚ وَكُنَّمَ ۚ وَعَفَّ وَصَـبَرَ غَفَرَ اللهُ لَهُ ۖ وَأَدْخَلُهُ لَلْمِئَّةَ » . قال الحاكم أبو عبد الله : إنما أنسجَب من هذا الحديث ، فإنه لم يحدّث به غير سُوَيد ، وهو وداود بن على وابنــه أبو بكر ثقات . ثم رواه الخطيب : حدَّثنــا الأزهرى ، حدَّ ثنا المُمَا في بنُ زَكر يا ، حد ثنا قُطْبة بن الفضل بن إبراهيم الأنصاري ، حدَّ ثنا أحمد بن محمد بن مسروق ، حدّ ثنا سُويد ، حدَّ ثنا ابن مُشْهِر ، عن هشام بن عُرُ وة ، عن أبيه ، عن عائشة رضى الله عنها مرفوعاً . ورواه الزُّ بَيْرُ بنُ بَكَّار عَن عبد اللك بن عبد العزيز بن الماجيشُون ، عن عبد العزيز بن أبي حازم ، عن ان أبي عيم ، عن مجاهد ، عن ابن عباس رضي الله عنها ، عن النبي صلى الله عليه وسلم به . ولفظه : «مَنْ عَدْقَ فَعَفَّ فَاتَ فَهُوَ شَهِيدٌ » رواه أبو بَكْر محمد ابن جعفر بن سهل الخرائطي في كتاب اعتلال القاوب . حدَّثنا أبو يوسف يمقوب بن عيسي من ولد عبد الرحمن بن عوف، عن الزبير فذكره ، فخرج سُوَيد

⁽١) تقدم هذا الحديث في صفحة ١١٩،

غن عُهدة التفرُّد به، عَلَى أنه لو تفرّ دبه فهو ثقة ، احتج به مسلم في معيحه . وقال عبد الله بن أحمد : قال لى أبى : أكتب عنه حديث ضمام . وقال البغوى : كان حافظاً وكان أحمد ينتق لولديه عليه صالح وعبد الله ، فكانا يختلفان إليه . وقال مسلم : ثقة ثقة . وقال أبو حاتم الرازى ويعقوب بن شيبة : هو صدوق . وأكثر ما عيب به التدليس (() وقد صرّح هاهنا بالتحديث ، وعيب بأنه ذهب بصر ه في آخر عمره ، فر بما أدخل عليه هذا الحديث في كتبه ، ولكن رواية الأكار عنه هذا الحديث كان قبل ذهاب بصره ، لأنه إنما عمى في آخر عمره ، وليس هذا بقادح في حديثه .

قلت: وهذا حديث باطل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعاً لايشيه كلامه ، وقد صح عنه أنه عد الشهداء ستار الله عنه يذكر فيهم قتيل العشق شهيداً ولا يمكن أن يكون كل قتيل بالعشق شهيداً فإنه قد بعشق عشقاً يستحق عليه العقوبة . وقد أنسكر حُفّاظ الإسلام هذا الحديث على سُويد وقد تكلّم الناس فيه ، فقال ابن للديني : ليس بشيء والضرير إذا كان عنده كتب فهو عيب شديد . وقال ابن للديني : ليس بشيء والضرير إذا كان عنده كتب فهو عيب شديد . وقال ابن للديني : كان قد عمى فَيلُقن ما ليس من حديثه . وقال أبو أحمد الجرجاني : هذا الحديث أحد ما أنكر كل بسُويد ، وأنكر هالبيهتي وأبو الفضل ابن طاهر وأبو الفرج بن الجوزي وأدخله في كتابه للوضوعات .

ولما رواه أبو بكر الأزرق عن سُوَيد عاتبه عليه ابن المَرْزُبان فأسقط ذكر

⁽١) التدليس فى البيع: كتبان عيب السلمة عن المثنترى. وجاء فى القاموس المحيط أن التدليس فى الإسناد هو أن يحدث عن الشيخ الآكبر ولعله مارآه وإنمنا سممه بمن هو دو نه أو بمن سمه منه ونحر ذلك.

⁽٢) كذا .. ولعله: ستة

النبى صلى الله عليه وسلم منه . وكانسو يد إذا سئل عنه لا يرفعه ، وهذا أحسن أحواله أن يكون موقوفاً . ولذلك رواه أبو محمد الحسين القارى من حسديث أبى سعد البقال ، عن عكر مة عن ابن عباس رضى الله عنها قوله . وأما سياق الخطيب له من حديث هشام بن عروة ، عن أبيه ،عن عائشة رضى الله عنها فلا يشك من شم رأيحة الحديث أن هذا باطل عَلى هشام عن أبيه عن عائشة ، ولا يحتمل هذا اللهن هذا الإسناد بوجه ، والتحاكم فى ذلك إلى أهل الحديث لا إلى العارين الغرباء منه . والظاهر أن ابن مسروق سرقه وغير إسناد م . وأما حديث الزبرين بكار فن روايه يعقوب بن عيسى وهو ضعيف لا تقوم به حجة قد ضعفه أهل الحديث و نسبوه إلى الكذب .

البالجايس عشر

فیمن دُمم العشق وتبرم به وما احتج به کل فریق علی صحة مذهب

قال الله تعالى إخباراً عن المؤمنين : (رَبَّنَا لَا تُوَاخِذُنَا إِنْ نَسِيناً أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمْلَتُهُ عَلَى اللهِ مِنْ قَبْلِينا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنا مَالاً طَاقَةً لَمَا يه وقد أثنى الله عليهم سبحانه بهذا الدعاء الذى منالوه فيه أن لا يحمِّلهم مالا طاقة لهم به ، وقد فُسِّر ذلك بالعشق ، وليس المراد اختصاصة به يل المراد أن العشق ممالا طاقة العبد به . وقال مكحول : هو شدة النالة أنه الله الذي صلى الله عليه وسلم : «لا يُذبّ في المَرْء أن يُذلّ الفسَه » (٣) وقال الإمام أحد أن تفسيره أن يتعرض من البلاء لما لا يطيق ، وهذا مطابق لحال العاشق ، فإنه أذل الناس لمعشوقه ولما يحصُل به رضاه ، والحبُّ مبناه على الذل والخضوع للحبوب كا قيل :

إِخْضَعُ وَذِلَ ان تَحب فليس في . شرع الهوى أَنفُ يُشال و يُعقَد (١) وقال آخر :

مساكينُ أهلُ ألمشق حتى قبورُهم عليهــــا ترابُ الذلَّ بين للقابر

⁽١) آخر سورة البقرة .والإصر : التكاليف الشاقة ، سميت إصراً لأنها تمنع المكاف وتموقه عن القيام بما كلفه .

⁽٢) الذلة : غلبة الشهوة وشدتها .

⁽٣) في مسند الامام أحد (ج ٥ص٥٠٤) من حديث حديقة بن اليمان بلفظ: « لا يلبغي السلم . النع » .

⁽٤) شَالَ : إَرْتَفَع. وشَالَ مَيْزَانَ فَلَانَ:غُلْبَ فَى المُفَاخِرَةَ وَتُحْرِهَا .

وقال آخر:

قالوا عهد ناك ذا عـز قلت لهم لا يعجب الناسُ من ذل الحبينا لا تنكروا ذِلَةَ العُشّاق إنهم مستعبد ون برق الحب راضونا

قالوا: وإذا اقتحم العبدُ بحرَ العشق ولعبت به أمواجُه فهو إلى الهلاك أدنى منه إلى السلامة ، كما ذكر الخرائطي أنه كان بالمدينة جارية ظريفة فَهُويت ، رجلاً من قريش ، وكان لايفارقها ولا تفارقه فملّها ، وزاد حبّها له فسقِمت ، وجمل مولاها لا يُعبّباً بشكواها ولا يرق لها ، حتى هامت على وجهها ومن قت ثيابها وأفضت (1) إلى أمر عظيم . فلما رأى ما صارت إليه عالجها فلم ينفع فيها العلاج ، وكانت تدور في السّكك بالليل وتقول :

أَلْبُ أُوَّل ما يكون لجاجة (٢) تأتى به وتسوقه الأقسدار محتى إذا اقتحم الفتى لَجُجَ (٣) الهوى جاءت أمور لا تُطاق كبار من ذا يُطيق كما نطيق من الهوى غَلَبَ العَزاه وباحت الأسرار فال الخرائطى: وأنشدنى بعض أسحابنا:

الحبُّ أُوَّلُهُ شيء مِ مِ بِهِ قلبُ الحَبِّ فَيَلْقَى المُوتَ كَاللَّمِبِ يَكُونَ مَبْدُوْهُ مِن نظرةً عَرَضَتْ وَمَرْحَةٍ أَشْعَلْتُ فِي القلب كَاللَّمَبِ كَالنَّارِ مَبْدُوْهُ مِن نظرةً عَرَضَتْ قَرَضَتْ أَحْرَقْتْ مُسْتَجْمَعُ الْحَطَّبِ كَالنَّارِ مَبْدُوْهَا مِن قَدْحَةً (1) فإذا تضرّمت أُحرقت مستجمع المَطَّبِ

⁽١) أفضى به إلى كذا : بلغ وانتهى به إليه .

⁽٢) اللجاجة: التمادي في المناد .

⁽٣) اللجج جمع لجة : معظم الما. ويقال : لجة الما. ولجة الظلام .

^{(ُ} ٤) القدحة بالكمر : اسم لاقتداح النار. وضرم النار وأضرمها : أشطلها وأوقدها وألهمها .

قالوا: وكيف يُمدَّح أُمرٌ يمنع القرار، ويسكُب المنام، ويوَلهُ العقل، ويُحدِث الجنون، بل هو نفسه جنون، كما قال بعض الحُسكاء: الجنون، فنونه، كما قال بعض العشاق:

قالو الجُنِيْنَتَ بَمِن تَهُوى فقات لَهُم أَلْمَشَق أَعظُمُ مَكَ بِالْجَانِينِ الْجَانِينِ أَلْمُشْقُ لَا يَسْتَفِيقِ الدَّهِرَ صَاحِبُهُ وَإِنَّمَا يُصْرَعِ الْجَنُونُ فِي الْحَيْنِ (١)

قالوا: وكم من عاشق أتلف فى معشوقه ماله وعر ْضَه ونفسَه ، وضيَّع أَهلَه ومصالح دينه ودنياه . قال الزُّتيْرُ بن بكار : جاءت بدوية إلى أُخت لها فقالت : حرَّك والله حبُّه الساكن ، وسكَّن فقالت : حرَّك والله حبُّه الساكن ، وسكَّن المتحرِّك ، ثم أُنشأت تقول :

فلو أَنْ مَا بِي بِالْخَصَى فلقَ الْخَصَى وبالرِّيجِ لِم يُسْمَعُ لَمْنَ مَبُوبُ ولو أَنني أَسَّ عَنْ ذَنوبُ ولو أَنني أَسَّ عَنْ ذَنوبُ

فقلت: والله لأسألنَّه كيف هو من حبك ، فجاءته فسألته فقال: إنما الهوى هو ان ولكنه خُولِفَ باسمه ، وإنما يُعْرِف ذلك من اسْتَبْكَتْهُ المَعَالَم والطلول(٢٠) وأنشد أبو الفضل الربعى:

قد أمطرت عينى دماً فدماؤُها بعد الدُّمُوع من الجفون هَوَ امِلُ كيف العزاء ولايزال من الضنى فى الجسم منى والجوانح نازلُ لَهْفى على زَمَنِ مضى تجتازنى فيه صروفُ الدهر وهى عَوَ اقِلُ قالوا: والعشق هؤ الداء الدوى(٣) الذى تذوب معه الأرواح ، ولايقع معه

⁽١) تقدما في الصفحتين ١٤٩ و١٣٩.

⁽٢) جمع طلل : هو مابق شاخصا من آثار الديار ونحوها

⁽٣) الدوى: الشديد المهلك.

الارتياح ، بل هو بحر "مَنْ رَكَبه غَرِق ، فإنه لاساحلله ولانجاة منه، وهو الذي قال فيه القائل:

وما أُحدُ في الناس يُحْمَدُ أَمَنُ م فيوجد إلا وهو في الحب أحق فيعشق إلا ذاقها حين يعشق

وقال العباس بن الأحنف:

وما أُحدُ ما ذاق بُؤْسَ معيشةٍ

إن كان مثلُ الذي بي بالحبِّينا

ويحَ الحبين ما أشقى نفوسَهم وقال آخر:

أَلْعَشَىٰ مَشْغَلَةٌ عَن كُلُّ صَالَّحَةً وَسَكُرَةُ العَشْقِ تَنْفَى لَذَّةَ الوَّسَنِ (١)

عيش وفيه البين والرَّحْوْم

وقال ممد بن أبي محمد اليزيدي : كيف يطيق الناس وصفالهوى

بل كيف يصفو كحِليف الهوى وقال محمد بن أُميَّة :

على خطـــر ومُطَّلع عظيم

قسرينُ الحب يأنَّسُ بالهمسوم ويُكثر فسكرة القلب السقيم وأعظم ما يكون به اغتباطاً وقال أبو تمام :

فيـــه النوى فأليم كلٌّ عذاب

أما الهوى فهو العذابُ فإن جرت وقال ابن أبي حُصِيْنَةً.

بالطبع واحَسَدِي لمن لم يعشق

والعشق ُ مجتذب النفوس إلى الردى

(١) ألوسن: النماس.

وقال ابن المتز :

يحار فيهم الأطباء النحارير ((١) الحب دالا عُضالٌ لا دواء له قد كنت أحسب أنَّ الماشقين عَاوْا وقال أعرابي ":

بذل به طوع اللسان فيوصفُ ألا ما الهوىوالحب بالشيءهكذا واكنَّبُ مِنْ قضى اللهُ أَنَّهُ فَأَوَّلُهُ سِـــةُمْ وَآخِرِهُ ضَنَّى وأُوسِطُهُ شُوقٌ يَشُفُ (٢) ويُتُلْفُ وَرَوْعُ وَسَمِيدٌ وهُمْ وحسرةٌ ووجْدُ عَلَى وَجْدِ يزيد ويَضْعُفُ وقال عبد المحسن الصُّورى:

> ماالحبُّ إلا مساك خَعارُ وقال آخر:

> > وكان ابتداء الذي بي مُجُونا وكنتُ أظنُّ الهوى هيِّناً وقالت امرأة:

رأيت الهوى حُلُوًا إذااجتمع الشَّمْلُ فر لم يَذُقُ للهجر طعماً فإنه وقدذقتُ طعةً يه عَلَى القربْ والنوى

في وصفه فإذا بالقوم تقصير

هو الموتُ أوشي؛ من الموتأَعْنَفُ

عَسِرُ النجاة ومَو ْطِي٤ زَلَقُ

فاما تمكَّن أمسى جنــونا فلاقيتُ منه عــذابًا مُهيناً

ومُرُّا عَلَىالهجران لابلهو القتلُ إذا ذاق ملعم الحب لم مدر ما الوَصْلُ فأبدُه قتلُ وأقربُه خَبْسُلُ لَ

⁽١) عضال: شديد أعيا الاطباء . والنحارير جمع تحرير: العالم المتقن .

⁽٢) يشف: يسقّم ويضني .

⁽٣) الخيل: فساد المقل.

قالوا: والعشق يترك الملائ مملوكا ، والسلطانَ عبداً ، كما قال الحم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل وكانَ ملكَ الأندلس:

ظلَّ من فَرْطِ حُبِّه مملوكا ولقد كان قبل ذاك مليكا تركَّة مُحَادِرُ (١) القصر صباً مستهاماً على الصعيد تريكا يجعلُ الخدَّ واضعاً فوق تُرْب للذي يجعلُ الخريرَ أَرِيكا هكذا يحسنُ التذلُّل بالخُرْ رِإذا كان في الهوى مملوكا

وقال الرشيد وقد عشق ثلاثَ جوارِ من جواريه سويقال: إنه المأمون ــ:

مَلَكَ الثلاثُ الآنساتُ عِنانی وحَلَانَ مِن قلبی بَكلِّ مَكان مالی تطاوعنی البریة كُلَّهُ البریة كُلُّهُ البریة مالی تطاوعنی البریة كُلُّهُ البوی وبه قوین أعز من سلطانی ماذاك إلا أن سلطان الهوی وبه قوین أعز من سلطانی وقال بعض الملوك (۲) فی جاریة له عشقها وكانت كثیرة التَّجنِّی علیه:

أما يكفيك أنك تمليكينى وأن الناس كاتهم عبيدى وأنك لو جَهِدت على تلافى لقلتُ من الرِّضا أحسنتِ زيدى وقال ابنُ طاهر ملكُ خُراسان:

فإنى وإن حنَّت إليك ضمائرى فَا قَدْرُ خُبِّى أَن يَذِلَ لَه قدرى وَال ابن الأحمر ملكُ الأندلس:

⁽١) جمع جؤذر : البقرة الوحشية .

⁽ ٢) هو هارون الرشيد كما سيأتى فى الباب التامن والعشرين .

⁽٣) النسك: العبادة.

قالوا: وكم بمن هرب من الحب إلى مظان التكف ليتخلص من التكف بالتلف. قال دعبل الشاعر: كنت بالنغر فنودى بالنفير، فخرجت مع الناس فإذا بفتى يَجُر رحمه بين يدى فااتفت فنظر إلى فقال: أنت دعبل ؟ قلت: نعم، قال: اسمع منى، ثم أنشدنى فقال:

> أَنَا فِي أَمْرَىْ رَشَادِ بِينِ غَرْوٍ وَجِهَادِ بَدَنِي يَغْرُو عَسْدُوّى والوَّوى يَغْرُو فُوَّادى

ثم قال : كيف ترى ؟ قلت : جيد والله ، قال : فوالله ماخرجت إلا هارباً من الحب ، ثم قاتل حتى قتل . وقال أصرم بن حميد :

عن قوم تُليننا الحدق النَّجْ لَ عَلَى أَننا نُلينِ الحَديدا طوع أَيدى الظِّباء تقتادنا الْعِيبِ نُ ونقتادُ بالطَّمان الأسودا تتَّقق سنخطَنا الليب وثُ ونخشى صَوْلَة الخِشْفِ حين يبدى الصدودا (١) وترانا عند الكريمة أحرًا راً وفي السلم للغواني عَبيدا قالوا: ورأينا الداخل فيه يمتمنى منه الخلاص ، ولات حين مَناص ، قال الخرائطي : أَنشدني أبو جعفر العبدى :

إن الله بجانى من الحب لم أعد إليه ولم أقبل مقالة عادلى ومن لى بمَنْجَاةِ من الحب بعد ما رمتى دواعى الحب بين الحبائل وقال أبو عبيدة: الحبائل الموت ، قال: وأنشدنى أبو عبيد الله بن الدولابى: دعوتُ ربى دعاء فاستجاب له كا دعا ربته نوح وأيوبُ وأيوبُ أن يَنْزُعَ الداء من صدرى و يجعلَه في صدر سَالَى وحملُ الداء تعطيبُ

⁽۱) الصولة: السطوة والقدرة والنهر . الحشف: ولد الظبية أول مايولد يستوى فيه الذكر والأاثى .

فلا أحُّن إِذَا حَنَّ الْمَطَّارِيبُ أو يَشْفُ^(١) قلمي سريعاً ، *ن صَ*بابنه فالوا: وكم أكبت نتنة العشق رؤُوساً عَلَى مناخرها في الجحيم ، وأسامتهم إلى مقاساة العـذاب الأليم ، وجر عنهم بين أطباق الناركيؤُ وس الحيم ، وكم أَخرجت من شاء اللهُ من العلم والدين ، كمو وج الشعرة من العجين ، وكم أزالت من نعمة ، وأَحانَّتْ من نَيْمَةُ ، وكم أنزلت من مَعْقلِ عزَّه عزيزاً فإذا هو من الأذلِّين ، ووضعت من شريف رقيع القدر والمَنْصب فإذا هو فيأسفل السافلين ، وكم كشفت من عورة ، وأحدثت من رَوْعة ، وأعقبت من ألم، وأحلَّت من نَدَم ، وكم أضرمت من نار حسرات أحرقت فيها الأكباد ، وأذهبت قدراً كان للعبد عنــد الله وفي قلوب العباد ، وكم جابت من جهد البلاء ، ودَرْك الشقاء ، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء، فقل أن ينارقها رُوال نعمة، أو فجاءةُ نقمة، أو تحويلُ عافية ، أو طُروقُ بليَّة، أو حدوثُ رَزِيَّة ، فلوسألت النَّعَم ما الذي أَزالكَ ؟ والنُّقَم ماالذي أَدالكَ ^(٢) ؟ والهمومَ والأحزان ماالذي جلبك ؟ والعافية ما الذي أبعـ دك وجنبك ؟ والسَّاتر ما الذي كشفك ؟ والوجه ما الذي لَّذهب نورك وكَسَفَك ؟ والحياة ما الذي كدّرك ؟ وشمسَ الإيمان ما الذي كوّرك (٣٠) ؟ وعزَّة النفس ما الدي أذالُّك ؟ وبالهوان بعد الإكرام بدَّلك ؟ لأجابتك باسان الحال اعتباراً ، إن لم ُتجب ْ بالمقال حواراً .

هذه والله بعضُ جنايات العشق على أصحابه لوكانوا يعقلون ، (فَتَلَكُ بُهُو بُهُم خَاوِيَةً بِهَا ظَالَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيةً لَيْمَوْمٍ مِ يَعْلَمُونَ)(1) ويكفى اللبيبَ

⁽١) كذا . ـ ولا وجه لحذف الياء إلا للخرورة .

⁽٢) أدالك: جعل لك القابة.

^{(ُ}٢) الشسس كورت : أفلت واضمحلت . قال تعالىفى سورة التكوير (إذا الشمس كورت).

⁽٤) الآية ٢٥. سورة النمل.

موعظة واستبصاراً ، ماقصة الله سبحانه وتعالى عليه في سورة الأعراف في شأن أسماب الهوى المسذموم تحذيراً واعتباراً ، فبدأ سبحانه وتعالى بهوى إبليس الحامل له على التكثر عن طاعة الله عزا وجل في أمره بالسجود لآدم ، فحمله هوى النفس ، وإنجابه بها على أن عصى أمره ، وتكبر على طاعته ، فكان من أمره ماكان ، ثم ذكر سبحانه هوى آدم حين رغب في الخلود في الجنة وحمله هواه على أن أكل من الشجرة التي نهيى عنها ، وكان الحامل له على ذلك هوى النفس ومحبتها للخلود ، فكان عاقبة ذلك الهوى والشهوة إخراجه منها إلى دار التعب والنصب. وقيل : إنه إنما أكل منها طاعة لحواه ، فحمله حبه لها أن أطاعها و دخل في هواها ، وإنما توصل إليه عدوه من طريقها ؟ و دخل عليه من بابها . فأول فتنة كانت في هذا العالم بسبب النساء .

ثم ذكر سبحانه فتنة السكفار الذين أشركوا به مالم ينزل به سسلطانا ، وابتدعوا في دينه مالم كشرعه ، وحر موا زينته التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، وتعبدوا له بالفواحش وزعموا أنه أمرهم بها ، واتخذوا الشياطين أولياء من دونه ، والحامل لهم على ذلك كله الهوى والحب الفاسد ، وعليه حاربو رسمله ، وكذبوا كتبه ، وبذلوا أنفستهم وأموالهم وأهلهم دونه حتى خسر وا الدنيا والآخرة . ثم ذكر سبحانه وتعالى قصة قوم نوح وما أصاره إليه الهوى من الفرق في الدنيا ودخول النار في الآخرة . ثم ذكر قصة عاد وما أفضى إليه بهم الهوى من الهرك الهظيع والعقوبة المستمرة . ثم قصة قوم صالح كمذاك ، ثم قصة المُثاق ، أئمة الفياق ، ونا كمي الذكر ان وتاركي النسوات ، وكيف أخدة هو هم في خوضهم يلعبون (۱) وقطع دابر هم النسوات ، وكيف أخدة هو هم في خوضهم يلعبون (۱)

⁽ ۱) خاصوا فى الحديت: تفاوضوا فيه، ومن المجاز فلان يخوض فى الكلام إذا تكلم فيه على غير هدى.وفى سورة الآنمام (ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) أى نى بامللهم يتشاغلون .

وهم في سكَّر عشقهم كَيْمَتِّون ، وكيف جم عليهم من العقوبات مالم يجمعه على أُمة من الأمم أجمين ، وخعلهم سَلَفًا لإخوانهم اللوطيَّة من المتقدَّمين والمتأخرين ، ولما تجرأوا على هذه المعصية ومرّدوا(١) ، ونهجوا لإخوانهم طريقًا وقاموا بأسها وقعدوا،ضحَّت الملائكة ُ إلى ٱلله من ذلك ضجيعًا،وعَجَّت الأرض إلى ربها من هذا الأمر تجيجاً ، وهربت الملائكة إلى أقطار السموات ، وشكتهم إلى الله جميع المخلوقات ، وهو سبحانه وتعالى قد حكم أنه لا يأخـذ الظ لمين إلا بمد إقامة الحجة علمهم ، والتقدُّ م بالوعد والوعيد إليهم ، فأرسل إليهم رسوله المكريم يحذرهم من سوء صنيعهم ، وينذرهم عذابه الأليم ، فأذَن رسول الله صلى الله عايه وسلم بالدعوة عَلَى رؤوس الملإ منهم والأشهاد ، وصاح بها بين أَظْهُرِهِم في كل حاضر وباد . وقال فكان في قوله لهم من أعظم الناسحين : (أَ تَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدِ مِنَ الْمَالَمِينَ)(٢) ثم أعاد لهم القول نصحًا وتحذيرًا ، وهم في سكرة عشقهم لايعقلون ، (إِنَّكُمْ لَتْأْتُونَ الرَّجَالَ شَهْوَ مَ مِنْ دُونِ النِّسَاءَ بَلْ أَنْتَمْ قُومٌ مُسْرِ فُونَ)(٢) فأجاب المُشاق جوابَ من أُركِسَ في هو أه وغيِّه فقالبُه بعشقه مفتون . و (قَالُوا أُخْرِجُوا آلَ لُولٍ مِنْ قَرْ يَتِكُمْ ۚ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهُرُونَ)(') فلما أَن حانَ الوقت المعلوم وجاء ميقاتُ نفوذُ القدر المحتوم، أرسل الرَّحْمَن تبارك وتعالى لمَّام الإنعام والامتحان إلى بيت لوط ملائكةً في صورة البشر ، وأجمل ما يكون من السُّور ، وجاءوه في صورة الأضياف النز ول بذي الصدر الرحيب ، و (سِيءَ مِرْمَ

⁽١) مردعلى النبيء بمرد: مرن عليه وتدرب و مهر فيه، وأكثرما يستعمل في الثمر. و مرد الإنسان والشيطان فهو مارد : عتاو از دادفي الثمرو تبدراً في الآثام، ه.في سوبرة الدينة مردوا على النفاق) .

⁽٣،٢) الآيتان ٨٠ و ٨١ سورة الاعراف.

⁽٤) الآية ٥٦ - سورة النمل

وَضَانَ بِهِمْ ذَرْعًا وَفَالَ لَهُذَا يَوْمُ عَصِيبٌ)(١) وجاء الصريخ إلى اللوطيّة أن لوطأً قد نزل به شبابٌ لم يَنْظُر إلى مثل حُسْنهم وجمالهم الناظرون ، ولا رأى مثابهم الرّ اؤون ، فنادى اللوطليّة بعضهم يعضاً أن هَا أُو ا إلى منزل لوط ففيه قضاء الشهوات ، ونَيْلُ أَكْبِرِ اللَّذَّاتِ ﴿ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ ۗ يُهْرَّعُونَ إِلَيْهُ وَمِنْ قَبْلُ كَمْ نُو ا يَعْمَـُ اُونَ ٱلسَّيِّنَاتِ ﴾ (٢) . فاما دخاوا إليه وهجموا عليه قال لهم وهو كَظِيمٍ ﴿ من الهمِّ والنمِّ وقلبُه بالحزن عَبِيـد : ﴿ يَاقُو مِ هُؤُكَّاءَ بَنَاتِي هُنَّ أَمَّا مِرُ لَـكُمْ فَاتَّتُهُوا اللَّهَ وَلاَ يُمْزُرُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ)(٢) فلما سمع اللهُ طِيَّة مِقَالَهَ أَجَابِوه جَوَابَ الفَاحِرِ الجَاهِرِ العِنْيِد : ﴿ لَقَدْ عَامِنَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَتَّى وَ إِنَّكَ لَتُعْلَمُ مَانُرِيدُ)(١) فقال لهم لوطٌ مقالَةَ للضْطهَدِ الوحيـد: (لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رَكْنِ شَدِيدٍ)(٥) فاما رأت رسلُ الله ما يقاسىٰ نبيُّه من اللوطِّيَّة كشفواله عن حقيقة الحال وقالوا: هو ِّن عليك، (يَالُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ) (٢) فَسُرَّ نِي ٓ الله سرورَ الحجب ۗ وافاه الفرج بغتةً على يد الحبيب ، وقيل له : ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِتَعَلْمِ مِنَ الَّايْلِ وَلاَ يَكْنَفِتْ مِنْكُمُ أَحَدُ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَأَصَابِهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُم الصُّبْعُ أَلَيْسَ الصُّبِيحُ بِقَرَيبٍ)(٧) ولما أَبَو اإلا مراودتَهُ عن أَضيافه ولميرعو احقَّ الجارضرب جبريل بجناحـ على وجوهم فَعَلَمَسَ منهم الأعين وأعمَى الأبصار، فخرجوا من عنده مُعنياناً يتحسسون ويقولون : ستعلم غداً ما يجِلُّ بك أيها

⁽ اوېوسوع وه وېوم) الآيات ۷۷ و ۷۸ و ۵۰ و ۸۰ و ۸۱ سورة هود

المجنون . فلما انشقَّ عمودُ الصبح جاء النداء من عند ربِّ الأرباب ، أن اخسف بالأمة اللوطيَّة وَأَذِقِهم أليم العذاب ، فاقتلع القويُّ الأمين جبريلُ مدائنهم على ريشة من جَنَاحه ورفعها في الجو حتى سمعت الملائكة نبيح كلابهم ، وصياح دِيكَتِهِمْ ثُمَ قَلْبُهَا فِعَلَ عَالَيْهَا سَافَلَهَا وأُتبعوا الحجارة من سجِّيلِ وهـو الطين المستحجر الشديد ، وخو ف سبحانه إخوانَهم على لسان رسوله من هذ االوعيد، فقال تسالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُ نَا جَعَلْنَا عَالِيهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِيجِّيلٍ مَنْضُودٍ مُسَوْمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾(١) فهذه عاقبة اللوطيَّة عُشَّاقِ الصُّورَ وهم السلف وإخوانهم بعدهم على الأثر .

وإن لم يكونوا قومَ لوطٍ بعينهم فـــا قومُ لوطٍ منهم بيعيد وإنهم فى الْخُسْفِ ينتظرونهم على موْردِ من مهلةٍ وصيد فقالوا بلي لَكنَّكم قد سَنَنتُم صراطاً لنا في العشق غير حيد أتينا به الذُّ كُرَ انَ من عشقنا لهم فأوردنا ذا العشقُ شرٌّ ورود وَأَنْهِ بِتَضْعِيفُ العَذَابِ أُحَتُّى مَنْ مُتَابِعِكُم فَى ذَاكَ غَيْرَ رشيد فقالوا وأنتم زُسُلكم أنذرتكم بما قد لَقيناه بصدق وعيد في المُح فضل علينا فكالنا للدوق عذاب المُونِ (٢) جدَّ شديد كَمَا كُلُّنَا قَد ذَافَ لَذَّةَ وصلهم ويَجْمَعُنَا فِي النار غيرُ بعيـد

وكذلك قومُ شعيب إنما حملَهم على بَخْسِ المِكيال والميزان فرُط محبتهم للمال ، وعَلَبَهُمُ الهوى على طاعة نبيهم حتى أصابهم العذاب .

⁽١) الآيتان ٨٢ ، ٣٨ . سورة هود . ومسومة : معلة بمعلمة .

⁽١) الهون : الحزى . قال تعالى : (فأخذتهم صاعقة العذاب الهون) (١٣ م - روضة الحبين) أى ذى الحزى .

وكذلك قوم فرعرن حملهم الهوى والشهوةُ وعشقُ الرئاسة على تكذيب موسى حتى آل بهم الأمرُ إلى ما آل . وكذلك أهلُ السَّبت الذين مُستخوا قرَدةً إنما أتُوا من جهة محبة الحيتان وشهوة أكلها وَالحرس علمها . وكذلك الذي آتاه الربُّ تبارك وتعالى آياته ﴿ فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَنْتَبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ)(١) وقال تعالى : (وَلَوْ شِثْنَا لَرَ فَعْنَاهُ بِهَا وَلَــكُمِّنَّهُ أَخْلَدَ إِلَىٰ الْأَرْضِ وَٱتَّبِعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كُمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ كَثْرُكُهُ يَلْتَهِثُ (٢٠) وَتَأْمَّلُ قُولُهُ تَمَالَى : (آكَيْنَاهُ آيَا تَنَا) فَأَخْبَرِ أَنْ ذَلِكَ إِنْمَا حصل له بإيتاء الرب له لا بتحصيله هو . ثم قال: (فَا نْسَلَخَ مِنْهُاً) ولم يقل فسلخناه بلأضاف الأنسلاخ إليه وعبر عن براءته منها بلفظة الانسلاخ الدالة على تخايه عنها بالكلية، وهذا شأنُ السكافر . وأما للؤمنُ ولو عصى الله تبارك وتعالى ما عصاء فإنه لاينسلخ من الإيمان بالكلية ، ثم قال : (فأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ) ولم يقل فتبعه. فإن فى أتبعه إغلامًا بأنه أدركه ولِحَقه، كما قال الله تعالى : ﴿ فَأَتُنْبَعُوهُمْ مُشْرٌ قِينَ ﴾(٣) أى لحقوهم ووصلوا إلىهم ثم قال : ﴿ وَلَوْ شِينْنَا لَرَ فَعْنَاهُ بِهَا) فَنِي ذَلَكَ دَليلُ عَلَى أن مجرد العلم لايرفع صاحبه ، فهذا قد أُخبر الله سبحانه أنه آتاه آياته ولم يرفعه بها ، فالرفعة بالعلم قدر ْ زائد ْ على مجر د تعلمه ، ثم أخبر الله عز وجل عن السبب الذي منعه أن يُرْ فَع مها، فقال : (وَالْسَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَّى الْأَرْسِ وَاتَّبَعَ هُواهُ). وقوله: (أُخلد إلى الأرض).أي سكن إلها ونزل بطبعه إليها، فكانت نفسه أرضيَّة سفلية لاسماوّية عُلُويةً ، وبحسب ما يُخلد العبد إلى الأرض يَهبط من الساء، قال سهل: قسم الله الأعضاء من الهوى ، لكل عضو منه حظاً . فإذا مال عضو

⁽¹و7) الآيتان ١٧٤وه١٧ سورة الاعراف . (٣) الآية .٦: سورة الشعراء

منها إلى الهوى رجع ضرره إلى القلب . وللنفس سبع ُ حُجُب سماةً ية وسبع (۱) حجب أرضيَّة ، فكلما دفن العبد ُ نفسه أرضاً أرضاً سما قلبه سماء سماء ، فإذا دفن النفس تحت النرى ، وصل القلب إلى العرش . ثم ذكر سبحانه مَثَلَ المَّتبِع . لهواه كمثل السكلب الذي لا يفارقه اللَّهْ في حاكتي تركه والحمل عليه، فهكذا هذا لا يفارقه اللَّهْ على الدُّنيا راغباً وراهباً .

والمقصودُ أن هذه السورة من أولما إلى آخرها في ذكر حال أهل الهوى والشهوات وما آل إليه أمرهم ، فالعشقُ والهوى أصلُ كل بلية . قال عَدى أبن ثابت : كان في زمن بنى إسرائيل راهب يعبد الله حتى كان يؤتى بالجانين يُموذهم (٢) فيبرأون على يديه ، وإنه أتى بامرأة ذات شرف من قومها قد جُنّت ، وكان لها إخوة فأتو ه بها قلم يزل الشيطانُ يزين له حتى وقع عليها فعملت ، فلما استبان حملها لم يزل يخوفه ويزين له قتلها حتى قتلها ودفنها ، فذهب الشيطانُ في صورة رجل حتى أتى بعض إخوتها فأخبره بالذى فعل الراهب ، مُ أتى بقية إخوتها رجلاً ، فبمل الرجل يلتى أخاه فيقول : والله لقد أتانى آت فذكر لى شيئاً كبرعلى ذكر ه فذكر ذلك بعضهم لبعض حتى رفعوا فلك إلى ملكهم ، فسار الناس إليه حتى استنزلوه من صو معتم فأقر لم بالذى فعل ، فامر به فصلب ، فلما رفع على الخشبة تمثل له الشيطان فقال : أنا الذى فعل ، فأمر به فصلب ، فلما رفع على الخشبة تمثل له الشيطان فقال : أنا الذى وينتُ لك هذا وألقيتك فيه ، فهل أنت مطيعى فياأقول لك وأخلصك ؟ قال :

⁽١) كذا .. بتذكير المدد والأشهر تأنيثه .

⁽٢) يموذه : يرقيهم، وعوذه تعويذا وأعاذة إعاذة : دعا له بالحفظ ورقاه . والعوذة : الرقية يرق بهما الإنسان من فرع أو جنون لآنه يعاذ بها، وهي التي ، تُسكتب وتعلق على الإنسان من العين والفرع والجنون .

نعم، قال: تسجدلى سجدة واحدة ، فسجدله وقُتل الرجل، فهو قول الله تعالى: (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قالَ اللهِ نَسَانِ آكُنُر فَلَمَا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِي، مِنْكَ إِنِّ اللهِ نَسَانِ آكُنُر فَلَمَا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِي، مِنْكَ إِنِّ اللهِ اللهِ اللهِ أَسَانِ آكُنُو أَلَمَا لَمْ يَنَ) (١٠) .

وقال واصل مولى أبى ءُيَدِينَةَ : دخلت على محمد بن سيرين فقال لى : هل تزوّجت ؟ فقلت : لا ، قال : وما يمنعك ؟ قلت : قــلة الشيء ، قال : تزوّج عبد الله بن محمد بن سيرين ولا شيء له فرزقه الله .

مم حدّث أن امرأة من بنى إسرائيل يقال لهامَيْسُونَة خاصمت إلى حَبْرَين (٢) من بنى إسرائيل فعلقاها قال: وكان كل واحد منهما يكتُم صاحبة ما يحد منها ، فأخبرا أنها فى حائط (٣) تنتسل ، قال: فجاءا فتسو را عليها الحائط . فلسا رأتهما دخلت عَمْراً (١) من الماء فوارت نفسها ، فقالا لها: إنك إن لم تفعلى غدونا فشهدنا عليها عليك بالزور ، فأبت فشهدا عليها . فلما قر "بت ليقام عليها الحد تزل الوحى على دانيال بتكذيبهما ، فهذا بعض فتنة العشق .

وقد روى شعبة عن عبد الملك بن عُمَـيْر قال : سمعت مُصعبَ بنَ سـمدر يقول : كان سعدٌ يعلمنا هــذا الدُّعاء ويذكره عن النبي صلى الله عليــه وسلم :

⁽١) الآية ١٦. سورة الحشر .

⁽٧) الحبر بالفتح والسكسر : واحد أحبار اليهود . وهو أيضاً العالم ، وقيل الصالح من العالم .

⁽٣) الحائط: البستان.

⁽٤) الغبر: إلماء المكثير .

« اللَّهُمُّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النِّسَاء وَأَعُوذُ بِكَ مِن عَذَابِ ٱلْقَبْرِ »(١).

وقال الحسن بن عَرَفة: حدّثنا أبو معاوية الضَّرير عن ليث ، عن طاوس ، عن ابن عباس رضى الله عنه، اقال: إنه لم يكن كفر من مفى إلا من قِبَل النساء وهو كفر من بقى أيضاً .

وقد روى سفيان بن عُيدِيَّة ، عن سليان التَّيْنى ، عن أَبِى عُمَان النَّهْدِى ، عن أَسِم عَمَان النَّهْدِى ، عن أُسامة بن زيد رضى الله عنهما قال : قال رســــول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا تَرَ كُتُ عَلَى أُمَّتِى بَعْدِى أَضَرَّ عَلَى ٱلرِّجَال مِنَ ٱلنِّسَاء » (٢) .

وروى أبو إسحاق ، عن هبيرة بن يَرِيم ، عن على بن أبى طالب كرّم الله وجهه ورضى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إِنَّ أَخَوْفَ ما أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي ٱلْخُورُ وَالنَّسَاءِ » (٣) . وقال على بن حرب: حد ثنا سفيان ابنُ عُييْنَة ، عن على بن زيد ، عن سعيد بن المسيَّبِ قال : « ما أيس الشيطان من أحد قط إلا أتاه من قبل النساء » .

وروى سفيان بن حسين ، عن يَعْلَى بن مسلم ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « قيل لآدم ما حملك على أكل الشجرة ؟ قال : يارب زينت لى حواء ، قال : فإنى قد عاقبتها لا يحمل إلا كرها ، ولا تضع إلا كرها ، وأدميتها في الشهر مراتين » .

⁽١) رواه الخرائطي في اعتلال القاوب . كما قال السيوطي .

⁽٧) تقدم تخريجه في الصفحة ٩٦.

⁽٣) تقدم تخريجه في الصفحة ٩٦.

وقال ابن عباس رضى الله عنهما — أو غيره — : « أوَّل فتنة بنى إسرائيل كانت من قِبَل النساء » .

قالوا: ويكنى من مضرَّة العشت مااشتهر من مصارع العشاق ، وذلك موجودٌ في كل زمان .

فَهِذَا بَعْضُ مَااحَتَجَّتُ بِهِ هَذَهُ النَّرُقَةُ لِقُولُهَا . وَنَحْنُ نَعْقَدُ لَاحَكُمُ بِينَ الطَّائَفَتِينَ بابًا مستقلاً بعنون الله تعالى .

الباللاس عيثر

في الحكم بين الفريقين . وفعال النزاع بين الطائفتين

فنقول: العشق لا يُخمَد مطلقاً ولا يُذَمّ مطلقاً، وإنما يُخمَد ويُذَمّ باعتبار متعلقه، فإن الإرادة تابعة لمرادها، والحبُّ تابع للمتحبوب، فمتى كان الحبوب مما يُحبُّ لذاته الم وسيلة توصِّله إلى ما يُحبُّ لذاته الم أيحبُ لذاته الم وصلاحُ حال الحجب كذلك بحسب قوَّة محبته.

ولهذا كان أعظم صلاح العبد أن يصرف قوى حبّه كلّماً لله تعالى وحده عيث يحبّ الله بكلّ قلبه ورُوحه وجوارحه ، فَيُوحِد محبوبه ويوحِد حبّه ، وسيأتى إن شاء الله تعالى فى باب توحيد الحجبوب أن الحجيب لا تصحّ إلا بذلك ، فتوحيد الحجبوب أن لا يتعدّد محبوبه (١) ، وتوحيد الحب أن لا يبقى فى قلبه بقية حبّ حتى يبذكها له ، فهذا الحبّ وإن سمى عشقاً فهو غاية صلاح العبد ونعيمه وقرّ قر عينه ، وئيس لقلبه صلاح ولا نعيم إلا بأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواها ، وأن تكون محبته لغير الله تابعة لحجبة الله ، فلا عب إلا لله ، كا فى الحديث الصحيح : « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وَجَدَ بِهِنَ عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله وَمَنْ كُنَّ فيه وَجَدَ بِهِنَ عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله وَمَنْ كُنَّ فيه وَجَدَ بِهِنَ عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله وَمَنْ كُنَّ فيه وَجَدَ بِهِنَ عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله وَمَنْ كُنَّ فيه وَجَدَ بِهِنَ عَلَى الله عَلَى الله وَمَنْ كُنَّ فيه وَجَدَ بِهِنَ عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله وَمَنْ كُنَّ فيه وَجَدَ بِهِنَ الله عَلَى الله عَلَى الله عَلَى الله وَمَنْ كُنَّ فيه وَجَدَ بِهِنَ الله عَلَى عَلَى الله ع

⁽١) الضمير هنا عائد على محذوف وهو المحب .

 ⁽۲) رواه البخارى وممالم والترمذى والنسائى . كما جاء فى تيسيرالوصول .

العبد لا يحد حلاوة الإ عان إلا بأن يكون الله أحب اليه عا سواه ، و محبّة رسوله هي من محبته ، و محبّة الله مضيفة لها ، و تصدُق هذه المحبة بأن يكون كراهته لأبغض فهي مُنقصة لمحبة الله مُضيفة لها ، و تصدُق هذه المحبة بأن يكون كراهته لأبغض الأشياء إلى محبوبه وهو الكفر بمزلة كراهبته لإلقائه في النار أو أشد . ولاريب أن هذا من أعظم المحبة ، فإن الإنسان لا يقدم عَلَى محبة نفسه وحياته شيئاً ، فإذا قدم محبة الإيمان بالله على نفسه بحيث لو خُيرٌ بين الكفر وإلقائه في النار لاختار أن يُلقى في النار ولا يكفر كان الله أحب اليه من نفسه ، وهذه الحبة هي فوق ما يجده سائر الهشاق والحبين من محبة محبوبهم ، بل لا نظير لهذه الحبة كما لا مثل ما يحده سائر الهشاق والحبين من محبة محبوبهم ، بل لا نظير لهذه الحبة كما لا مثل من تعلق به وهي محبسة تقديم المحبوب فيها على النفس والمال والولد، و وتقتضى كال الذل والخضوع والتعظيم والإجلال والطاعة والانقياد ظاهراً وباطناً ، وهذا لا نظير له في محبة مخلوق ولو كان المخلوق من كان .

ولهذا من أشرك بين الله وبين غيره في هذه المحبة الخاصة كان مشركاً شركاً لا يَفْفِرُهُ الله كا قال الله تعالى : (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ ٱللهِ أَندَاداً يُحَبِّونَهُمْ مَنَ كَحُبِّ ٱللهِ وَٱلدِينَ آمَنو اللهَ اللهُ الله الله الله والدين آمنو الله من أهل الأنداد لأندادهم كا تقد م بيانه أن محبة المؤمنين لربهم لا يماثلها محبة محلوق أصلاً ، كا لا يماثل محبوبهم غيره . وكل المؤمنين لربهم لا يماثلها محبة محلوق أصلاً ، كا لا يماثل محبوبهم غيره . وكل أذًى في محبة غيره فهو نعيم في محبته ، وكل مكروم في محبة غيره فهو قراة عين في محبته .

ومن ضرب لمحبته الأمثال التي هي في محبَّة المخلوق للمخلوق كالوصل والهجر والتَّجَنِّي بلا سبب من الحجب وأمثال ذلك بما يتعالى الله عنه عُلوَّا كبيرًا فهو مخطى، أقبح الحطا وأفحشه ، وهو حقيق بالإبعاد والمقت . والآفةُ إنما هي من

⁽١) الآية ١٦٥. سورة البقرة .

نفسه وقلة أدبه مع محبوبه ، والله تعالى نهى أن يَضَرب عبادُد له الأمثال فهو لا يقاس بخلقه . وما ابتدع من ابتدع إلا من ضَرْب الأمثال له سبحانه . فأسحاب السكلام المُحدَث المبتدع ضربوا له الأمثال الباطلة في الخبر عنه وما يوصف به ، وأصحاب الإرادة المنحرفة ضربوا له الأمثال في الإرادة والطلب . وكلاها على بدعة وخطإ .

والعشق ُ إِذَا تعلَّق بِمَا يَحِبِهِ اللهُ ورسوله كان عشقاً ممدوحاً مثاباً عليه . وذلك أنواع : أحدُها محبة القرآن بحيث يَنْنى بسماعه عن سماع غيره ، ويَهيم قلبه فى معانيه ومراد المتكلم سبحانه منه ، وعلى قدر محبة الله تكون محبة كلامه ، فمن أحب محبوباً أحب حديثه والحديث عنه كاقيل :

إن كنت تزعُمُ حبّى فَلِم هجرت كتابى أما تأمّلت ما في من لذيذ خطابى

وكذلك محبة ذِكره سبحانه وتعالى من علامة محبته ، فإن المحبّ لايشبع من ذكر محبوبه ، بل لا ينساه فيحتاج إلى من يذكّره به . وكذلك يحب سماع أوصافه وأفعاله وأحكامه ، فعشق هذا كلّه من أنفع العشق ، وهو غاية سعادة العاشق ، وكذلك عشق العلم النافع ، وعشق أوصاف الكال من الكرم والجود والعفة والشجاعة والصبرومكارم الأخلاق ، فإن هذه الصفات لو صور رتصوراً كانت من أجمل الصورة وأبهاها ، ولو صور العلم صورة لكانت أجمل من صورة الشمس والقمر ، ولكن عشق هذه الصفات إنما يناسب الأنفس الشريفة الزكية ، كا أن محبة الله ورسوله وكلامه ودينه إنما تناسب الأرواح العلويّة ، السائية الزكية ، لا الأرواح الأرضية الدّنيّة ، فإذا أردت أن تعرف قيمة العبد وقدرة فانظر إلى محبو به و مراده . واعلم أن العشق المحمود لا يَعْرض فيه شيء الآفات المذكورة .

بقى هاهنا قسم آخر ، وهو عشق مجود يترتبعليه مفارقة المشوق ، كن يعشق امرأ آنه أو أمته فيفارقها بموت أو غيره فيذهب المعشوق ويبقى العشق كا هو ، فهذا نوع من الابتلاء إن صبر صاحبه واحتسب نال ثواب الصابرين ، وإن سخط وجزع فاله معشوقه وثوابه ، وإن قابل هذه البلوى بالرضا والتسليم فدرجته فوق درجة الصبر . وأغلى من ذلك أن يقابلها بالشكر نظراً إلى حسن اختيار لله له ، فإنه ما يقضى الله للمؤ من قضاء إلا كان خيراً له ، فإذا علم أن يعلم كونه خير له اقتضى ذلك شكره لله على ذلك الخير الذى قضاه له ، وإن لم يعلم كونه خيراً له فليسلم للصادق المصدوق فى خبره المؤكد بالهين حيث يقول : « وَالذى نَهْسَى بِيدُولا كَيْقضى الله كَيْراً له ، وإنْ أَصابَته ضراء الإ كان خَيراً له خيراً له خيراً له فكي خيره المؤكد بالهين حيث يقول : إن أَصابَته صراء المشكر فكان خيراً له خيراً له وإن أَصابَته صراء الم يتقد بأن إن أَصابَته صراء الله الموفيق .

⁽١) روامسلم والامام أحمد بدون قسم .

البالسالع عيشر

في استحياب ثخير العبور الجميلة للوصال الذي بحب اللّه ورسوب

قال الله تعالى تعالى عقيب ذكره ماأحل لعباده من الزوجات والإماء وما حراً معليهم: (يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيكُمْ سُكَنَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ، وَيَتُوبَ عَلَيْهُ وَيُرِيدُ وَيَتُوبَ عَلَيْهُ وَيُرِيدُ وَيَتُوبَ عَلَيْهُ وَيُرِيدُ وَيَتُوبَ عَلَيْهُ وَيَرِيدُ وَيَتُوبَ عَلَيْهُ وَيَرِيدُ اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهُ وَيُرِيدُ وَيَتُوبَ عَلَيْهُ وَيَعْدُ عَلَيْمَ وَيَرُيدُ اللهُ أَنْ يَعْقِلَ عَنْكُمْ وَخُولِي اللهِ الله الله الله الله وَخُولِي الإنساء ، كا ذكر الثورى عن ابن وخُولِي الإنسان ضعيفاً). قال: إذا نظر إلى النساء لم يصبر ، وكذلك قال غير واحدٍ من السلف ، ولما كانت الشهوة في هذا الباب غالبة وكذلك قال غير واحدٍ من السلف ، ولما كانت الشهوة في هذا الباب غالبة لابد أن توجب ما يوجب التوبة ، كرا رسبحانه وتعالى ذكر التوبة مرا ين ، فأخبر أن مُوجب ما يوجب التوبة ، كرا رسبحانه وتعالى ذكر التوبة مرا ين وأخبر سبحانه وتعالى أنه يريد التخفيف عنسا لضعفنا ، فأباح لنا أن فأخبر سبحانه وتعالى أنه يريد التخفيف عنسا لضعفنا ، فأباح لنا أن ننسر عاطاب لنا من أطايب النساء أربعاً ، وأن نتسر عن من الإماء عاشئا .

⁽۱) الآیات ۲۵ و ۲۲ و ۲۷ . سورة النساء .

وقال عبدالله بن أحمد في كتاب الزهد لأبيه: حدَّ ثنا أبو مَعْمَر ، حدَّ ثنا أبو مَعْمَر ، حدَّ ثنا يوسف بن عطية ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال :قال رسول الله عليه وسلم : جُومَاتْ قُرَّةُ عَيْنِي في الصَّلاةِ وَحُبِّبَ إِلَى النِّسَاءِ وَالطَّيبُ مِن حُبِّ الصَّلاةِ وَالطَّيبَ مَن حُبِّ الصَّلاةِ وَالطَّيبَ مَن حُبِّ الصَّلاةِ وَالطَّيبَ مَن حُبِ الصَّلاةِ وَالطَيْبَ مَن حُبِ الصَّلاةِ وَالطَيْبَ مَن حُبِ الصَّلاةِ وَالطَيبُ مَن حُبِ الصَّلاةِ وَالطَيبُ مَن حُبِ الصَّلاةِ وَالطَيبُ مَن حُبِ الصَّلاةِ وَالطَيبُ مَن حُبِ الصَّلاةِ وَالطَيْبَ مَن حُبِ الصَّلاةِ وَالطَيْبَ مَن حُبِ الصَّلاةِ وَالطَيْبَ مَن حُبْلِ اللهِ عَلَيْلِ اللهِ عَلَيْلِ اللهُ عَلَيْلِ اللهُ عَلَيْلِ اللهِ عَلَيْلِ اللهِ عَلَيْلِ اللهِ عَلَيْلِ اللهُ عَلَيْلُونُ الْعَلَيْلِ اللهُ عَلَيْلِ اللهُ عَلَيْلِيلِ اللهُ عَلَيْلِ اللهُ عَلَيْلِ اللهُ عَلَيْلِ اللهُ عَلَيْلِ اللهُ عَلَيْلِ اللهُ عَلَيْلِ اللهُ عَلَيْلِيلِيلِ اللهِ اللهُ عَلَيْلِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ عَلَيْلِ اللهُ عَلَيْلِ اللهِ اللهِ عَلَيْلِيلِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ عَلَيْلِهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ عَلَيْلِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ ا

وفي سحيح مسلم من حديث عُرْوة عن عائشة رضى الله عنها قالت (٢):

« مُمَا أَصَابِ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم سبايا بنى الْمُصْطَلِق وقعت جُويرِية

بنت الحارث بن أبى ضِرَار فى السهم لثابت بن قيس بن الشَّمَاس أو لابن عمّله،

فكاتبت عَلَى نفسها ، وكانت امرأة جميلة حُلوة لايراها أحد إلا أخذت

بنفسه ، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم تستعينه على كتابتها (٣) . قالت:
فو الله ماهو إلا أن رأيتها عَلى باب الحجرة فكرهما ، وعلمت أن رسول الله عليه وسلم يرى منها مارأيت ، فقالت : يا رسول الله ، أنا جُوَيرية بنت صلى الله عليه وسلم يرى منها مارأيت ، فقالت : يا رسول الله ، أنا جُوَيرية بنت الحارث بن أبى ضِرار سيلًه قومه ، وقد أصابني من البلاء مالم يَخْفَ عليك ، فوقت في السهم لثابت بن قيس بن الشهاس أو لابن عم له ، فحئت رسول الله فوقعت في السهم لثابت بن قيس بن الشهاس أو لابن عم له ، فحئت رسول الله صلى الله عليه وسلم أستعينه . قال : « فَهَلُ لَكِ فِي غَيْرِ ذَالِكَ؟) قالت : وما هو ؟

⁽١) فى المسند والنسائى والحاكم والطبرانى فى الـكبير والبيهتى فى السنن مع تغيير فى الفقر ت كما جاء فى الجامع الصغير للسيوطى .

⁽٢) الحديث بهذا السياق غير موجود فى صحيح مسلم ولكنه جاء فى كتاب مناقب أمهات المؤمنين المحب الطبرى . وفى المواهب اللدنية أن الذى خرجه هو أبو داود وزاد شارح المواهب أحمد . , وكلاهمامن حديث لابن اسحاق ، .

⁽٣) كاتب العبد: كتب على نفسه بثمنه فإذا سعى وأداه عتق .

قال : « أَ تَضِي كِتَا بَتَكِ وَأَنْزَوَّجُكِ » قالت: نعم يارسول الله قد فعلت . وخرج الخبرُ إلى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج جويرية بنت الحارث ، فقال النياس : أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأرسلوا ما بأيديهم. قالت : فلقد أُعْتِقَ بَنزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المُصطَلِق ، فما أعلم امرأةً كانت أعظم بركةً عَلَى قومها منها » .

وقال عبدالله بن عمر رضى الله عنهما: خرج سهمى يوم جَلُولاء جارية كَأَنَّ عنقها إبر يق فضة ، فما ملكت نفسي أن قمت إليها فقبَّلتها .

وفي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه قال: « قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم خَيْبَرَ فلما فتح الله عليه الحِصْنَ ، ذُكر له جالُ صفيةَ بنتِ حُيَّ وقد قُتُل زُوجِها وكانت عروساً ، فاصطفاها رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه، فخرج بها حتى بلغاسد الر و حاء (١) فبني بها (٢) شم صنع حَيْسا (٢) في نطع (١) صغير، ثم قال رسول الله صلى عليه وسلم : « آذِنْ مَنْ حَوْلَكَ » فكانت تلك وليمةً رسول الله صلى الله عليه وسلم عَلَى صفية ، ثم خرجنا إلى المدينة فرأيت رسول الله صلى الله عليه سلم 'يَحُوسي(٥) لهـا وراءه بعباءة ، ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبته

⁽١) في صحيح البخاري وغيره : سد الصهباء وهو الأصوب . والروحاء بالمهملة : مكان قريب من المدينة وايست قرب خيبر ، فالعواب أنهاالسهاء ، وهي على بريد من خيبر ، قاله ابن سعد وغيره .

⁽٢) بني ما وعليها : دخل بها .

⁽٣) الحيس: تمروأ قط وسمن تخلط وتعجن وتسوى كالثريد وقد يجعل عوض الأفط الدقيق والفتيت .

⁽٤) الطع وفيه أربع لغات : بساط من أدم -

⁽ ٥) يحرى لهـا : أي يجعل لها حوية وهي كساء محشو ، يدار حوال سنام البعير تركبه المرأة .

فتضع صفيةً رِجلَها عَلَى رَكِبته حتى تركب» . وعند أبى داود فى هذه القصة قال: وقع فى سهم دَرِخْيَة جارية جيلة . فاشتراها رسولالله صلى الله عليه وسلم بسبعة أرولس ، ثم دفعها إلى أم سكيم تُصَنِّعُهَا وتهيئها وتعتد فى ببتها ، وهى صفية بنتُ حُيى .

وقال أبو عبيدة : حج عبدُ الملك بنُ مروان ومعه خالد بن يزيد بن معاوية، وكان خالد هذا من رجالات قريش المعدودين ، وكان عظيم القدر عند عبدالملك فبينًا هو يطوف بالبيت إذ بَصُرَ بِرَ مَلَةَ بنتِ الرُّبير بن العَوَّام فعشقها عشقًا شديداً ، ووقعت بقلبه وقوعاً متمكناً ، فلما أراد عبدالملك القُفول هم خالدُ ^ بالتخلف عنه، فو قع بقلب عبدالملك تهمَّة ، فبعث إليه فسأله عن أمره ، فقال : يا أمير المؤمنين ، رَمْلَةُ بنت ألزُّ بير ، رأيتها تطوف بالبيت فأذهلت عقلي ، واللهِ ما أبديتُ إليك مابي حتى عِيلَ صبرى .ولقد عرضت النوم على عيني قلم تقبله، والسَّلُوَّ عَلَى قلبي فامتنع منه . فأطال عبدالملك التَّعَجُّبَ من ذلك وقال :ماكنت أقول إن الهوى يستأسر مثلَك، قال: فإنى لأشدُّ تُعجُّبًا من تعجُّبك مني . والقد كنت أُقول: إن الهوى لا يتمكن إلا من صنفين من الناس: الشمراء والأعراب.أماالشعراء فإنهم ألزموا قلوبهم الفكر كي النساء ووصفهن والتغَزُّل فمال طبعهم إلى النساء فضعفت قلو بُهم عن دفع الهوى فاستسلموا إليه منقادين. وأما الأعراب، فإن أحدهم بخلو بامرأته فلا يكون الغالب عليه غير حبه لها ، ولا يَشْغُلُه عنه شيء ، فضُعُفوا عن دفع الهوى فتمكن منهم . فما رأيت نظرة حالت بيني و بين الحزم ، وحمثت عندى ركوب الإثم ، مثل نظرتى هذه. فتبَّسم عبدالملك فقال: أفكل هذا قد بلغ بك؟ فقال: وألله ماعرتني (١) هذه البلية قبل وقتى

⁽١) عرتني البلية : غشيتني .

هذا . فوجَّه عبدُ اللك إلى الزُّبير يخطُب رَمُلَةً على خالد ، فذكروا لها ذلك فتالت : لا والله أو يطلِّقَ نساءه ، فطلق امرأتين كانتا عنـــــده ، وظمن (١) بها إلى الشام وكان يقول :

أَلِيس يزيد الشوقُ في كل ليلة وفي كل يوم من حبيبتنا قر ُبا خليل مامن ساعةٍ تَذْكُر َ اَسِهَا من الدهر إلا أَ فَرَجت عنى الكَربا أحب بنى العَوَّام طُرُّ الحبها ومن أَجلها أُحببت أُخوالها كَلْبا تجول خَلاخيلُ النساء ولا أَرى لَ مُلَةَ خَلْخالا يجول ولا قُلْبا (٢)

وذكر الخرائطى: أن بشر بن مرّ وانكان إذا ضرب البَعْث (٣) على أحد من جنده ثم وجده قد أخل بمركزه أقامه على كرسى ثم سمّر يديه فى الحائط، ثم انتزع الكرسى من تحت رجليه، فلا يزال يَتَشَحَّط حتى يموت. وأنه ضرب البعث على رجل عاشق حديث عمد بعرس ابنة عمه الفلما صار في مركزه كتب إلى ابنة عمه كزا، ثم كتب في أسفله:

لولا مخافة بشر أو عقوبته وأن يُركى بعدذا في الكف مسار إذا لعطلت تنسر من مُ زُرتكم إن الحب إذا ما اشتاف زَوَّار فلما ورد علها الكتاب أجابته عنه ، ثم كتبت في أسفله:

⁽١) ظمن : سار وارتحل . والظمينة الهودج كانت فيه امرأة أولم تـكن والظمينة أيضاً المرأة مادامت في الهودج .

⁽٢) يجول: يتحرك ويضطرب لسعته. والفلب بالضم :سوار المرأة ، يكون نظماً واحداً .

⁽٣) ضرب عليه البعث : أوفده وأمره بالسفر إلى أحمد الثغور أو مركز من المراكز .

ليس الحبُّ الذي يخشى المقابَولو كانت عقوبتُه في فَجْوَة النار بل المحبُّ الذي لاشيء يُفْرَعه أَو يَستقِرَّ ومن يهواه في الدار

فلما قرأً الكتابَ قال : لاخير في الحياة بعد هذا . وأقبل حتى دخل للدينة فأَتَى بشرَ بنَ مروان في وقت غَدائه ، فلما فرغ من غَدائه أُدخل عليه فقال : ما الذي دعاك إلى تعطيل ثغرك ؟ أما سمعت النداء؟ فقال : اسمع عذري فإما عفوت وإما عاقبت . فقال : ويلك وهل لك من عذر ؟ فقص عليه قصته وقصة ابنة عمه فقال : أَوْلَى لَـكِمَا . ياغلام ، خط عَلَى اسمه من البُّعْث وأعطه عشرة آلاف درهم والحق بأبنة عمك.

سهرتُ ومنأهدى لى َ الشوقَ َنائَم وعذَّب قابي بالهوى وهو سالمُ فواحسرتاحتي متى أنا قائلٌ لمن لامني في حبِّكم أنت ظالمُ وحتى متى أُخنى الهــوى وأُسِرُّه وأدنُنُ شوقى فى الحشا وأكاتمُ أريد الذي قد سر کم بمساءتي ليَغْفُلَ واشِ أو ليُعْذُرَ لائمُ وقال آخر:

واللهُ يعسل أنى لا أُسَرُّ بأن تلقى من الوجسد مالا قَيْتُهُ فيها

بي لابها ما أُقامي من تَجَنيًا ومنجوى(١) الحبّ في الأحشاءأفديها خوف البكاء كما أبكي فتتركني أبكي على كبدى طوراً وأبكها

وقال العباس بن هشام الكلبي : ضرب عبداللك بن مروان بَعْثًا إلى اليمن فأقاموا سنين ، حتى إذا كان ذات ليلة وهو بدمشق قال :. والله لَأَعُسَنَّ الليلة مدينة دمشق ولأسمعن الناس ماذا يقولون في البعث الذي أغزيت فيه

⁽١) الجوى: الحرقة وشدة الوجد .

رجالهم، وأغرمتهم أموالهم ، فبينما هو فى بعض أزقتها إذهو بصوت امرأة قائمة ي تصلى فتسمُّع إلها ، فلما انصر فت إلى مضجعها قالت : اللهم مسيِّرَ النُّحُب (١) ، ومُنزلَ الكُتُب، ومعطى الرَّغَب (٢) ، أَسألك أَن تر ُدَّ لي غائبي فتهكشف مه هي ، و ُتَقِرَّ به عيني، وأَسْأَلك أَن تحكم بيني وبين عبداللك بن مَن وان الذي فعل بنا هذا ، ثبم أنشأت تقول :

تطاولَ هــذا الليلُ فالعين تَدْمَعُ وأَرَّقَنِي حزنُ لقلبيَ مُوجعٌ فَبتُ أَقَاسَى الليلَ أرعى بُجُومَهُ وبات فؤادى بالجوى يتقطُّع إذا غاب منها كوكب في مَغيبهِ لَمَحْتُ بعيني كوكبًا حين يَطْلُع إذا مالذكَّرتُ الذي كان بيننا وجدتُ فؤادي حسرة يتصدُّع وكلُّ حبيب ذاكر للبيب يُرَجِّى لقاه كل يوم ويطمع فذا العرش َفَرْجُ ماترى من صبابتي فأنت الذي يدعو العبادُ فيسمع دعوتك في السراء والضُّرَّ دعوة على حاجة بين الشراسين (٢) تلْذَع

فقال عبدالملك لحاجبه: تعرف هذا المنزل؟ قال: نعم هذا منزل يزيد بن سنان. قال: فما للمرأة منه ؟ قال: زوجته ، فلما أصبح سأل كم تصبر المرأة عن زوجها؟ قالبرا: ستة أشهر .

⁽١) النجب جمع نجبية : خيار الإبل.

⁽٢) الرغب: المطلوب والمرغوب فيه.

⁽٣) الشراسيف : جمع شرسوف : وهو الطرف اللين من الضلع مما يلي البطرب . (١٤ م - روضة المحبين)

وقال جَرير بن حازم عن، يَعْلَى بن حكيم، عن سعيد بن جبير قال : كان عمر ابن الخطاب رضى الله عنه إذا أسمى أخف ذرته ثم طاف بالمدينة ، فإذا رأى شيئًا يذكره أنكره ، فبيما هو ذات للة يَمُس إذ من بامرأة على سَعْمَ موهى تقول :

تطاول هذا الليل ُو أَخْضَل (١) جانبه وأَرَّقَى أَن لاخليك للعبُهُ فوالله لولا اللهُ لارب غيرُه لُمَرَك من هذا السرير جوانبُهُ مخافةُ ربى والحيساء يَصُدُنى وأكرم بعلى أَن تُنال مراكبُهُ

ثم تنقست الصّعداء وقالت: كما ن على عرب الخطاب مالقيت الليلة ، فضرب باب الدار فقالت: من همذا الذي يأتي إلى امرأة مُنيبة (٢٠ همذه الساعة ؟ فقال: افتحى ، فأبت ، فلما أكثر عليها قالت: أما والله لو بلغ أمير المؤمنين لماقبك ، فلما رأى عفافها قال: افتحى فأنا أمير المؤمنين ، قالت: كذبت ماأنت أمير المؤمنين ، فرفع بها صوته وجهر لها فعرفت أنه هو ، فنتحت له فقال: في كف قلت ؟ فأعادت عليه ماقالت ، فقال: أين زوجك ؟ فالت: في بَعْثِ كذا وكذا ، فبعث إلى عامل ذلك الجند أن مَرَّ فلان بن فلان ، فلما قدم عليه قال: اذهب إلى أهلك . ثم دخل على حَفْصة ابنته فقال: أي بُندَة كم تصبر المرأة عن زوجها ؟ قالت: شهراً واثنين وثلاثة ، وفي الرابع بندد الصبر ، فبعل ذلك أجارً للبَعْث . وهذا مطابق لمحمل الله سبحانه وتعالى بينقد الصبر ، فبعل ذلك أجارً للبَعْث . وهذا مطابق لمحمل الله سبحانه وتعالى

⁽١) اختسل الليل: أظلم.

⁽ ٢) إمرأة مغيبة : التي غاب زوجها .

مُدَّةَ الإيلاء (١) أربعة أشهر ، فإنه سبحانه وتعالى علم أن صبر المرأة يضعف بعد الأربعة، ولا يحتمل قوَّةُ صبرها ألمَّ كثرَ من هده المدَّة ، فجعلها أجلاً للسُولى ، وخيرها بعد الأربعة إن شاءت أفامت معه ، وإن شاءت فسخت نكاحه . فإذا مضت الأربعة أشهر عيل صبرُها . قال الشاعر :

ولما دعوتُ الصبرَ بعدك والبكا أجاب البكاطوعاً ولم يُجِب الصبرُ

(١) الايلاء في اصطلاح الشرع أن يحلف الزوج على ألا يقرب زوجه أربعة أشهر فأكثر ويقال: آلى من زوجه يؤلى إيلاء. قال تعالى: (للذين يؤلون من نساتهم تربص اربعة أشهر) أى يقسمون ألا يقربوا نسامهم.

البابالثام عشرة

فى أنه دواءُ الحبين ، فى كمال الوصال الذى أبام، رب الفالمين،

⁽١) تقدم ذكره في صفحة ٨٤ بالفظ التزويج .

⁽۲) لم يكن ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم بمراقعة زينب لانه وجد في نفسه شيئًا حين رأى المرأة ولكنه فعله لتقتدى به الامة في النول .

⁽٣) عارم: شديد، قاس، لا يطاق

أستأذن عليه فلا إذن له . وذكر العتبى أن رجلاً من ولد عبان ورجلاً من ولد عبان ورجلاً من ولد المسين خرجا يريدان موضعاً لها ، فنزلا تحت مَرْحَةٍ (١) فأخذ أحسدُها فكتب عليها :

خَبْرِينَا خُصِصْتِ بِالغيث يَاسَرُ حُ بِصِدَقِ وَالصِدِقُ فَيْهِ شَفَالِهِ وَكُتْبِ الْآخِرِ:

هل يموت المحبّ من أَلَمَ الْخُبْـــــبِ ويَشْنَى من الحبيب اللقادِ ثم مضيا، فلّما رجعا وجدامكتوبًا "محت ذلك:

إن جهلاً سؤالك السَّرْحَ عما ليس يوماً عليك فيه خَفَاهِ ليس للعاشق الحب من الحبه سوى لذَّةِ اللقاء شهاه وقال أبو جعفر العذرى:

أَسَكُرُ الْهُوى أَرُوى لَعظمى ومَقْصِلِي إذا سَكَرِ النَّدَمَانِ مِن لَدُّ مَ الْحُر وأحسنُ مِن قَرْعِ المثانى ونَقْرِهَا تراجيع صوت الثغر يُقْرَع بالثغر (٢) ولما دعوتُ الصبرَ بعدك والبكا أجاب البكا طوعاً ولم يُجِب الصبر (٢)

وقال عبد الله بن صالح: كان الليث بنُ سعد إذا أراد الجاع خلا في معزلي في داره ودعا بثوب يقال له: الهركان، وكان يَمَدْبُهُ إذ ذاك، وكان إذا خلاف ذلك المعزل عُلِم أنه يريد أمراً، وكان إذا غَشِيَ أهله (١) قال: اللهم شُدّلي أصله،

⁽١) السرحة : شجرة عظيمة طويلة، وجمعها سرح .

^{(ُ} ٧) المثانى من الأوتار : الذي بعد الأول . الترجيع : تردد العبوت في قراءة أو أذان أو غناء أو رمز أو غير ذلك ١٢ يترنهم به .

⁽٣) تقدم هذا البيت وحده في صفحة ٢١١ .

⁽٤) غشى أهله: أتاهم، وغشى المرأة وتغشاها : دخل بها وجامعها .

وارفع لى صدره ، وسهّل على مدخله و نحرجه ، وارزقنى لذَّ تَه ، وهب لى ذرِّيّةُ صَالحةٌ تقاتل فى سبيلك . قال : وكان جَهُو َرِيّا فكان يُسْمَع ذلك منه (رضى الله عنه).

وقال الخرائطى: حدّ ثنا عمارة بن وثيمة قال: حدّ ثنى أبى قال: كان عبد الله بن ربيعة من خيار قريش صلاحاً وعفّة، وكان ذَكرُه لا يَرقُد فلم يكن يشهد لقريش خيراً ولا شراً، وكان يتزوج المرأة فلا تمكث معه إلاأياماً حتى تهرب إلى أهلها، فقالت زينب بنت عمر بن أبى سلمة: مالهنّ يهر بن من ابن عمرن ؟ قيل لها: إنهن لا يُطفّنه ، قالت: فما يمنعه منى ؟ فأنا والله العظيمة الخلق، السّجيرة العجز، الفَخمَةُ الفَرْج، قال: فتزوجها، فصبرت عليه، وولدت له ستة من الولد.

وقال رشيدُ بن سحد ، عن زهرة بن معبدٍ ، عن محمد بن المنكدر أنه كان يدعو في صلاته : اللهم قو لى ذَكرى فإن فيه صلاحاً لأهلى . وقال حماد بن ريد ، عن هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين قال : كان لأنس بن مالك غلام وكان شيخاً كبيراً ، فرافعته امرأته إلى أنس وقالت : لا أطيقه ، ففرض له عليها ستة في البوم والليلة .

وقال على بن عاصم: حدَّ ثِنا خالدُ المدَّاء قال: لما خلق الله آدم وخلق حوَّاء قال له : يا آدم اسكن إلى زوجك ، فقالت له حوَّاء : يا آدم ما أطيب هذا! زدنا منه . وفي الصحيح أن سليان بن داود عليهما السلام طاف في ليلة واحدة على تسمين امرأة . وفي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطوف على نسانه في الليلة الواحدة وهن تسع نسوة ، وربما كان يطوف عليهن بنسل واحد ، وربما كأن يغتسل عند كل واحدة منهن .

و قال المَرُّوذِيُّ : قال أبو عبد الله - يعنى أحد َ بن حنبل - ليس العُزُّ وبة

من أمر الإسلام في شيء .النبيّ صلى الله عليه وسلم تزوّج أربع عشرة ومات عن تسع ، ولو ترك الناس النسكاح لم عن تسع ، ولو ترك الناس النسكاح لم يكن غزو ولا حَبُّ ولا كذا ولا كذا ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يصبح وما عندهم شيء ، ومات عن تسع ، وكان مختار النسكاح و يَحُثُ عليه ، ونهى عن التّبتلُ (١) ، فمن رغب عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم فهو على غير الحق ، ويعقوب في حزنه قد تزوّج وو لد له ، والنبي سلى الله عليه وسلم قال : «حبب إلى النساء» . قلت له : فإن إبر اهيم بن أدهم يحكى عنه أنه قال : آروعة صاحب العيال فما قدرت أن أتم الحديث على الله عليه وسلم وأسمابه نم صاحب العيال فما قدرت أن أتم الحديث على الله عليه وسلم وأسمابه نم بنيات (٢) الطريق ، أنظر ما كان عليه عمد صلى الله عليه وسلم وأسمابه نم قال : بكاء الصبي بين يدى أبيه يطلب منه الخبز أفضل من كذا وكذا . أين ملحق المتعبد والمتعبد العيار به التهبي كلامه .

وقد اختلف الفقهاء هل يجب على الزوج مجامعة أمرأته ؟ فقالت طائفة : لا يجب عليه ذلك، فإنه حق له فإن شاء استوفاه ، وإن شاء تركه : بمنزلة من استأجر داراً إن شاء سكنها ، وإن شاء تركها .

وهذا من أضعف الأقوال ، والقرآنُ والسنَّةُ والعُرْفُ والقياس يرُدُّهُ. أما القرآن فإن الله سبحانه وتعالى قال : (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنِ ، بِالْمَعْرُ وفِ (١٠) فأخبر أن للمرأة من الحق مثل الذي عليها ، فإذا كان الجماع حمَّا للزوج عليها ، فأخبر أن للمرأة من الحق مثل الذي عليها ، فإذا كان الجماع حمَّا للزوج عليها ، فهو حق على الزوج بنص القرآن ، وأيضاً فإنه سبحانه وتعالى أمر الأزواج أن

⁽١) النبتل: الانقطاع عن الدنيا إلى الله، والتفرغ للعبادة، رترك النكاح.ومنه قوله تعالى, وتبتل إليه تبتيلا،

⁽٢) تتمته كما في الإحياء: أفضل من جميع ما أنا فيه .

⁽٣) بنية اللريق طريق صنير يتشمب من الجادة .

⁽٣) الآية ٢٢٨ . سورة البقرة .

يعاشروا الزوجات بالمعروف ، ومن ضد المعروف أن يكون عنده شابّه شهوتها تعديل شهوة مها تعديل شهوة الرجل أو تزيد عليها بأضعاف مضاعفة ولا يذيقها لذّة الوطء مَرَّة واحدة . ومن زعم أن هدا من المعروف كفاه طبعه رَدَّا عليه . والله سبحانه وتعالى إنما أباح المأزواج إمساك نسائهم على هذا الوجه لا على غيره، فقال تعالى : (فَإِمْسَاكُ عِمْرُ وَفِ أَوْ تَسْرِيحُ مِإِحْسَانِ)(١) .

وقالت طائفة : يحب عليه وطؤ ها في العُمْر مر"ة واحدة ليستقر لها بذلك الصّداق. وهذا من جنس القول الأوّل، وهذا باطل من وجه آخر ، فإن المقصود إنما هو المعاشرة بالمعروف ، والصّداق دخل في القيّد تعظياً كُور منه وفرقاً بينه وبين السفاح (٢). فوجوب المقصود بالنكاح أقوى من وجوب الصّداق ،

وقالت طائفة ثالثة : يجبعليه أن يَطَأهافي كلِّ أَربعة أشهر مرَّة، واحتجُّوا على ذلك بأن الله سبحانه و تعالى أباح للمُولِي تَرَبُّصَ أَربعة أشهر وخيَّر المرأة بعد ذلك ، إن شاءت أن تقيم عنده ، و إن شاءت أن تفارقه . فلو كان لها حُق في الوَطْء أَ كثر من ذلك لم يجمل للزّوج تركه في تلك المدّة ، وهذا القول و إن كان أقرب من القواين اللذّين قبله فليس أيضًا بصحيح ، فإنه غير المعروف الذي لها وعليها . وأما جَعْلُ مدّة الإيلاء أربعة أشهر فنظر أمنه سبحانه للأزواج فإن الرجل قد يجتاج إلى ترك وطء امرأته مُدّةً لعارض من سفر أو تأديب أو راحة نفس أو اشتغال بمهم ، فبعل الله سبحانه وتعالى له أجلاً أربعة أشهر مرة .

وقالت طائفه أخرى: بل يجب عليه أن يَطَأها بالمعروف ، كما ينفق عليها

⁽١) الآية ٢٢٩. سورة البقرة.

⁽٢) السفاح: الفجسور . وقيل (تزوج المرأة سنفاعاً) اى بغير سنة ولا كتاب.

ويكسوها ويماشرها بالمعروف، بل هذا عمدة المعاشرة ومقصودُها، وقد أمر اللهُ سبحانه وتعالى أن يعاشرها بالعزوف. فا تُوطُه داخلُ في هذه المعاشرة ولا بدّ، قالوا: وعليه أن يُشبعها وَطْنًا إذا أَ مكنه ذلك كما عليه أن يشبعها قوتًا. وكان شيخنا رحمه الله تعالى يرجّبح هذا القول ويختاره.

وقد حَسَّ النبي صلى الله عليه وسلم على استعال هذا الدواء ورغب فيه وعاقى عليه الأجر وجعله صدقة لفاعله فقال: « وفى بُضُع أَحَد كُم صَدَقَة " (1). ومن تراجم النّسائى على هذا : الترغيب فى المباضعة ، ثم ذكر هذا الحديث ، فنى هذا كال اللذة ، وكال الإحسان إلى الحبيبة ، وحصول الأجر ، وثواب الصدقة ، وفرح النفس ، وذهاب أفكارها الرديئة عنها ، وخقة الرح ، وذهاب كثافتها وغلظها ، وخفة الجسم ، واعتدال المزاج ، وجلب الصبّحة ودفع المواد الرديئة ، وغلظها ، وخفة الجسم ، واعتدال المزاج ، وجلب الصبّحة ودفع المواد الرديئة ، وأن صادف ذلك وجها حسنا ، وخلقاً دَمِثاً (٢)، وعشقاً وافراً ، ورغبة تامة ، واحتسابا للثواب ، فذلك اللذة التي لا يعادلها شيء ، ولاسها إذا وافقت كالها فإنها لا تحكل حتى يأخذ كل جزء من البدن بقسطه من اللذة ، فتلتذ العين بالنظر المحبوب ، والأذن بسماع كلامه ، والأنف بشم رائحته، والنم بتقبيله ، واليد بلسمه . وتعتكف كل جرح على ماتطلبه من لذتها ، وتقا بله من الحبوب ؛ فإن فقد من ذلك شيء لم تزل النفس متطلعة إليه ، متقاضية له ، فلا نسكن كل السكون ، ولذلك تسمّى المرأة سكنا السكون النفس إليها، قال الله تعالى : (قرمن الكرن ، ولذلك تسمّى المرأة سكنا السكون النفس إليها، قال الله تعالى : (قرمن آياته أن خَلق لكم من أنفسكم أز واجا لقسكن المنشوا إليها، قال الله تعالى : (قرمن آياته أن خَلق لكم من أنفسكم أز واجا لقسكن المنافق المناب المناب المناب ولذلك فضّل المناب ال

⁽١) تقدم مطولا فى الصفحة ١٥٨ وجاء فى القاموس المحيط أن البضع بالضم الجاع او الفرج نفسه، والمهر ، والطلاق ، وعقد النكاح ضد، والمباضعة: المجامعة. (٧) دمك دمثاً: لان وسهل، ودمثت المرأة دمائة: سهل خلقها .

⁽٣) الآية ٢١. سورة الروم.

جماعُ النهار على جماع الليل ، ولسبب آخر َ طبيعي، وهو أَن الليلَ وقتْ تبرُد فيه الحواس" وتطلب حظهامن السكون، والنهار محل" انتشار الحركات كما قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَـكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالَّذُو مَ سُبَاتًا وَجَمَلَ النَّهَارَ نُشُوراً)(١) وقال الله تعالى: (هُوَ أَلْذِي جَعَلَ لَـكُمُ ۗ اللَّيْلَ لِنَسْكُنُوا فِيهِ)(٢) وتمامُ النعمة في ذلك فرحةُ الحب برضاء ربه تعالى بذلك ، واحتسابُ هذه اللذة عنده، ورجاء تثقيل ميزانه، ولذلك كان أحب شيء إلى الشيطان أن يفرُّق بين الرجل وبين حبيبه، ليتوصل إلى تعويض كلِّ منهما عن صاحبه بالحرام كما في السنن عنه صلى الله عليه وسلم: « أَبْغَضُ الْخُلالِ إِلَىٰ اللهِ تَعالَى الطَّلاَقُ » (٣) . وفي محيح مسلم من حديث جابر رضى الله عنه،عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إنَّ إِبْلِيسَ مَنْصِبُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ ثُمَّ مَيْثُ سَرَاياهُ(١) فِي النَّاسِ فَأَقْرَبُهُمْ مِنْهُ مَنْزَلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً فَيَقُولُ أَحَدُهُمْ مَا زِلْتُ بِهِ حَتَّى زَنَى ۚ فَيَقُولُ يَتُوبُ فَيَقُولُ الْآخَرُ مَا زَلْتُ بِهِ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْيَهُ وَبَيْنَ أَهِلِهِ فَيَدْ نِيهِ وَيَلْتَزِمُهُ وَيَقُولُ : نِعْمَ أَنتَ . نِعْمَ أَنتَ » فهذا الوصال لما كان أحب شيء إلى الله ورسوله كان أَ بغض شيء إلى عدوّ الله ، فهو يسعى في التفريق بين المتحابين في الله الحبة التي يحمها الله ، ويؤلف بين الاثنين في الحب_ة التي يبغضها الله ويَسخَطها . وأكثرُ المُشاق من جنده وعسكره ، ويرتقي بهم الحال حتى

⁽١) الآية ٤٧ سورةالفرقان . والنوم سباتاً :أى راحةوسكونا ،أو جعلناه كالموت . وجعل النهار نشورا : أى زمن اليقظةالتي تشبه الانبماث بعد الموت .

⁽٢) الآية ٢٧ سورة نولس.

⁽٣) رواه أبو داود وابن ماجهوالحاكم . كما قال السيوطى

⁽٤) سراياه : جنوده وجيرشه والسرية قطعة من الجيش ..

يصير هو من جندهم وعسكرهم، يقود لهم، ويزين لهم الفواحش، ويؤلُّف بينهم علمها كما قيل:

عجبت من إبليس في تَغُوتِهِ وقبح ِ ما أَظهر من سيرته تاه على آدم في سجدة وصار قو اداً لذر يتده

وقد أرشد النبى صلى الله عليه وسلم الشباب الذين هم مَظِنَّة العشق إلى أنفع أدويتهم . فني الصحيحين من حديث ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « يَامَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ وَإِنَّهُ أَغَضُ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْهَرْجِ » .

وفي لفظ آخر ذكره أبو عبيد: حد "ننا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبدالله رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليمه وسلم : « عَلَيْكُمْ بِالْبَاءَة ». وذكر الحديث، وبين اللفظين فرق فإن الأول يقتضي أمر العزرِّب بالتزويج ، والثاني يقتضى أمر المتزوِّج بالباءة ، والباءة : اسم من أسماء . الوَطء . وقوله : «من استطاع منكم الباءة فليتزوَّج » فُسِّرت الباءة بالوط وفسرت بؤن النكاح ، ولا ينافي التفسير الأول إذ المعنى على هذا مؤن الباءة ثم قال : وَمَن لمَ يَسْقَطعُ فَعَلَيهُ بِالصَّوْمِ فَإِنّهُ لَهُ وجالا » فأرشدهم إلى الدواء الشافي « وَمَن لمَ يَسْقطعُ فَعَلَيهُ بِالصَّوْمِ فَإِنّهُ لَهُ وجالا » فأرشدهم إلى الدواء الشافي الذي وضع لهذا الأمر ، ثم نقلهم عنه عند العجز إلى البدل وهو الصوم فإنه يكسر شهوة النفس ويضيق عليها مجارى الشهوة ، فإن هذه الشهوة تقوى بكثرة الغذاء وكيفيته يزيدان في توليدها ، والصوم يضيق عليها ذلك فيصير بمنزلة وجاء الفحل (٢) ، وقل من أدْمَن الصوم إلاوماتت شهوته أو ضَعُفت فيصير بمنزلة وجاء الفحول (٢) ، وقل من أدْمَن الصوم إلاومات شهوته أو ضَعُفت

⁽١) البيتان لأبى نواس .

ر ٧) وجاء الفحل : دق عروق خصيتيه بين حجرين ولم يخرجهما، أورضهما حتى تنفضخا فيسكون شبيها بالخصاء .

جدًا ، والصوم المشروع يُعدِّلها. واعتدالُها حسنة بين سيئتين، ووَسَطْ بين طَرَفِن مذمومين، وهماالهُنَّة والغُلْمة الشديدة المُفْرطة ، وكلاها خارج عن الاعتدالوكلا طَرَف قصد الأمور ذميم، وخير الأمور أوساطها ، والأخلاف الفاضلة كلها وسط بين طَرَف إفراط وتفريط ، وكذلك الدين المستقيم وَسَطْ بين انحرافين ، وكذلك السنَّة وَسَطْ بين العرافين ، وكذلك الصواب في مسائل المزاع إذا شئت أن تحظى به فهو القول الوسط بين الطرفين المتباعد بن ، وليس هذا موضع تفصيل هذه الجلة ، فإنا لم نقصد له وبالله التوفيق .

⁽١) العنة : عدم القدرة على إنيان النساء .والغلمةغلبة الشهوة .

البابالنابيعيش

فى ذكر فضيدة الجمال ، وميل النفوس إليه على كل مال

إعلم أن الجمال ينقسم قسمين: ظاهر وباطن، فالجمال الباطن هو المحبوب لذاته ، وهو جمال العلم والعقل والجود والعفة والشجاعة ، وهذا الجمال الباطن هو محل نظر الله من عبده وموضع محبته ، كما في الحديث الصحيح: «إنّ الله لا يَنظُرُ إلى صُورَكُم وأَعمَالِكُم » (1) . وهذا الجمال الباطن يزين الصورة الظاهرة وإن لم تكن ذات جمال ، فتسكسو صاحبها من الجمال والمهابة والحلاوة بحسب ما اكتست رُوحه من تلك الصفات ، فإن المؤ مِن يُعظى مهابة وحلاوة بحسب إيمانه ، فمن رآه هابه ، ومن خالطه أحبه . وهذا أمر مشهود بالعيان، فإنك ترى الرجل الصالح المحسن ذا الأخلاق الجليلة من أحلى الداس صورة وإن كان أسود أو غير جميل ، ولا سيا إذا رُزق حظا من صلاة الليل فإنها تنو ر الوجه و تحسنه .

وقد كان بعضُ النساء تكثر صلاة الليل، فقيل لها فى ذلك، فقالت: إنها تحسن الوجه وأنا أحب أن يحسن وجهى . ومما يدُلُ عَلَى أَن الجمال الباطن أحسنُ من الظاهر أن القلوب لا تنفك عن تعظيم صاحبه ومحبته والميل إليه .

فصل

وأما الجال الظاهر فزينةٌ خَصَّ الله بها بعضَ الصُّوَر عن بعض ، وهي مِن

(١) في صحيح مسلم.

زيادة الخلْق التى قال الله تعالى فيها: (يَزِيدُ فِي النَّلْقِي مَايَشَاءٍ) (١) قالوا: هو الصوت الحسن والصورة الحسنة . والقلوب كالمطبوعة على محبته كما هي مفطورةٌ على استحمانه .

وقد ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : «لاَ يَدْخُلُ الجُنَّهُ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةً مِن كُبْرٍ » قالوا : يارسول الله ، الرجل يحب أن تكون نعله حسنة وثوبه حسنا أفذلك من الكبر ؟ فقال : « لا . إنّ الله جميل كيب أجمال . المكبر بطر الحق جَحْدُه ودَفُه بعد معرفت مو قتل ، وتخمط الناس النظر إليهم بعين الازدراء والاحتقار ودَفُه بعد معرفت مه ولا بأس بهذا إذا كان بله . وعلامته أن يكون لنفسه أشد والاستصغار لهم . ولا بأس بهذا إذا كان بله . وعلامته أن يكون لنفسه أشد ازدراء واستصغاراً منه لهم . فأما إن احتقرهم لعظمة نفسه عنده فهو الذي لا يدخل صاحبه الحنة .

فصل

وكما أن الجال الباطن من أعظم نِمَم الله تعالى على عبده فالجال الظاهر نعمة منه أيضاً على عبده يوجب شكراً ، فإن شكره بتقواه وصيانته ازداد جمالاً على جماله ، وإن استعمل جماله في معاصيه سبحانه قلبة له شيئاً ظاهراً في الدُّنيا قبل الآخرة ، فتعود تلك المحاسن وحشة وقبحاً وشيئاً ، ويَنْفُرُ عنه من رآه ، فكل من لم يتّق الله عز وجل في حسنه وجاله انقاب قبحاً وشيئاً يشينه به بين الناس ، فحسن الباطن يعلو جمال الظاهر ويستره ، وقبح الباطن يعلو جمال الظاهر ويستره ، ياحسَن الوجه تَوَق الله عن والله لا تُبْسَد لِنَ الزّين بالشّين عاصراً الناه عن وقبح المناه لل تُبْسَد لِنَ الزّين بالشّين المنته المناه المنا

BIBLIOTHECA ALEXANDICINA

⁽١) أول سورة فاطر .

⁽٢) أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي . كما قالاالتيباني في تيسير الوصول .

⁽٣) الحنا : الغمض ـ

ويا قبيح الوجه كن محسناً لا تجمعسن بين قبيحين ويا قبيحين ويا قبيح الناس إلى جمال الباطن بجمال الظاهر وكان الذي صلى الله عليه وسلم يدء الناس إلى جمال الباطن بجمال الظاهر كا قال جَرِيرُ بنُ عبد الله وكان عربن الطاب رضى الله عنه يُسميه يوسف هذه الأمة — قال: قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أنت امرُو قد حسن الله خلقك فأحسن خُلقك » (١) . وقال بعض الحكاء: ينبغى للعبد مستق الله كل يوم في المرآة ، فإن رأى صورته حسنة لم يَشِنها بقبيح فعله ، وإن رآها قبيحة لم يَشِنها بقبيح فعله ، وإن

ولما كان الجمال من حيث هو محبوباً للنفوس، منظماً في القاوب، لم يبعث الله نبيًا إلا جميل الصورة ، حسن الوجه ، كريم الحسب ، حسن الصوت ، كذا قال على بن أبي طااب كرام الله وجهه .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم أجمل خلق الله ، وأحسنهم وجها كا قال البراء بن عازب رضى الله عنه وقد سئل: أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف ؟ قال: لا بل مثل القمر (٢)

وفى صفته صلى الله عليه وسلم : كأنَّ الشمس تجرى فى وجهه ، يقول و اصفه : لم أَرَ قبلَه ولا بعدَه مثلَه .

وقال ربيعة الجُرْشي : تُصِمِّ الْحُسْن نصفين : فبين سارَّة ويوسف نصفُ الحسن ، ونصفُ الحسن ، ونصفُ الحسن ، ونصف الحسن ، ونصف الله عليه وسلم أنه رأَى يوسف ليلة الإسراء وقد أعطى شَطَّر الحسن (٣) وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحب أن يكون الرسول الذي يرسل إليه حسن الوجه حسن

⁽¹⁾ رواه الديلي كا جاء في منتخب كنز المال .

⁽٢) ذكره البخارى في صحيحه ، ورواه مسلم عن جابر بن سمرة .

⁽٣) وراه مسلم وأحمد في مسنده . كما جاء في منتخب كنز المال .

الاسم ، وكان يقول: « إِذَا أَبْرَدْتُهُمْ إِلَىَّ بَرِيداً فَلْيَكُنْ حَسَنَ الْوَجْهِ حَسَنَ الْاسم »(١) .

وقد روى الخرائطى من حسديث ابن جُرَيج عن ابن أَى مُكَيْكَة، عن ابن عباس رضى الله عنها يرفعه: « مَنْ آتَاهُ اللهُ وَجْهَا حَسَنًا واسْمًا حَسَنًا وخُلقًا حَسَنًا وَخُلقًا حَسَنًا وَخُلقًا وَسُمَّا وَخُلقًا وَسَمَّا وَخُلقًا وَسَمَّا وَخُلقًا وَسَمَّا وَخُلقًا وَسَمَّا وَخُلقًا وَسَمَّا وَخُلقًا وَجَعَلَهُ فِي مَوْضِعِ غَيْرَ شَائِن لَهُ فَهُو َ مِنْ صَفْوَةِ اللهِ مِن خَلْقِهِ »، وقال وهب: قال داود: يارب أَى عبادلهُ أحب إليك؟ قال: مؤمن حسن الصورة، قال: فأى عبادلهُ أبغض إليك؟ قال كافر قبيح الصورة.

ویُد کر عن عائشة رضی الله عنها أن رسول الله صلی الله علیه وسلم کان ینتظره نفر من أسمحابه عَلَی الباب، فجعل ینظر فی الماء ویسوی سعره و لحیته، ثم خرج إلیهم، فقات: یارسول الله، وأنت تفعل هذا؟ قال: « نعم إذا خرَجَ الرَّجُلُ إلی إِخُو اَنِهِ فَلْیهُ عَیْ مِنْ نَفْسِهِ فَإِنَّ الله جَمِیلُ کیمِ الجُمْالَ » (۲) وقال الرَّجُلُ إلی إِخُو اَنِهِ فَلْیهُ عَیْ مِنْ نَفْسِهِ فَإِنَّ الله جَمِیلُ کیمِ الجُمْالَ » (۲) وقال یمی بن أبی کثیر: دخل رجل علی معاویة غصاً، یعنی رمص (۳) العینین، فیظ من عطائه فقال: ما یمنع أحد كم إذا خرج من منزله أن یتفاهد أدیم وجهه ؟ من عطائه فقال: ما یمنع أحد كم إذا خرج من منزله أن یتفاهد أدیم وجهه ؟ وانت عائشة بنت طاحة من أجمل أهل زمانها، أو أجملهم، فقال أنس بن مالك: والله مارأیت أحسن منك إلا معاویة علی منبر رسول الله صلی الله علیه وسلم، فقالت: والله لأنا أحسن من النار فی عین المقرور فی اللیلة القارة.

⁽١) رواه البزار. كما جاء في الجامع الصغير للسيوطي

⁽٢) تقدمت الفقرة الآخيرة منهذا الحديث فى الصفحة ٢٢٢ أما التصة فإن قول المؤلف فى أولها,ويذكر, يدل على التنعف.

⁽٣) الغمص: ما يسيل من العين من الرمص، والرمص: وسنح أبيض جامد يجتمع في موق المين

ودخل عليها أنس يوماً في حاجة فقال : إن القوم يريدون أن يدخلوا عليك فينظروا إلى جمالك ، قالت : أفلا قلت لى فألبَسَ ثيابى ؟ .

وكان مُصعَبُ بن الزُّبير من أجل الناس وكان يحسدُ الناسَ عَلَى الجال، فبينا هو يخطب يوماً إذ دخل ابن جودان من ناحية الأزْد، وكان جيلا، فأعرض بوجهه عن تلك الناحية إلى ناحية أخرى ، فدخل ابن مُعْران من تلك الناحية، وكان جيلا، فرمى ببصره إلى مُؤخَّر المسحد، فدخل الحسن المصرى، وكان من أجل الناس، فنزل مُصُعَبُ عن المنبر.

وخرج نِسْوَةٌ يوم العيد ينظرون إلى الناس فقيل له نن : من أحسن من من بكن ؟ قلن : شيخ عليه عمامة سوداء ، يَعذينَ الحسن البصرى . وأخذ مصعب ابن الزّير رجلاً من أصحاب المختار فأمر بضرب عنقه ، فقال الرجل : أيها الأمير ، ماأقبح من أن أقوم يوم القيامة إلى صورتك هذه الحسنة ، ووجهك هذا الذى يُستضاء به فأنعلق بأطر افك وأقول : يارب سل مُصعَباً فيم قتلنى ؟ فقال يُستضاء به فأنعلق بأطر افك وأقول : يارب سل مُصعَباً فيم قتلنى ؟ فقال مُصعَب : أطلقوه و فقال الرّجل : أيها الأمير ، اجعل ماوهبت لى من حياتى في خفض (١) فقال مصعب : أعطوه مائة ألف درهم ، فقال : إلى أشهد الله أن لعبد الرحمن بن قيس الرّقيات (١) مصفها ، قال مصعب : ولم ذلك ؟ قال لاموله : إنها مصعب شهاب من الله عن يوجهه الظاهراء .

فضحك مُصْعَب وقال: إن فيك لموضعاً للصنيعة ، وأمره بالتُّونه . وقال الزُّ يَبْر بنُ بَكَار: حدَّننا مُصْعَب الرُّ بيرى ، حدَّننا عبد الرحمن بن أبى الحسن قال: خرج أبوحازم يرمى الجُمار ومعه قومٌ متعبَّدون وهو يَكُلمهم

⁽١) الحفض: الدعة وسعة الميش .

⁽٢) كذا.. والذيجاء في الآغاني وغيره أن اسمه عبيد الله .

٠١٠ (١٥ م - روضة الحبين)

ويحد تهم ويقص عليهم ، فيها هو يمشى وهمعه إذ نظر إلى فتاة مستترة بخارها، ترمى الناس بطرفها كيمنة ويَسْرَة ، وقد شَمَات الناس وهم ينظر ون إليها مبهو تين ، وقد خَبَط بعضهم بعضاً فى الطريق ، فرآها أبو حازم فقال : ياهذه اتَّقِى الله فإنَّك فى مَشْعَرِ (۱) من مشاعر الله عظيم ، وقسد فتنت الناس ، فاضر بى بخمارك على جَيبك فإن الله عز وبعل يقول : (وأيضر بن بخمر هِن على جُيوبهِن)(۲) فأقبلت تضعك من كلامه وقالت : إنى والله .

مِن اللَّهُ لِم يَعْجُدُنَ يَبْغِينَ حِسْبَةً وَالْكُن لَيْقَتْلُنَ الْبَرِيءَ اللَّغَفَّارَ")

فأقبل أبو حازم على أسحابه وقال: تمالَوْا ندعو الله أن لايعذَّب هذه الصورةَ الحسناء بالنار، فبعل يدعو وأصحابُه يُؤكَّمِّنُونَ (١).

وقال ضمرَة بن ربيعة ، عن عبد الله بن شوَ ذَب : دخلت امرأة جيلة على الحسن البصرى فقالت : ياأبا سعيد ، ينبغى (٥) للرجال أن يتزوَّجوا على النساء ؟ قال : نعم ، قالت : وعلى مثلى ؟ ثم أسفرت عن وجه لم يُو مثلُه حسناً وقالت : ياأبا سعيد ، لا تنفتوا الرجال بهذا . ثم ولّت ، فقال الحسن : ما على رجل كانت هذه فى زاوية بيته ما فاته من الدنيا !

⁽¹⁾ المشمر : موضع مناسك الحج والمشمر الحرام : جبل بآخر المزدلفة اسمه قرح .

⁽٢) الآية ٣١. سورة النور.

⁽٣) البيت للعرجى .

⁽٤) فى الأغانى الأصفهانى قال: بلغ ذلك سعيد بن المسيب فقال: أما والله لو كان من بعض بفضاء أهل العراق (يريد بهم المتزمتين المتنالين فى الورع) لقال لها: اغربى قبحك الله ا ولكنه ظرف عباد الحجاز.

⁽ه) لعل الألسب هو : أيحل . كما جاء في تحفة المروس .

وقال عبد الملك بن قُرَيْب (١) : كنت في بعض مياه العرب فسمنت الناس يقولون : قد جاءت قد جاءت . فتحو ل الناس فقمت معهم، فإذا جارية قد وردت الماء مارأيت مثلها قط في حسن وجهها وتمام خَلقها ، فلمارأت تشو فن (٢) الناس إليها أرسلت بر قُم هما فك أنه غمامة غطت شمساً ، فقلت : لم تمنعيننا النظر إلى وجهك هذا الحسن ؟ فأنشأت تقول :

وكنتَ متى أرسلت طرَّ فك رائداً لقابك يوماً أتعبتك المناطرُ رأيت الذي لا كلة أنت قادر عليه ولاعن بعضه أنت صابرُ

ونظر إليها أعرابي فقال: أنا والله بمن قل صبره، ثم قال:

أُوَحْشِيَّةً العينين أين لك الأهلُ أَ بِالخُرْنِ حَلُّوا أَمْ عَلَيْم السَّهْلُ وَاللهُ الْمُعْلُ وَاللهُ الْمُلُ وَاللهُ النَّمْلُ الْمُولُ الْمُولِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهِ مَا اللهُ اللهُ عَلَيْهِ وَمَا اللهِ وَسِ إِن فُتُسُّ الأَصلُ وَمَا اللهِ عَلَيْهِ اللهِ اللهُ ال

شربت ومِن أَين استقل بك الرّعْلُ (٢) شربت ومِن أَين استقل بك الرّعْلُ (٢) لأن علامات الجِنسان مُبِينَة عليك وإن الشّكل يشبهه الشكل تناهيت حسناً في النساء فإن يكن لبدر الدُّجي نسْلُ فأنت له نسل وقال آخر (١):

يا مُنْسَى المحسرُون أحزانَه لما أتته في المعزِّينا إستقبلتهنَّ بتمثالها فقُمْن يضحكن ويبكينا

⁽١) هو الأصمعي (أبو سميد عبد الملك بن قريب)

⁽٢) تشوف: نظر وتطلع.

⁽٣) استقل بك الرحل : جاء وقدم .

⁽٤) هو أبو نواس الحسن بن هاني م، ورواية الأغانى: يامذمي المأتم أحزانه لمنا أتاهم في المعزينا

تعقُّ لهذا الوجه أن يَزْ دَ هي (١) عن حُزْ يُهِ من كان محزونا وقال آخر:

أُنيرى مَكَانَ البدر إن أَفَلَ ٢٠٠ البدرُ وقو مى مقام الشمس مااستأخر الفجر فغيك من الشمس المنسيرة ضوَ وُها وايس لهسما منك التبسَّم والثغر وقال آخر :

رقادى ياطروف عليك حرام في الله مع اطفاد لنسوام والمدى المرام في الدّ مع اطفاد لنسوار صبابة الحماد الضاوع ضرام المرام وياكبدى الحرسي التي قد تصدّع تت من الوجد ذوبي ماعليك ملام وياوجه من ذات وجوه أعزاه له وزهى عسراً المليس يُرام أجر مستجيراً في الهسوى باسطاً اليك يديه والعيون أينام

وذكر الخرائطي عن بعض العَلَوبين قال : بينا أنا عنــد الحسن بن هابيء

وهو ينشد :

ويلى كَلَى سود العيون النُّهُدُ الضُّـمْرِ البطون الناطقاتِ عن الضميــــ ر لنا بأنْسِـنَةِ الْجُفون

فوقف عليه أعرابي ومعه بُذيَّه فقال: أعد على الأعاد عليه فقال: ياابن أخى ، ويلك أنت وحدك من هذا ، ويلل أنا وأكنت ، وويل ابنى هذا ، وويل هذه الجماعة ، وويل جيراننا كلمُّهم .

⁽١) يزدهى: يتيه بحسنه، ويحمل من رآه وكان محزوناً على لسيان حزنه .

⁽ ٢) أفل : غاب .

⁽٣) سجام: سائل بكثرة.

⁽٤) الضرام : لهب النار .

⁽ ٥) الحرى:التي يبست من مرض أوحزن .

وقال الخرائطي : حد ثنا يموت بن المُزَرَّع ، حد ثنا محمد أبن حيد ، حد ثنا محمد بن سلمة قال : حد ثنا يموت بن المرزيز بن المطلب أسأله عن بيعة الجن للنبي صلى الله عليه وسسسلم بمسجد الأحزاب ما كان بدؤها ، فوجدته مستلقياً يتغنى :

ف اروصة باكثر ن طيب ألثرى يَمُجُ الندى جَمْجاً أَمَا وَعَر ارُها(١) بأطيب من أردان عَزَاةً مو هنا وقد أوقدت بالمَنْدُلِ الرَّطبِ نارُها(٢) من النَّفِر ات البيض لم تَلْقَ شِقُوعً وبالحسب المكنون صاف بجارُها(٣) فإن برزت كانت لعينيك قرَّةً وإن غبت عنها لم يَعُمَّكُ عارُها

فقلت له: أَ تُغنى أَصلحك الله وأنت فى جلالك وشرفك ؟ فقال : أَما والله لأحلنهًا ركبانَ نجد ، قال: فوالله ما اكترث بى وعاد يتغني .

في ظبية أدماء خَفَّاقَةُ الحُشَّا تَجُوبِ بِظِلْفَيَهَا مِتُونَ الْحَائلِ (١) بأحسن منهسا إذ تقول تدللاً وأدمُعُمَّا تُذَرِين فَشُو للسكاحل تمتع بذا اليوم القصير فإنه رهين بأيام الصدود الأطاول قال: فندمت عَلَى قولى وقلت له: أصلحك الله أتحد منى في هذا بشيء ؟ قال: نعم حد أنى أبي قال: دخلت على سالم بن عبدالله بن عمر رضى الله عنهم وأشعب يغنيه:

⁽۱) الحزن من الارض: ماغلظ و يمج الندى يلقيه عنه والجمعات: ندات سهلى له زهرة صفراء طيبة الريح. والعرار جمع عرارة: بمارطيب الرائحة.

⁽ ٢) المندل : العود العليب الرائحة .

⁽٢) الخفرات جمع خفرة · وهي الشديدة الحياء. والنجاريّ: الأصل والحسب (٢) أدماه: شدرة البين قرو الظاف : الناف الشقرة النظمة والعربيّة والمعربيّة مما

⁽ ٤) أدماء : شديدة السعرة والظلف :الظفى المشقوق للظبية والبقرة وبحوهما والمتون جمع متن : الظهر .

مغيرية كالبدر سُنَّةُ وجهها مُطَهَّرَةُ الأثواب والعرضُ وافرُ لها حسب واله وعرض مهذّب وعن كل مكروه من الأمر زاجر من الْخُفراتِ البيض لم كَلْقَ ريبةً ولم يَسْتَمِلها عن ُتقى الله شـاعرُ

فقال له سالم : زدى، فغناه :

أَلمَّت بنا والليلُ داج كأنه جَنَاحُ غُرابٍ عنه قدنَهَضَ القَطْرَا

فقلت أعطار أوى في رحالنا وما احتملت ليلي سوى طيبها عِطْرا

فقال له سالم: والله لولا أن تتداوله الرُّواة لأجزلت جائزتك فإنك من هذا الأمر بمكان.

قال الخرائطي : حدَّثنا العباس بن الفضل ، عن يعض أصحابه قال : حجبت سنة من السنين فإني لبالرَّ بَدَّة (١) إذ وقفت علينا جاريةٌ على وجهما بُر ْقُعُمْ فقالت. يامعشر الحجيج، نَفَر من هُذَيل، ذهب بنتمهم السيل، وقعدت بهم الأيام، مامهم ُ بَجْعة (٢) ، فن يراقبُ فمهم الدار الآخرة ويعرف لهم حق الأخوة ؟جزاه الله خيرًا. قال: فرضخنا لها ، فقلت لها : هل قلت في ذلك شيئًا ؟ فأنشأت تقول :

كُفُ الزمان توسدتنا عَنُواةً ﴿ شَكَّتَ أَنامِلُهَا عِنِ الْأَعْرَابِ

فقلنا لما: لو أمتعتينا بالنظر إلى وجهك ، فكشفت البُر ُقُع عن وجدٍ لا والله لاتهتدى العقول لوصفه ، فلما رأتنا قد بُهِتْنا لحسنها أَنشأت تقُول :

⁽ ١) في ممجم يأقوت : الربذة : قرية من قرى المدينة .

⁽ ٢) النجعة : طلب الـكماكر، ومساقط الغيث ، وقصد ذى المعروف لمعروفه

^{(ُ} ٣ ُ) العفاة : الذين افتقروالايسألون.

الدهر أبدى صفحة قد صانها أبواى قبـــل تمرس الأيام (١)
فتمتّعوا بعيونكم فى حسنها وانهو اجوارحَــكم عن الآثام
ثم انصر فت . وكان محمد بن حميد الطوسى يهوى جارية فأرسل إليها مَّرة الرُّجَة (٢) فبنكت بكاء شديداً ، فقيل لها : يوجه إليك من تحبينه بهدّية المن هذا البكاء ؟ فغنت :

أهدى له أحباً به أثرُجَّة فبكى وأشفق من عِيَافة زاجر (٣) خاف التلوُّن والفراق لأنها لونان باطنها خلافُ الظاهر فلما جاءه الرسول أخبره عنها بما أغاظه ، فكتب إليها : (١)

ضيَّعت عهد فتى لغيبك حافظ فى حفظه عجب وفى تضييعك وعددت عنه وما له من حيلة إلا الوقوف إلى أوان رجوعك إن تقتليه وتذهبى بحياته فبحسن وجهك لابحسن صنيعك فلما وافتها الرقعة بكت حتى رَحها مَن حولها ثم اندفعت تقول:

هـــل لعيني إلى الرُّقاد شفيع أن قلبي من السقام مر ُوع لاتراني بخلت عنــك بدمع لا وحق الحبيب مالى دمرع أن قلبي إليــك صب ُ حزين فاستراحت إلى الأنين الضــلوع إن قلبي إليــك صب ُ حزين أيما هجر من يُحِب بديع ليس في العطف ياحبيبي بدع أيما هجر من يُحِب بديع

⁽¹⁾ عمرسالاً يام : عارسة نوائبها وفواجعها .

⁽٢) الاترجة : نوعمن الليمون يجلو اللون ويزيل الكاف.

⁽٣) عيانة الطير: زجرها . وهو أن تعتبر بأسمامها ومساقطها فتتفامل أو تتشامه .

⁽٤) السعر لابن أبي عيينة .

ثم كتبت إليه : أنا مملوكة لا أملك من أمرى شيئًا، فإذا كان لك فيًّ حاجة فاشترني لأكون طوع يديك ، فاشتراها فمكتت عنده وكانت من أحظى إمائه ، حتى قتــل في وقعــة باكِ الْخُرَّمي ، فــكانت تتمثل في رثابًه بقول أبي تمام:

أريق ما المالى مذ أريق دمُهُ في النوم بدراً جلت عن وجهه ظُارَهُ فقلت والدمع من حزن ومن كَمَدٍ محرى انسكابًا على الحدين مُنسَحمُهُ فقال لى لم يَمُت من لم يمت كُرَّ مُهُ

عمدُ بنُ حَمَيْدِ أَخْلَقْتَ رَكُمُهُ رأيتُه بنجاد السيف مُعْتَدِياً (١) أَلَمْ تَمْتَ يَا شَقَيقَ َ النَّفْسُ مَذْ زَمَنِ

فصل

وهذا فصل في ذكر حقيقة الحسن والجال ماهي ؟ وهذا أمر لايُدْرَكُ إلا بالوصف، وقد قبل: إنه تناسُبُ الخلقة واعتداكها واستواؤها. ورب صورة متناسبة ِ الخلقة ، وليست في الحسن هناك . وقد قيل : الحسنُ في الوجه والملاحةُ في العينين . وقيل : الحسنُ أمر م كُبُّ من أشياء : وضاءة وصباحة وحسن تشكيل وتخطيط ودموية في البشرة. وقيل : الحسنُ معنى لاتناله العبارة، ولا يحيط به الوصف، وإنما للناس منه أوصاف أمكن التعبير عنها. وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في الذروة العُليا منه ، ونظرت إليه عائشة رضى الله عنها يومًا ثم تبسَّمت ، فسألها مِمَ ذاك ؟ فقالت : كأن أبا كَبِيرِ الهذَلِّ إنيا عَنَاك بقوله :

⁽١) نجاد السيف : حمائله.واحتى : جلس على اليتيه وضم فحذيه وساقيه إلى بطثه بُذراعيه ليستند . ويقال احتى الثوب: اشتمل به وأداره على ظهره وساقيه .

ومَبَرَّ إِ مِن كُلِّ غُبَر حَيْضَةٍ وفسادِ مُرْضِعَة وداء مُفيل (١) وأَبَرَ إلى أُسِرَّة وجهه بر قَت كبرق العارض المهال (٢)

ولتى بعضُ الصحابة راهباً فقال: صف لى محمداً كأنى أنظر إليه فإنى رأيت صفعه فى التوراة والإنجيل، فقال: لم يكن بالعلويل البائن ولا بالقصير، فوق الربعة، أبيض اللون مُشْرَباً بالحرة جُعْداً ليس بالقطط، بُحَته إلى شحمة أذنه، صات الجبين، واضح الحُدة، أدعج العينين، أقنى الأنف، مفاج الثنايا، كأن عنقه إبريق فضة، ووجهه كدارة القمر، فأسلم الراهب (٣). وفي صفة هند بن أبى هالة له صلى الله عليه وسلم: لم يكن بالعلويل المُمَعَّط، ولا بالقصير المتردد. كان رَبْعة من الرجال، ولم يكن بالجُعْد القطط ولا بالسبط، ولم يكن بالمطمّم ولا بالمُكلمَّم، وكان في الوجه تدوير، أبيض مُشرَب أدعج العينين، أهدب الأشفار، جليل المُشاش والكتد، شننُ الكفين والقدمين، دقيق المسرئة، إذا الأشفار، جليل المُشاش والكتد، شننُ الكفين والقدمين، دقيق المشرئة، إذا مشي تقلَمَّ كأيما ينحط من صبب، وإذا التفت التفت حيمًا. كأن الشمس تجرى

⁽۱) غير الحيض: بقايا دمه ، وأضاف الفساد إلى المرضعة لأنه أراد الفساد الذي يكون من قبلها. والمغيل من الغيل وهو اللبن الذي ترضعه المرأة ولدها وهي حامل ويروى: وداء معضل ، قاله التبريزي في شرح الحاسة . والحديث في الحلية ـ لاني نعيم .

⁽ ٢) الأسرة جمع سرار: وهي خطوط الجبهة. والعارض: السحاب يعترض في الأفق والمتهل: المتلاكئ -

⁽٣) البائن: المفرط في الملول. والقطط:القصير الجمد وكان شعره عليه الصلاة على البائن: المفرط في الملول. والقطط:القصير الجمد وكان شعر المجموع على الرأس، وقيل الشعر متطلقاً. والسلت: الواسع. والادعج: الشديد سواد العين في شدة بياضها والقنا: طول الانفودقة أرنبته وحدب في وسطه. الفلج: تباعد ما بين الثنايا والرباعيات خلقة، ودارة الغمر: هالته والحديث مذكور بنحوه في منتخب كنز العمال وقال: رواه ابن عساكر.

فى وجهه . وكان صلى الله عليه وسلم مع هذا الحسن قد ألقيت عليه المحبة والمهابة ، فن وقعت عليه عيناه أحبه وهابه (١) وكل الله سبحانه له مراتب الجال ظاهراً وباطناً . وكان أحسن خلق الله خَلْقاً وَخُلْقاً ، وأجلكم صورةً ومعنى . وهكذا كان يوسف الصديق صلى الله عليه وسلم . ولهذا قالت امرأة العزيز للنّسوة لما كان يوسف الصديق صلى الله عليه وسلم . ولهذا قالت امرأة العزيز للنّسوة لما أرّخن الله ايعذ وهذا حسن منظره ؟ ثم هو الذى فتنت به وشغفت بحبه ، فمن يلومنى على محبته وهذا حسن منظره ؟ ثم نالت : (وَلَقَدْ رَاوَدْ تُهُ عَنْ نَفْسِه فَاسْتَعْمَمَ) (٢) أى فمنع هذا الجال ، فباطنه أللت : (وَلَقَدْ رَاوَدْ تُهُ عَنْ نَفْسِه فَاسْتَعْمَمَ) (٢) أى فمنع هذا الجال ، فباطنه عنيب محبوبة فلا يجرى لسانه إلا بمحاسسنه ومدحه . ويتعلق بهذا قوله تعالى فى صفة أهل الجنس ور ، ومثله قوله : (وُجُوهُ يَوْ مَئِذ نَاضِرة إلى رَبِّهَا نَاظِرة) (٥) فينه وبواطنهم بالمسرور ، ومثله قوله : (وُجُوهُ يَوْ مَئِذ نَاضِرة إلى رَبِّهَا نَاظِرة) (٥) فإنه لاشى أشعى إليهم وأقر العيونهم ، وأنعم لبواطنهم من النظر إليه ، فنضر وجوهم بالحسن، ونعم قلوبهم بالنظر إليه ، وقريب منه قوله تعالى : (وَحُلُوا الله ، وقريب منه قوله تعالى : (وَحُلُوا الله) وجوهم بالحسن، ونعم قلوبهم بالنظر إليه ، وقريب منه قوله تعالى : (وَحُلُوا الله) وحويهم بالحسن، ونعم قلوبهم بالنظر إليه ، وقريب منه قوله تعالى : (وَحُلُوا الله) وحويهم بالحسن، ونعم بالنظر إليه ، وقريب منه قوله تعالى : (وَحُلُوا الله)

⁽١) الحديث رواه الترمذى في الشمائل على غير هذا الوجه . الممنط: المفرط الطول . والمتردد: الداخل بعضه في بعض ، وأما المتلمم (أي الضخم) : المنكثير اللحم ، والمسكلتم : المدور الوجه ، والمشرب : الذي في بياضه حمرة ، والاهدب: اللحويل الاشفار ، المشاش : يريد رموس المناكب ، والكند : مجتمع الكتفين وهو الطويل الاشفار ، المشاش : يريد رموس المناكب ، والكند : مجتمع الكتفين وهو السكاهل ، والشنن : الغليظ الاصابع ، والمسربة : هو السمر الدقيق الذي كأنه قضيب من الصدر إلى السرة ، والتقلع : أن يمشي بقوة ، والصبب : الحدور .

⁽٢) الآية ٣٢. سورة يوسف

⁽٣) الآية ٣٢. سورة يوسف.

⁽٤) الآية ١١. سورة الدهر.

⁽ ٥) الآيتان ٢٢و٢٣. سورة القيامة .

أَسَاوِرَ مِنْ فَضَّةً)(١) فَهِذَا زَيْنَةَ الظَاهِرَ مَمْ قَالَ : (وَسَقَا مُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا)(١) أَى مُطَهِرًا لَبُواطَنهُم مَن كُلِّ أَذَى . فَهِذَا زِيْنَةَ البَاطْن . ويشبهه قوله تعالى : (يَا يَنِي آدَمَ قَلْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لَيَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمُ وَرِيْثاً)(٢) فَهِذَا وَرِيْثاً)(٢) فَهِذَا وَرِيْثاً البَاطْنِ . وينظر إليه من طرف خنى قوله تعالى : (وَزَبَّنَّا ٱلدَّهَاءَ ٱلدُّنيا وينظر إليه من طرف خنى قوله تعالى : (وَزَبَنَّا ٱلدَّهَاءَ ٱلدُّنيا وينظر إليه من طرف خنى قوله تعالى : (وَرَبَّنَّا ٱلدَّهَاءَ ٱلدُّنيا وَقَريبٌ منه قوله تعالى : (وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ ٱلتَّقُومَى)(١) فذكر الزاد وقريبٌ منه قوله تعالى : (وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ ٱلتَّقُومَى)(١) فذكر الزاد وقريبٌ منه قوله تعالى : (وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ ٱلتَّقُومَى)(١) فذكر الزاد وقريبٌ منه قوله تعالى لادم : (إِنَّ للَكَ أَلِّا تَجُوعَ فِيها الظَاهِر والزَاد الباطن . وهذا من زينة القرآن الباطنة المُصافة إلى زينة أَلفاظه وفساحته وبلاغت الظاهرة . ومنه قوله تعالى لادم : (إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيها وَلَا تَصْدَى)(١) فقابل بين الجوع والعُرْق وبين الظه و والضَّلَى دون الظه والجوع ، فإن الجوع والعُره ، والعُره ، والمُون ، والطَّه حَرُّ الباطن وذُلُه . فقابل بين ننى ذل باطنه وظاهره ، وطاهره ، وطوع باطنه وظاهره ، والظه حرّ ، والظه حرّ ، والضَّل ، والمُنْ عَن قول امرى القيس :

كَأْنِّي لَمْ أَرْكُب جواداً للذَّةِ وَلِمْ أَتَبُّطُّنْ كَاعِبًا ذَات خَالِخَال

⁽١) الآية ٢١ . سورة الدهر .

⁽٢) الآية ٢٥. سورة الأعراف.

⁽٣) الآية ١٢. سورة فصلت.

⁽٤) الآية ١٩٧ . سورة البقرة .

⁽ه) الآيثان ١١٨ و١١٩ . سورة طه .

ولم أُسْبَا الرُّقُ الرَّورِيُّ ولم أقل الحيلي كُرُّي كرَّةً بعد إجفال (١) فقيل له: إنه عيب عليه مقابلة سَبَى الرَّقِ الرَّوِيُّ بالسَكَر، وكان الأحسن مقابلته بتبطُّن السَكاعب جماً بين اللذَّ تين ، وكذلك مقابلة وكوب الجواد للسكر أحسن من مقابلته لتبطُّن السكاعب فقال : بل الذي أتى به أحسن فإنه قابل مركوب الشجاعة بمركوب اللذَّة واللهو ، فهذا مركب الطرب وهذا مركب الحرب والطلب ، وكذلك فابل بين السِّباءين،سِباء الرِّق وسِباء الرق .

قلت . وأيضاً فإن الشارب يفتخر بالشجاعة كما قال حسان :

ونشربها فتتركنا ملوكاً وأسداً ما يُدَهَنْتِهِنَا اللقاء^(٢) وهذه جلة اعتراضية من ألعان الاعتراض^(٣).

وقيل: الحسنُ ما استنطق أفواه الناظرين بالتسبيح والتهليل كما قيل: ذى طلعةٍ سبحان فالق صبحه ومعاطف جلّت يمن الغارس وقال على بن الجميم:

طلعت فقال الناظرون إلى تصــــويرها ما أعظم الله ودنت فلما سلمت خجلت والتف بالتفاح خداها وكأن غصن البان أعلاها

⁽۱) سبأ الخرواستباها :شراها ليشربها والسباء: الخر،والسباء بتشديدالباء: بياعها . والروى : الكثير المروى والزق : وعاء من جلد يجز شعره ولا ينتف للشراب وغيره .

⁽٢) نهنه فلاناً عن النبيء : كفه عنه وزجره . وهذا البيت قاله حسان قبل أن يسلم . ولم يشرب الخر بعد إسلامه.

⁽٣) لعله يشير إلى أن ماذكره من أمثلة النقابلُ ليست من مقصود الكتاب لكنها لا تخلو من فائدة يحلو بها الحطاب

⁽٤) الدعص: قطعة من الرمل مستديرة .

حتى إذا ثمِلَت بنشوَتهــا قرأت كتاب الباه عيناهـا وقال آخر:

ذو صـــورة يَشَرِيَّة قَدَرِيَّة تسنطق الأفواه بالتسبيح وقال آخِر:

وإذا بدت في بعض حاجتها تستنطق الأفسواه بالتسبيح وقال بشار:

يا صورة البدر ولا الذي صور ليس البدر يحكيك منى عَلَى المدين ولا تبخل لي بنظرة فالعدين تَفْديك والت تحرَّجت لهذا فكم قد سبح الرحمن رائيدك مدا فكم من المنا فازتجى أُجْرَ مَن الن غبت عنه ظل يمكيك

قال ابن شُبْرُمَة : كفاك من الحسن أنه مشتق من الحسنة . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إذا تم بياض المرأة فى حسن شعرها فقد تم حسنها . وقالت عائشة رضى الله عنها : البياض شطر الحسن . وقال بعض السلف : جعل الله المهاء واكلوج مع الطول ، والدَّهاء ، الدَّمامة مع القيصر ، والخير فيا بين ذلك .

ومما يُذَمَّ في النساء المرأة القصيرة الغليظة وهي التي عناها الشاعر بقوله:

وأنت التي حببت كل قصيرة إلى ولم تشمر بذاك القصائر
عَنَيْتُ قصيرات الحجال (٢) ولمأرد قصار النّسا شرا النساء البَحَاتر

(١) الحجال جمع حجل: ساتر كالقبة يزين بالثياب والستور للمروس.

والبحاتر : هن النساء القصار الغلاظ . وبعضهم يبالغ في هــذا حتى يفضل المهازيل عَلَى السَّمان .

أنشد الزنخشرى:

لاأَعشق الأبيض المنفوخ من مِن مِن لَكننى أَعشق السُّمْرِ المَهَازيلاً إِنِي امْرُوْ أَرَكِ المُهْرِ المضمَّر في يوم ِ الرَّهان فدعني واركب الفيلا

وطائفة تفضل السّمان وتقول: السّمّن نصف الحسن، وهو يستركلَّ عيب في المرأة ويبدى محاسنها. وخيار الأمور أوساطها.

ويما يُستحسن في المرأة طول أربعة وهن "أطرافها" ، وقامتها، وشعرها ، وعنقها ، وقصر أربعة : يدها ، ورجلها ، ولسانها ، وعينها" ، فلا تبذل ما في يت زوجها ، ولا تخرج من بينها ، ولا تستطيل بلسانها ، ولا تظمّح بعينها ، وبياض أربعة : لونها ، وفرقها ، وثغرها ، وبياض عينها ، وسواد أربعة : أهدابها ، وحاجبها ، وعينها ، وشعرها . وحرة أربعة : لسانها، وخدها، وشفتها مع لَعَس " ، وإشراب بياضها بحمرة ، ودقة أربعة : أنفها، وبنانها ، وخصرها ، وحاجبها . وغِلَظُ أربعة : ساقها ، ومعصمها ، وعَجِيز تها ، وذاك منها . وسقة أربعة : جينها ، ووجهها ، وعينها ، وصدرها . وضيق أربعة : فها ، ومنخرها ، وخرق أذنها ، وذاك منها ، وضيق أربعة : فها ،

لو أن عَزَّةً خاصمت شمس الضُّحٰي في الحسن عند مُو َفَّق لقضي لها

^(1) الأطراف هنا : اليدان والرجلان .

⁽٢) لعله أراد ما المعانى لا الاعيان فلمذا أعقمها بتفسير وبيان.

⁽٣) اللمس: سواد مستحسن في باطن الشفة .

وقال آخر:

لو أبصرَ الوجهَ منها وهو منهزنم ايبلاً وأعداؤه من خلفه وقفا

وقال آخر:

ياطيب مرَّعٰي مُقلةٍ لم تخف بوجنتها زَجْـرَ حُرَّاس حلَّت بوجه لم يَغِضُ ماؤه ولم يَخْضُه أعينُ الناس(١)

وقال آخر:

والخال في خدها ينني عن الحجر

فلم يزل خدُّها رُكناً ألوذ به وقول الآخر وأنشده المبرَّد :

وأحسن من ربع ومن وصف دِمْنَةٍ ومنجَبَلَيْ طيٍّ ومن وصفكمسَلْعا(٢)

تَلَاحُظُ عِينَى عاشقين كلاها له مُقلةٌ في خد معشوقه تَرْعَى

وأنشد ثعلب:

خُرُاعية الأطراف مُرْيةً الحشا فَزَارية العينين طائيّـة الفم ومَكِّيَّةٌ في الطيب والعِطْرِ دائمًا تبدَّت لنا بين الحطيم وزَمْزَ لمر

ثم قال : وصفها بما يستحسن من كل قبيلة .

وقال صالح بن حسان يوماً لأسحابه: هل تعرفون بيتاً من الغَزَل في امرأة خَفِرة ؟ قلنا : نعم بيت لحاتم في زوجته ماويَّة :

يضي علما البيتُ الظليل خصاصه (٣) إذا هي يوماً حاولت أن تبساً

^(1) لم يغض ماؤه : لم ينضب . وغاض الماء : غار وقل ونقص . ولم تخطه الأعين: لم تقتحمه .

^{. (}٧) الدمنة؛ آثار الدار أو الناس. وسلم: جبل في المديمة .

⁽٣) الخصاص جمع خصاصة:وهي الحرق أو الفرجة والخلل في الباب وغير.

قال : ماصنعتم شيئاً ، قلنا : فبيتُ الأعشى :

كأن مِشيتَهَا من بيت جارتها مَرُ السحابة لارَيْثُ ولا عَجَل قال : والله على الله عل

أبى قيس بن الأساكت: ..
ويكرمها جاراتُها فيَزُرْبَها وتَعْتل عن إتيانهن فتُعْذَر قلت: وأحسن من هذا كله ما قاله إبراهيم بن محمد الملقّب بيفطو يه رحمه الله:

وخبرها الواشون أن خيالها إذا نمت يَنْشَى مضحمى ووسادى في فرها فرط الحياء فأرسلت تعيرنى غَضْبى بطول رقادى ومما يستحسن فى المرأة رقة أديمها (۱)، و نعومة ملمسه كا قال قيس بن ذريح: تعلق رُوحى رُوحها قبل خلقنا ومن بعد ماكنا يطافاً (۲) وفى المهد فزاد كا زدنا فأصبح ناميك فليس وإن متنا بمنفصم العهد والكنّه بانى على كل حادث ومؤ نسنا فى ظلمة القبر واللحد يكاد مسيل الماء يَوْد ش جادها إذا اغتسات بالماء من رقة الجلد قلت: ومن المبالغة فى معنى البيت الأخير قول أبى نُواس: توسَّهَمه قبل فاصبح خده وفيه مكان الوهم من نظرى أثر ومرَّ بتَرْبي خاطر في فرحة الهكر ولم أر حسما قبط يحرحه الفكر

(1) ical: - dual.

وصافحه كنِّي فآلمَ كفَّه فين غز كنِّي في أنا مله عقر (٢)

⁽٢) جمع نطفة : ماء الرجل والمرأة . وهي أيضاً الماء الصافي قل أو كثر .

⁽۲) عقر: جرح

ولى من أبيات:

يُدى الحريرُ أَديمَهَا مِن مَسَّه فأديمُهَا منه أَرْقُ وأَلْهُم

فصل

. فيا أيها العاشق سمعُهُ قبل طَرَ فه فإن الأذن تعشق قبل العين أعيانًا ، وجيش المحبة قد يدخل المدينة من باب السمع كما يدخلها من باب البصر . والمؤمنون بشتاقون إلى الجنة وما رأوها ، ولو رأوها لكانو اأشدٌّ لها شوقاً ، والصَّرُورة (١) يكاد قلبهُ يذوب شوقًا إلى رؤية البيت الحرام. فإن شاقتك هذه الصفات وأخذت بقلبك هذه المحاسن:

فاسمُ بعينيك إلى نِسْدِوَة مُهُورُهُنَّ العمل الصالح

وحَدِّثُ النفسَ بعث ق الْأَلَى في عشقهن المُتَجَ رُ الرامِ واعمل عَلَى الوصل فقــد أمكنت أسبـــابُهُ ووقتهــــا رائح

وقد وصف الله سبحانه حُورَ الجنة بأحسن الصفات ، وحلَّاهن بأحسن الْحَلِّي ، وشوق الْخُطَّابِ إليهنَّ حتى كَأْنَهُم يرونهنَّ رؤيةً العين . قال الطبراني : حدَّثنا بكر بن سهل الدمياطي . حدَّثنا عمرو بن هشام البيروبي ، حدثنا سليمان ابن أبي كريمة ، عن هشام بن حسان ، عن الحسن ، عن أمه ، عن أم سَلَمة رضى اللهُ عنها قالت: قلت يارسول الله أخبرني عن قول الله عز وجل : (هُورٌ عِينٌ)(٢) قال: ﴿ حُورٌ بِيضٌ ، عِينٌ ضِغَامُ ٱلْمُيُونِ . شعر الخُو ْرَاء بِمَنْزِلَةِ

(١٦ م - روصة الحبين)

⁽١) الصرورة: الذي لم يحج.

⁽٢) الآية ٢٢. سورة الواقعة .

جُنَاحِ النُّسْرِ » قلت : أخبرنى عن قوله عز" وجل" : (كَأَمْثَالِ اللَّوْ لُوِّ لَمَكْنُون)(١) . قال: « صفاؤهن َّ صفاء الذَّرِّ الذي في الأصداف الذي لم تَمَسَّهُ الأيدى » قلت : يارسول الله أخبرنى عن قوله : (فِيهِنَّ خَيْرَاتُ حِسَانُ)(٢) . قال: «خَيراتُ الأخلاق حِسانُ الوجوه» قلت: أخبرني عن قوله: (كأنهُنَّ بَيْنَ مَكْنُونَ)(٣) . قال : « رِقَتَهُنَ كُرِقَةَ الجلد الذي رأيتِ في داخل البيضة بمَّا يلي القِشْرَ وهو الغِر قِيه » . قلت : يارسول الله أخبر ني عن قوله عزَّ وجلَّ : (عُرُ كُمَّا أَتْرَ ابًا) (·) قال : « هُنَّ اللو آتى قُبضن في دار الدُّنيا عجائزَ رُمْصاً شُمْطاً خلقهن اللهُ بعد الكيبر فجعلهن عذاراى عُرُبًا متعشِّقاتِ متحبُّبات أَثْرَابًا على ميلادواحد » . قلت : يارسولالله نساه الدُّنيا أفضل أم الحور العِين؟ قال : « بل نساء الدنيا أفضلُ من الُّؤور العِين كفضل الظهارة عَلَى البطانة » . قلت : يارسول الله وبم ذلك ؟ قال : « بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله أكبس الله وجوهَهن النور ، وأجسادَهنّ الحرير ، بيضُ الألوان ، خُضْر الثياب. صُفْر الحلى ، تَجَلِّيرُ هُنَّ الدرّ ، وأمشاطهن الذهب يَقْلن : نحن الخالدات فلا نموت ، عَن الناعمات فلا نَبْأَسُ أبداً . نحن المقمات فلانظُمن أبداً ، ألا ونحن الراضيات فلا نسخط أبدًا ، طُو بي لن كناً له وكان لنا » قلت : يارسول الله المرأةُ منَّا تتزوّج الزوجين والثلاثة والأربعة ثم تموت فتدخل الجنــة ويدخلون معها، مَن يَكُونَ زُوجَهَا ؟ قال : « يَاأُمُّ سَلَمَةَ إِنَّهَا تُخَيَّرُ فَتَخْتَارُ أَحْسَنَهُم خُلُقًا فَتَقُولَ : أي ربّ إن هذا كان أحسنَهم معى خُلْقًا في دار الدُّنيا فزوِّجْنيهِ ، ياأمَّ سَلَمة ذهب

⁽١) الآية ٢٣. سورة الواقعة .

⁽٢) الآية ٧٠. سورة الرحن.

⁽٣) الآية ٩٤ سورة الصافات.

⁽٤) الآية ٧٧ سورة الواقعة ،

حسنُ انْݣَالُقُ بِخيرى الدنيا والآخرة ^(١)» .

فصل

وقد وصفهن الله عز وجل بأنهن كواعب، وهو جمع كاعب، وهي المرأة التي قد تكتب ثديمها واستدار ولم يتكل إلى أسفل، وهمذا من أحسن خلق النساء، وهو ملازم ليبن الشباب. ووصفهن بالخور وهوحس ألوانهن وبياضه، قالت عائشة رضى الله عنها: البياض نصف الحسن، وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: إذا تم يياض المرأة في حسن شعرها فقد تم حسنها، والعرب تمدح المرأة بالبياض. قال الشاعر:

بِيضُ أَوانسُ ماهمنَ بريسة كظباء مكة صَيْدُهُنَ حرامُ المُضَابِنَ من الله المديث زوانياً ويَصُدُّهُنَ عن الخُنا الإنسلامُ المُسلامُ

واليينُ جمعُ عَينَاء، وهي المرأةُ الواسعة الدين مع شدَّة سوادها وصفاء بياضها وطول أهدابها وسوادها . ووصفهنَّ بأنهن خَيْرات حسان وهو جمع خَيْرة، وأصلها خيرة بالتشديد كطيبة ثم خُفَف الحرف ، وهي التي قد جَمَعَت المحاسن ظاهراً وباطناً فسكُمُل خُلقها وخُلقها فهنَّ خيرات الأخلاق حسان الوجوه ، ووصفهنَّ بالطهارة فقال: (وَلَهُمْ فِيهَا أَزَوَاجٌ مُكَامَّرَةُ) (٢) طَهُرُ نَ من الحيض والبول والنَّبُو (٣)

⁽١) ذكره المؤلف فى كتابه حادى الارواح وعقب عليه بقوله: تفرد به سليمان بن أبى كريمة ضعفه أبو حاتم وقال ابن عدى: عامة أحاديثه مناكير ولم أر للمتقدمين فيه كلاماً ، ثم ساق هـــذا الحديث من طريقه وقال : لايعرف إلا مذا السند.

⁽٢) الآية ٢٥ سورة البقرة . والآية ٥٦ بغير واو . سورة النساء .

⁽٣) النجو : ما يخرج من البطن من ريح وغائط .

وكل أذى يكون فى نساء الد نيا ، وطَهرت بواطنهن من الغيرة وأذى الأزواج وتجنيهن عليهم وإرادة غيرهم ، ووصفهن بأنهن مَقْصُورات فى الخيام ، أى ممنوعات من التبرع والتبذل لغير أزواجهن ، بل قد تُقصر ن على أزواجهن لاليخرجن من منازلهم ، وتقصرن عليهم فلا يردن سواهم ، ووصفهن سبحانه بأنهن قاصرات الطرف ، وهذه الصفة أكل من الأولى ، ولهذا كن لأهل الجنتين الأوكريين ، فالمرأة منهن قد قصرت طرفها على زوجها من محبتها له ورضاها به ، فلا يتجاوز طرفها عنه إلى غيره كاقيل :

أَذُودسَوَامَ الطُّرُّ فُ(١)عنك وماله عَلَى أُحـــدِ إلا عليك طريق

وكذلك حال المقصورات أيضاً لكن أولئك مقصورات ، وهؤلاء قاصرات ووصفهن سبحانه بقوله : (أَبْكَاراً . عُرُباً أَثْرَاباً) (٢) وذلك لفضل وَطَء البِيكُر وحلاوته ولذاذته عَلَى وَطَء التَّيْب (٣) . قالت عائشة رضى الله عنها: يارسول الله له مررت بشجرة قد رُعى منها وشجرة لم يُرْعَ منها فني أيِّهما كنت تُرْتِعُ بعيرك ؟ فقال: « في الَّي لَمْ يُرْعَ مِنْهَا ") » تعنى أنه لم يتزوَّج بكراً غيرَها. وصح عنه أنه قال لجابر لما تزوَّج امرأة ثيباً: « هلا بكراً تلاعِبها وتعود ثيباً ، قيل : فهذه الصفة تزول بأول وَطْء فتعود ثيباً ، قيل : قيل : قيد الصفة تزول بأول وَطْء فتعود ثيباً ، قيل :

⁽١) سوام االحرف: النظر يحوم حولها .

⁽٢) الآيتان ٣٧، ٣٨. سورة الواقعة .

⁽٣) الثيب : تذكر وتؤنث . والرجل الثيب هو الذى دخل بامرأة ، والمرأة الثيب هي التي دخل بها .

⁽٤) خرجه مسلم وأبو حاتم كما جاء فى مناقب أمهات المؤمنين البحب العلبرى . ورتعت البعير : أكلت ماشاءت .

⁽ ه) رواه الشيخان وأبو دواد والترمذي والنسائي . كاجاء في تيسير الوصول .

الجواب من وجهين : أحدُم أن المقصود من وَطْء البِكُر أَنَّهَا لَم تَذُق أَحـداً قبل وطنُّها فَتُزْرَعُ محبته في قلمها ، وذلك أَكُل لدوام العشرة فهذه بالنسبة إلمها، وأما بالنسبة إلى الواطيء فإنه يَرْعي روضةً أَنفًا لم يَرْعَهَا أَحدٌ قبله ، وقد أشار تعالى إلى هذا المعنى بقوله: (لَمْ تَيْطُمِثُهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَانُّ)(١) ثم بعد هذا تستمرّ له لَذَّهُ الوطّ عحالَ زوال البكارة . والثاني أنه قد رُوي « أَن أَهل الجنة كما وطيء أحدُهم امرأة عادت بكراً كما كانت، فكلما أتاها وجـدها بَكُراً »(٢) . وأَمَا العُرُبُ فِمع عَروب، وهي التي جعت إلى حلاوة الصورة حسن التأتى والتبعُّل والتحبب إلى الزوج بدَلُّها وحديثها وحلاوة منطقها وحسن حركاتها ، قال البخاري في محيحه : وأما الأتراب فجمع ترثب يقال : فلان ير بي ، إذا كنتما في سن واحد ، فهنَّ مستوياتٌ في سنَّ الشباب لم يقمَّر بهنَّ الصغر ، ولم يزُّر بهن الكبر، بل سُنَّهن سن الشباب. وشبههن تعالى باللُّوالُوْ المكنون ، وبالبيض للكنون وبالياقوت والمَرْجان . فحدّ من اللوّلُوْ صفاء لونه وحسنَ بياضه ونعومة مَلْمَسه ، وخذ من البَيْض المكنون وهو الصونُ الذي لم تَنَلُّه الأيدي اعتدال بياضه وشُو بَه بما يُحسِّنه من قايل صُفرةٍ ، بخلاف الأبيض الأمهق (٢) المتجاوز في البياض، وخذمن الياقوت والمرجان حسنَ لونه في صفائه وإشرابه بيسير من الحرة .

,

⁽١) الآيتان ٥٦ و ٧٤ . سورة الرحمن .

⁽٢) رواه الطبرا في معجمه وسيأتي قريباً .

⁽٣) الأمهق : الأبيض الناصع البياض بنسمير حرة، وهو معيب فلون الإنسان.

فصل

وقال الطبراني في معجمه: حد ثنا أحمد بن يحيي الحلواني والحسن بن على القسوى قالا: حدثنا سعيد بن سليان: حد ثنا فضلُ بن مرزوق ، عن أبي إسحاق ، عن عمر و بن ميمون ، عن عبد الله رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أَوَّلُ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجُنَّةَ كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ صُورَةُ الْقَمِرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، وَالزَّمْرَةُ الثَّا نِيَةُ على أَحْسُن كُو كَب دُرِّي في السَّمَاء لِكُل وَاحِدِ مِنْهُمْ فُووَجَتَان مِنَ الْحُورِ الْعِينِ على كُل زُوْجَةٍ سَبغُونَ حُلَّةً يُرِى وَاحِدِ مِنْهُمْ وَوَجَتَان مِنَ الْحُورِ الْعِينِ على كُل زُوْجَةٍ سَبغُونَ حُلَّةً يُرى وَاحِدِ مِنْهُمْ وَوَجَتَان مِنَ الْحُورِ الْعِينِ على كُل زُوْجَةٍ سَبغُونَ حُلَّةً يُرى مَنْ النَّرَابُ الأَحْدُ فِي السَّرَابُ الأَحْدُ فِي النَّرَابُ الأَحْدُ فِي النَّرَابُ الأَحْدُ فِي الرَّجَاجَةِ البَيْضَاء) . قال الحافظُ أبو عبدالله المقدسي : هـــــــذا عندى على شرط الصحيح .

⁽١) مدخول : داخله الفساد .

وفى الصحيحين من حديث ممّام بن مُنَبّه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُوّلُ زُمْرَةٍ تَلْبِحُ اَلَجْتَةَ صُورُ مُمْ عَلَى عَلُورَةِ الْفَمَرِ لَيْ لَهُ اللّه عليه وسلم : « أُوّلُ زُمْرَةٍ تَلْبِحُ الجُنّةَ صُورُ مُمْ عَلَى صُورَةِ الْفَمَرِ لَيْ لَهُ الْبَدْرِ لاَ يَبْصُقُونَ فِيها وَلاَ يَمْتَخِطُونَ فِيها وَلاَ يَتَغَوّ طُونَ فِيها ، آنِيتُهُمْ وَأَمْ شَاطُهُمُ الذَّهَبُ وَالْفَضَّةُ وَيَعامِرُ مُمْ الأَلُو " قُراه اللّه مِن وَرَاه الله الله الله الله الله مَن وَرَاه الله مُن وَرَاه الله مُن وَرَاه الله الله الله الله الله الله مَن وَرَاه الله الله الله الله الله الله وَاحِد يُسَبِّحُونَ الله الله الله وَاحِد يُسَبِّحُونَ الله الله الله وَعَشَيّة » .

وقال الإمام أحد بن حنبل في مسنده: حدّثنا يونس بن مجد ، حدّثنا الله عنه ، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قيد من أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قيد سو ط أحد كم في الجُنة خير من آلدٌ نيا ومثلها معها، وَلقاب قو س أحد كم من آلجُنة خير من الدُّ نيا وَمِثلها معها ، وَلَنصيفُ امْراَق مِن الجُنة خير مِن الدُّ نيا وَمِثلها معها ، وَلَنصيفُ امْراَق مِن الجُنة خير مِن الدُّ نيا وَمِثلها معها ، وَلَنصيف امْراَق مِن الجُنة خير مِن الدُّ نيا وَمِثلها معها » قال : قلت : يا أبا هريرة وما النّصيف ؟ قال : الجُار فإذا كان هذا قدر الجار فما قدر لابه ؟

وقال ابن وهب: أخبرنا عر و أن دَرَّاجاً أَبا السَّمَح حَدَّتُهُ عِن أَبِي الْهَيْمُ عِن أَبِي سَعِيد النَّذِرِي رَضَى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إِنَّ الرَّجُلَ فِي الجُنَّةِ لَتَأْتِيهِ امْرَأَةٌ تَضْرِبُ عَلى مَنْ كَبِهِ فَيَنظُرُ وَجُهَا فِي خَدِّهَا أَمْهُ مِنَ الْمِرْ آةَ وَإِنَّ أَدْنَى لُؤْلُوَ قِ [عَلَيْهَا] لَتَضَيهُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ. والْمَغْرِبِ فَتُسَلِّمُ عَلَيْهِ فَيَرُدَّ [عَلَيْهَا] السَّلَامَ ويَسْأَلِمَا مَنْ أَنْتِ فَتَقُولُ أَنَا

⁽١) الألوة: العود الهسندى الذي يتبخر به . قال الأسمعي: أراها فارسية عربت .

المَزِيدُ ، وإنَّهُ لَيَكُونُ عَلَيْهَا سَبَعُونَ ثَوْ بَا أَدْنَاها مِثْلُ النعان فَيَنْفُذُها بَصَرَهُ حَتَّى يَرَى مُخَ سَاقِهَا مِنْ ورَاء ذَلِكَ وإِنَّ عَلَيْهِمْ التَّيْجَانَ وإِنَّ أَدْنَى لَوْلُوَ قَ عَلَيْهِمْ التِّيْجَانَ وإِنَّ أَدْنَى لَوْلُوَ قَ عَلَيْهِمْ التِيْجَانَ وإِنَّ أَدْنَى لَوْلُو قَ عَلَيْهِمْ التِيْجَانَ وإِنَّ أَدْنَى لَوْلُو قَ عَلَيْهِمْ التَّيْجَانَ وإِنَّ أَلْمَشْرِقِ والْمَغْرِبِ ». وبعض هذا الحديث في جامع الترمذي وهو على شرطه "

وفى معيح البخارى من حديث أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لَغَدُّوةٌ فِي سَسبيلِ الله أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ اللهُ نيا ومَا فِيها واللهُ أَوْ مَوْضِعُ قَيْدُهِ — يَعْنِي سَوْطَهُ — خَيْرٌ مِنَ الدُنيا وما فِيها ولَوِ اطَّلَعَتِ امْرَأَةٌ مِنْ نِسَاء الجُنَّة إلى الأَرْضِ كَالأَتْ مَابَيْنَهُما رِيعًا وأَضَاءَتْ مَابَيْنَهُما ولَي النَّهَا ولَوَ النَّهِيمَةُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُنيا وما فِيها ولَو النَّهِيفَهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُنيا وما فِيها ».

وفى المسند من حديث محمد بن سيرين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم : « لِلرَّجُلِ مِنْ [أَهْلِ] الجُنَّةِ زَوْجَتَانِ مِنَ الْحُورِ الْمِينِ على كُلِّ واحِدَةٍ سَبَعُونَ خُلَةً يُرِكْى مُنخ سَاقِيًا مِنْ ورَاء الثَّيَابِ » .

وقال ابن وهب: حدّ ثنا عر 'و أَنَّ دَرَّ اجاً أَبا السمح حدّ نه عن أَبى الهيم ، عن أَبى سعيد النُّلم درى رضى الله عنه ،عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: « إِن أَدْنَى أَهُلِ الجُنَّةِ مَنْ لَةَ النّبى لهُ ثَمَانُونَ أَلْفَ خَادِم واثْنَانِ وسَبَعُونَ زَوْجَة وينْصَبُ لهُ قُبَّةٌ مِنْ لَوْ لُوْ وزَبَرْ جَدِ ويَاقُوتِ كَا بَيْنَ الجَّابِيَةِ وصَنْعَاء » (رواه الترمذي).

وفى مُعجم الطبراني من حديث أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « خُلْقِ َ الْخُورُ الْعِينُ مِنَ الزَّعْفَرَ ان ِ (٢٠ » .

⁽١) قاب القوس : مابين مقبضه وطرفه .

⁽ ٣) ذكره المؤلف في كتابه حادى الارواح بسند الطبراني وقال : قال_

فصل

ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِنَّ أَزُواجَ ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم و إِنَّ أَزُواجَ أَهُلِ المُعْلَمَةِ لَيُعْمَنِينَ أَزُواجَهُنَّ بِأَحْسَنِ أَصُواتِ مَا سَمِعَهَا أَحَدُ قَطَّ . إِنَّ بَمَّا أَهُلِ المُعْنَةِ لِيَعْمَنِينَ أَزُواجَهُنَّ بِعُ الْحُسَانُ ، أَزُواجُ قُو مِ كِرَامٍ ، يَنْظُرُونَ بِقُرَّةً لِيعَنَى بِعِ : نَحْنُ الْحُسَانُ ، أَزُواجُ قُو مِ كِرَامٍ ، يَنْظُرُونَ بِقُرَّةً لِيعَنَى بِعِ : نَحْنُ الْحُسَانُ ، أَزُواجُ قُو مِ كَرَامٍ ، يَنْظُرُونَ بِقُرَّةً أَعْمَانًا فَلَا نَمْتُنَهُ ، نَحْنُ الآمِنَاتُ فَلَا نَمْتُنَهُ ، نَحْنُ الْمُفِياتُ فَلَا نَطْمَنَهُ . وقد قيل في قوله تعالى . (فَهُمْ في وَفَةً فَوَلَهُ تعالى . (فَهُمْ في وَفَةً يَعْبَرُونَ) (١٠) إنه الساع الطيب ولا ريب أنه من الخُبْرَة .

وقال عبد الله بن محمد البغوى : حدَّ ثنا على ، أنبأنا زهير ، عن أبى إستعاق، عن عاصم ، عن على رضى الله عنه قال : (وسيق َ ٱلّذِينَ آتَقُو ا رَبَّهُم الله المُبَا وَ مِدُوا عنده شجرة يخرج آبُكَة رُمراً) (٢) حتى إذا انتهو ا إلى باب من أبوابها وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت ساقها عينان تجريان ، قعمَدُ وا إلى إحداها فكأنما أمروا به فشربوا منها فأذهب الله مافى بطونهم من قدًى أو أذّى أو بأس ، ثم عَدُوا إلى منها فأذهب الله مافى بطونهم من قدًى أو أذّى أو بأس ، ثم عَدُوا إلى الأخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم ، ولم تتغيّر أشعارهم بعدها أبداً ولم تشعَر من وسهم كأنما ادّهمنوا بالدهان ، ثم انتهوا إلى [خونة] (١)

⁼ الطبرانى : لايروى إلا بهذا الإسناد، تفرد به على بن الحسن بن هارون شم ذكره من طرق أخرى موقوفة وقال : ولا يصح رفع الحديث وحسبه أرب يصل إلى ابن عباس .

⁽١) الآية ١٥. سورة الروم.

⁽٢) الآية ٧٣. سورة الرم.

⁽٣) تشعث: تغبر أوتنتشر

⁽ ٤) زيادة من الزواجر لابن حجر البيهق .

الجنة فقالوا: (سَلامٌ عَلَيْكُمْ طَبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ)(١) ثم تلقّاهم الولدان يُطيفون بهم كما يُطيف ولدان أهل الله نيا بالجيم ، يَقَدَّم عليهم من غيبته فيقولون له: أبشر بما أعد الله تعالى لك من الكرامة ، ثم ينطلق غلامٌ من أولئك الولدان إلى بعض أزواجه من الحور العين فيقول : جاء فلان باسمه الذي كان يُدغي به في الدُّنيا قالت : أنت رأيته ؟ قال ; أنا رأيته وهو بأثرى فيستخف إحداهن الفرحُ حتى تقوم على أسكنّة (٢) بابها ، فإذا انتهى إلى منزله نظر إلى أساس بنيانه فإذا جند لل أساس بنيانه فإذا جند لل اللولؤ فوقه صَرْحُ أخضر وأحرُ وأصفر من كل لون ، ثم رفع رأسه فنظر إلى سقفه فإذا مثل البرق ولولا أن الله عز وجل قدره لأكم (١) أن رفع رأسه فنظر إلى سقفه فإذا مثل البرق ولولا أن الله عز وجل قدره لأكم (١) أن يُذهب بصره ، ثم طأطأر أسه فإذا أزواجه وأكواب موضوعة ، ونمارق (١) يُذهب مصفوفة ، وزرابي (١) مبثوثة ، ثم انَّكَانُوا فقالوا : (الحُمدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا مصفوفة ، وزرابي (١) مبثوثة ، ثم انَّكَانُوا فقالوا : (الحُمدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لَهُ مُوتُونَ فلا تمرضون أبداً ، وتقيمون فلا تظعنون أبداً ، وتصيحُون فلا تمرضون أبداً ، وتصيحُون فلا تمرضون أبداً » . تم تورون أبداً ، وتقيمون فلا تظعنون أبداً ، وتصيحُون فلا تمرضون أبداً » . تم تورون أبداً ، وتقيمون أبداً ، وتقيمون أبداً » وتقيمون أبداً » وتصور فلا تمرضون أبداً » .

وفى سنن ابن ماجه عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أَلاَ هَلْ مُشَمِّرٌ للْمِجَنَّةِ فَإِنَّ الْجُنَّةَ لَاخْطَرَ لَهَا هِي وَرَبِّ الْكَمْبَةِ نُورٌ يَتَالَّالاً وَرَيْحَانَةٌ يَهْمَرُ وَقَصْرٌ مشيدٌ وَ بَهْرٌ مُطَرِّدٌ وَ مُمَرَّةٌ وَ اللهُ عَلَيْهِ وَ مُعَرَّةٌ وَ اللهُ عَلَيْهِ وَ اللهُ عَلَيْهُ وَاللهُ عَلَيْهُ وَا عَمْرَ اللهُ عَلَيْهُ وَاللهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ وَالّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَالل

⁽١) الآية ٧٣. سورة الزمر.

⁽٢) الاسكفة : عتبة الباب.

⁽٣) الجندل: الصخر العظيم.

⁽٤) ألم: أوشك أن يذهب بصره .

^{(ُ} هُ) النَّمَارِق : جمع نمرقة : الوسائد الصغيرة .

⁽٦) والزرابي: جمع زربية : الطنافس المخملة والبسط.

⁽٧) الآية ٤٣. سورة الاعراف.

⁽٨) جاء في الزواجر لابن حجر معزواً إلى ابن أبي الدنيا

نَضِيجَةٌ وَزَوْجَةٌ حَسْنَاء جَمِيلَةٌ وَحُلَلْ كَثِيرَةٌ وَمَقَامٌ فِي أَبَدٍ فِي دَارٍ سَلِيمَةٍ وَفَا كُمّة وَخُصْرَةٍ وَحَبْرَة وَلِعِمْة فِي تَحَلَّةٍ عَالِيّة جَمِيّة ٍ». قالوا: نعم يارسولَ الله ، غَنْ لَلْشُمَرِّمُونَ لِما ، قال: « قولوا إن شاء الله أنه أنه أنه أنه أنه الله عنه الله عنه الله .

فصل

فهذا وصفَهُنَّ وحسنُهُنَّ فاسمع الآن لذَّةَ وِصالمَنَّ وشأَنه، فني مسند أبي يَعْلَى الموصليّ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر حديثاً طويارٌ وفيه : « فأقولُ ياربِّ وعدْ تني الشَّفَاعَةَ فَشَفَّعْتَنِي فِي أَهْلِ الجُنَّةِ يَدْخُلُونَ الجُّنَّةَ فيقول الله تعالى قد شَقَّعْتُكَ وَأَذِنْتُ لَهُمْ في دُخُولِ الجُنَّةَ ِ » . وَكَانَ رَسُولَ الله صلى الله عليـه وسلم يقول : « وَالَّذِي بَعَثَنَى بِالْحُقِّ ماأنتمْ في الدُّنيَا بِأَعْرَفَ بِأَزْوَاجِكُمْ ومساكِنيكُمْ مَنْ أَهْلِ الجِنَّةِ بأَزْواجِهِمْ ومساكنهم فَيَدْخلُ رَجُلْ مِنْهُمْ عَلَى ثِنْنَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِمَّا يُنْشِيءِ اللهُ وَثِنْتَمْيْنِ مِنْ وَلَدِ آدَمَ لَهُمَا فَضْلٌ عَلَى مَنْ أَنْشَأَ اللهُ بِعِبَادَتُهِمَا اللهَ فَي الدُّنْيَا يدخلُ عَلَى الْأُولَى مِنْهُمَا فِي غُرْ فَةً مِنْ يَاقُونَةً عَلَى سَرِيرٍ مِنْ ذَهَبٍ مُكَلِّلُ بِاللَّوْ لُهُ عِليهِ سِبعُونَ زُوجًا مِنْ سُنْدُسِوَ إِسْتَبْرَقِ وَإِنَّهُ لَيَضَعُ يَدَهُ بَيْنَ كَيْفَيْهَا ثُمَّ يَنظُرُ إِلَىٰ يَدُهُ مِنْ صَدَّرِهَا وَمِنْ وَرَاءَ ثَيَابُهَا وَجِلْدِهَا وَلَجْهَا وَإِنَّهُ لَيَنظُرُ أَحدُ كُمْ إلى السُّلْكِ في قَصَبَةِ الياقوتِ كَبِدُهُ لِمَا مِنْ آةٌ - يعنى وكَبِدُ هاله مِن آةٌ -فَبَيْنَا هُوَ عِنْدَهَالاَ يُمُلُّهَا ولاتملُّهُ ولا يَأْتِيها مِنْ مَرَّةٍ إِلاَّ وجَدَها عَذْرَاء.مَا يَفْتُرُ ذَكُرُهُ ولا يَشْتَكِي قُبُلُها. فَبَيْنَا هُوَ كَذَلكِ إِذْ نُودِيَ إِنَّا قَدْعَرَ فَنَا أَنَّكَ لا تَمَلُّ ولا تُمَلَّ إِلاَّ أَنَّهُ لامِّنِيَّ ولامَنِيَّةَ إِلاَّ أَنْ يَسَكُونَ لَكَ أَزْوَاجٌ غَيْرِهَا فَيَخْرُجُ وَيَأْتِيهِنَّ وَاحِدَةً واحِدَة كُلما جَاءَ واحِدَةً قالَتْ : وَاللهِ ما فِي الجُنَّةِ مَنَّى لا

أحسن منك وما في الجنة شيء أحَبُ إِلَى مِنْكَ ». وهــذا قطعة من حديث الصور الطويل الذي رواه إسماعيل بن رافع (١٠) .

وفى محيح مسلم من حديث أبى موسى الأشعر ى رضى الله عنه، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ الْمُؤْمِنِ فَى الجُنةِ لَيَخَيْمةً مِن لُؤْلؤَةِ واحدَة مِن مُجَوَّفَة طُومُلهَا سِتُونَ مِيلاً للمؤمِنِ فَيها أَهْلُونَ يَطُوفُ عَلَيْهِمُ المؤمِنُ فَلاَ يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا » . رواه البخارى وقال : ثلاثون ميلاً .

وفى معجم الطبرانى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قيل : يارسول الله هل نَصِل إلى نسائنا فى الجنة ؟ فقال : « إن ّالرَّ جُلَّ لَيَصِلُ فَاليومِ إِلَى مِائَة عِذْراء » وفى لَفْظ : قلنا يارسول الله نُنْضى إلى نسائنا فى الجنة ؟ فقال : « إى والذى نَفْسِى مِيدِهِ إِنَّ الرَّجلَ لَيَهُ شَى فى الغَدَاةِ الواحِدةِ إلى «

⁽¹⁾ ذكر المؤلف هـذا الحديث فى كتابه حادى الارواح وقال: تفرد به إسماعيل بن رافع وقد روى له الترمذى وابن ماجه وضعفه أحمد ريحيى وجماعة ، وقال الدار قطنى وغيره: متروك الحديث ، وقال ابن عدى : عامة أحاديثه فيها لظر وقال الترمذى : ضعفه بعض أهل العلم وسمعت محمداً _ يعنى البخارى _ يقول : هو ثقة مقارب الحديث . وقال لى شيخنا أبو الحجاج الحافظ : هذا الحديث بحموع من عدة أحاديث ساقه إسماعيل أو غيره هذه السياقة وما تضمنه معروف فى الاحاديث والله أعلم . وذكر قطعة منه فى موضع آخر من الكتاب وعقب عليها بهذا وزاد قوله : قلت : ولسكن إذا روى مثل هذا ما يخالف الاحاديث الصحيحة لم يلتفت إلى روايته . وأيضاً فالرجل الذي روى عنه القرظي لا يدرى من هو ،

مِاثَةً عَذْرًاء . قال الحافظ أبو عبد الله المقدسي : ورجالُ هــذا الحديث عندى على شرط الصحيح .

وفى حديث لقيط العقيلي الطويل الذي رواه الطبراني وعبد الله بن أحمد في السنة وغيرُ هما أنه قال: قلت يا رسول الله: أو لَناَ فِيها أَزُواجُ مصلحات؟ قال: « الصَّّالِحَاتُ للصَّالِحِينَ كَلَدُّو مَهُنَّ مِثْلَ لَذَّاتِكُمْ فَالدُّ نياوَ بَلَدُّو نَكُمْ غَيْرَ قَلْ لا تَوَاللهُ نياوَ بَلَدُّونَكُمْ غَيْرَ أَنْ لاَ تَوَاللهُ هَا لَا تَوَاللهُ » .

وذكر ابن وهب عن عمرو بن الحارث ، عن دُرَّاج ، عن عبد الرحمن بن حُبَيْرة ، عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : أَنْهَأَ فَى الجنة ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : (نَمَمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيدِهِ دَحْمًا دَحَمًا وَحَمَّا) ، فَإِذَا قَامَ عَنْهَا رَجَمَت مُطَهِرَة بيكراً) . قال الحافظ أبو عبد الله : دَرَّاج اسمه عبد الرحمن بن سمان المصرى ، و ثقة يحيى بن مَمِين ، وأخرج عنه أبو حاتم بن حبّان في صحيحه وكان بعض الأثمة ينكر بعض حديثه والله أعلم .

وفى معجم الطبرانى من حديث أبى المتوكل ، عن أبى سعيد أنْلُمْدْرَى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إِنْ أَهْلَ اللَّهُ عَلَى إِذَا جَامَعُوا نَسَاءُهُمْ عُدُنَ أَبْكَاراً) .

وفيه أيضاً مِن حديث أبى أمامة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئل: هل يتناكح أهمل الجنة ؟ فقال: (بِذَ كُرْ لاَ يَمَلُّ وَشَهُو َ قَ لاَ تَنْقَطِمُ مُ ذَحَّا دُحَّا).

وَفَيهُ أَيضًا عنه أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل: أيجامع أهل الجُنة ؟ قال: (دَحَمًا دَحَمًا وَلَـكِينُ لاَ مَنِيَّ وَلاَ مَنْيَّةَ).

^{. (1)} جاء فى القاموس الحيط: دحه دحماً: دفعه شاديداً . والمرأة: نمكمها والدحم: الأصل .

من قصيدة للمؤلف فى وصف الحور (١)

ياخاطب الحور الحسان وطالباً لوصالهن بجنة الحيسوان لوكنت تدرى من خطبت ومن طلب ت بذلت مأتحوى من الأئمان أو كنتَ تعرف أين مسكنها جعلــــت السعى منك لها عَلَى الأجفان أُسرع وحُثَّ السيرَ جُهدك إنما سراك هـذا ساعـةٌ لزمان واجعل صيامك دون لقياها ويو مَ الوصل يومَ الفطر من رمضان واجعل نعوت جالها الحادى وسر نحو الحبيب واست بالمتوانى واسمع إذن أوصافَها ووصالها واجعل حديثك ربَّةَ الإحسان يامن يطوف بكعبــة الحسن التي خُفَّت بذاك الحجر والأركان ويَظَلُّ يسمى دائمًا حول الصف ويُحَسِّر مسعاه كلَّ أوان ويرومُ قَرْبان الوصال عَلَى مِنَّى والْخَيْفُ يحجب عن القُربان فلذا تراه مُعْرِماً أبداً ومو ضع ُ حلَّةٍ منه فليس بدان يبغى التمتُّع مفرداً عن حبه متجرَّداً يبغى شفيع قران ويظل بالجرات يرمى قلبه هذى مناسكه بكل زمان والناس قد قَضُّو ا مناسكهم وقد حثوا ركائبهم إلى الأوطان وحدَّت بهم هم لم وعزائم ألم وعزائم الله الله الله الإحسان رفعت لم في السبر أعلامُ الوصال فشمَّروا ياخيبة الكسلان ورأوا عَلَى بُمَـد خياماً مُشرفا ت مشرقاتِ النـور والبرهان فتيسُّوا تلك الخيام فآنســـوا فيهنُّ أقماراً بلا نقصـــان

⁽١) هي قطعة من قصيدة البؤلف في السنة سماها : , السكافية الشافيسة في الانتصار للفرقة الناجية ، .

يتصاحب_ان كلاها أخوان حمل الثمارَ كثيرةَ الأنوان غصن تعالى غارس البستان حسن القوام كأوسط القضبان عالى النقا^(۱) أو واحدُ السَّكُشْبان بلواحق للبطن أو بدَوَان

من قاصرات الطر في لا تبغي سوى معبوبه المن سالر الشبتان قَصَرَت عليه طَرْ فَهَا من حسنه والطَّرُّفُ منه مُطْلَقٌ بأمان و يحار منه الطرف في الحسن الذي قد أعطيت فالطرف كالحيران ويقول لما أن يشاهدَ حسنَها سبحان معطى الحسن والإحسان والطرف يشرب من كؤوس جالها فتراه مشل الشارب النشوان كُلُّت خلائقها وأكل حسنُها كالبدر ليلَ الست بعد ثمان

والشمس تجرى في محاسن وجهها والليمل تحت ذوائب الأغصان فَيَظَلَّ يَمْجِبُ وهُومُوضِعُ ذَالتُمن ليلٍ وشمسٍ كيف يجتمعان ويقول سبحان الذي ذا صنعه الإنسان لا الليل يُدرك شمسها فتغيب عنه عينه حتى الصباح الثاني والشمس لا تأتى بطرد الليل بل وكلاهما مرآة صاحبيه إدا ماشاء يُبصر وجهه يَرَيَان نیری محاسن وجهه فی وجهها وتری محاسنها به بعیان مُعْرِ الخِيهِ فواتر الأجفان الخِيهِ العيهون فواتر الأجفان والبرق يبدو حين ينبيع تغرها فيضىء سقف القصر بالجسدران ريانة الأعطاف من مأء الشبا ب فغصنُها بالماء ذو جَريان لما جرى ماء النعيم بفصنها فالورد والتُّفتَاح والرُّمَّان في والقدّ منها كالقضيب اللَّدْن في فى مَغْرَس كالعاج تحسب أنه لا الظهر يلحقه وليس تُدُرِّبُها

⁽١) النقا: الكثيب من الرمل.

الكنهن كواعبر ونواهد فتُدرُّمُهُن كأحسن الرُّمان والجيد ذو طول وحسن في بيا ﴿ ضِ واعتدال ليس ذا نكران يشكو الحليُّ بعادَه فله مدى السمأيام وسواس من الهجران والمعصّان فإن تشأ شبّهما بسبيكتين عليهما كفّان كالزبد لينًا في نعومـة مَلْسَ أَصداف درٌّ دُورت بوزان والصدر متسمّ على بطن لها والخصر منهما مغرم بثمان وعليه أحسن سُرّة مي زينة البطن قد غارت من الأعكان (١) حُقُّ من العاج استدار وحشوه حبَّات مسك حِلَّ ذو الإتقان وإذا نزلت رأيت أمراً هائلاً ما للصفات عليه من سلطان لا الحيضُ يغشاه ولا بولُ ولا شيء من الآفات في النَّسوان فَخذان قد حُقابه حرّساً له لله في عزام وصيان قاما بخدمته هو السلطان يبيسهما وحق طاعة السلطان وهو المطاعُ إذا هو استدعى الحبيب أتاه طوعاً وهو غيرُ جبان وجاعُها فهو الشفاء لصبها فالصب منسه ليس بالضُّجْرَان وإذا أتاها عادت الحسناء بكسراً مثل ما كانت مدى الأزمان وهو الشهي أَلنُّ شيء هكذا قال الرسول كلن له أذنان يارب غفراً قد طنت أقلامنا يارب معددة من الطغيان أقدامُها من فضيةٍ قد رُكَّبت من فوقها ساقان ملتفّان والساقُ مثلُ العاج ملموم به مُنحُ العظام تنماله العيمان والرّيحُ ممك والجسومُ نواعم واللونُ كالياقوت والمر بجان وكالامها يسبى العقول بنغمة زادت على الأوتار والعيدان وهي العَرُوب بشكلها وبَدَلَّها وتحبُّب للزوج كل أوان (1) جمع عكنة : اللي الذي في البطن من السمن .

أترابُ سِن واحد مماثل سن الشباب لأجل الشبّان بكر من فلم يأخذ بكارتها سوى ال يُعْطَى للْجامِعُ قُوتَةَ للائة التي اج ولقد أتانا أَنه يَغْشى بيو ورجاله شرط الصحيح رَوَوْا لهم فيه وذا في معجم الطبراني وبذاك أنسر شغلهم في سورة من بعد فاطر (١) يا أخا العرفان

هذا دليل أن قدر نسائهم وبه يزول توثُّم الإشكال عن في بعضها مائة ۖ أَتِي وَأَتِي بِهَا فتفاوُتُ الزوجات مثلُ تفاوت ال وبقوَّة المائة التي حصلت له وأُعَفُّهم في هذه الدنيا هو اا فاجمع قواك لما هنا وغُضَّ مة ما ها هنا والله مايسوى قُلا ونصِيفُها خير من الدُّنيا وما فيها إذا كانت من الأثمان لا تُؤْثر الأدنى على الأعلى فإن تفعل رجعت بذلة وهوان وإذا بدت في حُلَّة من لبسها وتمايلت كتايل النشوان تهتز كالنصن الرطيب وحمله ورد وتُفَاحُ على رُمَّان وتبخترت في مشيها ويحق ذا

محبوب من إنس ولا من جان تمعت لأقوى واحد الإنسان م واحد مائةً من النسوان

متفاوت بتفاؤت الإيمان تلك النصوص بمنة الرحن سبعون أيضًا ثم جاثينتان درجات فالأمران مختلفات أفضى إلى مائة بلا خَوَران أُقوى هناك لزهده في الفاني ك الطرف واصبر ساعةً لزمان مَةَ ظَفَر (٢) واحدة من النِّلسوان ك لمثلها في جنة الرضوان

(٢) قلامة الظفر : ما سقط منه .

(١٧ م - رومنة الحبين)

⁽١) يشير إلى قوله تمالى في سورة يس: (أِن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون) ففد فسر كثير من السلف الشغل في هذه الآية بافتضاص الأبكار .

ووصائفٌ من خلفها وأمامهـا وعلى شمائلهــا وعن أيمــاث كالبيدر ليلة مُّ قد حُف في غَسق الدُّجي بكواكب الميزان(١) فلسانهُ وفؤادُه والطرفُ في دهَش وإعجاب وفي سبحان تستنطق الأفواهَ بالتسبيح إذ تبدو فسبحان العظيم الشان والقلب قبل زفافها في عُرسمه والعرس إثراً العرس متصلان حتى إذا واجهتم تقابلا أَرأيت إذ يتقابلُ القمران السل المُتَيِّمَ على يَجِلُ الصبر عن ضم وتقبيــل وعن فَلَتان وسل التسَّيم أين خلف صبره في أيِّ وادر أم بأيِّ مكان وسل للتيم كيف حالته وقد ملئت له الأذُنان والعينان من منطق رقَّت حواشيه ووجْ هُ كَم به للشمس من جَرَيَان وسمل المتسَّم كيف عيشتُه إذاً وها على فرشَيْهما خِلُواٺ يتساقطان لآلئاً منثورةً من بين منظوم كنظم بُجان (٢) وسَلِ اللَّهِم كَيْفُ مُجِلِّمهُ مَمَّ أَلَا مُحْبُوبُ فِي رَوْحٍ وَفِي رَبِّحَانُ (٣) وتدُور كَأْسَاتُ الرحيق عَلَمُهُمَا بَأْ كُفَّ أَقْمَارٍ مِن الولدان يتنازعان الكأس هـذا مرة والخود أخرى ثم يَتَّكنان فيضمها وتضمه أرأيت من شوقين بعمد البعمد يلتقيان غاب الر قيب وغاب كل منكلد وها بنوب الوصل مشتملان أتراما ضَجَرَين من ذا العيش لا وحياة وبك ماما ضحوان بإعاشقًا هانت عليم نفسُه " إذ باعهما غَبْنًا بكل هُو ان أُتَّرَى يليق بماقل بيعُ الذي يبقى _ وهذا وصفه _ بالغاني

(١) النسق: أول ظلمة الليل. والدجي : الظلمة .

⁽٢) جمع جانة نحبة تعمل من النصة كالدرة .

⁽٣) روح وريحان : في راحة وترحم (رحة) ،

الباسب العيثرون

تى علامات الحبة وشواهدها

وقبل الخوض فى ذلك لابدً من ذكر أقسام النفوس ومحابها فنقول: النفوس ثلاثه : نفس سماوية عُساوية ، فيحبتها منصرفة إلى المعارف واكتساب الفضائل والكمالات المكنة للإنسان وأجتناب الرذائل ، وهى مشغوفة بما يقرسها من الرقيق الأعلى ، وذلك قوتها وغذاؤها ودواؤ ها، فاشتغالها بنيره هو داؤها .

ونفس سَبُعية غضبية ، فمحبتُها منصرفة إلى القهر والبغى والعُلو فى الأرض والتكبر والرَّئاسة عَلى الناس بالباطل ، فلنتها فى ذلك وشغفها يه .

ونفس محيوانية شهوانية ، فمحبتها منصرفة إلى المأكل والمشرَبوالمنكمة ، وربما جمعت الأَمْرَيْن فانصرفت محبتُها إلى العلو في الأرض والقسادكما قال الله تعالى : (إِنَّ فِرْ عَوْنَ عَلاَ في الأرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَما نِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَخْرِينَ يَسَاءَهُمْ إِنَّه كَانَ مِنَ الْمُنْسِدِينَ)(1) .

وقال فى آخر السورة : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ ٱلآخِرَةُ بَجْعَكُماً لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُواً فِى الْخَرِيدُ وَلَا فَسَاداً والْعاَقِبَةُ لِلْهُ تَقْقِينَ ﴾(٢) ، والحَبُّ فى هـذا العالم عُلوَّا فِى الْأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً والْعاَقِبَةُ لِلْهُ تَقْقِينَ ﴾(٢) ، والحَبُّ فى هـذا العالم دائر بين هـذه النفوس الثلاثة ، فأَى نفس منها صادفت ما يلائم طبقها دائر بين هـذه النفوس الثلاثة ، فأَى نفس منها صادفت ما يلائم طبقها استحسنته ومالت إليه ولم تصغ فيه لعاذل ولم تأخذها فيه لومةُ لائم . وكلُّ قسم

⁽١ و٣) الآيتان ۽ و٨٣ سورة القصص

من هذه الأقسام يرون أن ماهم فيه أولى بالإيثار ، وأن الاشتغال بغيره والإقبال على سواه غَبْنُ وفوات حظ . فالنفسُ السماوية بينها وبين الملائكة والرفيق الأعلى مناسبة مَا مَعْمِية بها مالت إلى أوصافهم وأخلاقهم وأعمالهم .

فالملائدكة أولياء هذا النوع فى الدُّنيا والآخرة ، قال الله تعالى : (إنَّ الله يَعالَى : (إنَّ الله يَعَالَمُ أَلُهُ ثُمَّ اللهُ يَعَالَمُ النَّهُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَ مَا أَلَا يَعَالَوُ اوَلاَ يَحْزَنُوا وَأَ يُسِرُوا بِالجُنَّةِ النَّيَةُ مُ تُوعَدُونَ . يَحْنُ أُولِيَاؤُ كُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ . نُزُلاً مِنْ الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ . نُزُلاً مِنْ فَعُورٍ رَحِمِ)(١) .

فالملك يتولى من يناسبه بالنصح له والإرشاد والتنبيت والتعليم وإلقاء الصواب على لسانه ، ودفع عدوِّه عنه ، والاستغفار له إذا زَلَّ ، وتذكيره إذا نسى ، وتسليته إذا حزن ، وإلقاء السكينة في قلبه إذا خاف ، وإيقاظه للصلاة إذا نام عنها ،وإيعاد صاحبه بالخير، وحَضِّه على التصديق بالوعد، وتحذير ه من الركون إلى الدنيا ، وتقصير أمله وترغيبه فيا عند الله . فهو أنيسه في الوحدة ، ووليه ومعلمه ومثبته ومسكن جأشه ، ومر غبه في الخير، ومحذره من الشر ، يستغفر له إن أساء ، ويدعو له بالثبات إن أحسن ، وإن بات طاهراً يذكر الله بات معه في شعاره (٢) ، فإن قصده عدو له بسوء وهو نائم دفعه عنه .

⁽١) الآيات ٣٠و٣١و٢٢ سورة فصلت .

⁽٧) الشعار : ما تحت الدثار من اللباس وهو ما يلي الجسد . وشعائر الحج مناسكة وعلاماته .

فصل

والشياطين أولياء النوع الثانى يخرجونهم من النور إلى الظامات. قال الله تعالى: (تَالله لَقَدْ أَرْسَلْنَا إلى أَمَم مِنْ قبلِكَ فَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيطانُ أَعَالَهُمْ فَهُو وليُّهُمُ اليَّوْمَ) (١) وقال تعالى: (كُتِبَ عليه أنَّهُ مَنْ تَولاً هُ فَأَنّهُ يُضِلُهُ ويهذيه إلى عذاب السعير)(٢) وقال تعالى: (و مَنْ يَتَخِذُ الشَّيطانَ وَلِياً مِن دُونِ الله فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً. يَعِدُهُمْ و يُعنِّهِمْ وما يَعدُهُمُ الشيطانُ إلاَّ دُونِ الله فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً. يَعدُهُمْ و يُعنِّهِمْ وما يَعدُهُمُ الشيطانُ إلاَّ غُرُوراً. أولئك مَأْوَاهُمْ جَهنم ولا يَحدُونَ عَنها تحييصاً)(٣) ، وقال تعالى: (و إذا قُلنا للدَلائِكَ مَأْواهُمْ جَهنم ولا يحدُونَ عَنها تحييصاً)(٣) ، وقال تعالى: (و إذا قُلنا للدَلائِكَ مَأْواهُمْ جَهنم ولا يحدُونَ عَنها تحييصاً)(٣) ، وقال تعالى: فَمَسْ وافْ أَمْر رَبِّهِ أَفْتَيْخِذُونَهُ وذُرِيَّتَهُ أُولِياءَ مِنْ دُونِي وهُمْ لَكُمْ عدُونَّ بِنْسَ الظَّالِمِينَ بَدَلاً) (١٠)

فهذا النوع بين نفوسهم وبين الشياطين مناسبة طبعية ، بها مالت إلى أوصافهم وأخلاقهم وأعمالهم ، فالشياطين تتولاهم بضد ما تتولى الملائسكة لمن ناسبهم ، فتؤ زُهم إلى المعاصى أزاً ، وتزعيهم إليها ازعاجب كالا يستقر ون معه ويزينون لهم القبائح ويخففونها على قلوبهم ويحكونها فى نفوسهم ، ويثقلون على الطاعات ويُثبطونهم (م) عنها و بقبتحونها فى أعينهم ، ويكقون على ألسنتهم أنواع القبيح من الكلام وما لايفيد ، ويزينونه فى أسماع من يسمعه منهم ،

⁽١) الآية ٦٣ . سورة النحل .

⁽٢) الآية ٤. سورة الحج.

⁽٣) الآيات ١١٨ و ١١٩ و ١٢٠. سورة النساء.

⁽٤) الآية ٥٠. سورة الكهف.

⁽ه) ثبطه عن الامر ثبطاً وتثبيطاً : عوقه وبطأ به عنه ؛ وفسره الجوهرى بشغله عنه.ومنه قوله تعالى : (ولكن كرهالله انبعائهم فشبطهم).

يَبِيتُون معهم حيث باتوا، ويَقيلون (١) معهم حيث قالوا، ويشار كونهم في أموالهم وأولادهم ونسائهم ، يأكلون معهم ، ويشربون معهم ، وبجامعون معهم ، وينامون معهم ، قال تعالى : (وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا) (٢) وقال تعالى : (وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذَكِر الرَّهْنِ نَقَيضٌ لَهُ شَيْطَانًا فَهُو لَهُ وقال تعالى : (وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذَكِر الرَّهْنِ نَقَيضٌ لَهُ شَيْطَانًا فَهُو لَهُ تَوَرِينٌ . وَإِنَّهُم كَيْصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ . حَتَى إذَا جَاءَنَا قَالَ يَالَيْتَ بَينِي وَ بَيْنَكُ بُعْدَ الْمَشْرِ قَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ) (٣) .

فصل

وأما النوعُ الثالث فهم أشباه الحيوان ، ونفوسُهم أرضيةٌ سفلية لاتبالى بغير شهواتها ولاتريد سواها . إذا عرفت هذه المقدِّمة فعلامات الحبة قائمة فى كل نوع بحسب محبوبه وسراده ، فمن تلك العلامات تعرف من أَى " هذه الأقسام هو ، فنذكر فصولاً من علامات الحبة التي يُشتَدَلُّ بها علها :

فنها: إدمانُ النظر إلى الشيء و إقبال المين عليه ، فإن المين بابُ القلب وهي المعبِّرةُ عن ضمائره والكاشفةُ لأسراره. وهي أُبلغ في ذلك من اللسان ، لأن دلالتها حالية بغير اختيار صاحبها ، ودلالةُ اللسان انفظيةُ تابعة لقصده ، فترى ناظر الحجب يدور مع محبو له كيف ما دار ، ويجول معه في النواحي والأقطار كما قال:

أَذُودُ سَوامَ الطَّرْف عنك وما له على أُحد ٍ إلاَّ عليك طَريق

^(1) قال يقيل قيلا وقيلولة : نام واستراح وقت القيلولة وهي نصف النهار.

⁽٢) الآية ٣٧. سورة النساء .

⁽٣) الآيات ٢٦و٧٧و٨٠ . سورة الوخرف .

بل المحبّ فى عين المخبـ وب تمثاله ، كما فى قلبـ ه شخصه ومثاله كا قيـل : ومر يحب أنى أحِنْ إليهم وأسأل عنهم من لقيت وهم معى وتطالبهم عينى وهم فى سـوادها ويشتاقهم قلبى وهم بين أضلعى فالمحب نظره وقف على محبوبه كما قال:

إن يحجبوها عن العيون فقد حجبت عيني لها عن البشر

فصل

ومنها: إغضاؤه عندنظر محبوبه إليه ورميه بطرفه نحو الأرض، وذلك من مهابته له، وحيائه منه وعظمته في صدره، ولهذا يستهجن الملوك من يخاطبهم وهو يحد ألفظر إليهم، بل يكون خافض الطرف إلى الأرض. قال الله تعالى مخبراً عن كال أدب رسوله في ايلة الإسراء: (مازاغ البصر وما طَغَى) (٢) وهذا غاية الأدب، فإن البصر لم يزغ يميناً ولا شمالاً، ولا طَمَحَ متجاوزاً إلى ماهو رائيه ومقبل عليه كالمتشارف (٣) إلى ماوراء ذلك، ولهذا اشتد نهى النبي صلى الله عليه وسلم للمصلى أن يزيغ بصره إلى الدماء، وتوعدهم على ذلك بخطف أبصارهم، إذ هذا من كال الأدب مع من المصلى واقف بين يديه، بل ينبغي له أن يقف ناكس الرأس مطرقاً إلى الأرض، ولولا أن عظمة رب العالمين سبحانه فوق سماواته على عرشه، لم يكن فرق بين النظر بل فوق أو الى أسفل.

⁽١) أحد النظر إليه: نظر متأملاً .

⁽٢) الآية ١٧. سورة النجم .

⁽٣) المتشارف: المتطلع.

فصل

ومنها: كثرة ذكر المحبوب واللّهَج (۱) بذكره وحديثه ، فن أحبّ شيئًا أكثر من ذكره بقلبه ولسانه . ولهذا أمر الله سبحانه عبادَه بذكره عَلَى جميع الأحوال ، وأمنهم بذكره أخوف مايكونون نقال تعالى : (يَا أَيّها ٱلّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقيتُم فَيْهَةً فَاثْمُبُتُوا وَآذْ كُرُوا الله كَثيراً لَعَلَّكُم تُفْلِحُونَ) (٢) والمحبون يفتخرون بذكرهم أحبابهم وقت المخاوف ومُلاقاة الأعداء كما قال قائلهم :

ذَكُرُ تَكَ وَالْخُطِي * يَغْطِرُ بِينَا وَقَدِ مَهِلِتُ مِنَّا المُثَقِّعَةُ (٣) السُّمْرُ السُّمْرُ وقال آخر:

ولقد ذكرتك والرِّماح كأنها أشطان بئر في لبان الأدهم(1) فوددت تقبيل السيوف لأنها برَّقت كبارق تغرك المتبسم وفي بعض الآثار الإلهية: إن عبدى كلَّ عبدى الذي يذكرني وهو مُلاقِ قرْ نَه ، فعلامة المحبة الصادقة ذكر المحبوب عند الرغب والرهب وقال بعض المحبين في محبوبه:

يذكّرنيك الخيرُ والشرُّ والذي أخاف وأرجو والذي أتوقّع

⁽١) اللهج بالشيء: الولوع به. ولهج به :أغرى به فثا بر عليه .

⁽٢) الآية ٢٦. سورة الانفال.

⁽٣) الخطي : الرماح ، والثقاف: ماتسوى به الرماح .

⁽٤) في رواية أخرى .

^{... ...} والرماح نواهـــل منى وبيض الهند تقطر من دى والشطن : الحبل الطويل يستق به من البثرأو تشد به الدابة .واللبان : ماجرى عليه اللبب من الصدر . وموضع القلادة .

ومن الذكر الدّال على صدق الحبة سبق ذكر المحبوب إلى قلب المحبّ ولسانه عند أُول يقظة من منامه ، وأن يكون ذكره آخر ماينام عليـه كا قال قائلهم :

آخر. شيء أنت في كلّ هَجْعَة وأوّل شيء أنت وقت هبُوبي (١) وذِ كر الحجبوب لايكونءن نسيان مستحكم فإن ذكره بالقوّة في نفس الحجب ، ولكن لضيق المحل به يَر دعليه ما يُغيب ذكره ، فإذا زال الوارد عاد الذكر كاكان ، وأعلى أنواع ذكر الحبيب أن يحبس المحب لسانه على ذكره ، ثم يحبس قلبه على شهود مذكوره . وكما أن الذكر من نتائج الحب فالحب أيضاً من نتائج الذكر ، فكل من منها يشهر الآخر ، وزرع المحبة إنما يُسْقى بماء الذكر ، وأفضل الذكر ماصدر عن المحبة .

فصل

ومن علاماتها الانقيادُ لأس المحبوب وإيثارُه على مراد المحب ، بل يتّعد مراد الحب والمحبوب وهذا هو الاتحاد الصحيح لا الاتحاد الذي يقوله إخوان النصاري من الملاحدة ، فلا اتحاد إلا في المراد ، وهذا الاتحاد علامة المحبة الصادقة بحيث يكون مراد الحبيب والمحب واحداً ، فليس بمحب صادق من له إرادة تخالف مراد محبوبه منه ، بل هــــــذا مريد من محبوبه لامريد له ، وإن كان مريداً له فليس مريداً لمراده . فالحبون ثلاثة أقسام : منهم من يريد من المحبوب ، ومنهم من يريد من ارادته المحبوب ، وهذا أعلى أقسام المحبوب مع إرادته للمحبوب . وهذا أعلى أنواع الزهد ، فإنه قد

⁽١) الهجمة : نومة خفيفة من أول الليل . وهجع : نام ليلا . والهبوب : الاستيقاظ والانتباء ؛ وهب الرجل من نومه : أنتبه واستيقظ .

زهد فى كل إرادة تخالف مراد محبوبه ، وبين هذا وبين الزهد فى الدُّنيا أعظمُ ما بين الساء والأرض . فالزهد خمسة أقسام : زهد فى الدُّنيا ، وزهد فى النَّنيا ، وزهد فى النَّنيا ، وزهد فى كلّ إرادة وزهد فى الجاه والرُّئاسة ، وزهد فيا سوى الحبوب ، وزهد فى كلّ إرادة تخالف سراد المحبوب ، وهذا إنما يحصل بكال المتابعة لرسول الحبيب .

قال الله تمالى: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَبِعُونِي يُحْبِبِكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورْ رَحِيمٌ)(١) فِعل سبحانه متابعة رسوله سببًا لحبتهم له ، وكونُ السبد محبوبًا لله أعلى من كونه محبًّا لله ، فليس الشأنُ أَن تحب الله ولكن الشأن أَن يحبّك الله . فالطاعةُ للمحبوب عنوانُ محبته كما قيل :

تَعَمَى الإله وأنت تزعم حبَّه هـذا محالُ في القياس بديع ُ لو كان حبُّك صادقاً لأطعته إن الحبّ لمن يحبّ مطيع

فصل

ومن علاماتها قلة صبر المحبّ عن المحبوب ، بل ينصرف صبره إلى الصبر على طاعته، والصبر عن معصيته، والصبر على أحكامه، فهذا صبر المحبّ ، وأما الصبر عنه فصبر الفارغ عن محبّته، المشغول بغيره قال:

والصبرُ يُحْمَدُ فَى المواطنَ كُلِّهَا وَعَنِ الحبيبِ فإنه لا يُحْمَدُ فن صبر عن محبوبه أَدَّى به صبره إلى فوات مطلوبه . وقال بعض المحسن :

> ما أحسنَ الصبرَ وأما على أن لاأرى وجهَك يوماً فلا لو أن يوماً منكِ أو ساعةً تباع بالدُّنيــا إذاً ماغــلا

⁽١) الآية ٣١. سورة آل عران.

فصل

ومنها: الإقبال عَلَى حديثه وإلقاء سمعه كلَّه إليه ، بحيث يفرغ لحديثه سمعه وقلبه ، وإن ظهر منه إقبال عَلَى غيره فهو إقبال مستعار يستبين فيه التكاتُف لمن يَرْ مُثُهُ كَا قال:

وأديم لَحْظ محسد أي ليرى أن قد فهمت وعندكم عقلى فإن أعوزه حديثه بنفسه فأحب شيء إليه الحديث عنه ، ولا سما إذا حدث عنه بكلامه فإنه يقيمه مقام خطابه كما قال القائل: المحبون لاشيء ألّه لهم ولقلوبهم من سماع كلام محبوبهم وفيه غاية مطلوبهم ، ولهذا لم يكن شيء ألّه لأهل المحبة من سماع كلام محبوبهم وقد ثبت في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اقراراً على ، قلت : أقرأ عليك وعليك أنز ل ؟ قال : إني أحب أن أشمَعه مِن غيري ، فقرأت عليه من أول سورة النساء حتى إذا بلغت قوله تعالى : (فكيف إذا جئنا مِن كل أمّة بشميد وجئنا بك على هؤلاء شميداً) (ن قال : حسمبك الآن ، فرفعت رأسي فإذا وجئنا بك على هؤلاء شميداً) (ن قال : حسمبك الآن ، فرفعت رأسي فإذا وجئنا بك على هؤلاء شميداً) (ن قال : حسمبك الله عليه وسلم إذا اجتمعوا أمرواقارئاً أن يقرأ وهم بستمعون، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا دخل عليه أمرواقارئاً أن يقرأ وهم بستمعون، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا دخل عليه أبو موسى يقول : يا أبا موسى ذكر ناربّنا ، فيقرأ أبو موسى وربما بكي عمر .

ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبى موسى رضى الله عنه وهو يصلى من الليل فأعجبته قراءته فوقف واستمع لها ، فلما غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَقَدْ مَن رَتُ بِكَ الْبَارِحَةَ وَأَنْتَ تَقْرَأُ أَ فَوَ قَفْتُ واستَتَمَتْ رُ

⁽١) الآية ٤٠ سورة النساء.

⁽٢) روآه البخاري ومسلم في المسحيحين

لِقِرَاءَ تِكَ ، فقال لو أعلم أنك كنت تسمع لحبَّرته لك تحبيراً » (١) والله سبحانه وهو الذي تحكلم بالقرآن يأذن ويستمع للقارىء الحسن الصوت من محبته لسماع كلامه منه كما قال صلى الله عليه وسلم : « للهُ أشدُ أذَنا إلى الأارىء الحسن الصوّت مِنْ صاحب القينية إلى قينيته ي (٢) — والأذن بفتح الهمزة والذّال مصدر أذِن يَأْذَن عَالَمَ الشاعر :

أيها القلبُ تَعَلَّلَ بدَدَن (٣) إنَّ قلبي في سماع وأَذَن ُ

وقال صلى الله عليه وسلم: « زَيَّنُوا الْقُرْ آنَ بِأَصُواتِكُمْ » (1) وغلط من قال: إنَّ هذا من المقلوب وإن المراد زيّنوا أصوات كم بالقرآن. فهذا وإن كان حقًا فالمراد تحسين الصوت بالقرآن. وصح عنه أنه قال: « لَيْسَ مِنّا مَن لَمْ يَتَغَنَّ بالْقُرْ آنَ به وهم من فسره بالغنى الذى هو ضدّ الفقر من وجوه: يَتَغَنَّ بالْقُرْ آنَ به فلك المعنى إنما يقال فيه استغنى لا تغنّى . الثانى : أن تفسيره قد جاء فى نفس الحديث يجهر به هذا لفظه قال أحمد: نحن أعلم بهذا من سفيان وإنما هو تحسين الصوت به يحسنه ما استطاع . الثالث: أن هذا المعنى لا يتبادر إلى الفهم من إطلاق هذا اللفظ ولو احتمله ، فكيف وبنية اللفظ لا تحتمله كا تقدّ م . وبعد هذا فإذا كان من التغنّى بالصوت ففيه معنيان: أحدها: يجعله له مكان الغناء

⁽١) أخرجه مسلم وأخرجه أبو يعملي بزيادة كما قال ابن حجر العسقلاني , حبره: زائله و عمّه .

⁽٢) رواه ابن ماجه وابن حبان والحاكم والبيهتى فى الشعب . كاقال السيوطى.

⁽٣) الددن: اللهو واللعب.

⁽ ع) أخرجه البخارى تعليتًا فى الصحيح وأخرجه فى خلق أ فعال العبادر أخرجه أحمد و أبو داود و النسباكى و ابن ماجه و الدار مى و ابن خريمة و ابن حبان فى صحيحيهما و الدار قطنى و البزار كما قال ابن حجر .

⁽ ٥) رواه البخارى وأحمدوأ بو داود وابن حبان والحاكم. كما قال السيوطى.

لأمير من محبته له وكم يحيه به كما يُحِب صاحب الغناء لغنائه ، والثانى : أنه يزينه بصوله و يحسّنه ما استطاع كما يزين المتغنى غناءه بصوته ، وكثير من المحبّين ماتوا عند سماع القرآن ، لا قتلى عُشاق المُردان (١) والنّسُوان .

فصل

ومنها: محبة دار المحبوب وبيته حتى محبة الموضع الذى حل به ، وهدذا هو السر الدى لأجله علقت القلوب على محبه الكعبة البيت الحرام، حتى استطاب المحبون فى الوصول إليها مجر الأوطان والأحباب . ولذ لهم فيها السفر الذى هو قطعة سمن العذاب . فركبوا الأخطار ، وجابوا المفاوز والقفار ، واحتملوا فى الوصول غاية المشاق ، ولو أمكنهم لسقو الإيها على الجفون والأحداق .

نعم أسعى إليك عَلى جَفُونَى وإن بَعُدَت لمسر ال الطريق وسر مُ هذه المحبة هي إضافةُ الربّ سبحانه له إلى نفسه بقوله: (وَ عَلَمٌ رَبَيْتِيَ للطَّارُفِينَ)(٢).

قال الشاعر:

لَمَا انتسبتُ إليك صرفَ معظّماً وعلوتُ قدراً دون من لم يُنسَب وكلُ انتسبتُ إليك صرفُ معبوب (وأنّهُ لَمّا قامَ عَبْدُ ٱللهِ يَدْعُوهُ) (٢) وكلُ مانسب إلى الحبوب فهو محبوب (وأنّهُ لَمّا قامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ) (٥) (سَبُعَانَ اللّهِ عَالَى عَبْدُهِ) (١) (تَبَارَكَ ٱلّذِي نَزَّلَ الْفُرْ قانَ عَلَى عَبْدُهِ) (٥)

⁽۱) جمعأمرد: الغلام الذي طر شار به وبلغ خروج لحيته ولم تبد .

⁽٢) الآية ٢٦. سورة الحج.

⁽٣) الآية ١٩ سورة الجن.

⁽ه) أول سورة القرقان .

(و إِنْ كُنتُمْ فَى رَيْبِ مِمَّا نَزَّ لَنَا عَلَى عَبْدِ نَا) ومن فهم هذا فهم معنى قوله تعالى : (بِيَدَكَ الْخَيْرُ) (٢) وقول عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم : « لَبَيْكَ وَسَعَدُ يَكَ وَالنَّمْرُ لَيْسَ إِلَيْكَ » (٢) وإذا كان من يحب وسَعَدَ يَكَ وَالنَّمْرُ لَيْسَ إِلَيْكَ » (٢) وإذا كان من يحب عب داره كما قال :

أُمرُّ عَلَى الدِّيارِ ديارِ ليكل أُقبِّل ذا الجدارَ وذا الجلدارا وما حبُّ الدِّيارِ شغفن قلبي ولكن حبُّ من سكن الديارا فكيف بمن ليس كمثله شيء ومن ليس كمثل محبته محبة ؟

فصل

ومنها: الإسراع إليه في السير، وحثُّ الركاب نحوه، وطيُّ المنازل في الوصول إليه، والاجتهاد في القرب والدُّنو منه، وقطع كلَّ قاطع يقطع عنه، واطراح الأشغال الشاغلة عنه، والزُّهدُ فيها، والرغبة عنها، والاستهانة بكل مايكون سببًا المضبه ومقته و إن جلّ ، والرغبةُ في كلّ مايدني إليه و إن شق، قال الشاعر:

ولو قلت ِ طَأْ فى النار أعلم أنه رضاً لك أو مُدُن لِنا من وصالك ِ لقدّ من ضلاً لك أوضِلَةً من ضلاً لك لقدّ من ضلاً لك

فصل

ومنها : محبة أحباب المحبوب وجيرانه وخَدَمه وما يتملَّق به ، حتى حرفته . ــناعته وآنيته وطعامه ولباسه قال :

⁽١) الآية ٢٢ . سورة البقرة .

⁽٢) الآية ٢٦. سورة آل عمران.

٣١) ر. اه مسلم وغيره وايس فيه والشر ليس إليك .

أحب بني العَوَّام طُرُّا لحبها ومن أَجلها أَحببت أَخوالها كأَبا (١) وقال آخر:

يشتاف واديها ولولا حبُّـكم ما شاقه وادٍ زهت أزهارُه وقال الآخر:

فياساكنى أكنافي (٢) طَيْبَة كُلُّكُم إلى القلب من أجل الحبيب حبيب وفي أخبار العشاق أن عاشقاً عشق السراويلات من أجل سراويل معشوقه فو مجد في تركته اثنا عشر حملاً وفردة من السراويلات (ذكره البصرى) ، وعشق آخر الهاؤونات من أجل صوت هاؤن محبوبته ، فو مجد في تركته عُدة كلاف منها ، وعند الناس من هذا عجائب كثيرة . وكان أنس بن مالك رضى الله عنه يجب الد بي الله عنه يحب الد بي مالك رأى النبي صلى الله عليه وسلم ينتبعها من حو انب القصعة .

فصل

ومنها : قِصَرُ الطريق حين يزوره ، ويوافى إليه كأنها تُطُوك له ، وطولما إذا انصر ف عنه وإن كانت قصيرة قال :

وكنتُ إذا ماجئت ليلى أزورها أرى الأرضَ تَفَاَّوَى لى ويدنو بعيدُها من انَفْفِرات البيض ودّ جليسُها إذا ما انقضت أحدوثة (١) لو تعيدها

⁽١) تقدم ذكر هذا البيت في صفحة ٢٠٧

^{(ُ} ٢) جمع كنف الناحية ، والجانب ، والظل.

⁽٣) الدباء: القرع.

⁽٤) الاحدوثة: مايتحدث به،والجمع أحاديث .

وقال آخر:

واللهِ ما جئت كُمْ زائراً إلاَّ وجدت الأرض تُطُوى لى ولا اللهِ عزى عن باب كم الاَّ ته مَّرْتُ بأذيالى وقال آخر:

وإذا قت عنـك لم أمش إلاً مشى عان (١) يقاد نحـو الفناء وإذا جئت كنت أسرع في السي ر من الطــــير نازلاً في الهواء وقال الآخر:

وتدُنُو الطريقُ إذا زرتكُمُ وتبعدُ إذ أَشْنَى راجعاً فصل

ومنها: انجلاء همومه وغمومه إذا زار محبوبَه أو زاره، وعَوَّدُها إذا فارقه كا قال :

يزور فتنجلى عنى همومى لأن جِلاء حزبى فى يديه ويمضى بالمسرَّة حين يمضى لأن حوالتى فيها عليه ومن المعلوم أنه ليس للمحب فرحة ولا سرور ولا نعيم إلا بمحبوبه، وبمفارقة محبوبه عذابه الآجل والعاجل.

فصل

. و منها : البَهَتُ (٢) و الرَّوْعة التي تحصُل عند مواجهة الحبيب أَو عند سماع ذكره، ولاسما إذا رآه فَجْأَةً أَو طلع عليه بغتة كما قال الشاعر :

⁽١) عان : أسير أو ذليل أو خاضع .وعنا له يعنو عنوا: خضع وذل .

⁽٧) البهت: الدهشة والحيرة .

فَـــا هُ إِلاَّ أَن أَراها فَجَاءَةً فَأَنْهَتَ حَتَى مَا أَكَاد أَجِيبِ فأرجع عن رأْبِي الذي كان أَوِّلاً وأَذْكَر مَا أَعددتُ حَين تغيب وقال آخر:

في اهو إلا أن يراها فُجَاءة قتصطك رِجلاه ويسقط للجنب وربما اضطرب عند سماع اسمه فَجْأةً كما قال:

وداع دعا إذ نحن بالمَنْيف من مِنَى فهيَّجَ أَشجانَ الفؤاد وما يدرى دعا باسم ليلي غير ها فكراً تمسا أطار بليلي طائراً كان في صدرى

وقد اختلف في سبب هذه الرّ وعة والفَرَع والاضطراب فقيل: سببه أن للمحبوب سلطاناً عَلَى قلب محبه أعظم من سلطان الرعيّة ، فإذا رآه فَخأة راعه ذلك كما يرتاع مَنْ يرى مَنْ يعظّمه فَخأة ، فإن القلب معظّم للمجبوبه خاضع له ، والشخص إذا فَحِئه للعظم عنده راعه ذلك ، وقيل: سببه انفراج القلب له ، ومبادرته إلى تَلَقيّه فيهر بُ الدّم منه فيبرد ويُرْعَد ويحدُث الاصفرار والرّعدة ، وربما مات . وبالجلة فهذا أمر ذوق وجدانى ، وإن لم يُغرّف سببه .

نصل

ومنها: غيرته لمحبوبه وعَلَى محبوبه ،فالغـيرة له أن يكره مايكره ، ويغار إذًا عُصِيَ محبوبُه وانْتُهُمِكَ حَتَّه وضُيِّع أمرُه . فهذه غيرة المحب حقَّا ، والدينُ كلة تحت هذه الغيرة .

فَأَتُوى الناس ديناً أَعظمُهم غيرةً ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح : « أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَة سَعْدُ لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ واللهُ أَغْيَرَ الطديث الصحيح : « أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَة سَعْدُ لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ واللهُ أَغْيَرَ

مِنِّى» (١٦ فحبُّ الله ورسوله يغار لله ورسوله على قدر محبته وإجلاله ، وإذا خلا قلبُه من الغيرة لله ولرسوله فهو من المحبَّة أخلى وإن زعم أنه من المحبّين ، فكذب من ادعى محبة محبوب من الناس وهو يرى غير ، ينتهك حُر مَة محبوبه ويسعى فى أذاه ومَساخطه ويستهين بحقه ويستخف بأمره وهو لا يغار لذلك . بل قلبه بارد ، فكيف يصح لعبد أن يَدَّعِي محبة الله وهو لا يغار لمحارمه إذا انتهكت ، ولا لمقوقه إذا ضيّعت . وأقل الأقسام أن يغار له من نفسه وهو اه وشيطانه ، فيغار لمحبوبه من نفر يطه فى حقه وارتكابه لمعصبته .

فصل

وأما الغَيْرَة على المحبوب فإنما تُخْمَدُ حيث يُحْمَد الاختصاص بالمحبوب ويُذُمّ الاشتراك فيمه شرعاً وعقلًا كغيرة الإنسان عَلَى زوجته وأَمَتْهِ والشيء

⁽١) رواه الشيخان وغيرهما .

⁽٢) الآية ٧٥. سورة المائدة.

الذى يختص هو به ، فيغار من تعرَّض غيره لذكره ومشاركته له فيه ، وهـذه الغيرة تختص بالحلوق ولا تُتَصَـوَّر في حق الخالق ، بل المحب لربه يحب أن الناس كلمّم يحبُّونه ويذكرونه ويعبدونه ويَحْمَدُ ونه ، ولا شيء أقر لعينه من ذلك ، بل هو يدعو إلى ذلك بقوله وعمله .

ولما لم يميز كثير من الصوفية بين هاتين الغير تين وقع فى كلامهم تحبيط قبيح. وأحسن أمره أن يكون من السعى المغفور لا المشكور. وكان بعض جَهَلتهم إذا رأى مَن يذكر الله أو يحبه يغار منه وربما سكته إن أمكنه ويقول: غيرة الحب تحملنى على هذا، وإنما ذلك حَسَد وبَدى وعُد وان و بَوعُ معاداة لله، و مُراعَمة لطريق رسله أخرجوها فى قالب الغيرة، وشبهوا محبة الله بمحبة الصور من المخلوقين.

ولا ريب أن هذه الغيرة محمودة فى محبة من لاتَحْسُن مشاركة المحبّ فيه ، وسيأتي ذلك في باب الغيرة على المحبوب .

فصل

ومنها: بذل المحب في رضا محبوبه ما يقدر عليه مماكان يتمتّع به بدون المحبة ، وللمحب في هذا ثلاثة أحوال: أحد ها بذله ذلك تكلفاً ومشقة وهذا في أوّل الأمر ، فإذا قويت للحبة بذلة رضاً وطوعاً ، فإذا تمكنت من القلب غاية الله كن بذله سؤالاً وتضرعاً كأنه يأخذه من المحبوب ، حتى إنه لَيتبذل نفسه دون محبوبه كماكان الصحابة رضى الله عنهم يَقُون رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجرب بنفوسهم حتى يصر عوا حوله :

ولى فواد إذا لج (١) النوام به هام اشتياقاً إلى كُثْيًا مُعَذَّبه

⁽١) لج: تمادى .

"يفديك بالنفس صب "(اكويكون له أعزَّ من نفسه شيء فد الابته أشد أو الما الله تعدالى: (النَّبي ومَن آثر محبوبه بنفسه فيو اله بماله أشد أو الراف قال الله تعدالى: (النَّبي أولى بالنؤ منين من أنفسهم فضلا عن أبنائهم وابائهم كما صح عنه صلى الله عليه أخب إليهم من أنفسهم فضلا عن أبنائهم وابائهم كما صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «لا يُؤْمنُ أحد كم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والذاس أجمعين (الله كأنت أحد الله عند الله عند والله يا رسول الله لأنت أحب إلى من كل شيء إلا من نفسي فقال: « لا يا عَمرُ حتى أكون أحب إليك من نفسي فقال: « لا يا عَمرُ حتى أكون أحب إليك من نفسي فقال: « الآن أحب إلى من نفسي فقال: « الآن أحب إلى من نفسي فقال: « الآن أحب الله كان من نفسي فقال: « الآن

فإذا كان هذا النوع عبده ورسوله فكيف بمحبته سبحانه ؟ وهذا النوع من الحب لا يمكن أن يكون إلا لله ورسوله شرعًا ولا قدرًا، وإن وُجد في الناس من يؤثر محبوبه بنفسه وماله فذاك في الحقيقة إنما هو لمحبة غرضه منه ، فحمله محبة غرضه على أن بذل فيه نفسه وماله ، وليست محبته لذلك المحبوب لذاته بل لغرضه منه ، وهذا المحبوب له مثل ولمحبته مثل ، وأما محبة الله ليس لها مثل ولا للمحبوب مثل ، ولهذا حكم الصحابة رضى الله عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في أنفسهم وأموالهم فقالوا (٥٠) : هذه أموالنا بين يديك فاحكم فيها بما عليه وسلم في أنفسهم وأموالهم فقالوا (٥٠) : هذه أموالنا بين يديك فاحكم فيها بما

⁽۱) الصب: العاشق المشتاق والصبابة: الشوق،وقيل رقته،وقيل-حرارته وقيل رقة الهوى والولع الشديد بالشيء.

⁽٢) الآية ٦ . سورة الاحراب،

⁽٣) رواه الشيخان والنسائي وابن ماجه وأحمد في مسنده . كما في الجامع الصغير للسيوطي .

⁽٤) فى صحيح البخارى ببعض اختلاف . (

⁽ه) القائلهو سعد بن معاذ. رواه أصحاب السير فى غزوة بدر مطولا وروا. مسلم مختصراً.

شئت ، وهذه نفوسنا بين يديك لو استعرضت بنا البحر لخُضْناه ، نقاتل بين يديك ومن خلفك وعرب يمينك وعن شمالك . قال قيس بن صرمة الأنصارى:

نُوى فى قريش بضع عشرة حيجّة يذكّر لو يَلْتَى حيبياً مؤاتيا وأصبح مسر وراً بطَيْبَةً راضيا(١) وأنفسنا عنــد الوغى والتــآسيا(٢) نعادى الذى عادى من الناس كليم جيعاً وإن كأن الحبيب المصافيا وأن رسول الله أصبح هاديا

وَيَعْرِضَ فِي أَهِـل المواسم نفسه فلم يَرَ من يُؤْوي ولم يَرَ داعيا فلما أتانا واستقرّت به النوی بذلنا له الأموال من حِلَّ مالنا ونعلم أن الله لا ربّ غـيره

فالمحب وصفه الإيثار، والمدعى طبعه الأستئثار .

فصل

ومنها: سرور م بحــا 'يُسَرُّ به محبوبه كائناً ماكان، وإن كرهته نفسُه فيكون عنده بمنزلة الدواء الكريه، يكرهه طبعًا ويحبه لما فيه من الشفاء. وهكذا المحبّ مع محبوبه ، يَسُرُّه ما يرضي به محبوبهُ وإن كان كريهًا لنفسه . وأما من كان واقفاً مع ماتشتهيه نفسه من سراضي محبوبه فليست محبته صادقة ،

⁽١) هذا البيت ملفق هنا من بيتين هما:

فلُّ أَتَانَا أَظْهَرُ اللهُ دينَ فَأَصْبَحُ مُسْرُورًا بَطْيَبَةُ رَاضِياً وألنى صديقاً واطمأنت به النوى وكان له عوناً من الله باديا وقد وردت هذه الابيات في سيرة ابن هشام بزيادة واختلاف (٢) الوغى: الحرب والجلبة . وآسيته بنفسى : سويته بها .

بل هي محبة معلولة ،حتى أيسَرُّ بمنا ساءه وسرَّه من مراضي محبوبه ، وإذا كان · هذا موجوداً في محبة الخلق بعضِهم لبعض فالحبيب لذاته أولى بذلك . قال أبو الشيص:

وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى مُتَأْخُرٌ عنه ولا مُتَقَدَّم وأُهنيْني فأهنتُ نفسيَ جاهداً ما مَن يهون عليك بمن يُكرم أشهت أعدائي فصرتُ أحبهم إذ كان حظى منك حظى منهم أُجِد اللامة في هواكِ لذيذة حبًا لذكركِ فَلْمَرُمُني اللَّهِ وَمُ

وقريب من هذا البيت الأخبر قولُ الآخر:

لقد سرً بي أنى خطرت ببالك(١)

لأن ساءني أن نلتني بمساءة وقال الآخر:

ولم أَرَ قبلي عاشقاً سُرَّ بالصدّ دعاكر إليه رغبة منك في ودى ولكنما عَتْبُ الحبِّ من الوجد على لذنب حكان مني عَلَى عمد

صدودك عني إن صددت يَسَرُّني سُرِرْتُ به أنى تيقّنت أنمــــــا ولو كنت فيه تزهدين لساءه (٢) فيا فرحةً لى إذ رأيتك تُعتبي^(٢) وقال الآخر:

ينأى إذا حِبُّه من أرضه قر ُبا

أهوى هو اها وطولُ البُعد يعجم ا فالبُعدُ قد صار لى في حبِّها أَرَبا فمن رأى والهـــاً قبــلى أخا كلَّف

⁽١) تقدم هذا البيت مع غيره في صفحة ٧٧ وفيه: وإن ساءتي .

⁽٧) كذا. ولعل الصواب : لساءني .

⁽٣) كذا . ولا وجه لجذبي النون

وقريب من هذا قول أحمد بن الحسين (١):

يا من يَعِزُ علينا أن نفار قهم وجداننا كلَّ شيء بعدكم عَدَم إن كان سركم ما قال حاسدُنا فسا لجُرْح إذا أرضاكم ألم

واهتدم (٢) بعضهم هذا فقال:

يامن كيعز علينا أن أُنلِم بهم إذ بُعدنا عنهم قد صار قصدَهم إن كان يرضيكم هذا البعاد في في المستبكم جَرْحٌ ولا أَلْم

وَلَمَوْمُ اللهُ أَكْثَرُ هَذَهُ دَعَاوَى لاحقيقة لهَا، والصادقُ منهم يخبرعن علمه وإرادته ، لاعن حاله وصفته . ولقد أُحسن القائل (٣):

رَضُوا بِالْأَمَانِي وَأَبْتُلُوا بِحَظُوظَهِم وَخَاضُوا بِحَارَ الحَبِ دَعُوى وَمَا ابْتَلُو ۗ ا فهم في الشُّرْي لم تَيْرَحُوا من مكانهم

وما ظعنوا(*) في السير عنــه وقد كلُّوا

وإن كانهذا هو وصف قائلها بعينه وحاله فإنه خاص بحارَ الحب وماابتلّ فيه له قدم ، وأخبر عن نفسه عند انكشاف غطائه وطلب الرسل له لقدومه على ربه فقال وصدق (٥٠):

إن كان منزلتي في الحبّ عندكم ما قد لَقِيتُ فقد ضيعت أيامي أُمنيَّةٌ ظَفَرِت نفسي بها زمناً فاليوم أحسبها أضغاث أحلام (٢)

- (١) هو أبو الطيب المتذى .
- (٢) الاهتدام: نوع من السرقات الشعرية .
 - (٣) هو ابن الفارض.
 - (٤) ظعنوا: ساروا وارتحلوا.
 - (ه) هو ابن الفارض.
- رُ ٦) أضغات الاحلام: ما يدخل بعضها في بعض وليست كالصحيحة ولا تأويل لها لعدم تبينها . وفي سورة يوسف (قالوا أضغات أحلام) .

وهمذه حال كل من أحب مع الله شيئا سواه فإنه إلى همذه الغاية يصير ولابد ، وسيبدو له إذا انكشف الغطاء أنه إيما كان مغروراً بخدوعاً بأمنية وظفرت نفسه بهما مد قصص حياته ثم انقطعت وأعقبت الحسرة والندامة . قال الله تعالى : (إذ تَبَرَّأَ الذينَ اتبُعُوا مِن الذينَ اتبُعُوا وَرَأُوا التعذاب وَ تَمَكَّمَتُ بعالى : (إذ تَبَرَّأَ الذينَ اتبُعُوا مِن الذينَ اتبُعُوا وَرَأُوا التعذاب وَ تَمَكَّمَتُ مِيم الأَسْباب وقال الذينَ اتبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كُرَّةً فَنَدَبَرًا مِنهُ كَما تَبَرَّأُوا مِنهُ الأَسْباب التي تقطعت بهم هي الوصل والعلائق والمودات التي كانت لغير الله وفي غير ذات الله ، وهي التي يقدم إليها سبحانه فيجعلها هباء منثوراً ، فكل عبته ومحبة مايدءو إلى عبته ومحبة مايدءو إلى عبته ، ويدين عبي طاعته ومرضاته ، فهذه هي التي تبقي في القلب يوم تُنلي السرائر كما قال :

ميبق لـكم فى مُضْمَر القلب والحشا سريرة صب يوم تبلى السرائر وقال آخر:

إذا تصد ع شمل الوصل بينهم فلمحبِّين شمل غـــير منصدع وإن تقطع حبل الوصل يومئذ فللمحبِّين حبل غــير منقطع

فصل

ومنها: حبّ الوَحدة والأنس بالخلوة والتفرُّد عن الناس وكأن المحبة قد ثبتت على ذلك ، فلا شيء أُحلى المحب الصادق من خلوته وتفرُّده ، فإنه إن ظفر بمحبوبه أحبّ خلوته به ، وكره من يدخل بينهما غاية الكراهة ،

⁽١) الآيتان ١٦٦ و ١٦٧ سورة البقرة .

ولهذا السرِ _ والله أعلم _ أمر النبى صلى الله عليه وسلم بردِّ المار بين يدى المصلى حتى أمر بقتاله، وأخبر أنه لو يدرى ماعليه من الإثم لحكان وقوفه أربعين خيراً له من مروره بين يديه (١) ولا يجد ألم المرور وشد ته إلا قلب حاضر بين يدى عجبوبه مقبل ، وقد ارتفعت الأغياريينه وبينه ، فرور المار بينه وبين ربة بمنزلة دخول البغيض بين الحجب ومحبوبه . وهذا أمر الحاكم فيه الذون فلا ينكره إلا من لم يَذَق .

وقال ابن مسعود رضى الله عنه: مرور المار" بين يدى المصلى أيذهب نصن أجره. (ذكره الإمام أحمد) وأيضاً فإن المحب يستأنس بذكر محبوبه وكوبنه في قلبه لا يفارقه ، فهو أنيسه وجليسه لا يستأنس بسواه ، فهو مستوحش تمن يَشْغَلهُ عنه. وحداً ثنى تقى الدِّين بن شقير ، قال: خرج شيخ الإسلام ابن تيمية يوماً فخرجت خلفه ، فلما انتهى إلى الصحراء وانفرد عن الناس بحيث لايراه أحد سمعته يتمثّل بقول الشاعر (٢):

وأخرُ جُ من بين البيوت لعلّنى أحدّث عنك القلب بالسر خاليًا فغاوة المحبّ المحبوبه هن غاية أمتيّته ، فإن ظفر بها وإلا خلا به فى سرّه وأوحشه ذلك من الأغيار . وكأن قيس باللو حإذا رأى إنسانًا هرب منه ،فإذا أراد أن يدنو منه ويحادثه ذكر له ليلى وحديثها فيأنس به ويسكن إليه . وينبغى للمحب أن يكون كما قال يوسف لإخوته وقد طلب منهم أخاه : (فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا تَقْرَ بُونِ) (٣) .

إِذَا لَمْ تَكُنُ فَيْكُنَّ سُعْدُنَى فَلاأَرى لَكَنَّ وجوها أَو أُغَيَّبَ فَى لِحَدى (١) رواه الشيخان وا بو داود والقرمذي والنسائي وابن ماجه . كاجاء في الجامع الصغير السيوطي .

(٢) هو مجنون ليلي كما جاء في تزيين الاسواق للانطاكي .

(٣) الآية ٢٠. سورة يوسف.

فصل

ومنها:استكانة المحبِّ لمحبوبه وخضوعُه وذلَّه له ، والحبُّ مبنى ۖ عَلَى الذُّلِّ ، ولا يَعُدُّه نقصاً ولا عيباً ، ولا يَأْنَف العزيزُ الذي لا يَذَلِ للشيء من ذله لمحبوبه ، ولا يَعُدُّه نقصاً ولا عيباً ، يل كشير منهم يَعُدُّ ذلَّه عزاً كما قال :

إذا كنتَ تهوى من تحب ولم تكن ذليلاً له فاقرا السلام على الوصل تذلل لمن تهوى لتكسيبَ عِيزَاتُهُ فيكم عِزَاتُهُ قد نالها المره بالذُّلِّ وقال الآخر:

إخضع وَذِلَ لَمْن تَعَبُّ فَلَيْس فَى شَرَع الْهُوَى أَنْفُ يُشَالُو يُعَقَدُ (١) وقال الآخر:

ويعجبنى ذُكَّى لديك ولم يكرن ليُعْجِبُنِي لولا محبتك الذُّلَّ وقال آخر : . .

- بَلَذُ له ذَلُ الهـوى وخضـوعُه ولولا الهوى مالنَّ للعاقل الذُّلَّ وقال الآخر:

مساكينُ أهلُ الحبِّ حتى قبورُهم عليها ترابُ الذُّلِّ دون المقابر (٢) ومتى استحكم الذُّلُّ والحبِّ صار عبودية "، فيصير قلب المحبِ معبداً لمحبوبه، وهذه الرتبة لايليق أن تتعلّق بمخلوق ، ولا تصلُح إلا لله وحده.

⁽١) تقدم هذا البيت في صفحة ١٨٢

 $^{1\}lambda Y \rightarrow \rightarrow \rightarrow \rightarrow (Y)$

فصل

ومتها: امتدادُ النّفَسُ وتردُّدُ الأنفاس وتصاعدُها. وهذا نوعان: . أحدُها: نما يقارنه حزنُ ولَهَفُ (١) كما قال القائل:

رُبَّ ليلٍ أَمَدَّ من نَفَسَ العا شق طولاً قطعتُهُ بانتحــــاب وقال آخر:

تردُّد أَنفاس للحب " يَدُلُّنـ عَلَى كُنهُ (") مأَخفاه من أَلم الحب " إذا خَطَرَ اتُ الحب "خامر"ن قلبه تنفَّس حتى ظلَّ متصدع القلب

والثانى: ما يكون سببه طرباً ولذّة .وسببُ وجود النوعين انحصارُ القلبِ وانفراجُهُ بسبب الوارد الذى ورد عليه فأُحدث للنّفس الذى تروحه عليه الرّئة كيفيّة مؤذية وطلب إخراجها فهو تنفسُ الصّعدَاء ، وأما تنفسُ الراحة فإن القلب ينبسط بعد انقباضه فيدفع الهواء المحيط به فيطلب الخروج .

فصل

ومنها: هجر م كل سبب يقضيه من محبوبه ويبغضه للعبوب، وارتباحه لحكل سبب يدنيه منه ويستحمد به عنده إذا بلغه عنده . وفي الباب عجائب للمحبين ، فكثير منهم هجر طعاماً أو لباساً أو أرضاً أو صناعة أو حالة من الملات كان محبوبه يَمْقُتُها فلم يَعَدُ إليها أبداً ، ولم تطاوعه نفسه بفعله البتة . وكثير منهم حله الحب على اكتساب المعالى والفضائل وغيرها بمسل يعلم أن المحبوب يُعظّمه ويحبّه . وهذا نوعان أيضاً:

⁽ ١) اللوف : التحسر .

⁽٢) السكنه: جوهر الشيء وحقيقته وغايته وقدره.

أحدُها: أن يكون المحبوب مُؤثراً لذلك محبّا له ، فالمحب يبذُل جُهدّه فيه المنال منه أعلاه إن أمكنه ، فإن كان المحبوب مشغوقاً بجمه المال أثر ذلك في مُحِبّه شغفاً أشد من شغفه ، و إن كان مشغوقاً بالعلم اجتهد المحب في طابه اشد من اجتهاده ، و إن كان مشغوقاً بحرفة أو صناعة حرّص المحب على تعلمها إن وجد إلى ذلك سبيلا ، و إن كان مشغوقاً بالنوادر والحكايات الحسان والأخبار المستحسنة بالغ المحب في تحقّظها ، فالمحبة النافعة أن تقع على عشق كامل والمأخبار المستحسنة بالغ المحب في تحقّظها ، فالمحبة النافعة أن تقع على عشق كامل من كل خير فيحملك حبّه على البشبه به .

والثانى: أن يكون الحبوب فارغاً من محبة ذلك وإيثاره ، ولـكنّ المحبة تستخرج من قلب المحبّ عزماً وإرادة وحرصاً على ما يُعظُم به فى عين المحبوب وقلبه ، فتجده من أحرص الناس على ذلك بحسب استعداده كما قيل :

ويوتاح للمعروف في طَلَب العُلَى لَتُحَمَّد يوماً عند ليلي شمائلُهُ(١) وهذا قد يكون لهسبب آخر ُوهو معاداة ُ الناسله وتنقُصهم إياهو إزدراؤُهم به ، فيحمله الانتخاء لنفسه والغيرة ُ لها ومحبتُها عَلى المنافسة في المعالى واكتساب الحد ، وهذا من شرف النفس وعَرَّها كما قيل :

عداى لهم فضَّلُ على ومِنَّد أُن فلا أعدم الرحمٰن عنِّي الأعاديا

(١) جمع شمال: أخلاقه وطباعه .

(٢) الديدن: العادة لدأب. والجوزاء: برج من أبراجالسها.

هُ بِحَثُوا عَن زَلَّتَى فَاجَتَنْبَهَا وَهُ نَافَسُونَى فَا كَتَسَبَّ لَلْعَالَيَا فصل

ومنها: الاتفاق الواقع بين للحبِّ والمحبوب ، ولا سما إذا كانت المحبةُ محبة مشاكَّلَةٍ ومناسَبَة ، فكثيراً ما يمرس المحبُّ بمرض محبوبه ويتحرُّك بحركته ولايشعر أحدُها بالآخر ، ويتكلم المحبوب بكلام وفيتكلم المحب به بعينه اتفاقاً ، فانظر إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم لُعُمَرَ بن الخطاب رضى الله عنه يوم ألُّذَ يبيةً لما قال له: « أُلسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ » قال: بلي ، قال : « فَعَلَامَ ′ُنْعَطَى الدنَّيَّةَ في ديننا ؟ » فقال : « إنِّي رَسُولُ الله وَهُوَ نَاصِرِي وَلَسْتُ أَعْصِيهِ » فقال: ألم تَكُن تحدّثنا أنا نأْنِي البيت فُنُطِّقِف به ؟ فقال: ﴿ قُاتُ اللَّ عَالَ تَأْ تِيهِ الْعَامَ ؟ »قال: لا ، قال: ﴿ فَإِنْكَ آ تِيهِ وَمُطَوِّفَ به » . ثم جاء أبا بكر ِ الصِّديقَ رضي الله عنه فقال له : «يا أبا بكر أَلسنا على الحق وعدوّنا على الباطل؟ » قال: بلي، قال: ﴿ فَعَلَامَ نَعَطَى الدَّنِيةُ (١) فِي ديتناونرجم ولما يحكم الله بيننا؟) فقال له : إنه رسول الله وهو ناصره وليس يَعصيه ، قال : أَلْمَ يَكُنْ عِدْ ثَمَنا أَمَا نَأْتِي البيت فنطِّوف به ؟قال : أَفَالَ لَكَ إِنْكَ تَأْتِيهِ العام؟ قال: لا،قال: فإنك آتيه ومعطِّوف به . فأجاب على جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم حرفًا بحرف من غير تواطُو ً ولا تشاعر ، بل مو افقة محبٍّ لمحبوب. هكذا وقع فى محيح البخارى ، ووقع فى بعض المغازى أنه أنَّى أَبا بَكُر أُوَّلًا فقل له ذلك ، ثم أنَّى رسول الله صلى الله عاليه وسلم بعدَه فقال له مثلَ ما قال أبو بكر . قال السُّهَمْيلي : وهذا هو الأولى ويشبه أن يكون المحفوظ ، فإنه لايظَن بعمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عايه وسلم يقول له قولاً فلا يرضى به

⁽١) الدنية والدنى: الحقير ، الضعيف ، الساقط .

حتى يأتى أبا بكر رضى الله عنه بعد ذلك والشبهةُ عنده لم تزل فيعيدها عليــه، ولايُظَنُّ ذلك بعمر رضى الله عنه . ولعمرى لقد نزع أبو القاسم بذنوب محيح، ولكن المحفوظ هو الذي وقع في البخاري، وعليه عامة أهل السِّير والمسانيد والسُّنن . وأما مانسب إليه عمر رضى الله عنه فقد أجيب عنه بأنه كان يرجو النسيخ وموافقة ربه له في ذلك كما تقدمله أمثالُها ، فإنه كان يقول القول فينزل به الوحى ، والثاني أن المقام كان مقامَ محنة وابتلاء عَجَز عنه صبرُ أَ كثر الصحابة ولم يتسع له بطانهم ، وداخَكُهم من الهم والقلَق والتحرُّق على أعدائهم أمرٌ عظيم . ولهذا لما أمرهم أن يحلقوا رؤوسهم وينحُروا بُدُمهم لم يقم منهمرجل ۗ و احدُ حتى دخل صلى الله عليه وسلم على أمّ سَلَمَة مُنْضَبًا فقالت له: من أغضبك أغضبه الله، فقال: « وَمَا لِيَ لَا أَغْضُبُ وَأَناآمُرُ بِالأَمْرِ فِلاَ أَتَّبَعُ ((١) ؟ » وهذا يردّ تأويلَ من تأوَّله على أن القومَ كانوا محسنين في ذلك التثُّبت، وأنهم كانوا ينتظرون النسخ فلا لوم عليهم . وهذا خطأ قبيحٌ من هــذا المعتذر ، بل كانت المبادرة إلى امتثال أوامره صلى الله عليه وسلم أولى بهم ، ولو كانوا محسنين في التأخير لما اشتدَّ غضبُه عليهم ولكان أولى منهم بانتظار النسخ ، بل هذا من سعيهم المغفور الذي غفره الله لهم بكمال إيمانهم ونصحهم لله ورسوله ، وعَذَرَهُمُ الله سبحانه لقوَّة الوارد وضعفِهم عن َحمله حتى لم يحمله عمر رضى الله عنه في قوَّ ته وشدته، واحتمله رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وكان جوابُهما من مشكاة (٢) واحدة .

ولما احتمل رسول الله صلى الله عليه وسلم هــذا الحــكمَ الــَـكُونيَّ الأمرِيُّ

⁽١) رواه بفحوه البخارى ومسلم وأحمد فى مسنده.

⁽ ٧) المشكاة : السكوة غير النافذة.وقيل الانبوبة في وسط القنديل . قال تعالى (مثل نور م كرشكاة فيها مصباح) .

الذى حكم الله له به ورضى به وأقر " به ودخل تحته طوعاً وانقياداً .. وهو الفتح الذى فتح الله له ـ أثابه الله عليه بأربعة أشياء : مغفرة ماتقد من ذبه وماتأخر، وإيمام نعمته عليه ، وهدايته صراطاً مستقيا ، ونصر الله له نصراً عزيزاً . وبهذا يقع جواب السؤال الذى أورده بعضهم ها هنا فقال : كيف يكون حكم الله له بذلك علة لمذه الأمور الأربعة إذ يقول الله تعالى : (إنّا فَتَحْنَا لَكَ فَتَحْا مُبِيناً لَيَنْ فَرَلُكَ الله ما ذكر نا لينفر لك الله ما ذكر نا لينفر لك الله ما ذكر نا أن تسليمه لهذا الحكم والرضا به والانقياد له والدخول تحته أوجب له أن آتاه أن تسليمه لهذا الحكم والرضا به والانقياد له والدخول تحته أوجب له أن آتاه جرى للصديق رضى الله عنه من أحسن الموافقة ، ومن هذا موافقة عمر ابن الخطاب رضى الله عنه لربه تعالى فى عدة أمور قالها فنزل بها الوحى كا قال وتقوى هذه الموافقة حتى يعلم المحب بكثير من أحوال محبوبه وهو غائب عنه ، وهذا المنت في المد تعلق المرض والصحة والفرح والحزن والخُلُق ، فإن كان مع ذلك دينهما تشابه في الخرق الفاهر فهو الغاية فى الاتفاق ، ولنقتصر من العلامات على عينهما القدر وبالله التوفيق ، فإن كان مع ذلك بينهما تشابه في الخرق الظاهر فهو الغاية فى الاتفاق ، ولنقتصر من العلامات على عذا القدر وبالله التوفيق .

⁽١) أول سورة الفتح.

البالجاي العثون

في اقتضاء الحبة إفراد الحبيب بالحب وعدم التشربك بينه وبين غيره فيه

⁽١) أوائل سورة الاحزاب.

⁽٢) الآية ٤ . سورة الاحزاب .

⁽٣) كذا . . والظاهر أنها زائدة .

أنه لم يجعل دَعِيه ابنه ، فانظر ما أحسن هذا التأصيل وهذا الاستطراد الذي تسجد له العقول والألباب ، وله نظائر في القرآن عديدة ، فنها قوله : (هُوَ آلَذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسِ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمّا تَعَشَاها خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسِ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْها زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْها فَلَمّا تَعَشَاها خَلَتَ مُلَا خَلَيْها فَلَمّا كُنْ آتَيْهَا صَالِما جَعَلا لَهُ شُرَكاء فِيها آتَاها للشركون من أولادها ، ولا يُلتّفَت إلى غير ذلك عا قيل إن آدم وحواء كانا لايعيش لها ولد فأتاها إبليس فقال : إن أحبتها أن يعيش لكا ولد فسيّاه عبد الحارث ففعلا ، فإن الله سبحانه اجتباه وهداه فلم يمكن ليشرك به بعد ذلك . ونظيرُ هذا الاستطراد قوله : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ يعيش لكا ولد فلهُ ور والمُن الله شركاء في الإحرام ، فلما ذكر لهم آلبُورَ مَا يَعْلُونه فيه ، وقت الإحرام الذي هو من فوائد الأهلة استطرد منه إلى ذكر ما يفعلونه فيه ، وقت الإحرام الذي هو من فوائد الأهلة استطرد منه إلى ذكر ما يفعلونه فيه ، وهو كثير حدًا .

والمقصودُ أن المحبَّة تستازم توحيد المحبوب فيها، وقدبالغ أبو محمد بن حزم في إنكاره عَلَى من يزعم أنه يعشق أكثر من واحد وقال في ذلك شعراً، ونحن نذكر كلامه وشعره، قال بعد كلام طويل: ومن هذا دخل الغلط على من يزعم أنه يحب أثنين ويعشق شخصين متغايرين، وإنما هذا من جهة الشهوة التي ذكر نا آنفاً، وهي على المجاز تسمَّى محبةً لا على التحقيق، وأما نفس المحبَّ

(١٩ م – رومنة المحبين)

⁽١) الآيتان ١٨٨ و١٨٩ . سورة الأعراف.

^{(ُ} ٢) الآمة ١٨٩ . سورة البقرة .

ها فى الميل به فضل كيصرفه من أسباب دينه ودنياه ، فكيف بالاشتغال بحب ثاني، وفى ذلكاً قول :

كذب المدّعى هوى اثنين حمّاً مثل ماني الأصول أكذب ماني (١) ليس في القلب موضع ليبيس ولا أحدث الأمور اثنان فكما المقل واحد ليس يدرى خالقاً غيب واحد رحمان فكذا القلب واحد ليبس يقوى (٢) غير فرد مباعد أو مُدَان هر في شرعه المودّة ذو شيبك بعيد من سحة الإيمان هر في شرعه المودّة ذو شيبك بعيد من عيده دينان وحكذا الدّين واحد مستقيم وكفور من عيده دينان وقد اختلف الناس في هذه المسألة فقالت جائفة: ليس القلب إلا وجهة واحدة إذا توجّه إليها لم يمكنه التوجّه إلى غيرها، قالوا: وكما أنه لا عتم فيه إرادتان مما فلا يكون فيه حبّان، وكان الشيخ إبراهيم الرقى رحمه الله يميل إلى هذا. وقالت طائفة من توجّه إلى الآخر، قالوا: والقلب حمّان في فيتوجه إلى أحدهما (٢) ولا يَشْغَلُه عن توجّه إلى الآخر، قالوا: والقلب حمّان في حاته الله عن توجّه إلى الآخر، قالوا: والقلب حمّان في حمّان ما هو فيه، غيمًا ، وإن استعجزته عجز عن حمل غير ما هو فيه، فالقلب الواسع يجتمع فيه التوجّه إلى الله سبحانه وإلى أمره وإلى مصالح عباده،

⁽¹⁾ مانى: صاحب مذهب المانوية ،ولد فى بابل عام ٢١٥ وهو من القائلين بالتناسخ وبقدم الظلمة والنور وأزليتهما . ويزعم أن الليل يخلق الشر والنهار يخلق الحير . وفى دينه من الضلالات والحزعبلات ما يفوق الاساطير . ومن أغرب ما يدعو إليه تحريم الزواج وإباحة اللواط كما يحرم ذبح الحيوانات ويحلل أكلها ميتة 11

⁽٢)كذا .. ولعل الصنواب يهوى كما يدل عليه البيت الأول .

^{. (} ٣) كذا .. بالتذكير بعد قوله وجهةان.ولعل الصواب هو التأنيث .

ولا يَشْغَلُهُ واحدُ من ذلك عن إلآخر ، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلبُه متوجَّه في الصلاة إلى ربه وإلى مراعاة أحوال مَنْ يصلي خلفه ، وكان يسمع بكاء الصبي فيخفف الصلاة خشية أن يَشُق على أمه (١) أفلا ترى قلبَــه الواسع الكريم كيف أتسع للأمرين؟ ولا يُظَنّ أن هذا من خصائص النبوة، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنــه كان يجهز جيشه وهو في الصلاة ، فيتسع قلبُه للصلاة والجهاد في آن واحد ، وهذا بحسب سَمَّة القلب وضيقه وقوته وضَّغْهِ . قالواً : وكال العبودية أن يتسم قلب العبد لشهود معبوده ومراعاة آداب عبو ديته ، فلا يَشْغُلُه أحد الأمرين عن الآخر ، وهذا موجود في الشاهد ، قلبه يتَّسع لمراعاته عمله وإتقانه ، وشهود إقبال الـلطان عليه ورؤيته له ، مِلهذا شأن كل محبٌّ يعمل لمحبوبه عملًا بين يديه أو في غيبته ، قالوا: وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكي يوم موت ابنه إبراهم فكان بكاؤهرحمةً له ، فاتَّسع قلبُه لرحمة الولد وللرضا بقضاء الله ، ولم يَشْفُلُه أحدُهما عن الآخر ، لكن الفَضَّيْلُ لَمْ يَتَسَعَ قَلْبُهُ يُومُ مُوتَ ابْنُهُ لَذَلَكَ فَجُمَلَ يَضْعَكُ ، فقيلُ له : أَتَضْحَكُ وقد مات ابنك؟ فقال إن الله سبحانه قضى بقضاء فأحببت أن أرضى بقضائه . ومعلومٌ أن بين هذه الحال وحال ِ رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ ٍ تفاؤتُ لا يعلمه إِلَّا الله ، ولَـكَن لم يتسع قلبُه لما اتسع له قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم . ونظيرُ هذا اتساع قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم لغناء الْجُوَيْرِيتَين اللَّـتَيْن كانتا تغنِّيان عند عائشة رضى الله عنها فلم يَشْغَلْه ذلك عن ربه ، ورأى فيه من مصلحة إرضاء النفوس الضعيفة بما يستخرج منها من محبة الله ورسوله ودينه ، فإِن النقوس منى نالت شيئًا من حظها طو عت ببذل ماعليها من الحق ، ولم يتسم

^(؛) هو في البخاري ومسلم والترمذي والنسائي. كما جاء في تيسير الوصول.

قُلب عمر لذلك ألَّا دخل فأنكره، وكم بين من تَرِدُ عليه الواردات فكلُّ منها يثيرهمته ويحرَّك قلبه إلى الله كما قال القائل:

يَذَكُرُ نِيكِ الجَيرُ والشرُّ والذى أَخانُ وَأَرجُو والذى أَتُوقَعُ (١) ومن يَر دُعليه من الواردات فيَشْغُلُه عن الله ويقطعه عن سير قلبه إليه فالقلبُ الواسعُ يسير بالخلق إلى الله ما أمكنه ، فلا يهرُب منهم ولا يلحق بالقفار (٢) والجبال والخلوات ، بل لو نزل به من نزل سار به إلى الله ، فإن لم يَسِرُ معه سار هو وتركه ، ولا ينكر هذا فالمحبة الصحيحة تقتضيه ، وخذ هذا فى المغنى إذا طرب ، فلو نزل به من نزل أطربهم كاتهم ، فإن لم يطربوا معه لم يَدَعُ طربَه لغلظ أكبادهم وكثافة طبمهم . وكان شيخنا عيل إلى هذا القول وهو كما ترى قو "ته وحجّته .

والتحقيق أن المحبوب لذاته لا يمكن أن يكون إلا واحداً ، ومستحيل أن يوجد في القلب محبوبان لذاتهما ، كما يستحيل أن يكون في الخارج ذاتان قأمتان بأنفسهما كل ذات مها مستغنية عن الأخرى من جميع الوجوه ، وكما يستحيل أن يكون للعالم ربّان متكافئان مستقلان ، فليس الذي يُحَبُّ لذاته إلا الإله الحق الغني بذاته عن كل ماسواه وكل ماسواه ، فقير بذاته إليه . وأما ما يحبُّ لأجله سبحانه فيتعد د . ولا تكون محبة العبد له شاغلة له عن محبة ربهولا يشركه معه في الحب ، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب وجاته وأحبَّن اليه عائشة رضى الله عنها ، وكان يحب أباها ويحب عمر رضى الله عنهم ، وكان يحب أباها ويحب عمر رضى الله عنهم ، وكان محب أباها ويحب عمر وقوى حبة جميعها منصرفة إليه سبحانه .

⁽١) تقدم هذا البيت في الصفحة ٢٦٤.

^{(ُ} ٧) جمع قفرة : مفازة لانبات فيها ولا ماء . وأقفرت الدار : خلت ،

فإن المحبة ثلاثة أقسام: محبة الله ، والمحبة له وفيه ، والمحبة معه . فالحبة له وفيه من تمام محبته وموجباتها لامن قواطعها ، فإن محبة الحبيب تقتضى محبة مايحب وعبة مايعين على حبه ويوصل إلى رضاه وقربه ، وكيف لا يحب المؤمن مايحب وعبة مايعين على حبه ويوصل به إلى حبه وقربه ؟ وأما المحبة مع الله فهى مايستعين به على مرضاة ربه، ويتوصل به إلى حبه وقربه ؟ وأما المحبة مع الله فهى المحبة الشركية ، وهي كحبة أهل الأنداد لأندادهم كا قال تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَخَذُ مِن دُونِ اللهِ أَنْدَاداً مُحِبُونَهُم مَّ كَحُبِّ اللهِ وَآلَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُ حُبًا للهِ وَأَصلُ الشركية ، فإن المشركين لله في من الله المناه في خلق السموات والأرض له يزعموا أن آلهتهم وأوثانهم شاركت الربَّ سبحانه في خلق السموات والأرض وإنما كان شركهم بها من جهة محبتها مع الله فوالوا عليها وعادوا عليها وتأ لهوها وقالوا : هذه آلهة صغار تقر بنا إلى الإله الأعظم . ففرق بين محبة الله أصلاً والمحبة له تبعاً والمعبة معه شركاً . وعليك بتحقيق هذا الموضع فإنه مَفرق والمه أنه بين أهل التوحيد وأهل الشّرك .

و يُحْكَى أَن الفُضَيْلَ دخل على ابنته في مرضها فقالت له: ياأبت هل تحبني ؟ قال: نعم، قالت: لا إله إلا الله ، والله ما كنتُ أظنُن فيك هذا ، ولم أكن أظنك تحب مع الله أحداً ، ولكن أفرد الله بالمحبة واجعل لى منك الرحمة أى يكون حبك لى حب رحم جعلها الله في قلب الوالد لولده لا يحبة مع الله . فلله حق من المحبة لا يَشْرَكه فيه غيره ، وأظلم الظلم وضع تلك المحبة في غير موضعها ، والتشريك بين الله وغيره فيها . فليتدبر اللبيب هذا الباب فإنه من أنفع أبواب الكتاب إن شاء الله تعالى .

⁽١) الآية ١٦٥ . سورة البقرة .

البالثاني ولعثيرون

نى غيرة الحبين على أحبابهم

لما كان هذا الباب متّصلا يإفر ادالمحبوب بالمحبة ومن موجباته فإن الغَيْرَة بحسب قو ة المحبة، وقو تها بحسب إفراد المخبوب حَسُن ذكر ُه بعده .

وأصل الغيرة الخمية والأنقة (١) والغيرة نوعان : غيرة للمحبوب ، وغيرة عليه . فأما الغيرة له فهى الحمية له والغضب له إذا آستُهين بحقه وانتقصت حر مَتُه وناله مكروه من عدوه ، فيغضب له المحب و يُعمى و تأخذه الغيرة له بالمبادرة إلى التغيير ومحاربة من آذاه ، فهذه غيرة المحبين حقاً ، وهي من غيرة الرسل وأتباعهم لله ممن أشرك به واستحل محارمة وعصى أمره .

وهذه الغيرة هي التي تحمل على بذل نفس المحب وماله وعرضه لمحبوبه حتى يزول مايكرهه، فهو بغار لمحبوبه أن تكون فيه صفة يكرهها محبوبه و يمقته عليها أو يفعل مايبغضه عليه، ثم يغارله بعد ذلك أن يكون في غيره صفة يكرهها ويبغضها، والدِّين كله في هذه الغيرة بل هي الدِّين، وما جاهد مؤمن نفسه وعدوه ولا أمر بمعروف ولا نهى عن منكر إلا بهذه الغيرة، ومتى خلت من القلب خلا من الدين، فالمؤمن يغار لربه من نفسه ومن غيره إذا لم يكن له كما بحب ، والغيرة تصفي القاب وتخرج خَبَتَه كما يخرج الكير ((۲)

⁽١) الاننة: الاستنكاف.

^{(ُ} ٧) السكير : منفخ الحداد يكون من جلد غليظ وله حاقات. وخبث الحديد تفايته أو مانفاء السكير .

فصل

وأما الغَيْرة على المحبوب فهى أَنَفَةُ المحبّ وَحَمِيْتُهُ أَن يشاركه في محبوبه غيرُه وهذه أيضاً نوعان : غَيْرة المحب أن يشاركه غيره في محبوبه ، وغيرة للمحب المن يشاركه غيره في محبوبه ، وغيرة للمحبوب على محبه أن يحب معه غيرَه ، والغيرة من صفات الربّ جلّ جلاله ، والأصل فيها قوله تعالى : (قُلُ إِنَّ كَا حَرَّ مَ رَبِّى الْفَوَ احِشَ مَاظَهَرَ مِنْهِ فَا رَقُلُ إِنَّكُ حَرَّ مَ رَبِّى الْفَوَ احِشَ مَاظَهَرَ مِنْهِ فَا رَقُلُ إِنَّكُ عَرَّ مَ رَبِّى الْفَوَ احِشَ مَاظَهَرَ مِنْهِ فَا رَقُلُ إِنَّا كَا حَرَّ مَ رَبِّى الْفَوَ احِشَ مَاظَهَرَ مِنْهِ فَا رَقُلُ إِنَّا كَا وَمَا بَطَنَ)(١) .

ومن غَيرته تعالى لعبده وعليه يحميه نما يضرُّهُ في آخرته كما في الترمذي وغيره مرفوعاً: «إِنَّ اللهُ يَحْمِي عَبْدَهُ الْهُوْ مِنَ مِنَ الدُّنيا كَا يَحْمِي أَحَدُ كُمْ مَرَ يضَهُ مِنَ الطَّمَامِ وَالشَّرَابِ » وفي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبة الكسوف: « وَاللهِ يَاأُمَّةٌ نُحَمَّدُ مَاأُحَدٌ أَغْيَرَ مِنَ اللهِ أَنْ يَرْ نِي عَبْدُهُ أَوْ تَرْ نِي أَمَّتُهُ ». وفي ذكر هذا الذنب بخصوصه في خطبة الكسوف، مر شُّ بديع قد نبهناعليه في باب غَض البصر وأنه يورث نوراً في القلب. ولهدذا جمع الله سبحانه وتعالى بين الأمر به وبين ذكر آية النور ، فجمع الله سبحانه بين نوره الذي مثّله بالشكاة لتعلَّق أحدها بالآخر ، وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن الشمس ، وذكر أحدَها مع الآخر ، وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن الشمس ، وذكر أحدَها مع الآخر ، وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَيْسَ شَيْ لا أَحدٌ مَنَ الله مِنْ أَجْلِ ذلكَ أَرْسَلَ الرُّسُلَ وَمَا بَطَنَ ، وَلاَ أَحَدُ أَحبُ إِلَيْهِ اللَّهُ مِنْ أَجْلِ ذلكَ أَرْسَلَ الرُّسُلَ الرُّسُلَ ».

⁽١) الآية ٣٣. سورة الأعراف.

وروى النورى عن حمّاد بن إبراهيم عن عبدالله قال: « إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَهُ أَرُ لِلْهُ سُلِمِ فَلْيَغَرُ » (١) . وروى أيضاً عن عبد الأعلى ، عن ابن عُييْنَةَ (٢) ، عن أُمّّه ، عن عبد الله وضى الله عليه وسلم : عن أُمّّه ، عن عبد الله وضى الله عليه وسلم : « إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يَغَارُ فَلْيَغَرُ أَحَدُ كُمْ » ، وفي الصحيح عنه من حديث أَبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللهَ يُغَارُ وَلَلْهُ مِن يَغَارُ وَغَيْرَةُ اللهِ أَنْ يَأْتُي المُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ عليه » (٣) ، وروى القَمَنَيِّ وَالمُؤْمِن يَغَارُ وَاللهُ عَليه عن العلاء، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المُؤْمِنُ يَغَارُ وَاللهُ أَشَدُ غَيْرَةً » (١٠) .

فصل

وغَيْرةُ العبد على محبوبه نوعان : غَيْرةٌ ممدوحةٌ يحبُّهَا اللهُ ، وغيرةٌ مذمومة يكرهما الله ، فالتي يكرهما الله أن يغار عند قيام الرِّيبة ، والتي يكرهما أن يغار من غير ريبة بل من مجرَّد سوء الظن . وهذه الغيرة تفسدُ المحبة وتوقع العداوة بين الحجب ومحبوبه وفي المسند وغيره عنه صلى الله عليه وسلم قال : (الغيرة عَيرتان ين الحجب ومحبوبه وفي المسند وغيره عنه صلى الله عليه وسلم قال : (الغيرة عَيرتان ين الحجب في عليه والله ما الغيرة التي يحب في الله ؟ قال : أنْ تُوْتَى مَعَاصِيه أَوْتُذَمّ كَارِمُهُ ، قلنا : فالنّفيرة التي يكرهُ الله ؟

⁽١) ذكره السيوطى في الجامع الصغير عن ابن مسعود مرفوعاً وقال: رواه الطبراني في الأوسط.

⁽٢) هكذا . . وفى شرح الجامع الصغير للناوى : قال الهيثمى : فيه عبد الاعلى بن عامر الثعلبي وهو ضعيف . . . قال ابن القطان : والحديث لا يصح فإن فيه ابا عبيدة عن أمه زوج عبد الله بن مسمود ولا يعرف لها حال. وإذن فإن عيينة هنا مصحفة عن , أبى عبيدة ، .

⁽٣) رواه الشيخان وأحمد والترمذي كما قال السيوطي .

⁽٤) رواية مسلم : , والله أشد غيراً , .

قال : غَيْرَةُ أُحَدِكُمْ فِي غَيْرِ كُنْمِهِ » ، وفي الصحيح عندصلي الله عليه وسلم : ﴿ إِن مِنَ الغَيْرَةِ مَا يُحِبُّ اللهُ وَمِنْهَا مَا يَكُرَهُ ٱللهُ فَالْغَيْرَةُ التي يُحِبِهَا ٱللهُ الْغَيْرَةُ في الرِّ يَبَةِ ، وَالْغَيْرَةُ التي يَكْرَهُمُ اللهُ الْغَيرَةُ فِي غيرِ رِيبَةٍ (١) » . وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أَ تَعَجَّبُونَ مِنْ غَيرَةٍ سَعْدٍ لَأَنَا أَغَيَرُ مِنْهُ وَاللهُ أَغْيَرُ مِنِّي »(٢). وقال عبدالله بن شدّاد: الغَيرة غَيرتان: غَيرةٌ يصلح بها الزجل أَهْلَهُ ، وغَـنْرةٌ تدخله النار . وروى عبدالله بن كمِيعةً ، عن يزيد بن أبي حبيب، عن عبدالرحمن بن شِمَاسة المَهْ يِي ، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليــه وســلم دخل عَلَى مار ِيَة القبطية وهي حاملٌ بإبراهيم وعندها نسيب للها قدم معهامن مصر فأسلم ،وكان كثيراًمايدخل على أم إبراهيم وأنه جَبَّ نف فقطع مابين رِجليه حتى لم يبقُّ قليلٌ ولا كثير ، فدخل رسولُ الله صلى الله عليمه وسلم يوماً عليها فوجد عندها قريبَهافوجد فينفسه من ذلك شيئًا كما يقع فى أنفس الناس ، فحرج متغيِّرَ اللون ، فلقيه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فعرف ذلك في وجهه ، فقال : يا رسول آلله ، أراك متغيِّر اللون ، فأخبره ما وقع فى نفسه من قريب ماريةً ، فمضى بسيفة فأقبل يسمى حتى دخل على مارية فوجد عندها قريم ا ذلك ، فأهوى بالسيف ليقتله ، فلما رأى ذلك منه كشفعن فأخبره ، فقال : إن جبريل أتانى فأخبرنى أن الله عز وجل قد بر أها وقريبَها مما وقع في نفسي ، و بَشَّرْني أن في بطنها غلامًا وأنه أشبهُ الخلق بي وأمر ني أن أُسُمِّيهِ إبراهيم (٣).

⁽١) رواه ابن ماجه بنحوه . (٢) رواه الشيخان وغيرهما .

⁽٣) أخرجه ابن غبد الحسكم فى فتوح مصر والطبرانى فى المعجم السكبير وغيرهما . كما قاله ابن حجر فى الإصابة .

وقال الواقدى عن محمد بن صالح ، عن سعد بن إبراهيم ، عن عامر بن سعد ، عن أبيه قال : كانت سارّة عند إبراهيم صلى الله عليه وسلم فنكثت معه دهراً لاتر زق منه ولداً ، فلما رأت ذلك وهبت له هاجر أمنها ، فولدت لإبراهيم ، فغارت من ذلك سارّة ووجدت في نفسها وعتبت على هاجر ، فحلفت أن تقطع منها ثلاثة أعضاء ، فقال لها إبراهيم : هل لك أن تَبَرَّ يمينك ؟ قالت : كيف أصنع ؟قال: اثقبى أذنها واخفضيها، و الخفض هو الختان ، فقالت شارّة : إنما زدتها جالاً ، فلم هاجر في أذنيها قر طين فازدادت به ما حسناً ، فقالت سارّة : إنما زدتها جالاً ، فلم نقار قر على كونها معه ، ووجد بها إبراهيم وجداً شديداً فقلها إلى مكة ، فسكان يزورها كل يوم من الشام على البراق من شغفه بها وقلة صبره عنها .

وفي الصحيح من حديث ُ حَيْد، عن أنس رضى الله عنه قال: أهدى بعضُ نساء النبي صلى الله عليه وسلم له قَصْعَةً فيها ثريدٌ وهو في بيت بعض نسائه، فضربت يد الخادم فانكسرت القصعة ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يأخذ النبريد ويرُدُّه في القضعة ويقول: ركاوا غارَت أمَّكُمْ ، ثم انتظر حتى جاءت قصعة محيحة فأعطاها التي كُسِرَت قصعتها (٢) وقالت عائشة رضى الله عنها: ماغرت على امرأة قط ماغرت على خديجة من كثرة ذكر النبي صلى الله عليه وسلم اياها، ولقد ذكرها يوماً فقلت: ماتصنع بعجوز حراء الشَّدقين قد أبدلك الله غيراً منها ؟ فقال: « وآلله ما أبد كني آلله خيراً منها ؟ ". فانظر هذه الغيرة خيراً منها ؟ فقال: « وآلله ما أبد كني آلله خيراً منها ؟ "". فانظر هذه الغيرة

⁽١) لم تقاره : لم توافقه على بقائها معه . وقاره مقارة أى قر معه وسكن .

^{(ُ} ۲) رواه البخارى والترمذي وأحد ، ولا بي داودُ والنسائي نحوه . كاجاء

قى فتح البارى .

⁽٢) رواء البخاري عنصراً وأحمد والطبراني كما أشار إليه ابن حجر فىالفتح

الشديدة على امرأة بعد ما ماتت . وذلك انرط محبتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تغار عليه أن يذكر غيرَها ، وكذلك غَيرتها من صفية رضى الله عنهما ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم بها المدينة وقد اتخذها لنفسه زوجة وعراس (م) بها فى الطريق ، قالت عائشة رضى الله عنها : تنكرت وخرجت أنظر فعرفنى فأقبل إلى فانقلبت فأسرع المشى فأدركنى فاحتضنى وقال «كيف رأيتها ؟ » قلت : يهودية بين يهوديات ـ تعنى السَّني َ و السَّني أَرْبَا ؟ » قلت : يهودية بين يهوديات ـ تعنى السَّني أَرْبَا ؟ » قلت : يهودية بين يهوديات ـ تعنى السَّني أَرْبَا ؟ .

وفى المسند من حديث الأشعث بن قيس قال: تضيفت بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقام إلى امرأته فضربها، قال: فجزت بينهما فرجع إلى فراشه فقال: بإنست احفظ عنى شيئاً سمعته من رسول الله على الله عليه وسلم: « لا تَسْأَلَنَ رَجُلاً فيم يَفْيِربُ آمراً أَنهُ ». وذكر حقّاد بن زيد عن أيوب، عن ابن أبى مُلَيْكة أن ابن عمر وضى الله عنهما سمع امراً ته تكلم رجلاً من وراء جدار ، بينها وبينه قرابة لايعلمها ابن عمر ، فجمع لها جرائد (٣) ثم ضربها حتى أَضَلَبت مسيساً (١٠) م وذكر الخرائطي عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أنه كان يأكل عسيساً على امراً ته فدخل عليه غلام له فناويته تفاحة قد أكلت منها فأوجمها معاذ ضرباً . ودخل يوماً على امرأته وهي تطالع في خباء أدَم فضربها . وذكر الثوري عن أشعت عن الحسن أن امراة جاءت تشكو زوجها إلى النبي صلى الله الثوري عن أشعت عن الحسن أن امراة جاءت تشكو زوجها إلى النبي صلى الله

⁽۱) يقال عرس: إذا نول المسافر ايستريح ثم يرتحل. أما عرس بامرأته على معنى الدخول بها فقالوا هو خطأ. والصحيح: أعرس بامرأته: دخل بها .

⁽ ٧) ذكره بنحوه المحب الطبرى فى مناقب أمهات المؤمنين وقال : أخرجه ابن ماجه والحافظ الدمشتى فى الموافقات .

⁽٣) الجرائد جمع جريدة: قضبان التخل يجرد عنها الحنوص . والحسيس : ــ الصوت الحني ومنه قرله تعالى (لا يسمعون حديسها) .

^(،) أضب الشيء: أخفاه .

عليه وسلم لطمها ، فدعا الرجلَ ليأُخذَ حقَّها فأنزل الله عز وجل: (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللهُ تَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ)(١) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَرَدُنَا أَمْرًا وأَرَادَ اللهُ أَمْرًا)(٢) وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه شديدً الفَيرَة وكانت امرأته تخُرج فتشهد الصلاة فيكره ذلك فتقول: إن نهيتني انتهيت ، فيسكت امتثالاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاَ تَمْنَعُو إِمَاءَاللهِ مَسَاجِدَ اللهِ » (٣) وهو الذي أشار على النبي صلى الله عليه وسلم أَن يَحْبُب نساءه ، وكان عادة العرب أن المرأة لا تحتجب لنزاهتهم ونزاهة نسائمهم ، ثم قام الإسلام على ذلك ، فقال عمر: يا رسول الله ، لوحجبت نساءك فإنه يدخل علمن البرُّ والفاجر ، فأنزل الله عز " وجل " آية الحجاب (١) ور ُفع إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجل قد قتل امرأته ومعها رجل آخر ، فقال أولياء المرأة : هذا قتل صاحبتنا ، وقال أولياء الرجل : إنه قد قتل صاحبنا ،فقال عمر رضى الله عنه: ما يقول هؤلاء ؟ قال : ضرب الآخر فَخِذَى امرأته بالسيف فإن كان بينهما أحدٌ فقد قتلته ، فقال لهم عمر : ما يقول ؟ فقالوا : ضرب بسيفه فقطع فَخَذَى المرأة فأصاب وسط الرجل فقطعه باثنتين ، فقال عمر رضى الله عنه: إن عادوا فَعَدُ . ذَكره سعيد بن منصور في سننه . وأخذ بهذا جماعة من الفقهاء منهم الإمام أحمد وأمحمابه رحمهم الله تعالى ، قالوا لو وجد رجلا يزنى بامرأته

⁽١) الآية ع٣. سورة النساء.

⁽٢) فى الإصابة لابن حجر: ذكر القصة مقاتل وعبد بن حميد والطبرى وغيرهم .وقال الشهاب الحفاجي في حاشيته على البيضاوى: رواها أبو داود.

⁽٣)رواه الشيخان وأحمد في مسنده .

^{(َ} عَ) رواه الشيخان ، وزاد فى الرياض النضرة أبا حاتم . كما جاء فى تيسير الوصول .

فقتام ا فلا قصاص عليه ولا ضمان ، إلا أن تكون المرأة مُكرَّهُ فعليه القصاص بقتام ا ، ولكن لا يقبل قول الزوج إلا بتصديق الولى الوبينة ، واختلفت الرواية عن الإمام أحمد في عدد البينة فروى عنه أنها رجلان ، ويروى عنه لابد من أربعة ، ووجه هذه الرواية ظاهر حديث سعد بن عُبَادة رضى الله عنه أنه قال : يارسول الله ، أراً يت إن وجدت رجلا مع امراً تى أممله حتى آتى باربعة شُهداء ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم « نعم » فقال : والذي بعثك بالحق إن كنت كُوض به بالسيف غير مصفح (١) فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ألا تعبيبون مِن غَيرة سَعْد لَا نَا أُعيرُ مِنْهُ وَالله أَغيرُ مِنّى)(٢) .

وذكر سعيد بن منصور عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه سئل عن رجل دخل بيته فإذا مع امر أنه رجل فقتلها وقتله ، فقال على رضى الله عنه : إن جاء بأربعة شُهَداء و إلا دُفع بر مُسِّية (٣) ، ووجه رواية الاكتفاء باثنين أن البينة ليست على إقامة الحد ، ولكن على وجوب (١) السبب المانع من القصاص ، فإن الزوج كان له أن يقتل المتعدى على أهله ، ولكن لما أنكر أولياء القتيل طولب القاتل بالبينة فاكتنى برجلين ، ور نع إلى عمر رضى الله عنه رجل قد قتل يهوديًّا فسأله عن قصته فقال : إن فلانًا خرج غازيًا وأوصانى بامرأته ، فبلغنى أن يهوديًّا فسأله عن قصته فقال : إن فلانًا خرج غازيًا وأوصانى بامرأته ، فبلغنى أن يهوديًّا غنتلف إليها فكنت له حتى جاء، فعل ينشد ويقول :

⁽١) يقال. صفح فلانا بالسيف: ضربه بمرضه لا يحده.

⁽٢) تقدم ذكر هذا الحديث في صفحتي ٢٧٤ ، ٢٩٧ .

^{(ُ} ٣) في لسان العرب لابن منظور : الرمة : قطعة حبل يشد بها الآسير أو الفاتل إذا قيد إلى الفتل، وقول على يدل على هذا .

⁽ ٤) كذا..ولعل الصواب : وجود ،

وأبيض غرّة الإسلام مِنَّى خَلَوْتُ بِعِرْسه ليل التَّمَّام ('')
أَبِيتُ عَلَى تَرانبها ويمسى عَلَى جَرْدَاء لاحقة الْحِزَامِ
كَان مُواضَعَ الرَّبَلَات منها فِنْامْ يَنهضون إلى فِنْام ('')

فقمت إليه فقتلته ، فأهدر عمر دَمَه (٣) وليس في هذين الأمرين مطالبة عمر رضى الله عنه القاتل بالبينسة إذ الله تيقن ذلك أو أقرا به الولى ، والصواب أنه ممتى قام على ذلك دلالة ظاهرة لا تحتمل الكذب أغنت عن البينسة . وذكر سفيان بن غيبنة عن الزهرى ، عن القاسم بن عمد ، عن عبيد بن مُمير أن رجاً أضاف إنساماً من هُذَيل فذهبت جارية لهم تحتطب فأرادها عن نفسها ، فرمته بغير (١) فقتلته ، فرفع ذلك إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال : ذاك قتيل الله لا يُودى (١) أبداً . وذكر حمّاد بن سمّاه عن القاسم بن محمد أن أبا السيّارة أولع باسراة أبى جُندَب يواودها عن نفسها ، فقالت : لا تفعل فإن أبا جُندَب إن أولع باسراة أبى جُندَب يواودها عن نفسها ، فقالت : لا تفعل فإن أبا جُندَب إن يمن عهم بهذا يَقْتَلْك ، فأبى أن يَبز ع (١) فكلمت أخا أبا جُندب في أن أبر عبد القوم أبى أذهب ينز ع ، فأخبرت بذلك أبا جُندب ، فقال أبو جُندب : إنى يخبر القوم أبى أذهب أبل الإبل ، فإذا أظامت جئت فدخلت البيت فإن جاءك فأدخلينه على ، فودع أبو جُندب القوم وأخبرهم : أبى ذاهب إلى الإبل ، فلما أظلم الليل جاء فكن فى

⁽١) العرس امرأة الرجل.والجمع أعراس، وريماسمى الرجلوا لأنثى عرسين وليل النمام : أطول ليلة في السنة .

⁽ ٢) الربلات : جمع ربلة وهي باطن الفخذ.والفتَّام : وطاء يفرش في الهودج وبحره .

⁽٣) أهدر دمه: أباح قتله.

⁽٤) الغير : الحبجر مل- السكف، وقيل : الحبجر عامة .

⁽ ه) لايودى: أي ايس لدية .

⁽٦) نزع عن الأمر : ترك وانتهى .

البيت . وجاء أبو السيّارة وهي تطحن في ظلها ، مراودها عن نفسها فقالت ؛ وَيُحَك ! أرأيت هذا الأمر الذي تدعو في إليه هل دعو تك إلى شيء منه قط ؟ فال : لا ولكن لا أصبر عنك ، قالت : أدخل البيت حتى أنهيّاً لك ، فلمادخل البيت أغلق أبو جُندب الباب ثم أخذه فدقه من عنقه إلى تجب (١) ذَنبه ، فذهبت المرأة إلى أخى أبي جُندب فقالت : أدرك الرجل فإن أبا جُندب قاتله ، فعل أخوه يناشده فتركه ، وحمله أبو جُندب إلى مدْرَجة الإبل فألقاه . فكان إذ مر به إنسان قال له : ما شأنك ؟ فيقول : وقعت من بكر (٢) فحطمني ، وجهه ، فأرسل إلى أهل المرأة فهمد قوه ، فجلد عمر أبا السيارة مائة جلدة وأبطل ديتة .

وذكر العباس بن هشام الكلبي عن أبيه أن عمرو بن حَمَة الدَّوْسِي أَتَى مَكَة حاجًا ، وكان من أجمل العرب ، فنظرت إليه امرأة فقالت : لاأدرى وجهه أحسن أم فرسه ، وكانت له جُمَّة (٣) نسمَّى الزينة ، فكان إذا جلس مع أصحابه نشرها ، وإذا قام عَقَصَها (١) ، فقالت له المرأة : أين منزلك ؟ قال : نجد ، قالت : ما أنت بنجدي ولا تهامي فاصدقني ، فقال : رجل من أهل السَّراة فيا بين مكة والين ، ثم أشار إليها ار تدفى خلنى فقعلت ، فضى بها إلى السَّراة و تبعها زوجها فلم يلحقها فرجه ، فلما استقرت عنده قطع عروقها وقال : والله لا تتبعين بعدى رجلًا أبدًا ، ثم ردَّها إلى زوجها على تلك الحال .

⁽١) العجب: مؤخر كلشى. وأصل الذنب، وعجب الذنب جز. في أصل الذنب عند رأس العصمص .

⁽٢) البكر : الفتي من الإبل، والأنثى بكرة، والجمع أبكر. وبكران.

⁽٣) الجلة : مجتمع شعر الراس .

⁽ ٤) عقص النس : ضفره وليته على الرأس .

فصل

والله سبحانه وتعالى يغار على قلب عبده أن يكون مُعَطَّلًا من حبه وخونه ورجاً به وَأن يكون فيه غيرُه . فالله سبحانه وتعالى خلقه لنفسه واختاره من بين خلقه ، كما فى الأثر الإلهٰى : ابن آدم خلقتك لنفسى وخلقت كلَّ شىء لك ، فبحقى عليك لا تشتغل بما خلقته لك عن ما خلقتك له . وفى أثر آخر : خلقتك لنفسى فلا تلعب ، وتكفَّلت لك برزقك فلا تتعب . يا ابن آدم اطلبنى تجدنى ، فإن وجدتنى وجدت كلَّ شىء ، وإن فُتُك فاتك كلَّ شىء ، وأنا خير لك من فكل شىء ، وينار على لسانه أن يتعطَّل من ذكره ويشتغل بذكر غيره ، ويغار على جوارحه أن تتعطّل من طاعته وتشتغل بمعصيته ، فيقبَح بالعبد أن يغار مولاه المق على قلبه ولسانه وجوارحه وهو لا يغار عليها .

وإذا أراد الله بعبده خيراً سلط على قابه إذا أعرض عنه واشتغل بحب غيره أنواع العداب حتى يرجع قابه إليه ، وإذا اشتغلت جوارحه بغير طاعته ابتلاها بأنواع البلاء . وهذا من غير ته سبحانه وتعالى على عبده ، وكا أنه سبحانه وتعالى يغار على عبده المؤ من فهو يغار له وكرمته ، فلا يُمكن المفسد أن يتوصّل إلى حُرمته غيرة منه لعبده ، فإنه سبحانه وتعالى يدفع عن الذين آمنوا ، فيدفع عن قلوبهم ، وجو ارحهم ، وأهلهم ، وحريمهم ، وأمو الهم ، يتولّى سبحانه الدفع عن ذلك كلة غيرة منه لهم كا غاروا لمحارمه من نقوسهم ومن غيره . والله تعالى يغار على إمائه وعبيده من المنسدين شرعاً وقدراً ، ومن أجل ذلك حَرَّم الفواحش وشرع عليها أعظم المقوبات وأشنع القَتَلَات لشدَّة غيرته على إمائه وعبيده ، فإن غير ها سبحانه قدراً .

فصل

ومن غَيْرَ ته سبحانه وتعالى غَيْرَ ته عَلَى توحيده ودينه وكلامه أن يحفى به من ليس من أهله ، بل حال بينهم وبينه غيرة علية ، قال الله تعالى : (وَجَعَلْنَا عَلَى قَلُو بِهِم أَكَنَةً أَنْ يَفَقَهُوهُ وَفِي آذَا بِهِم وَقُواً) (١) ولذلك ثبّط سبحانه على قَلُو بهِم أَكَنَةً أَنْ يَفَقَهُوهُ وَفِي آذَا بهِم وَقُواً) (١) ولذلك ثبّط سبحانه أعداءه عن متابعة رسوله واللّحاق به غَيْرةً كا قال الله تعالى : (وَلَكِن كَرِه مَا الله آنبِها مَهُم فَقَيْلُ آقُدُو امَع آلْقَاعِدِينَ . لَوْ خَرَجُوا فَيكُم مَا زَادُوكُم إلاّخبالا وَلا وَصَعُوا خِلالَكُم يَبَعُونَكُم الله عليه وسلم وأعمابه مَا زَادُوكُم وَالله عليه وسلم وأعمابه مَا زَادُوكُم وَالله عليه وسلم وأعمابه مَا أن يخرج ينهم المنافقون فيسعو الينهم بالفتنة فشَطهم وأقعدهم عنهم . وسمعالشهلى وحمه الله تعالى قارئاً يقرأ : (وإذَا قَرَأْتَ آلَهُرُ آنَ جَمَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الذِينَ لاَيُوْمِنُونَ بِالآخِرة ولا أُحد أَغير من الله ، يعنى أنه سبحانه و تعالى لم يجعل الكفار ويطمئن إليه وتلتذ به نفسه فيشتغل به عن القصود ، فيغار عليه مولاه الحق ويطمئن إليه وتلتذ به نفسه فيشتغل به عن القصود ، فيغار عليه مولاه الحق ويطمئن إليه وتلتذ به نفسه فيشتغل به عن القصود ، فيغار عليه مولاه الحق ويطمئن إليه وتلتذ به نفسه فيشتغل به عن القصود ، فيغار عليه مولاه الحق

(۲۰ م... روضة الحبين)

⁽١) الآية ٢٥. سورة الانعام و ٤٦. سورة الإسراء. والاكنة: الأغطية. والوقر:الصمم.

⁽٢) الآيتان ٤٦ و٤٧ سورة التوبة. والخبال: الفساد . وأوضعوا حلالكم ؛ سعوا بينكم بالنميمة ، وإفساد ذات بينكم .

⁽٣) الآية ه ي . سورة الإسراء .

فيخليه منه و يَرُدُّه حينئذ إليه بالفقير والذَّلَّة والمسكنة ، ويشهده غاية فقره وإعدامه (۱) وأنه ليس معه من نفسه شيء البَّنَة ، فتعود عـزَّةُ ذلك الأنس والصفاء والوجود ذلة ومسكنة وفقراً وفاقة ، وذرَّة من هذا أحبُّ إليه سبحانه وتعالى وأنقعُ للعبد من الجبال الرواسي من ذلك الصفاء والأنس المجرّد عن شهود الفقر والذلة والمسكنة . وهذا بابُ لا يتسع له قلب كلّ أحد .

فصل

ومن الغيرة الغيرة على دقيق العلم ومالا يدركه فَهُمُ السامع أن يُذْ كرله. ولهذه الغيرة قال على بن أبى طالب رضى الله عنه: حدِّتُوا الناسَ بما يعرفون، أَحبُّون أَن يُكذَّب الله ورسوله ؟ وقال ابن مسعود رضى الله عنه: ما أنت بمحدّث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلاَّ كان لبعضهم فتنة . فالعالم يغار على علمه أن بَبْذُلَه لغير أهله ، أو يضعه في غير محله كما قال عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم : يابنى إسر ائيل لا تمنعوا الحكمة أهلها فتظاموهم ، ولا تبذلوها لغير أهلها فتظاموها .

وسئل ابن عباس رصى الله عنهما عن تفسير قوله تعالى: (اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَلُمُواَتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثَامَهُنَّ)(٢) فقال للسائل: وما يُؤَمِّنُك أنى ان أخبرتك بتفسيرها كفرت ؟ فإنك تكذّب به (٣) وتكذيبُك بها كفر ك بها . فالمسألة الدقيقة اللطيفة التي تُبْذَلُ لغير أهلها كالمرأة لحسناء التي تُهْدَى إلى ضرير مُقْعَد كما قيل:

⁽١) الإعدام والمدم: الفقدان والفقر، وأعدم الرجل: افتقر .

⁽٢) آخر سورة الطلاق.

⁽٣) كذا . . ولعل الصواب بها .

* خَوْدُ اللهِ عَرْفُ إلى ضرير مُقْعَدُ *

وكان أبو على إذا وقع شى ب فى خلال مجلسه من تشويش الوقت يقول:
هذا من غيرة الحق ، يريد أن لا يجرى ما يجرى من صفاء الوقت ، قال الشاعر:
كُمَّت بإتياننا حتى إذا نظرت إلى المِرَاةِ نهاها وجهم الحسن ما كان هنذا جزأى من محاسنها عُذَّبت بالهجر حتى شفّى الحُرْنُ عال القشر في : وقيل لبعضهم : أنحب أن تراهم ؟ قال : لا ، ويل : وليم ؟ قال : لا ، ويل : وليم ؟ قال : أنزَّهُ ذلك الجمال عن نظر مثلي ، وفي معناه أنشدوا:

إنى لأحسُدُ ناظــــرى عايكا حتى أَغُضَّ إذا نظرتُ إليكا وأراك تخطر في شمـــائلك التي هي فتنــتي فأغار منك عايـكا

قلت: وهذه غيرة فاسدة وغاية صاحبها أن يُمنَى عنه وأن يعسد ذلك في شَعَه المذمومة ، وأما أن تُمنَد في مناقبه وفضائله أن يقال أتحب أن ترى الله فيقول: لاورؤيته أعلى نعيم أهل الجنة ، وهو سبحانه وتعالى يحب من عبده أن يسأله النظر إليه ، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان من دعائه: يسأله النظر إليه ، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان من دعائه: (اللهم إن أسألك لذة البنظر إلى وَجْهِك والشّون إلى لا أنابك) (٢) وقول هذا القائل: أنر ه ذلك الجان عن نظر مثلي من خدع الشيطان والنفس، وهو يشبه ما يُحْكى عن بعضهم أنه قيل له: ألا تذكره ؟ فقال: أنزهه أن يجرى كلامُه على في من على لسانه أو يخطر هو أبضاً على قلبه ، وقد وقع بعضهم في شيء من هذا فلامه و فانشد:

⁽١) الحود: الشابة الجميلة الناعمة الحسنة الخلق، جمعها خود وخودات.

⁽٢) تقدم مطولا في الصفحة ٣٠

يَقُولُونَ زُرْنَا وَآقِضَ وَاجِبِ حَقَّنَا وَقَدْ أَسْقَطْتَ حَالَى حَقُوقَهُم عُنِّي إِذَا هِم رَأَوْا حَالَى وَلَم يَأْنَفُوا لَمَا وَلَمْ يَأْنَفُوا مَـنِّي أَنِفْتُ لَمْ مَـنِّي وطَرْدُ هـذه النيرة أن لايزور بيته غيرةً على بيته أن يزوره مثلُه . ولقــد لَمْتُ شَخْصًا مِنَّةً على ترك الصلاة فقال لى : إنى لا أرى نفسي أهلاً أن أدخل يهـ ، فانظر إلى تلاعب الشيطان بهؤلاء . ومن هـذا ماذ كره القُشَيرى قال: مثل الشبلي متى تستريح ؟ فقال : إذا لم أركه ذاكراً . ومات ابن له فقطعت أَمُّهُ شَعْرِهَا فَدَخُلُ هُو الْحَمَامُ وَنَو رَّ لِحَيْنَهُ (١) حتى ذهب شعرها . فقيل له : لِمَ فعلت هذا ؟ فقال : إنهم يعزونني على الغفلة (٢) . ويقولون : آجرك الله، ففديت ذكرَهم لله تعالى على النفلة بلحيتي وموافقة لأهلى . ونظير هذا مأ يُحكى عز النُّوري رحمه الله تعالىأنه سمع رجلاً يؤذُّن فقال: طعنة وسمَّ الموت ، وسمع كلبًا يَنْبَح فقال : لَبِيُّك وسعد يك ، فسئل عن ذلك فقال : أما ذاك فكان يذكره على رأس الغفلة ، وأما الكلب فقال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ)(٣) . وسمع الشبلي مرة وجلاً يقول : جل الله ، فقال : أحب أن مُنجِلَّه هن هذا، ويا مجبًا ممن يَمُدُ هذا في مناقب رجل و يجعله قدوةً ويزين به كتابه . وهل شيء أشد ملى قلب المؤمن وأمر عليه من أن لايرى لربه ذا كراً ؟ وهل شيء أقر العينمه من أن يرى ذاكرين الله بكل مكان ، وعذر ُ هــذا القائل أنه لايرى ذاكرًا لله بحقِّ الذكر ، بل لايرى ذاكرًا إلاَّ والغفلة والسهوةُ مستوليةٌ على قلبه ، فيذكر ربَّة بلسان فارغ مر القلب وحضوره في الذكر ، وذلك ذكر "لايليق به ، فيغار محبُّه أن يُذكر بهذا الذكر فيحب أن لايسمع أحداً

⁽١) نور لحيته: دهنهابالنورة . والنورة : أخلاط تستعمل لإزالة الشعر .

⁽٢) أي على غفلتهم عن تعظيم الله .

⁽٣) الآية ٤٤. سورة الاسراء.

يذكره هذا الذكر . ولما اشترك الناس فى هذا الذكر أخبر أن راحته أن لايرى له ذاكراً . هذا ألدكر أخبر أن راحته أن لايرى له ذاكراً . هذا أحسن ما يُحْمَل عليه كلامه ، وإلا فظاهر م إلى العداوة أقرب منه إلى الحبّة . وليس هذا حال الشبل رحمه الله تعالى فإن الحبة كانت تغلب عليه ، ومع ذلك فهو من شطحاته التي يُرْجَى أن تُذفّر له بصدقه و محبته و توحيده ، لا أنها بما يُحْمَدُ عليه و يقتدى مه فيه .

وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده أن يذكروه على جميع أحوالهم وإنكان ذكرهم إيّاه مراتب، فأعلاها ذكر م القلب واللسان مع شهود القلب للمذكور وجمعيته بكليته بأحبّ الأذكار إليه، ثم دونه ذكر القلب واللسان أيضاً وإن لم يشاهد المذكور، ثم ذكر القلب وحده، ثم ذكر اللسان وحده، فهذه مراتب الذكر وبعضها أحبّ إلى الله من بعض.

وكان طَرْدُ قول الشبليّ أنراحته أن لايرى لله مصليّاً ، ولا لكلامه تاليًا ، ولا يرى أحداً ينطِق بالشهادتين ، فإن هـذا كلّه من ذكره بل هو أعلى أنواع ذكره ، فكيف يستريح قلب الحجبّ إذا لم يَرَ مَن يفعل ذلك ؟ والله سبحانه وتعالى عب أن يُذكر ولو كان من كافر .

وقال بعض السلف: إن الله يحبّ أن يُذْكُو كُلَى جميع الأحوال إلا في حال الجاع وقضاء الحاجة. وأوحى الله عز وجل إلى موسى صلى الله عليه وسلم أن اذكر ني على جميع أحوالك، والله تعالى لا يُضِيع أجر ذكر اللسنان المجرّد، بل يثيب الذاكر وإن كان قلبه غافلاً، ولكن ثواب دون ثواب.

قال القشيرى: وسمعت الأستاذ أبا على يقول فى قول النبى صلى الله عليه وسلم فى مبايعته فرساً من أعرابي وأنه استقاله (١) فأقاله ، فقال له الأعرابي: عَمْرَكَ الله فى مبايعته فرساً من أعرابي على الله عليه وسلم: « امْرُوْ من قُرَيْش» فقال له بعض فن أَنْتَ ؟ فقال له النبى صلى الله عليه وسلم: « امْرُوْ من قُرَيْش» فقال له بعض

⁽١) استقاله البيع : طلب إليه أن يقيله ، أي يفسخ البيع .

الماضرين: كفاك جفاء أن لا تعرف نبيّك. قال أبو على: فإنما قال امرو من نفريش غيرة ، وإلا كانواجبًا عليه التعر في إلى كل أحد أنه من هو ، ثم إن الله خرى على لسان ذلك الصحابي التعريف للأعرابي ، فيقال: من العجب أن يقال: إن النبي صلى الله عليه وسلم غار أن يَذ كر أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم للأعرابي الذي لا يعرفه ، وهو كان دائمًا يذكر ذلك لأعدابه من الكفار سرّا وجهراً ليلاونهاراً ولا يغار من ذلك ، فكيف يُظَن به أنه غار أن يَعرف فذلك المسكين أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ هذا من خيالات القوم و ترهما من الله عليه والم الله عليه والم الله عليه أنه خلك الوقت معرفته له لحكمة لطيفة فهمها الصحابي فصر من على الله عليه وسلم أن يعرف من نفسه أنه أهل للأعرابي ، وهي أن هذا الأعرابي كان جافياً جِلفاً (٢) فأحب النبي صلى الله عليه وسلم أن يعرف من نفسه أنه أهل للأعرابي ، فكأنه يقول بلسان الحال: كفاك جفاء أن تجهلني فتسالني من أنا ، فلما له المسحابي ذلك بلطف إدراكه ودِقة فهمه فباداً ه به وقال: كفاك جفاء أن المحدوقة به وقال : كفاك جفاء أن تجهلني فتسالني من أنا ، فلما فهم الصحابي ذلك بلطف إدراكه ودِقة فهمه فباداً ه به وقال : كفاك جفاء أن المحدوقة فهم الصحابي ذلك بلطف إدراكه ودِقة فهمه فباداً ه به وقال : كفاك جفاء أن المنه في نبيك .

ثم ذكر القُشَيرى كلامَ الشبلي أنه قال: غَيْرة الإلهية عَلى الأنفاس أن تضيع فيا سوى الله ، وهذا كلام حسن .

قال القُشيرى: والواجب أن يقال: الغَيْرةُ غَيْرتان: غَيْرَة الحقّ على العبد، وهو أن لا يَجعَل العبد للحقّ ، وهو أن لا يجعل شيئًا من أحواله وأنفاسه نغير الحقّ سبحانه ، فلا يقال: أنا أغار عَلَى الله ولكن يقال: أنا أغارتله، قال: فإذًا الغَيْرة على الله جهل، وربما تؤدى إلى ترك الدين.

والغَيرة لله توجب تعظيمَ حقوقه وتصفيةَ الأعال له ، فن ســنَّة الحقَّ مع

⁽١) جمع ترهة : الباطل.

⁽٧) الجلف: الرجل الجاني .

أوليائه أنهم إذا ساكنوا غيراً أو لاحظوا شيئاً أو صالحوا بقاوبهم شيئاً يشوش عليهم ذلك ، فيغار على قلوبهم بأن يعيدها خالصة لنفسه فارغة ، كآدم عليه السلام لما وطن نفسه على الخلود في الجنة أخرجه من الجنة ، وإبراهيم الخليل عليه السلام لما أنجبه إسماعيل أمره بذبحه حتى أخرجه من قابه ، فلما أسلما و تله للجبين وصفى سرَّه منه أمره بالفيداء عنه . وقال بعضهم : احذروه فإنه غيور لا يحب أن يرى في قلب عبده سواه . وقيل : الحق تعالى غيور ومن غيرته أنه لم يجعل إليه طريقاً سؤاه .

وقال السَّرِيُّ لرجل عارفٍ: بِي عَلَّةٌ باطنة ُ فِمَا دُواؤُها ؟ قال : ياسَرِيُّ اللهُ غيورٌ لا يراك تساكن غيره فتسقط من عينه. فهذه غَيْرة صحيحة .

فصل

وهاهنا أقسام أخَرُ من الغيرة مذمومة منها: غَسيرة يحمل عليها سود الظن فيؤ ذى بها الححب محبوبه ويُغرى عليه قلبه بالغضب ، وهذه الغيرة يكرهها الله إذا كانت في غير ريبة ، ومنهاغيرة تحمله على عقوية المحبوب بأكثر مما يستحقه كما ذكر عن جماعة أنهم قتسلوا محبوبهم ، وكان ديك الجن الشاعر له غلام وجارية في غاية الجمال وكان يهواهما جميماً ، فدخل المنزل يوماً فوجد الجارية معانقة للغلام تقبّله فشد عليهما فقتلهما ، ثم جلس عند رأس الجارية فبكاها طويلا ثم قال :

یاطلعة طلع الحسام (۱) علیها وجنی لها ثمر الردی بیدسها روّیت من دمها الثری و اَطالما روّی الهوی شفتی من شفتها

^() الحام : قضاء الموت وقدره .

فَوَحَقٌّ نَعْلَمُهَا فِمَا وَطَيءَ الثرى شَيْهِ أُعزُّ عَلَى مِن نعلمها ما كان قَتْلِيها لأني لمأكن أبكي إذا سقط النبار عليها

وأجلت سييني فى تجسال خِناقها

ثم جلس عند رأس الغلام فبكي وأنشأ يقول:

أو أُبْتَلَى بعــــد الوفاء بهجره بمودَّتي وجنيتُه من خِـدُره عهدى به مَنْيَتًا كأحسن نائم والدَّمعُ ينحر مُقلتى فى نحره لو كان يدرى المّيتُ ماذا بعده بالحيّ منه بكي له في قبره غُمُص (٢) تكاد تفيض منهانفسه ويكاد يخرج قلبه من صدره

أشفقتُ أن يَرَ دَ الزمانُ بغــدره قر أنا استخرجته من دَجْنه (١)

فصل

وقد يغار المحبُّ عَلَى محبوبه من نفسه ، وهذا من أعجب الغيرة وله أسباب: منها: خشيةُ أن يكون مقتاحًا لغيره كما ذُكر أن الحسن بن هابيء وعلى بن عبدالله الجعفري اجتمعا فتناشدا فأنشد الحسن (٣):

ولما بدا لى أنها لا تُوَدُّني وأن هواها ليس عنِّي بمنجلي

⁽١) الدجنة والدجنة : الغيم المطبق والظلمة .

⁽٢) جمع غصة : وهي الشجا والهم والحزن وما غص به الإنسان مر. طعام أو غيظ.

⁽٣) هو أبو نواس، وفي كتاب الأغاني للاصهاني أنهذين البيتين واللذن بعدهما كلما لعلى بن عبد الله الجعفرى.

تمنیت أن تُنهلی بغیری لعَّلها تذوق حرارات الهوی فترق لی فأنشده علی:

ربما سرٌنی صدودُوك عنّی فی طِلَابِیك وامتناعك مسنّی حَذَراً از أَ كُون مِفتاحَ غیری فإذا ما خلوت كنت التنی

وكان بعضهم يمتنع من وصف محبوبه وذكر محاسنه خشية تعريضه لحب غيره له كما قال على بن عيسى الرافقي :

ولست بواصف أبداً خليك أعرض لأهمواء الرجال وما بالى أشوت قلب غميرى ودوث وصاله ستر للحجال وكثير من الجهال وَصَف امرأته ومحاسنها لغيره، فكان ذلك سبب فراقها له واتصالها به .

فصل

ومنها: أن يحمله فرطُ الْمَيرة عَلَى أن ينزل نفسة منزلة الأجنبى فيغار عَلَى الحبوب من نفسه ، ولا يُنكَر هذا فإن فى المحبة عجائب ، وقد قال أبو تمام الطائبي(١) .

بنفسی من أغار علیه منی وأحسد أَهَله نظری إلیه و ولو أنی قدرتُ طَمَست عنه عیون الناس من حذری علیه حبیب مثن فی جسمی همقواه وأمسك مهجتی رهنساً لدیه فرُوحی عنده والجسم خال بلا رُوح وقلبی فی یدیه

⁽١) هذه الابيات ليست في ديوان أبي تمام المطبوع .

وقال آخر:

يا من إذا ذُكر اسمهُ في مجلس إنى كن نظرى أُغار وإنني نفسى فداۋ ك ولورأيت تلددى (١)

وقال على بن نصر:

أَفَاتِكُ أَنتِ فَاتَّكُمُّ بِقِلْمِي وحسنُ الوجه يَفْتُكِ بالقلوب أُصونكِ عن جميع الناس يامن وعن نفسي أصونك ليت نفسي

لذ الحديث به وطاب المجلس بك عن سواى من الأنام لأنفَس خَضِلَ المدامع مطرقاً أتنفّس لعلمتَ أنى في هواك مُعذَّبُ ومن الحياة ورَوْحها مستَيْئِس

ُبلیت بها فأضحت من نصیبی تقيك من الحوادث والخطوب وما حقُّ الحسان على الآ صيانتهن من دَنَس (٢) الذنوب

فصال

ومنها : شدَّةُ الموافقة للحبيب ، والحبيبُ يكره أن ينسب محبته إليه وأن يذكر ذلك ، فهو لموافقته لمحبوبه يغار عليه من نفسه كما يَسُرُّه هِرُ مُحْبُوبِهُ إذا علم أن فيه مرادَه ، قال الشاعر :

مُررتُ بهجرك لما علم تأن لقلبك فيسمسرورا . ولولًا سرورُك ما سَرّني ولا كنتُ يوماً عليه صبورا

فصل

ومِلاك الغَيرة وأعلاها ثلاثة أنواع: غيرةُ العبد لربه أن تُذْتَهِكَ عارِمُهُ وتُضَيُّعَ حدودُه . وغَيرتُهُ عَلَى قلبه أن يسكن إلى غيره وأن يأنَس بسواه ،

⁽ ١) التلدد : التحير والتردد .

⁽٢) الدنس: القبح والوسخ وفعل ما يشين .

وغيرتُهُ عَلَى حُر ْمَتِهِ أَن يَتَطَاَّعَ إليها غيرُهُ . فالغيرةُ التي يجبها الله ورسوله دارت عَلَى هذه الأنواع الثلاثة ، وما عداها فإما من خدّعالشيطان ، و إما بلوى مرـــــ الله كغيرة المرأة على زوجها أن يتزوَّج عليها. فإن قيل: فمِن أَيِّ الأنواع تَعُدُّون أ بي طالب رضي الله عنه لما عزم عَلَى نـكاح ابنة أبي جهل ، وغيرةً رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ؟ قيل : من الغَيرة التي يحبُّها الله ورسوله ، وقد أشار إليما النبي صلى الله عليه وسلم بأنها بضعة (١) منه وأنه يؤذيه ما آذاها ، ويُريبه مَاأُرابِهِا(٢٠) ، ولم يَكُن يَحْشُنُ ذلك الاجتماع البَّتَّةَ ، فإن بنتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يَحْسُن أن تجتمع مع بنت عدوّه عند رجل ٍ ، فإن هذا في غاية المنافرة مع أن ذكر النبي صلى الله عليه وسلم صِيمْرَ ، الذي حدَّثه فصدَّقه ووعدَه فوفى له دليل على أن عليًّا رضى الله عنه كان مشروطاً عليه في العَقد إما لفظاً وإما عُرْ فَأَ وحالاً أن لا يُريب فاطمة ولا يُؤذيها بل يمسكما بالمعروف، وليس من المحروف أَن يَضُمُّ إليها بنت عدوَّ الله ورسوله ويغيظَها بها ، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسَلَم : ' ﴿ إِلاَّ أَنْ يُرِيدَ ابْنَ أَبِي طَالَبِ أَنْ يُطَلِّقُ َ ابْنُغَى وَ يَتَزَوَّجَ ابْنَةَ أبي جَهْلِ »(٣) والشّرط المُر في الحالي كالشرط اللفظي عند كثيرٍ من الفقهاء كفقهاء المدينة وأحمد بن حنبل وأصحابه رحمهم الله تعالى ، على أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف عليها الفتنة في دينها باجتماعها وبنت عدوّ الله عنده ، فلم تكن غَيرتُه صلى الله عليه وسلم لمجردكر اهيّة الطبع للمشاركة ، بل الحاملُ عليها حُرْمَةُ الدين . وقد أشار إلى هذا بقوله : « إِنِّي أَخَافُ أَنْ تُفْتَنَ فِي دِينَمِ] » (*) وَالله أعلم بالصواب.

⁽١) البضعة منه : جزء منه والبضعة : الفطعة من اللحم .

⁽٢) أرابها: أغاظها وأقلقها .

⁽٣) روى هذه القصة البخارى ومسلم والترمذى وغيرهم . (٤) تىكملة الحديث السابق فى بعض الروايات .

البالالالثالث العيرون

فى عفاف الحبين مع أعبابهم

قال الله تعالى : (قَدْ أَ فَلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ . ٱلَّذِينَ مُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ، وَٱلَّذِينَ مُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ، وَٱلَّذِينَ مُمْ لِلزَّ كَاةِ فَاعِلُونَ . وَٱلَّذِينَ مُمْ لِلزَّ كَاهُمُ فَا عَلَيْهُمْ فَا اللهُمْ فَا اللهُ عَلَيْهُمْ فَا أَوْلَاكَ مُمْ ٱلْمُلَكَثُ أَوْ يَا مُهُمْ أَلْمَادُونَ) (١) ولما أَنز لت هذه مَلُومِينَ . فَمَن ٱبْتَعَلَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ مُمْ ٱلْمَادُونَ) (١) ولما أَنز لت هذه الآيات عَلَى الله عليه عليه وسلم قال : « قَدْ أَنز لَتْ عَلَى عَشْرُ آيَاتٍ مَن أَقَامَهُنْ دَخَلَ الْجَنّة » (٢) . ثم قرأ هذه الآيات .

وقال الله تعالى: (إِنَّ ٱلْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا). إلى قوله: (وَٱلَّذِينَ هُمْ لِغَرُ وَجِهِمْ تَحافِظُونَ. إِلاّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَامَلَكَتْ أَيْمَ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ . فَمَنِ ٱبْتَغَلَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ) (٣) وقال تعالى: (قُلُ مَلُومِينَ . فَمَنِ ٱبْتَغَلَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ) (٣) وقال تعالى: (قُلُ لِلْنُو مِنِينَ يَغُضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوافَرُ وَجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى كَمُمْ إِنّ ٱللهَ خَبِيرَ مِمَا يَصْنَعُونَ . وقُلُ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظُنَ خَبِيرَ مِمَا يَصْنَعُونَ أَنْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظُنَ خَبِيرَ مَا يَصْنَعُونَ أَلْكُ اللهَ وقال تعالى: (وَلْيَسْتَعْفَفِ ٱلّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَامًا حَتَّى

⁽١) أوائل سورة المؤمنين .

⁽۲) رواه الترمدي كما جاء في تفسير الخازن . وقال الخفاجي في حاشيته على البيضاوي : الحديث وارد في السنن لكنهم اختلفوا في صحته وضعفه .

⁽٣) الآيات ١٩ و ٢٩ و٣٠ و٣١. سورة المعارج.

⁽ ٤) الآيتان ٣٠ و٣١. سورة النور .

يَغْنِيهُمْ ٱللهُ مِنْ فَضَالِهِ)(١) وقال تعالى : ﴿ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَٱللَّهُ سَمِيع عَلِيمٌ)(٢) وقال تعالى : (وَمَرَ ْيَمَ ٱبْنَتَ عِثْرَانَ ٱلَّتِي أَحْصَنَتْ فَرَ ْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِناً)(٣) فإن قيـل فقد قال الله تعـالى: ﴿ وَأَنْكَرِحُوا الْأَيَاكَى مِنْكُمْ وَٱلصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُو الْفَرَاء يُغْنِهُمُ ٱللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ)(١) وقال في الآية الأخرى: ﴿ وَلْيَسْتَغْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِنْ فَضَـلِهِ) فأمرهم بالاستعفاف إلى وقت الغنى ، وأمر بتزويج أولئك مع الفقر، وأخبر أنه تعالى يغنيهم، فما محمل كلٌّ من الآيتين؟فالجواب أن قُولَه : (وَ لَيْسَتَمْفُونِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُ وَنَ نِكَامًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ ٱللهُ مِنْ فَضَالِهِ) ف حقّ الأحرار ، أمره الله تعالى أن يستعفُّوا حتى يغنيهم الله من فضله ، فإنهم إن تَزَوَّجوا مع الفقر التزموا حقوقاً لم يقدروا عليها وليس لهم من يقوم بها عنهم، وأما قوله: (وَأَنْكِوْمُوا الْأَيَالَمِي مِنْكُمْ وَٱلصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ) فإنه سَبَحَانَه أمرهم فيها أَنْ يَنَـكَحُوا الأيامي وهنَّ النساء اللواتي لا أزواج لهُنَّ، هـذا هو للشهورُ من لفظ الأيّم عنــد الإطلاق وإن استُعْمَلِ في حق الرجل بالتقييد ، كما أن المَرْب عند الإطلاق للرجل وإن استُعيل في حق المرأة . ثم أمرهم سبحانه أن يزوّجوا عبيدَ هم وإماءِهم إذا صَلَحوا للنسْكاح، فالآية الأولى في حَكُم تَزُوجِهِم لأنفسهِم ، والثانية في حَكُم تَزُويجِهِم لغيرهم . وقوله في هذا القسم : (إنْ يَكُونُوا فَقُرَاءً) يَعُمُّ الأنواع الثلاثة التي ذُكرت فيه ، فإن الأيّم تستغنى بنفقة زوجها وكذلك الأمَـة ، وأما العبد فإنه لما كان لامال له وكان ماله لسيده

⁽ او۲) الآيتان ٣٣ و.٦ . سورة النور .

⁽٣) آخر سورة التحريم.

^(؛) الآية ٢٢ . سورة النور .

فهو فقير مادام رقيقاً فلا يمكن أن أيجعل لنكاحه غاية وهي غناه ما دام عبداً ، بل غناه إنما يكون إذا عَتَق واستغنى بهذا العِتْق ، والحاجة تدعوه إلى النكاح في الرِّف ، فأمر سبحانه بإنكاحه وأخبر أنه يغنيه من فضله ، إما بكسبه وإما بإنفاق سيده عليه وعلى امرأته ، فلم يمكن أن ينتظر بنكاحه الغنى الذى ينتظر بنكاح الحر والله أعلم .

وفى المسند وغيره مر ْ فُوعاً : ثَلَاثَةَ ۚ حَقَ ۗ عَلَى اللهِ عَوْ نُهُمُ : الْمُتَزَوَّجُ يُرِيدُ الْقَالَ َ اللهِ عَوْ نُهُمُ : الْمُتَزَوِّجُ يُرِيدُ الْقَالَ َ . الْعَفَافَ ، وَالْمُكَاتَبُ يُرِيدُ الآدَاء ، وذكر الثالث (١) .

فصل

وقد ذكر الله سبحانه و تعالى عن يوسف الصّد يق صلى الله عليه وسلم من العفاف أعظم ما يكون ، فإن الدّاعى الذى اجتمع فى حقه لم يجتمع فى حق غيره فإنه صلى الله عليه وسلم كان شابًا والشباب مركب الشهوة ، وكان عَز باً ليس عنده ما يعوضه ، وكان غريباً عن أهله ووطنه والمقيم بين أهله وأصحابه يستحي منهم أن يعلم وا به فيسقط من عيونهم ، فإذا تغرّب زال هذا المانع ، وكان فى صورة المملوك والعبد لا يأنف مما يأنف منه الحرّ ، وكانت المرأة ذات تمنّصب وجال والدّاعى مع ذلك أقوى مِن داعى من ليس كذلك ، وكانت هى المطالبة فيزول بذلك كُلفة تعرّض الرجل وطلبه وخوفه من عدم الإجابة ، وزادت مع الطلب ارغبة التامّة والمراودة التي يزول بعها ظن الامتحان والاختبار لتعلم عفافه من غوره ، وكانت فى محل سلطانها وبيتها بحيث تعرف وقت الإمكان

⁽١) هو المجاهد فى سبيل الله . والمكاتب : العبد الذى كاتبه سيده على نفسه بثمنه فإذا سعى وأداه عتن .

ومكانه الذى لا تناله العيون ، وزادت مع ذلك تغليق الأبواب لتأمن هجوم الداخل على بنتة ، وأتته بالرغبة والرهبة، ومع هذا كلّه فعف للهولم يُطعنها ، وقد م حق الله وحق سيدها على ذلك كلة ، وهذا أمر لوابته لي به سواه لم يُعلم كيف كانت تكون حاله ، فإن قيل : فقد هم بها ، قيل عنه جوابان ، أحدها : أنه لم يَهم بها بل لولا أن رأى برهان ربه لهم ، هذا قول بعضهم فى تقدير الآية . والثانى : وهو الصواب أن هم كان هم خطرات فتركه لله فأثابه الله عليه وهم كان هم أصرار بذلت معها جُهدها فلم تصل إليه فلم يستو الهمان .

قال الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنمه: الهم همان: هم خطرات وهم المصرار، فهم الخطرات لا يؤاخذ به، وهم الإصرار يؤاخذ به فإن قيل الحرار، فهم الخطرات لا يؤاخذ به، وهم الإصرار يؤاخذبه فإن قيل الله جماعة فكيف قال وقت ظهور براءته: (وَمَا أَبَرِ مِن هُ نَهُ مِي) قيل: هذا قد قاله جماعة من المفسرين وخالفهم في ذلك آخرون أجل منهم وقالوا: إن هذا من قول امرأة العزيز لا من قول يوسف عليه السلام، والصواب معهم لوجوه ، أحدها: أنه متصل بكلام المرأة وهو قولها: (آلآن حَصْحَصَ آخُقُ أَنَا رَاوَدُ تُهُ عَن أَنْهُ مِن وَلَّ اللهُ يَعْلَمُ أَنِّ لَمُ أَخُنُهُ بِالْفَيْبِ وَأَنَّ ٱللهَ لَا مَهْدِي كَنْدَ الْخَائِينِينَ . وَمَا أُبَرِ مِن عَلْمَ أَنِّ لَمْ أَخُنُهُ بِالْفَيْبِ وَأَنَّ ٱللهَ لا مَنْ وَلَهُ فإنه يمتاج لله يُحدى كَيْدَ الْخَائِينِينَ . وَمَا أُبَرِ مِن اللهُ طوجه ، والقول في مثل هذا لا محذ ف للله يوقع في الله إلى إضمار قول لا دليل عليه في اللهظ بوجه ، والقول في مثل هذا لا محذ ف للله يوقع في الله المن غايته أن محتمل الأمرين ، فالمكلام الأول أولى به قطماً .

⁽١) الآيات ٥١ و٥٢ و٥٣ . سورة يوسف . وحصمص الحق : وضح وتبين بعد خفائه .

ر ٢) اللبس: الشبهة تمخنى معها حقيقة الأمر. ولبس الشيء: خلطه وعماه وعماه ولبس عليه الأمر جعله مشكلا ومدعاة إلى الشك والحبيرة.

الثانى : أن يوسف عليه السلام لم يكن حاضراً وقت مقالتها هذه ، بل كان في السحن لما تكلمت بقولها: (الآنَ حَصْحَصَ الَّذِيُّ)، والسياق صريح في ذلك فإنه لما أرسل الملك إليه يدعوه قال الرسول: (ٱرْجِـعْ إلى رَبِّكَ فاسْأَلْهُ مَا بَالُ النَّسْوَةِ الْلاَّتِي قَطَّمْنَ أَيْدِيَهُنَّ)(١) فأرسل إليهنَّ الملك وأحضرهن وسألهنَّ وفيهنَّ امرأته، فشهدنَ ببراءته ونزاهته فيغيبته، ولم يُمكِّرُمُنَّ إلاَّ قولُ الحِقِّ فقال النسوة : (حَاشَ لِلَّهِ مَاعَلِمْنَا عَلَيْهِ مِينٍ ۚ سُوءٍ (٢)) وقالت امرَ أَهُ العزيز: (أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ كَفْسِهِ وَإِنَّهُ كَمِنَ الصَّادِقِينَ (٢)) فإن قيل: لكن قوله: (ذلك َ إِيُّهُمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِأَلْدَيْبِ وَأَنَّ الله لاَ يَمْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ (٣) الأحسنُ أن يكون من كلام يوسف عليه السلام ، أي إنما كان تأخيري عن الحضور مع رسوله ليعلم الملك أنى لم أخنه في امرأته في حال غيبته وأن الله لايهدى كيد الخائنين ، ثم إنه صلى الله عليه وسلم قال : ﴿ وَمَا أَبَرِّ مِهُ نَفْسِي إِنَّ النَّنْسَ لأمَّارَةٌ بِالدُّوء إلا من رحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٍ (1) وهذا من تمام ممرفته صلى الله عليه وسلم بربه ونفسه، فإنه لما أظهر براءتَه ونز اهته بمما تُقذف مه أخبر عن حال نفسه وأنه لا يزكّيها ولا يبرئها ، فإنها أمارة بالسوء لكن رحمة ربه وفضله هو الذي عصمه ، فردُّ الأمن إلى الله بعد أن أظهر برءته ، قيل : هذا و إن كان قد قاله طائفة فالصواب أنه من تمام كلامها ، فإن الضائر كلمها في نسق واحد يَدُلُّ عليه وهو قول النسوة : (مَاعَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوء) وقول امرأة العزيز: (أَنَا رَاؤَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَ إِنَّهُ آمِنَ الصَّادِ قِينَ) فهذه خمسة ضمائر بين بارزٍ ومستتر ثم اتصل بها قوله : ﴿ ذَلَكِ ٓ لِيَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أُخُنَّهُ بِالْغَيْبِ ﴾ فهذا هو

⁽ ۱ ، ۲ و ۳ و ۶) الآیات ۵۰ و ۱ ه و ۵ ه و ۳ ه . سور . پوسف .

للذكور أوّلاً بعينه فلا شيء يَفْصِل الكلام عن نظمه ويَضْمَرُ فيه قولُ لا دليل عليه ، فإن قيل فما معنى قولها : (لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنهُ بِالْغَيْبِ) قيل : هذا من تمام الاعتذار ، قرنت الاعتذار بالاعتراف فقالت : ذلك أى قولى هذا وإقرارى ببراءته ليعلم أنى لم أخنه بالكذب عليه فى غيبته وإن خنته فى وجهه فى أوَّل الأمر ، فالآن يعلم أنى لم أخنه فى غيبته ، ثم اعتذرت عن نفسها بقولها : (وما أبرِ من نفسى) ثم ذكرت السبب الذى لأجله لم تبرَّى؛ نفسها ، وهى أن النفس أمارة بالنسوء ، فتأمل ما أنجب أمر هذه المرأة ! أقرَّت بالحق واعتذرت عن نفسها ، ثم اعتذرت عن نفسها ، ثم اعتذرت عن نفسها ، ثم ذكرت السبب الحامل لها عَلى ما فعلت ، ثم ختمت ذلك بالطمع فى مغفرة الله ورحمته وأنه إن لم يرحم عبد ما فعلت ، ثم ختمت ذلك بالطمع فى مغفرة الله ورحمته وأنه إن لم يرحم عبد ما فعلت ، ثم ختمت ذلك بالطمع فى مغفرة الله ورحمته وأنه إن لم يرحم عبد ما فعلت ، ثم ختمت ذلك بالطمع فى مغفرة الله ورحمته وأنه إن لم يرحم عبد ما ولا يُسْتَبْعَدُ أَن تقول المرأة هذا وهى عَلى دين الشرك فإن القوم كانوا يُقرُون بالرَّبِّ سبحانه و تعالى وبحقه و إن أشركوا معه غسميره ، ولا تنس قول بالرَّبِّ سبحانه و تعالى وبحقه و إن أشركوا معه غسميره ، ولا تنس قول المراق في أوَّل الحال : (وَآسْتَهْفِرِى لِذُ نَبِكُ إِنَّكُ كُنْتُ مِنَ النَّفَاطِيْنَ) (١٠) .

فصل

وفى الصحيح امن حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فَ ظِلِّهِ يَوْمَ لَاظِلَّ إِلاَّ ظِلَّهُ : إمَامٌ عَادِلُ ، وَشَابُ نَشَأَ فَي عِبَادَةً اللهِ ، وَرَجُلاً فَعُلْبُهُ مُعَلِّقٌ بِالْمَسَاجِدِ ، وَرَجُلاً فِي

(۲۱ م 🗕 رومنة الحبين)

⁽١) الآية ٢٩ : سورة يوسف .

أَنْحَابًا فِي أَلَّهُ أَجْتَمَعًا عَلَى ذَلِكَ وَ تَفَرَّقَا عَلَيْهُ ، وَرَجَلُ دَعَنْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبِ وَجَمَالُ فَقَالَ : إِنِّى أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ، وَرَجُلُ تَصَدَّق بَصَدَقة مَنْصِبِ وَجَمَالُ فَقَالَ : إِنِّى أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ، وَرَجُلُ ذَكْرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شَمَالُهُ مَا تُنْفَقُ يَمِينُهُ ، وَرَجُلُ ذَكُرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ » (١) .

وفى الصحيح من حديث أبي هريرة وابن عمر رضى الله عنهم ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « بَيْنَمَا ثَلاَثَةٌ كَيْشُونَ إِذْ أَخَذَتْهُمُ السّهِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضِ: الْجُبَلِ فَا عُنْجُمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضِ: الْجُبَلِ فَا عُنْجُوا الله بَها ، فَمَالَ بَعْضُهُمْ : اللّهُمُ إِنَكَ تَعْلَمُ انظرُ وا أَعْمَالاً طَالمَة عَمْلَتُهُمُ قَا فَادْعُوا الله بَها ، فَمَالَ بَعْضُهُمْ : اللّهُمُ إِنَكَ تَعْلَمُ أَنْفُو وَصِبْبَانُ وَ كُنْتُ أَرْعُي عَلَيْمِمُ فَإِنَّهُ كَانَ لِي أَبُو ان شَيْخَان كَبَيرَانِ وَآمْرَأَةٌ وَصِبْبَانٌ وَكُنْتُ أَرْعُي عَلَيْمِمُ فَإِنَّهُ بَانَ لَكُ بَعْمُ مَا اللّهُ مَنْ فَهَمْ أَنْ اللّهُ مَنْ فَعَلَمْ مَنْ وَمِها وَأَنْ أَبْدَأُ بِالصَّبْيَةِ قَبْلَهُمُ اللّهُ بَعْمُ فَلَمْ أَزَلُ كَذَلِكَ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ فَإِنْ كُنْتُ أَعْلَمُهُمْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُمْ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللّهُ ال

⁽١) دوا، البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأحمد . كما قال السيوطي .

⁽٢) يتضاغون : يتضورون ويصيحون من الجوع .

هَذِهِ الصَّخَرَة فَفَرَجَ اللهُ لَهُمْ فُرْجَة . فقال الآخر : اللَّهُمَّ إِنَى كُنْتُ اسْتَأْجَرْتُ أَجِيراً بِفَرْقِ (١) مِن أُرُزَّ فلمَّا قضى عملَهُ قال : أَعْطِنِي حقِّ فَأَعْطَيْتُهُ فَأَبِي أَنْ يَاخُدُدَهُ فَزَرَعْتُهُ وَلَمَّا يَهُ مَقَلَ اللهُ وَرَعَاءَهَا (٢) فَجَاءِنِي بَعْدَ حِينِ يَاخُدُدَهُ فَزَرَعْتُهُ وَلَمَّ يَعْدَ حِينِ فَقَالَ : بِهَ هَذَا أَتَّقِ اللهَ وَلاَ نَظْلُمْ فِي وَأَعْطِنِي حَقِّى، فَقَلْتُ : اذْهَبْ إِلَى تلكَ البقر وَرَعَاءَهَا لاَ اللهَ وَلاَ تَهْرَأُ بِي ، فَقَلْتُ : اذْهَبْ إِلَى تلكَ البقر وَرِعَا عَها فَهُو لكَ ، فقالَ : اتَّقِ اللهَ وَلاَ تَهْرَأُ بِي ، فَقَلْتُ : لاأَسْتَهْرُ يَ بِكَ وَخِيكَ وَجِيكَ فَعَلْتُ ذَلِكَ ، فأَخَذَهَا وَذَهَبَ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ آبْتِهَاءَ وَجِيكَ فَخُذُ ذَلِكَ ، فأَخَذَهَا وَذَهَبَ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ آبْتِهَاءَ وَجِيكَ فَافَرَجَ اللهُ عَنْهُمْ وَخَرَجُوا يَمْشُونَ » (٣) فَافْرَجَ اللهُ عَنْهُمْ وَخَرَجُوا يَمْشُونَ » (٣) فَافْرَجَ عَنَا مَا تِقِي مِنَ الصَّخْرَةِ فَفَرَجَ اللهُ عَنْهُمْ وَخَرَجُوا يَمْشُونَ » (٣) فَافْرِجَ عَنَا مَا تِقِي مِنَ الصَّخْرَةِ فَفَرَجَ اللهُ عَنْهُمْ وَخَرَجُوا يَمْشُونَ » (٣) فَافْرِجَ عَنَا مَا تِقِي مِنَ الصَّخْرَةِ فَفَرَجَ اللهُ عَنْهُمْ وَخَرَجُوا يَمْشُونَ » (٣)

وقال عبيد الله بن عبدالله الرازى، عن سعد مولى طاحة ، عن ابن عمر رضى الله عن عبد الله بن عبدالله الرازى، عن سعد مولى طاحة ، عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : لقد سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً لو لم أسمعه إلا مراق أو مراتين حتى عد سبع مرات ماحد أن به ، ولكن سمعت أكثر من ذلك قال : «كان ذُو الكن على مرات ماحد أن به ولكن سمعت أكثر من فلك قال : «كان ذُو الكن فل () من منى إسر البيل لا يتورع عن ذنب عمله فأ تته أمرأة فأعناها سيين ديناراً على أن يَطَاها فادًا قعد منها مقعد الراجل من المراق أو أرعدت و بكت فقال: ما يبتكيك أكر هنك ؟ قالت : لا ولسكن هذا عمل لم أعمله قط اقال : فتفعلين هذا ولم تفعليه قط ؟ قالت : والله عكمة عكيه الخاجة فتركم المسالة على الله المقال : فتفعلين هذا ولم تفعليه قط ؟ قالت :

⁽١) الفرق: مكيال ممروف بالمدينة يسع ثلاثة آصع أو ستة عشر رطلا أو أربعة أرباع.

⁽٢) رعاء: جمع رعية وهي الـ كلا أو جمع راع.

⁽٣) رواه البخارى ومسلم .

^{(ُ} ٤) في الجامع الصحيح :الكفل وكذلك هو في تهذيب النهذيب في ترجمة سعد مولى طلحة راوى القصة عن ابن عمر رضى الله عنهما .

لاَيْعَصَى اللهَ ذُو الْسَكِفُلِ أَبداً فَمَاتَ مَنْ لَيْلَتَهِ فَأَصْبَحَ مَكْتُوباً عَلَى بَابِهِ : غَفَرَ اللهُ لذى السَّفُلُ » (١٠ . وفي مسند الإمام أحد بن حنبل رحمه الله من حديث عُقْبَةً بن عامر الله عليه وسلم : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : «عَجِبَ رَبُّكَ مِن الشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبَوْةٌ » .

وذ كر المبرِّد عن أبي كامل ، عن إسحاق بن إبراهيم ، عن رجاء بن عرو النخمى ، قال : كان بالكوفة فتى جميل الوجه شديدُ التعبّد والاجتهاد فنزل فى جوار قوم من النَّخَع ، فنظر إلى جارية منهنَّ جميلة فهويها وهام بها عقله ، ونزل بالجارية مانزل به فأرسل يخطبها من أبيها ، فأخبره أبوها أنها مسمَّاةٌ لابن عمر لها المنتد عليهما ما يقاسيانه من ألم الهوى أرسلت إليه الجارية : قد بلغنى شدة محبتك لى وقد اشتد بلائى بك ، فإن شئت زرتك ، وإن شئت سهلت الك أن تأتيني إلى منزلى ، فقال للرسول : ولا واحدة من هاتين الخليدين ، (إنَّ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ ربِّي عَذَابَ يو م عظيم) (٢) أخاف ناراً لايخبو سعيرها ، والله ما أحد أحق بهذا من أحد ، وإن العباد فيه لمشتركون ، ثم انخلف من والله ؟ الله نيا وألفت علائقها النه المحد ، وإن العباد فيه لمشتركون ، ثم انخلف من وتنعل من الله يق وهو على قبرها فرائد ويدعو لها ، فغلبته عينه ذات يوم على قبرها فرآها في منامه في أحسن فيبكى عنده ويدعو لها ، فغلبته عينه ذات يوم على قبرها فرآها في منامه في أحسن منظر فقال : كيف أنت وما لقيت بعدى ؟ قالت :

⁽١) أورده المؤلف فى الباب السابع والمشرين معزواً إلى جامع الترمذى وهو أيضاً فى المسند.

⁽٢) مسماة له وعليه : مخطوية له .

^{(ُ}٣) الآية ١٥ سورة الالعام ، الآية ١٥ سورة يولس ، الآية ١٣ سورة الزمر . (٤) جمع علاقة : وهي ماتعلق بها من مال وزوج وولد ،

نعم َ الحبية ياسُوْ لى (١) محبتكم حبُّ يقود إلى خير وإحسات فقال: على ذلك إلى مَ صرتِ ؟ فقالت:

إلى نعسيم وعيش لا زوال له في جنّة الخُلد ملك ليس بالف الى فقال له فقال الله أنساك، فقالت: ولا أناوالله أنساك، ولقد سألت مولاى ومولاك أن يجمع بيننا فأعنى على ذلك بالاجتهاد، فقال لها: متى أراك؟ فقالت: ستأتينا عن قريب فترانا، فلم يعش الفتى بعد الرؤيا إلا سبع ليال حتى مات رحمه الله تعالى.

وذكر الزُّورُ بن بكار أن عبد الرحمن بن أبي عمّار نزل مكة وكان من عبّاد أهلها فسمع القسّ من عبادته ، فر " يوماً بجارية تغنّى فوقف فسمع غناءها فرآها مولاها فأمره أن يدخل عليها فأبي ، فقال : فاقعد في مكان تسمع غناءها ولا تراها ، فنعل فأعبته ، فقال له مولاها : هل لك أن أحوط كما إليك ؟ فامتنع بعض الامتناع ثم أجابه إلى ذلك ، فنظر إليها فأعجبته فشغف بها وشغفت به ، وعلم بذلك أهل مكة ، فقالت لهذات يوم : أنا والله أحبك ، فقال : وأنا والله أحب أن أضع في على فك ، قال : وأنا والله أحب أن أضع في على فك ، قال : وأنا والله أحب فذلك ، قالت : فإنى والله أحب أن أضع في على فك ، قال : وأنا والله أحب فلك ، قال الله أسمعت الله يقول : (الأُخلِلُه يو مئذ بعضهم المعض عد والله المُتقين) (٢٠ فأنا والله أكره أن يكون صلة ما يبنى و بينك في الدنيا عداوة "في القيامة ، ثم نهض وعيناه تذر فان بالدموع من حبمًا .

وقال عبد الملك بن قُريْبِ (٣): قلت الأعرابي: حدثني عن ليلتك مع فلالة

⁽١) السؤل: ماسألته . والحاجة .

⁽٢) الآية: ٦٧ سورة الزخرف.

⁽٣) هو الأصمى.

قال: نعم خلوت بها والقمر يُرينيها فلما غاب أُرتْذيه ، قلت: فما كان بينكما ؟ قال: أقربُ ماأحل الله بما حرّم الله: الإشارة بغير ماباس ، والدُّنُوُ بغير إمساس ، والعمرى لمن كانت الأيام طالت بعدها لقسم كانت قصيرة معها وحسبُك بالحب:

ما إن دعانى الهسوى لفاحشة فلا إلى فاحش مددت يدى وقال آخر :

إلا نهـــانى الحياه والكرم ولا تمشت بى لريبـــــــ قــدم

> وَصَفُوها فَسَلَم أَزَلَ عَسَلَمِ اللَّهُ هل عليها في نفارة من جُناح حال فيها الإسلامُ دون هواه ويميل الهسدوى به ثم يخشى وقال الحسين بن مُطَهْر:

له کثیباً مُستولها مستهاما (۱)
من فتی لایزور إلا لما ما (۱)
فهو یهوی و محفوظ الإسلاما
أن یطبع الهوی فیلتی أثاما

أحبُّك باسَلْنَى على غير ريبة أحبُّك حُبُّا لا أعنف بسيده وقد مات قلبى أوّل الحب مر"ة وقال محمد بن أبى زُرعة الدمشقى

ولابأس فى حب تعنَّ سرائرُهُ عجبًّا ولكنى إذا ليم عاذرُهُ ولكنى إذا ليم عاذرُهُ ولومتُ أخمى الحبُّ قدمات آخرهُ

إن خطًّى بمن أحب كفاف (٣) كما قلت قد أنابت إلى الوص

لاصدود مُقَص ولا إنصاف ُ ــــل ثناها عما أريد العاف

⁽١) مستولماً : مضطرب العقل . ومستهاماً : هائماً .

⁽٢) لا يزور إلا لماما: في الأحايين.

⁽٣) كفاف: قليل والكفاف من الرزق ماكف عن الناس أى أغنى . وفي الحديث . اللهم اجعل رزق آل محمد كفافاً.

فَكَأَنَى بِينِ الصدود وبينِ الله وصل بمن مقامُه الأعراف^(۱) في محلّ بين الجنان وبين النا ر أرجو طَوْراً وطَوْراً أخاف

وقال عَمَان بن الضحاك الحُزَاى : خرجت أريد الحج فنزلت بالأُ بُوَاء ، فإذا امرأة تَجالسة تَكَلَى باب خَيمة ٍ فأتجبني حسنها فتمثلت بقول نُصَيْب :

بزينبَ أَلْهِم (٢) قبل أن يرحل الرَّكُبُ وقل إن تَمَليُّنا فِي مَلْكِ القلبُ

فقالت: ياهذا أتمر ف قائل هذا الشعر ؟ قات: نعم نُصَيْب ، قالت: فتعر ف زينبه ؟ قلت: لا ، قالت: فأنا زينبه ، قلت: حياك الله ، قالت: أما إن اليوم موعد من عند أمير المؤمنين ، خرج إليه عام أوَّل فوعد ني هذا اليوم ، لعلك لا تبرح حتى تراه ، قال: فبينا أنا كذلك إذا أنا براكب ، قالت: ترى ذلك الراكب ؟ إني لأحسبه إياه ، قال: فأقبل فإذا هو نُصَيْب ، فنزل قريباً من الخيمة ثم أقبل فسلم حتى جلس قريباً منها يسائلها وتسائله أن ينشدها ما أحدث فأنشدها ، فقلت في نفسى : محبان طال التنائي بينهما لابد أن يمكون لأحدها إلى صاحبه حاجة ، فقمت إلى بعيرى لأشد عليه ، فقال : ققلت في نفسك معبان فلست حتى نهض معى فنسايرنا ثم التفت إلى فقال : أقلت في نفسك معبان التقيا بعد طول التنائي فلا بد أن يكون لأحدها إلى صاحبه حاجة ؟ قلت : فلست حتى نهض معى فنسايرنا ثم التفت إلى فقال : أقلت في نفسك معبان نعم قد كان ذلك ، قال : ورب هذه البنية ما جلست منها مجلساً هو أقرب من هذا .

وقال تحر بن شبّة : حدّ ثمنا أبو غسّان قال : سمعت بعض المدنيين يقول : كان الرجل يحب الفتاة فيطوف بدارها حولاً يفرح أن يرى من يراها ، فإن

⁽١) الأعراف: قيل هو سور بين الجنة والنار .

⁽٢) ألم : إنول. والإلمام النزول.

ظَفَرِ منها بمجلسِ تشاكيا وتناشدا الأشعار . واليوم يشير إليها وتشير إليه فتيعِدُها وتَعِدُه فإذا التقيأ لم يَشْكُ حبًّا ولم ينشــد شعراً ، وقام إليها كأنه قد أشهد على نكاحها أبا هريرة رضي الله عنسه . وقال محمد بن سيرين : كانوا يعشقون في غير ريبةٍ ، وكان الرجل يأتى إلى القوم فيتحدَّث عندهم لا يستنكر له ذلك . وقال هشام بن حسّان : لـكن اليوم لا يَرْضَوْنَ إلاَّ بالمواقعة . وقيل لأعرابي : ما تَعَدُّون العشق فيكم؟ قال: القُبلة والضمَّة والغمزة ،وإذا نـكح الحبُّ فسد . وقال المبرِّد: كان العتبيِّ بحبِّ جاريةٌ تستَّى مَلك، فكتب إلها:

يامَلَكُ قد صرت إلى خُطَّة وضيتُ منها فيك بالضَّيم (١) ووجدي الدهر بكم غُلْمَةٌ فالموتُ من نفسي عَلَى سَوْم (٢)

ما اشتمات عيني على رَقدة مد غبت عن عَيني إلى اليوم فبت مفتوق تجارى البكا معطّل العدين عن النسوم يلومني النياس على حبِّكم والنياس أولى فيرك باللوم

قال: فكتبت إليه:

إن تكن النُّهُ أَنَّهُ هاجت بكم فعالج النُّهُ لَمَّ بالصوم ليس بكَ الحبُّ ولكنماً تدور من هذا عَلَى كُوْم

يقال : كام الفحل يكوم كو ما إذا نزا على الحجّرة (٣) وأرادت هذه المعشوقة قولَ النبي صلى الله عليه وسلم : « يَامَعَشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَرْ وَجْ فَإِنَّهُ أُغَضُّ لِلْبَصْرِ وَأَحْصَنُ الْفَرْجِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بالصَّوْمِ

^{. (}١) الضيم : الظلم .

⁽٢) على سوم: أي يطلبها ويحوم حولها .

⁽٣) هي الانثي من الحيل، وأكثر اللغويين يقولون بغيرهاء.

قَانِهُ لَهُ وَجَالِا »(١).

وقال أبو الحسن المدائني : هَوِيَ يَعضُ السلمين جارية بَكَة فأرادها فامتنعت عليه ، فقال على لسان عطاء بن أنى رَباح :

سألت الفتى (٢) المكتى هل فى تعانق وقبلة مُشتاق الفسور وبناحُ .

. فقال معاذ الله أن يذهب التتى تلاصُقُ أَكباد بهن جواحُ فقال معاذ اللهم تعم ، فزارته فقالت : آلله سألت عطاء عن ذلك فقال لك هذا ؟ فقال : اللهم تعم ، فزارته وجعلت تقول : إيّاك أن تتعدّى ما أفتاك به عطاء .

وقال الزُّ بير بن بكّار عن عبد الملك بن عبد العزيز الماجِشُون قال: أنشدت محمد بن المُنكَدِر قولَ وَضَّاح الْيَهَن :

فَمَا نُوَّالَتَ حَتَى تَضَرَّعَتَ حَوْلِهَا وَأَقَرَأَتُهَا مَارِخُصِ اللهُ فَى اللَّمَمِ (٣) فَضَحَكَ مُمَد وقال: إن كان وضَّاحٌ لَمُنْتِيًا فِى نفسه ·

وقال الأصمعيّ: قيل لأعرابيّ: ماكنت صانعاً لو ظفرت بمن تهوى ؟ قال: كنت أمتّع عينى من وجهها ، وقلبى من حديثها ، وأستر منها مالا يحبه الله ، ولا يرضى كشفة إلا عند حِله ، قيل: فإن خِفْت أن لا تجتمعا بعد ذلك ؟ قال: أكِلُ قلبى إلى حَبّما ، ولا أصير بقبيح ذلك الفعل إلى نقض عهدها . قال: وقيل لآخر وقد زُوِّجت عشيقتُه من ابن عمّها وأهلُها على إهدائها إليه : أيسرُك أن تظفر بها الليلة ؟ قال: نعم والذي أمتعنى بها وأشقانى بطلبها ، قيل : فما كنت صانعاً ؟ قال: كنت أطيع الحبّ في لثمها ، وأعصى الشيطان في إنمها ، ولا أفسد

أ (١) رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

⁽٢) البيتان تقدما في صفحة ١١٣ و ١٢٤ باختلاف في اللفظ .

⁽٣) اللمم : الصغير من الذنوب نحو القبلة والنظرة وما أشبهها .

عشق عشر سنين بما يبقى عارُه ، و تُنشَر بالقبيح أخبارُه ، فى ساعة تَنفَدُ لذَّ تُها ، وتبق تَبعَتُها إلى إذاً للئم ، لم يَغذُ نن أصل حريم .

وقال عباس الدُّوري : كان بعضُ أصحابنا يقولُ : كانسفيان النوريُّ كثيراً

ما يتمثَّل بهذين البيتين:

تَفْنَى اللَّذَاذَةُ بَمَن نال صَفُوتَهَا مِن الحَرامِ وَيَبِنِي الوِزْرُ والعَارُ تبلّق عواقبُ سوء في مَفَّبَتِهِا (١) لاخيرَ في لذَّةٍ من بعدها النارُ

تبقى عواقب سوء فى مغبتها " ` وقال الحسين بن مُطَيْر : ونفسَك أكرم عن أموركثيرة

ونفسَكُ أَكْرِم عن أمور كثيرة فا لك نفس بعدها تستعيرُها ولا تقرّبِ الدُّعْي الحرامُ فإنما حلاوتُه تفي ويبقى مريرُها

وقال الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه: الفُتُوَّة تركُ ماتهوى لما تخشى وقال الخرائطى: حدَّثنا إبراهيم بن الجُنيد، حدَّثنا عبد الله بن أبى بكر المقدِّمى، حدَّثنا جعفر بن سليان الضَّبَعى قال: سمعت مالك بن دينار يقول: يينا أنا أطوف إذ أنا مجارية متعبدة متعلقة بأستار الكعبة وهى تقول: يارب كم من شهوة ذهبت لذَّتها، وبقيت تَبِعتها، أيارب أما لك أدب إلاَّ النار؟ فما زال مقامها حتى طلع الفجر، فلما رأيت ذلك وضعت يدى على رأسى خارجاً أقول: شكلت مالكاً أمَّة، جُورَيرِيَةُ منذ الليلة قد بطّلته من .

وطائفة بالبيت والليلُ مظلمُ تقول ومنها دمعُها يتجَمُّرُ^(۱) أياربُ كمن شهوة قدرُز ثِنْتُهَا ولذّة عيشٍ حبلُها متصربًّمُ (١)

⁽١) المغبة : عاقبة الشيء .

^{(ُ} ٧ ُ) بطلته: عطلته. وأبطل: فسد وذهب ضياعاً وخسراً. وأبطل: جاء بالباطل. وتبطل: تعطل. وفي الاساس: البطال المتعطل (وشر الفتيان المتبطل المتعطل)

⁽٣) يتسجم: يسيل .

⁽٤) تصرم: تقطع وتقضى .

أما كان يكفى للعباد عقوبة ولا أدّباً إلاَّ الجحيم المضرّمُ فا زال ذاك القول منها تضرُّعاً إلى أن بدا فجرُ الصباح المقدَّمُ فشبَّكتُ منِّى الكفّ أَهْتُف خارجاً

على الرأس أبدى بعض ما كنت أكبيم وقلت لنفسى إذ تطاول مابها وأعيا عليها ورْدُها للتغنَّمُ ألا ثكاةك اليوم أمنَّك مالكا جُوكِرِيةٌ أَلَمَاكُ منها التكلَّم فا زات بَطَّالاً بها طول ليلة تنال بها حظًا جسياً وتَغَنَّمُ

وقال تَخْرَمَةُ بن عَمَان : نُبِّئَت أن فَتَى من الْعَبَّاد هَوِى َ جاريةً من أهل البصرة فبعث إليها يخطبها فامتنعت وقالت : إن أردت غير ذلك فعلت ، فأرسل إليها : سبحان الله ! أدعوك إلى مالا إثم فيه وتدعيني إلى مالا يَصْابح ؟ فقالت : قد أخبرتك بالذي عندي فإن شئت فتقد م ، وإن شئت فتأخّر ، فأنشأ يقول :

وأَسَأَكُما الحَلالَ وتَدَّعُ (١) قلبي إلى مالا أريد من الحرام كداعي آل فرعون إليه وهم يدعبونه نحو الأثام فظل منعًا في انْخُلُ لِبعي وظلّوا في الجحيم وفي السَّقام

فلما علمت أنه قد امتنع من الفاحشة أرسلت إليه: أنا بين يديك عَلَى الذى تحبّ، فأرسل إليها: لا حاجة لنا فيمن دءرناه إلى الطاعة ودعانا إلى المعصية، ثم أنشد:

لاخير فيمن لا يراقب ربّه عند الهوى ويخافه إيمانا حَجَبَ النَّقِي سُبُلَ الهوى فأَخوالتق بخشى إذا وافى المَعَلد هوانا

⁽١)كذا.. بحذف حرف العلة ولا مسوغ له إلا الضرورة .

وقال عبد الملك بن مروان لليسلى الأخيليّة: بالله هلكان يبنك وبين توبة مولا قطّ ؟ قالت: والذى ذهب بنفسه وهو قادر على ذهاب نفسى ماكان بينى وينه سولا قطّ ، إلا أنه قدم من سفر فصافحته فنمز يدى فظننت أنه يَخْنَع (١) لبعض الأمر فذلك معنى قولى:

وذى حاجة قلناله لا تُبح بهـــا فليس إليها ما حَيِيت سَـبيلُ لنا صاحبُ لاينبغى أن نخونة وأنت لأُخرى صاحبُ وخليلُ قالت : لا والذى ذهب بنفسه ما كلَّمنى بســـوء قط حتى فر ق يبنى وبينه الموت .

وقال ابن أحمر: بينا أنا أطوف بالبيت إذ يصُرْتُ بامرأة متبرقعة تطوف بالبيت وهي تقول:

لايقبل اللهُ من معشوقة عملاً يوماً وعاشقُها غضبانُ مهجورُ (٢) ليست بأجورة في قتمل عاشقها لكن عاشقَها في ذاك مأجورُ

فقلت لها : في هــذا الموضع ؟ فقالت : إليك عنّى لا يَعْلَقُك الحبّ ، قلت : وما الحبّ ؟ قالت : جلّ والله عن أن يخنى ، وخنى عن أن يُرْى ، فهو كالنار في أحجارها ، إن حر كته أوركى (٣) ، وإن تركته توارى ، ثم أنشدت تقول : غيــد أوانس ما همّن بريبة كيناء مكة صيده ن حرام عنيد أوانس ما همّن بريبة ويصد هن عن الخديث أوانسا (١) ويَصد هن عن الخديث أوانسا لام ويَصد هن عن الخديث أوانسا لام الم

⁽١) يختع: يدعو إلىالفجور . والخبعة : الزينة والفجور .

⁽٢) تقدم البيتان في الصفحة ٩٧٣ .

⁽٣) أورى: اشتعل.

⁽٤) تقدم البيتان في الصفحة ٣٤٣ وفيهما : . يحسبن من لين الحديث زوانياً ، والحنا : الفحش .

وقال الزُّير بن بكَّار: أخبرنى سعيد بن يحيى بن سعيد الأموى ، حدَّثنى أَبِي أَن امرأةً لقيت كُثَيِّر عزَّة فقالت: تسمع بالمُعَيدِيِّ خير من أن تراه، قال: مَه رحمك الله ! فأنا الذي أقول:

فَإِنَ أَلَتُ مَعْرُوقَ العظامَ فَإِنْنَى إِذَا مَاوِزَنَتَ القُومَ بِالقُومُ أُوزَنَ قالت: وكيف تُوزَن بالقوم وأنت لاتُعرف إلا بعسزاء ٢ قال: والله لئن قلت ذاك لقد رفع الله بها قدرى ، وزيَّن بها شعرى ، وإنها لَـكَما قلت:

وما روضة بالخرز ن طاهرة الثرى يَمُج النّدى جثجاتها وَعرارُها (٣) بأطيب من أر دان عزاة مَوْهِنا وقد أوقدت بالمَندُ لاراطب نارُها من الخفرات البيض لم تلق شقوة وبالحسب المكنون صاف بجارُها فإن برزت كانت لعينيك قُراّة وإن غِبت عنها لم يَمُمَّك عارُها

⁽١) رواه أحمد والبزار والطبراني . كما جاء في الجامع الصغير للسيوطي .

⁽٢) في مسند أحمد عن عبد الرحمن بن عوف باختلاف في اللفظ.

⁽٣) تقدمت هذه الأبيات في صفحة ٢٢٩

قالت : أرأيت حين تذكر طيبها فلو أن زِجيَّةً تخورت بالمندل الرطب لطاب ريحها ، ألا قلت كما قال امرؤ القيس ·

خليلي مُرًا بِي عَلَى أُمَّ جُندُب نقضى لباناتِ (١) الفؤاد المعذَّبِ أَلمَ تَريانِي كَلِيب عَلَى أُمَّ جُندُ ب أَلم تريانِي كليب اجتت طارقاً وجدت بها طيباً وإن لم تَطَيَّب ؟ فقال ؛ والله الحق خير ماقيل ، هو والله أنمت لصاحبته منِّي .

ودخلت عز قُ عَلى عبد الملك بن مروان وهو لا يعرفها ترفع مَظامةً لها، فلما سمع كلامها تعجّب منه ، فقال له بعض جلسائه : هـذه عز ق كُمَيِّر ، فقال لها عبد الملك إن أردت أن أردّ عليك مظلمتك فأنشد يني ماقال فيك كَمَيْر ، فاستخيت وقالت والله مأعرف كُميَّراً ولكنِّي سمعتهم يحكون عنه أنه قال في :

قضى كلُّ ذى دَينِ فوقَىٰ غريمَه وعزَّةُ بمطولُ مُعَـنَّى غريمُها نقال عبد الملك ليس عن هذا أسألك، ولـكن أنشديني من قوله:

وقد زعت أنى تغيَّرت بعدها ومن ذا الذى ياعز لا يتغيَّر تغيير جسمى والخليقة كالذى عَودت ولم يخبر بسرك مخبر قالت: ماسممن هذا ولكن سمعت الناس يحكون عنه أنه قال في : كأنى أنادى صخرة حين أعرضت من الصُّمِّ لو تمشى بها العُصم ذلّتِ صفوح (٢٠) فما تلقاك إلاَّ بخيلة فن مل منها ذلك الوصل مَلَّتِ فقضى حاجتها وردَّ مظلمتها وقال: أدخلوها على الجوارى يأخذن من أدبها ، وذكرت عنه أنه قال فها أيضاً:

⁽١) جمع لبانة: الحاجة والنهمة .

⁽٢) المرأة الصفرح: المعراضة الهاجرة.

ومانلت منها تمحرماً غير أننى أُقبِّل بساماً من الثغر أُفلجا وألثمَ فاهـــا تارةً ثم تارةً وأترك حاجاتِ النفوس تحرُّجا

وقال الزّير بن بكار، عن عباس بن سهل الساعدى قال: بينا أنا بالشام إذ لقيني رجل من أمحابي فقال هل لسكم في جيل نعوده ؟ فدخلنا عليه وهو يجود بنفسه وما يُخَيَّلُ إلى الا أن الموت يكر أه (١) ، فنظر إلى مم قال: ياابن سهل ، ما تقول في رجل لم يشرب الخرقط ، ولم يزن ، ولم يقتل نفساً ؟ يشهد أن لا إله إلا الله ؟ قات: أظنه قد نجا وأرجو له الجنة ، فَن هذا الرجل ؟ قال: أنا ، قات : والله ماأحسبك سلمت وأنت تشبّب (٢) مند عشرين سنة في بثينة ، فقال: لانالتني شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة — فإني في أول يوم من أيام الدّ نيا — إن كنت وضعت يدى عليها لريبة . فا برحنا حتى مات .

وقال عُوانة بن الحسم: كان عبد المطلب لا يسافر إلا ومعه ابنه الحارث ، وكان أكبر ولده ، وكان شبيها به جالاً وحُسْناً ، فأتى اليمن وكان يجالس عظيماً من عظائمهم فقال له : لو أمرت ابنك هذا بجالسنى وينادمنى ، ففعل ، فعشقت امرأته الحارث ، فراسلته فأبى عليها ، فأبَحَّت عليه ، فأخبر بذلك أباه ، فلما يئست منه سقته سم شهر ، فارتحل به عبد المطلب حتى إذا قدم مكة مات الحارث . وذكرها هشام بن محمد بن السائب الكلبى عن أبيه ، وذكر رثاء أبيه له بقصيدته التي فيها :

⁽١) يكرئه: يشتد عليه ويبلغ منه المشقة.

⁽٢) شبب بفلانة : تغزل بها ووصف حسنها .

والحارث القيّاض أَكرم ماجد أيامَ نازعه الهـــامُ الكاسا ولما احْتُضِرَ أنو سفيان بن الحارث هذا وهو ابن عمِّ النبي صلى اللهعليه وسلم قال لأهله: لاتبكوا على فإنى لم أتنطن(١) بخطيئة منذ اسلمت .

و نما قدم عُرْ وَةُ بن الزُّبير عَلَى الوليد بن عبدالملك خرجت برجله الآكلة (٢٠) فاجتمع رأى الأطباء على نشرها وأنه إن لم يفعل سرت إلى جسمه فهلك ، فلما عزم على ذلك قالوا له : نسقيك مُرْ قِداً؟ قال : ولم ؟ قالوا : لئلا تحسنُ بما يُصنَع ، قال : لا بل شأنكم ، فنشر وإساقه بالمنشار ، فما أزال عضواً عن عضو حتى فرغوا منها ثم حسموها (٣٠) ، فلما نظر إليها في أيديهم تناولها وقال : الحد لله ، أما والذي حملني عليك إنه ليعلم أنى مامشيت بك إلى حرام قط .

ولما حضرت عُمَر بن أبى ربيعة الوفاة بكى عليه أخوه الحارث ، فقال له عمر : ياأخى إن كانأسفك لما سمعت من قولى : قلت لها وقالت لى، فكل مملوك لى حراماً قط . فقال الحارث : الحمد لله تمالى طيبت نفسى .

وقال سفيات بن محمد دخلت يوماً عزاّة على أم ّ البنين أخت عمر بن عبد العزيز فقالت. يا عَزاّة ما قول كُثيَراً :

قَهٰى كُلُّ ذَى دَين فو فَى غريمَه وعزُّة مطولٌ معنَّى غريمُها ؟(١)

⁽١) تنطف: تلطخ.

⁽٢) الآكلة: الحسكة والجرب.

⁽٣) حسموها : كووها لكيلا يسيل الدم .

^{(ُ} ٤) تقدم يمذاالبيت في الصفحة ٥٠ ومطل فلانا بدينه : سوفه بوعد الوفاء حرة بعد الاخرى ، ومعنى : معذب حرين ، مكلف بما يشتى عليه .

ماكان هذا الدَّين ؟ فقالت : كنت وعدته بقُبْ لَةٍ فتحرَّ جب منها ، فقالت أمّ البنين : أنجزيها وعلى إثمها ، قالت : فأعتقت أمّ البنين بكلمها هذه أربعين رقبة ، وكانت إذا ذكرتها بكت وقالت : ليتني خَرست ولم أتكلم بها .

ولما احتُضر ذو الرُّمَّة قال: لقد همت بميٌّ عشرين سنة في غير ريبسةٍ ولا فساد .

وكان الحارث بن خالد بن هشام المخزومي عاشقاً لعائشة بنت طلعة وله فيها أشعار أفرد لها ابن المرزُ بان كتاباً ، فلما قُتل عنها مُصْعَبُ بن الزبير قيل للحارث: ما يمنعك الآن منها ؟ قال : والله لا يتحدّث رجالات قريش أن تشبيبي بهاكان لربية واشيء من الباطل .

وقال ابن عُكَرْثَة : دخلت على رجل من الأعراب خيمتَه وهو يأن فقلت : ما شأنك ؟ قال : من قوم إذا عشقوا ماتوا عنّه ما شأنك ؟ قال : من قوم إذا عشقوا ماتوا عنّه م فيمن أرجل ؟ قال : من قوم إذا عشقوا ماتوا

ليس لى مسمد أشكو إليه إنما يسعد الحزين الحزين الحزين و و الحزين و و الحزين الحزين الحزين و و الماتوا و قال سعيد بن عُقبَةً لأعرابي : ممّن الرجل ؟ قال : من قوم إذا عشقوا ماتوا قال : عذري وربِّ الكعبة ، فقلت له : وممّ ذاك ؟ قال : في نسائنا صباحة ، وفي رجالنا عفة .

وقال سفيان بن زياد: قلت لامرأة من عُذْرَة ورأيت بها هوى غالباً خفت عليها الموت منه : ما بال العشق يقتلكم معاشر عُذْرَة من بين أحياء العرب ؟ فقالت : فينا جمال وتعفين والجال يحملنا على العفاف ، والعفاف يورثنا دقة القلوب، والعشق يفنى آجالنا ، وإنا برى عيوناً لا ترونها .

وقال أبو عبيدة مَعْمَرُ بن الْمُثَمَّني: قال رجل من بني فَرَ ارة لرجلٍ من

(١)أعذله:ألومه

(م – ۲۲ روضة الحبين)

بنى عُذْرَة : مَا يُعَدُّ مُو تَسَكُمُ مِنَ الْحَبِّ مِزِية ، وإنما ذاك من ضعف البنية ووهن العقل وضيق الرَّمَة ، فقال له العذرى : أما لو رأيتم الحاجر البُاج ، ترشُق بالأعين الدُّعج ، من فوقها الحواجب الزُّجُ ، والشفاه الشير ، تفترُّ عن الثنايا الغرَّ ، كأنها لغلم الدُّر ، لجالته وها اللاّت والعُزْنى ونبذتم الإسلام وراء ظهور كم (١) .

وقال بشر بن الوايد: سمنت أبا يوسف يقول فى مرضه للذى مات فيه : اللهم إنك تعلم أنى لم أطأ فر جا حراماً قط وأنا أعلم ، ولم آكل درهما حراماً قط وأنا أعلم .

وقال إسماعيل بن إسحاق القاضى: دخلت عَلَى للمعتضد وعَلَى رأسه غلمان ميباعُ الوجوه أحداث، فنفارت إليهم فرآنى المعتضد وأذا أتأمّلهم، فلما أردت القيام أشار إلى ، فكثت ساعمة فلما خلا قال لى : أيها القاضى والله ماحلات مراويلي على حرام قط .

وقال اليزيدى: جلس محمد بن منصور بن بسام وعلى رأسه عدّة خدّم لم يُرَ قط العسنُ منهم ، ما منهم من ثمنه ألف دينار بل أكثر ، فبعل الناس ينظرون إليهم فقال محمد: هم أحرار لوجه الله إن كان الله كتب على ذنباً مع واحد منهم ، فن عرزف خلاف ذلك منهم فليمن فإنه قد عَدَق وهو في حِلَّ مما يأخذ من مالى .

وقال إبراهيم بن أبى بكر بن عيَّاش: شهدت أبى عند الموت فبكيت نقال: ما يبكيك؟ فما أنى أبوك فاحشة قط .

⁽۱) البلج جمع أبلج : الذي بعد ما بين عينيه فهو أباج وهي بلجاء . الدعج : معمد عجاء والدعج : شدة سواد العين مع سعتها . والزج جمع زجاء والزجج : دقة في الحاجبين وطول . الثنايا جمع ثنية : وهي أربع أسنان في مقدم الفم، ثنتان من قرق و منتان من أسفل الغر : البيضاء .

وقال عمر بن حفص بن غياث : لما حضرت أبى الوفاة أغمى عليه فبكيث عند رأسه ، فقال لى حين أفاق : ما يبكيك ؟ قلت : أ بكى لفراقك ولما دخلت فيه من هذا الأس يعنى القضاء قال : لا تَبْك فإنى ما حللت سراويلى على حرام قط ، ولا جلس بين يدى خصان فباليت عُلى من توجّه الحكم منهما .

وقال سفيان بن أحمد المَصِّيصِي: شهدت الهيئم بن جميـل وهو يموت وقد سُهجِّي (١) نحو القبلة ، فقامت جاريته تَعْمُز رجليه فقال: اغْمِزيهما فإن الله يعلم أنهما ما مشتا إلى حرام قطُّ .

وقال محمد بن إسحاق: بزل السرى بن دينار فى دَرب بمصر وكانت فيه امن أَة جميلة فتنت الناس مجالها، فعلمت به المرأة فقالت: لأُفتننّه، فلما دخلت من باب الدار تكشّفت وأُظهرت نفسها، فقال: مالك؟ فقالت: هل لك فى فراس وطي وعيش رخى ؟ فأقبل عليها وهو يقول:

وكم ذى معاص نال منهن لذّة ومات نخـ الرها وذاق الدواهيا أصرَّمُ لذَّاتُ المعاصى كا هيا(٢) فياسو عتا والله راء وسامع لعبد بعين الله يَعْشَى المعاصى كا هيا(٢) وقال عمر بن بكير: قال أعرابي: علقتُ امرأة كنت آنها فأحدَّها سنين وما جرت بيننا ربية قط ، إلا أني وأيت بياض كفها في ليلة ظلماء فوضعت بدى عَلَى يدها ، فقالت: مَهُ (٣) لا تفسد ما بيني وبينك ، فإنه مانكح حب يدى عَلَى يدها ، فقالت: مَهُ (٣) لا تفسد ما بيني وبينك ، فإنه مانكح حب يدى عَلَى يدها ، فقالت : مَهُ (٣) لا تفسد ما بيني وبينك ، فإنه مانكح حب يدى عَلَى يدها ، فقالت : مَهُ (٣) لا تفسد ما بيني وبينك ، فإنه مانكح حب يدى وينك ، فإنه مانكرة عب يدى وينك ، فإنه مانكرة وينكرة وينكرة

⁽١) سجى الميت : مد عليه ثوباً وغطاه .

⁽ ٢) تصرم: تنقضى وتذهب. وتباعات جمع تباعة : ظلامة أو ما يترتب على الفعل من الخير والشر إلا أن استعاله في الشر.

⁽٣) مه: اسم فعل مبنى على السكون بمنى انسكفف، ولا تقل بمعنى اكفف لآن اكفف يتعدى ولا يتمدى. وحكمها فىالتنكير والوصل حكم صه. وجاء فىالقاه يس المحيط للفيروز ابادى: مهمه قال له مه مه أى اكفف ،

قط إلا فسد . قال : فقمت وقد تصبّبتُ عرّقًا حياء منها ولم أُعُــدُ إلى شيء من ذلك .

وذكر أبو الفرج وغيرُه أن امرأةً جيلةٌ كانت بمكة ، وكان لما زوجٌ ، فَنظرت يوماً إلى وجهها في المرآة فقالت لزوجها : أثرى أحداً يرى هذا الوجه الله يفتتن به ؟ قال : نعم، قالت : مَن ؟ قال : عبيد بن عمير، قالت : فائذن لى فيه فَلْأَفْتَنْنَه، قَالَ : قَد أَذِنتُ لك ، قال : فأتته كالمستفتية ، فخلا معها في ناحيةٍ من المسجد الحرام فأسفرت عن وجه مثل فلقة القمر، فقال لها: يا أُمَةَ الله استترى، فقالت : إنى قد فتنت بك قال : إنى سائلك عن شيء فإن أنت صدقتني نظرت في أمرك قالت : لانسألني عن شيء إلا صدقتك قال : أخبريني لو أن ملك الموت أَتَالَتُ لَيُقْبِضُ رُوحِكَ أَكَانَ يُسرِّكُ أَن أَقضَى لكَ هذه الحاجة ؟ قالت : اللهمُّ لا، قال : صدقت قال : فلو دخلت ِ قبرك وأجلست للمساءلة أكان يسرُّك أنى قضيتها لك؟ قالت : اللهم لا، قال : صدقت قال : فلو أن الناس أعْطُوا كتبَهم ولا تدرين أتأخذين كتابك بيمينك أم بشمالك أكان يسر له أنى قضيتها لك؟ قالت: اللهم لا، قال: صدقت، قال: فلو أردت المَمر على الصراط ولا تدرين هل تَنجين أو لا تَنجين أكان يسرُّك أني قضيتها لك؟ قالت: اللهم لا، قال: صدقت، قال : فلو جيء بالميزان وجيء بك فلا تدرين أيخف ميزانك أم يثقل أكان يسرُّك أنى قضيتها لك ؟ قالت : اللهم لا،قال : فلو وقفت ِ بين يدى الله للساءلة أكان يسر ل أنى قضيتها لك ؟ قالت : اللهم لا، قال : صدقت قال : اتَّسِقِى الله نقد أنعم الله عليــك وأحسن إليك، قال : فرجعت إلى زوجها فقال : ماصنعت ؟ قالت : أنت بطَّال ونحن بطَّالون ، فأقبلت علَى الصلاة والصوم والعبادة، فكان زوجها يقول: مالى ولعبيد بن عمير أفسد عَلَىَّ امرأتي ، كانت في كل ليلة عروساً نصيَّرها راهبة . وفال سعيد بن عبدالله بن راشد : علقت فتاة من العرب فتى من قومها وكان عاقلا فجعلت تكثر التردُّد إليه ، فلما طال عليها ذلك مرضت وتغيّرت واحتالت فى أن خلا لها وجُهه ، فتعرضت إليه ببعض الأمر فصرفها ودفعها عنه فترايد المرض حتى سقطت على الفراش، فقالت له أمّه : إن فلانة قد مرضت وها علينا حق، قال: فعوديها وقولى لها : يقول لك ماخبرك افسارت إليها أمه وسألتها مابك افقالت : وجع فى فؤادى هو أصل علتى ، قالت : فإن ابنى يسألك عن علتك، فتنفست الصّقد اله تم قالت :

يسائلني عن علَّتي وهمسو علَّتي عجيب من الأنباء جاء به الخبر فانصرفت إليه أمه وأخبرته وقالت له: تريد أن تصير إليك ؟ فقال: نعم، فذكرت أمه لها ذلك فبكت وقالت:

ويُبعدنى عن قربه ولقاله فلما أذاب الجسمَ منى تعطَّما فلمت بآت موضعًا فيه قاتلى كانى سَقَامًا أَن أموت تلها وتزايدت مها العُلّة حتى ماتت.

وأحب "رجل من أهل الكوفة يسمى أبا الشعثاء امرأة جيلة ، فلما عامت به كتبت إليه وقالت :

لأبى الشعثاء حبُّ دائم ليس فيهمة لمُتّمَم للم الشعثاء حبُّ دائم اليس فيهمة لمُتّمَم المؤادى فازدجر (١) عنه ويا عَبَثَ الحبّ به فاقعد وقُم المؤادى منه كلام صائد ورسالات المحبين الكلم

⁽١) ازدجر وانزجر بمنى زجره : منعه ونهاه قال تعالى : (ولقد جاءهم من الانباء مافيه مزدجر)أى منع من ارتسكاب المآثم .

مسائد يأمنسه غزلانه مثل مايأمن غزلان الحرم صلِّ إِن أَحببت أَن تُعطى المنى يا أَبا الشَّهُ سَاء لله وصمْ مَي اللهُ رَحِمْ مُع مَي اللهُ وَلَا اللهُ رَحِمْ حيث ألقاك غلامًا ناشئًا ناعمًا قد كَمُلَت فيه النعم

وقال الأصمعي عن أبي سفيان بن العلاء قال: بَصُرت الثريًّا بعمر بن أبي ربيعة وهو يطوف حول البيت ، فتنكرت وفي كفها خَاُوق (١) فرَّحَمَته فأثر فأنشأ يقول:

مسحت كفها بجيب قميمى حسين طأننا بالبت مسحا رفيقا

فقال له عبيد الله بن عمر : مثل هذا القول في هذا الموضع ؟ فقال له : يا أبا عبد الرحن قد سمعت مني ماقد سمعت فَوربٌ هذه البَّذِيَّةِ ما حلت إزاري

وقيل لليلي الأخيلية : هل كان بينك وبين توبة ما يكرهه الله ؟ قالت : إذاً أكون منسلخة من ديني إن كنت ارتكبت عظماً ثم أتبعه بالكذب.

وقال العُنْبي : خرجت إلى المِرْ بَد فإذا بأعرابي غَزِل فيئت إليه فذكرت النساء فتنفُّس ثم قال: يا ابن أخى إن من كلامهن لما يقوم مقام الماء فيشفى من الظمأ . فقلت : صف لى نساءكم ، فقال : نساء الحي تريد ؟ قلت : نعم فأنشأ يقول:

⁽١) الخلوق: ضرب من الطيب أكثر أجزائه من الزعفران.

رُجْعَ (¹) وَلَمْنَ مِن اللواتِي بِالضَّحَى لَدْيُولِمِن عَلَى الطريق غبــــار يأنسنَ عَند بِمُولِمِن إذا خَــــَلُوا وإذا هم خرجوا فهن خِفسار (٢٦)

قال العتبى : فأخبرت به أبى قال : تدرى من أين أخذ قوله : وإن من كلامهن ما يقوم مقام الماء فيشفى من الظمأ ؟ قلت : لا، قال : من قول القطامى :

يَّهُ تُلْنَبُا بحديث ليس يسلمه من يَتَمَينَ ولا مَصَنُونُهُ بادى فَهُنَّ يُبُسِدِينَ مِن قُول يُصِيْنُ به مواقع الماء من ذَى الفُلَّة الصادى (٢٠)

وهذه الطائفة لعفتهم أسباب أقواها إجلال الجبّار، ثم الرغبة في الحور الحسان في دار القرار، فإن من صرف استمتاعه في هذه الدار إلى ماحرً م الله عليه منه من الاستمتاع بالحور الحسان هناك، قال صلى الله عليه وسلم: « مَنْ يلبس الحرير في الدّنيا لَمْ يَلْبَسهُ فِي الآخِرة (١٤)، وَمَنْ شَرِبَ الْخُورُ في الدّنيا لَمْ يَشْرَبُها في الآخِرة إلا أنها لله المحرير والتمتع يشرَبُها في الآخِرة إلا أنها والصبيان ولذّة التمتع بذلك في الآخرة، فليتغير عالمه عليه من النساء والصبيان ولذّة التمتع بذلك في الآخرة، فليتغير العبد لنفسه إحدى اللذّتين، وليقطب فلسامين إحداها بالأخرى؛ فلن يجعل الله من أذهب طبيباته في حياته الدّنيا واستمتع بها كن صام عنها ليوم فطره من الدّنيا إذا لتى الله . ودون ذلك مرتبة أن يتركها خوف النار فقط، فإن من لركها لجرّد خوف العقوبة .

⁽١) امرأة رجاح: عجزاء وأيضاً :رزان

⁽ ۲) خفار : شدیدات الحیاء ، ذوات وفاء .

⁽٣) في الآغاني وكتاب النعر والشعراء لابن قتيبة: فهن يقيدن. النخ وذو الغلة الصادى: الشديد العطش .

⁽٤) رواه الشيخان والنسائي وابن ماجه وأحمد والطبراني . كما قال السيوطي

⁽ه) رواه ابن ماجه ورواه بتحوه البخارى ومسلم.

ثم أدنى من ذلك أن يحمله عليها خوف الهار والشنار (١) ، ومنهم من يحمله على العفة الإبقاء على محبته خشية ذهابها بالوصال ، ومنهم من يحمله عليها عقة عبوبه ونزاهته ، ومنهم من يحمله عليها الحياء منه والاحتشام له وعظمته في صدره ومنهم من يحمله عليها الرخبة في جيل الذكر وحسن الأحدوثة ، ومنهم من يحمله عليها الإبقاء على جاهه ومروءته وقدره عند محبوبه وعند الناس ، ومنهم من يحمله عليها كرم طبعة وشرف نفسه وعلو همته ، ومنهم من يحمله عليها لذة الظفر بالمفة فإن للمفة لذة أعظم من لذة قضاء الوطر ، لكنها لذة يتقدمها ألم حبس النفس ثم تمقبها اللذة ، وأما قضاء الوطر فبالضد من ذلك ، ومنهم من يحمله عليها عليه عليها عليه عليها عليه عليها عليه عليها اللذة المؤمّة من المضارة والمفاسد ، وجع الفجود خيلال الشر كلها ، كا ستقف عليه في الباب الذي يلي هسيدا إن شاء في الله تمالي .

فصل

ولم يزل الناسُ ينتخرون بالمفة قديماً وحديثاً ، قال إبراهيم بن هَر مة : ولرب لذَّة ليسلة قد نلتها وحرامُها بحسلالها مدفوعُ وقال غيره :

إذا ماهممنا صدّناوازعُ التقى فولى عَلَى أَعقابه الهمُ خاسئًا وقال آخر:

أَتَأَذَنُونَ لَصِبٍّ فِي زِيَارِ تَبِكُمَ فَعَنْدُكُمْ شَهُواتُ السَمِعُ والبَصِرِ لا يُضمرُ السوء إن طالت إقامته عف الضمير ولكن فاسق النظر

⁽١) الشنار :أقبح العيب والعار والأمر المشهور بالشنعة .

وقال مسلم بن الوليد:

الارب يوم صادق العيش ناته بها ونداماى العفافة والنَّهى (١) وقال آخر:

إن تر في زانى السينين فالفرج عفيف كم المطرب الفاريف ليس إلا النظر و الشار و الشار و الشاريف وقال الموسوى (٢):

بتناضجيمَين في ثُوَ بِي هُوَ ي و تُتَى يَلُفُنَا الشُوقُ مِن فَر ْ فِ إِلَى قَدَم يَشَى بِنَا الطيبُ أُحيانًا وآونةً يُضِيننا البرقُ مجتازًا عَلَى إضم مُم انْنينا وقد رابت (١) ظواهرنا وفي بواطننا بعد عن التُّهُم وقال نِفْطُو يَه :

كم قد خُلُوتُ بَن أَهُوى فيمنعنى منه الحياء وخوفُ الله رالحذرُ وكم ظفرت بمن أهوى فيقنعنى منه الفُكاهة والتجميش (٥) والنظر أهوى الحسان وأهوى أن أجالسهم وليس لى فى حرام منهم وطر كذلك الحبُ لا إتيان معصية لا خبرَ فى لذَّة مِن بعدها سَقَر ُ

وقال الشهاب ممود بن سليان صاحب ديوان الإنشاء (الحلبي):

⁽١) العفافة: العفة وهي الكف عمالا يحل ولا يجمل قولا أو فعلا. والنهي جمع نهية: العقل. سمى به لانه ينهى عن القبيح وعن كل ما ينافيه.

⁽٢) هو الشريف الرضي .

^{(ُ} ٣) إضم كعنب : جبل ، والوادى الذى فى المدينة المنورة .

^(؛) رابت : دعت إلى الشك .

^{(ُ} ه) التجميش: المغازلة بالقرص والملاعبة.

لله وقفة عاشقين تلاقيب من بعد طول نَوَّى و بُعد مَرَار يتعاطيان من الغرام مُدامة زادتهما بعبداً من الأوزار معدقا الغرام فلم يَمِلْ طَرَّفْ إلى فُخْش ولا كَفُّ السبلِّ إزار فقلاقيب وتفرّقا وكلاهما لم يَخْشُ مَطْعَنَ عائب أو زار (١)

وقيل لِبُنَيْنة: هذا جميل لما به فهل عندك من حيلة مُنَفَسِين بها وجدَه؟ مُقالت ما عندى أكثر من البكاء إلى أن ألقاه فى الدار الاخرى ، أو زيارته وهو ميت تحت الثرى . وقيل لمُتبة بعد موت عاشقها : ماكان يضرك لوأمتعتيه بوجهك ؟ قالت : منعنى من ذلك خوف المار ، وشماتُة الجار ، ومخافة الجبار . وإن بقلبي أضعاف ما بقلبه غير أنى أجد ستره أبتى للمودّة ، وأحد للعاقبة ، وأطوع للرب ، وأخف للدنب .

وهَوى فتى امرأة وهو ينه وشاع خبرها فاجتمعا يوماً خالتين فقال لها:

هلتى تحقق مايقال فينا فقالت: لا والله لا كان هذا أبداً وأنا أقرأ: (الأخلاء
يو مَيْدَ بَعْضُهُم لَبَعْض عَدُون إلا المُتَقين)(٢). وقيل لبعضهم وقد هَوى جارية فطال عشقه بها: حما أنت صانع لو ظفرت بها ولا يراكما إلا لله؟

قال: والله لاجعلته أهون الناظرين إلى ، لا أفعل بها خالياً إلا ما أفعله بحضرة أهلها ، حنين طويل ، ولحظ من بعيد ، وأترك ما يسخط الرب ، ويفسد الحب .

إذا كان حظ ُ المرء بمن يحبه حراماً فحظى ما يَحِلُ ويَجْمُل حديثُ كاء المُزْن بين فصوله عتابٌ به حسنُ الحديث يُعَصَّل

⁽۱) زرى عليه فعله : عابه .

⁽٢) الآية ٦٧: سورة الوخرف.

وكَثُمُ فَم عذبِ اللَّمَات كَأَمَا جِنَاهِن شَهِدٌ فُتٌ فِيهِ الْقَرَّ نُعُلُ وما العشقُ إلا عفة ونزاهة وأنسُ قلوب أنسُهُن التغزُّل وإنى لأستحيى الحبيب من التي تركيب وأدعى للجميل فأجمل

وقال آخر:

وإنى لمشتاق إلى كل غاية من المجد يكبو دونها المتطاول بذول لمالى حين يبخل ذو النّهى عنيف عن الفحشاء قَرَمٌ حُلاحل (١) وما ألطف قوله : حين يبخل ذو النّه مى فإن ذا النّهى لا يبخل إلا فى موضع البخل ، فأخبر هذا أنه يبذل ماله حين يبخل به ربّه فى موضع البخل .

وقال عامر بن حذافة: رأيت بصُحَار (٢) جاريةٌ قد أُلصِيْمَت خدُّ ما بقبر وهي تبكي وتقول:

⁽١) القرم : السيد المعظم ،والحلاحل : السيد في عشيرته ، والشجاع الركين ف مجلسه

 ⁽٢) صحار بالضم: قصبة عمان مما يلي الجبل . كما جاء في الصحاح للجوهرى .
 (٣) الآيك وجمعها أيك : الشجر السكثيف الملتف وقيل الغيضة تنبت السدر والاراك ونحوهما من ناعم الشجر .

قال: فبكيت لرقة شعرها فأنشأت تقول:

تبكى عليه ولست تعرف أمر م فلأعلمنك حاكه ببيان ماكان للعافين (1) غير أنواله فإذا استُجير ففارس الفرسان لا يُتبع الجيران رفة طرفه ويتابع الإحسان للجيران عف السريرة والجهيرة مثلها فإذا آستُضيم (٢) أراك فَتْق طعان

فقلت: أعلميني من هو ؟ قالت: سنان بن وَبْرَة الذي يقول فيه الشاعر:
يا رائداً غيرَا لَنَجْعَة قومه يكفيك من غيث نوال سنات ثم قالت: ياهذا والله لولا أنك غريب مامتعك من حديثي. قلت: فكيف كان حبه لك؟ قالت: ماكان يوسدني إذا تمت إلا يدَه، فكثت معه أربعة أحوال ما توسدت غيرها إلا في حال يمنعه مانع.

وقال سعيد بن يحيى الأموى : حدَّ ثنى عمى محمد بن سعيد، حدَّ ثنا عبدالملك ابن مُحير قال : كان أخوانِ من ثقيف من بنى كُنَّة بينهما من التحاب شيه لايملمه إلا الله ، وكل واحد منهما أخوه عنده عدَّلُ نفسه ، فخرج الأكبر منهما إلى سفر له وله امن أقَّ فأوصى أخاه بحاجة أهله ، فبينا المقيم في دار الظاعن إذ مرت امراً قاّ خيه في نرع يجوز من بيت إلى بيت ، وكانت من أجمل البشر، فرأى شيئاً حيره ، فلما رأته ولت ووضعت يدها على رأسها ودخلت بيتاً ، ووقع حبُّا في قلبه ، فجمل يذوب ويتنحلُ جسمه ويتنيَّر لونه . وقدم أخوه فقال: مالك يا أخى متغيراً ، ما وجعت ؟ قال : ما بي من وجع ، فدعا له الأطباء فلم يقف مالك يا أخى متغيراً ، ما وجعت ؟ قال : ما بي من وجع ، فدعا له الأطباء فلم يقف

^(1) العافين : طلاب المعروف. والنوال : العطاء.

⁽ ٢) استضم : انتقص حقه، وضامه حقه واستضامه : ظلمه .

⁽ ٣) جمع حول : السنة .

[﴿] يَ ﴾ العدل : ماعدل الشيء . والمثل والنظير.

أُحدُ على دائه غير الحارث بن كَلَدة وكان طبيبًا فقال : أرى عينين معيحتين وما أدرى ماهذا الوجع وما أظنه إلا عاشقًا ، فقال له أخود : سبحان الله ،أسألك عن وجع أخى وأنت تستهزى ، بى ، فقال : ما فعلت ، وسأسقيه شرابًا عندى فإن كان عاشقًا فسيتبين لسكم ، فأتاه بشراب فجمل يسقيه قليلاً قليلاً ،فلما أخذه الشراب هاج وقال :

أَلِمًّا بِي على الأبيا ت من خَين فَرُرُهُنَّهُ عَزَالٌ ما رأيت اليو م في دُور بني كُنَّهُ أَسيلُ الخد مربوب(١) وفي منطقه غُنَّاتُ

فقال: أنت طبيب العرب فبمن ؟ قال: سأعيد له الشراب ولعله يسمَّى ، فأعاد له الشراب فسمى المرأة ، فطلقها أخره ليتزوجها فقال المريض: على كذا وكذا إن تزوَّجها ، فقضى ولم يتزوجها ،

وقال على بن المبارك السراج: حد ثنا أبو مسهر، عن بكر بن عبدالله قال: عرض الحجاج بن يوسف سجنه يوماً فأتى برجل فقال: ما كان جُر مك افقال: أصلح الله الأمير أخذنى العكس (٢٠) وأنا مخبرك بخبرى ، فإن كان الكذب ينجى فالصدق أولى بالنجاة، قال: وما قصتك اقال: كنت أخاً لفلان فضرب الأمير عليه البعث إلى خر اسان ، فكانت امرأ ته تهوانى وأنا لا أشعر ، فبعثت إلى ذات يوم رسولاً أن قد جاء كتاب صاحبك فهم للقرأه ، فمضيت إليها فيمات تشفكنى بالمديث حتى صلينا المغرب ، ثم أظهرت لى مافى نفسها منى ودعتنى إلى السوء ، فأبيت ذلك فقالت: والله لئن لم تفعل لأصيحن ولأقولن ودعتنى إلى السوء ، فأبيت ذلك فقالت: والله لئن لم تفعل لأصيحن ولأقولن

⁽١) مربوب: جميل الجسم . ورب الولد : تعهده بما يغذيه وينميه . أسيل الحدد لين الحد طويله .

 ⁽٢) المسس: حرس الليل، وعس: طاف بالليل.

إلك لص ، فحفتها والله أيها الأمير على نفسى فقلت : أمهليني حتى الليل ، فلما صايت العَمَمَةُ (١) وثقت بشد ترس الأمير فخرجت من عندها هارباً، وكان القتل أيسر على من خيانة أخى ، فلقيني عَسَسُ الأمير فأخذوني ، وقد قلت في ذلك شعراً ، قال : وما قلت ؟ فقال :

رب بيضاء آنس (٢) ذات دَلَّ قَـد دعتنى لوصلها فأبيتُ لم يكن شأنى العفاف ولـكن كنت خِلاً لزوجها فاستحيَّتُ فأس بإطلاقه .

وقال الربيع بن زياد : رأيت جارية عند قبر وهي تقول :

بنفسى فتى أوفى البرية كلم الحب وأقواهم فى الموت صبراً على الحب نقلت لها: بم صار أوفاهم وأقواهم ؟ قالت : هَو يَنى، فكان أهلى إن جاهر بحتى لاموه ، وإن كتمه عنفوه ، فلما أخذه الأمر قال :

يقولون إن جاهرتُ قد عضك الهوى وإن لم أَبُحْ بالحبّ قالوا تصبرا وليس لمن يهوى ويكتُم حبَّه من الأمر إلاَّ أن يموتَ فيُعذرا

ولم يزل يردد هذين البيتين حتى مات ، فوالله يا هــذا لاأبرح أو يتصــل فبرانا ، ثم شهقت شهقة فصاح النساء وقلن : قضت ، والذى اختار لهــا الوفاة فيا رأيت أسرع ولا أوْحى من أمرها . قال ابن الدُّمَيْنَة :

⁽١) الشمة : وقت صلاة العثماء .

⁽ ٢) الآنس : الفتاة الطيبة النفس المحبوب قريها . وحديثها يؤنس به .

⁽٣) يردا يمنة : ضرب من يرود اليمن.

نَدُود بَدْكِر الله عنا عَوى الصبا إذا كان قلبانا له يُردان و نصدر (۱) عن رى العفاف وربما نقعنا غليال الحب بالرشفان

قال أبو الفرج: وشت جارية بُنْينَة بها إلى أبيها وأخيها وقالت لها: إن جميلاً عندها، فأتيا مشتمكين على سيفيهما فرأياه خالياً حَجْرة منها بحد شها ويشكو إليها بَنه (٢) ثم قال لها: يا بُنْينَة أرأيت ما بى من الشغف والعشق ألا تَجْز ينيه ؟ قالت له: بناذا ؟ قال: بما يكور من المتحابين، فقالت له: ياجميل أهذا تبغى ؟ والله لقد كنت عندى بعيداً منه، فإذا عاودت تعريضاً بريبة لا رأيت وجهى أبداً، فضحك وقال: والله ما قلت لك مدا إلا لأعلم ماعندك، ولو علمت أنك تجيبين غيرى، ولو رأيت منك مساعدة لضر بتك بسيني هذا ما استمسك في يدى إن طاوعتني نفسي، أو هجر تك أبداً، أما سمت قولى:

وإنّى لأرضى من 'بَكَيْنَه باللّذى لو أبصره الواشى لقرت بلابُله (٢)

بلا وبأن لا أســتطيع وبالله وبالأمل المرجو قد خاب آمله وبالأمل المرجو قد خاب آمله وبالنظرة القبخلي وبالحول تنقضى أواخر ه لا ناتتى وأوائله ؟

فقال أبوها لأخيها : قم بنا فما ينبغي انا بعد عذا اليوم أن نمنع هذا الرجل من إتيانها .

⁽١) صدر عن الماء : رجَّع عنه والصرف . قال تعالى : (لانسق حتى يصدر الرعاء) أى يرجع الرعاء من سقيهم أو يرجعون إبلهم .

⁽٣) البُث : الحال وأشد الحزن الذي لايصبر عنه صاحبه فيبثه . والمرض شده .

⁽٢) بلابله: أو هامه ووسارسه.

الباب الرابع والعيثرون

في ارتكاب سبيلي الحرام وما يفضى إليه من المفاسد والأكلم

حقيق بكل عاقل أن لا يسلك سبيلًا حتى يعلم سلامتها وآفاتها وما توصل إليه تلك الطريق من سلامة أو عطب ، وهذان السيلان هلاك الأولين والآخرين بهما ، وفيهما من المعاطب والمهالك مافيهما ، ويُفضيان بصاحبهما إلى أقبح الفايات وشر موارد الهلككات ، ولهذا جعل الله سبحانه وتعالى سبيل الرّي شر سبيل نقال تعالى : (ولا تقر بُوا آلزي إنه كان فاحشة وساء الرّي شر سبيل الاواط التي تعدل الفملة سبيل)(1) فإذا كانت هذه سبيل الزنى فكيف بسبيل اللواط التي تعدل الفملة من الإنم والعقوبة أضعافها وأضعاف أضعافها من الزنى ؟ كاستقف عليه إن شاء الله تعالى ، فأما سبيل الزنى فأسوأ سبيل ، ومقيل (٢) أهلها في الجميم شر مقيل ، ومستقر أرواحهم في البرذخ في تنور من نار يأتيهم لهمها من شر مقيل ، ومستقر أرواحهم في البرذخ في تنور من نار يأتيهم لهمها من الى يوم القيامة كارآم النبي صلى الله عليه وسلم في منامه ، ورؤيا الأنبياء وحي الله يوم القيامة كارآم النبي صلى الله عليه وسلم في منامه ، ورؤيا الأنبياء وحي المشك فها .

فروى البخارى فى محيحه من حديث سَمُرَةً بن جُندُب رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ممّا يُكثراً في يقول لأسحابه : « هَلْ رَأَى أَن يَقول لأسحابه : « هَلْ رَأَى أَدَى أَدَدُ مِنْكُمْ مِن رُوْيا ؟ فيُقَصَّ عليه ما شاء الله أن يُقَصَّ » ، و إنه قال لنا ذات أَدَدُ مِنْكُمْ مِن رُوْيا ؟ فيُقَصَّ عليه ما شاء الله أن يُقَصَّ » ، و إنه قال لنا ذات

⁽١) الآية ٣٢. سورة الإسراء.

⁽٢) المقيل . المثوى والنوم في الظهيرة .

غَدَاةٍ: إنه أَتَانِي اللَّيَاةَ آتِيَانِ وإنهما ابْتَمَنَّانِي وإنهما قالا لي : انطلق ، وإني انطلقت معهما ،وإنَّا أُتينا علىَ رجل مُضْطَحِم وإذا آخر ُ قائمٌ عليــه بمنخرةٍ ، وإذا هو يَهْوى بالصخرة لرأسه فَيَثَلَّمُ (١) رأسه فَيَتَذَ هُدَهُ الحجر ُهاهنا ، فَيَنْبُعُ الحبحرَ فيأخُذه فلا يَرْ جِمعُ إليه حتى يَصِحُ رأْسُهُ كَاكَان ، ثم يعود عليه فيَفْعُلُ به مثل ما فَعَلَ المَرَّةَ الأولى : قال: قات لهما : سُبْحَانَ اللهِ ما هُــذَانِ ؟ قال : قالًا لى : انطلق انطلق ، فانطلقنا فأتيناً عَلَى رجل مُسْتَمْنَق لقفاه ، وإذا آخر ُ قائمٌ عليه بَكَلُوبِ من حديدي ، وإذا هو يأتى أَحَدَ شِقَّى وجهه فيُشَرْشِرُ شِدْقَهُ ا إلى قفاه ، ومَنْخِرَهُ إلى قفاه ، وعينَه إلى قفاه ، ثم يَتَحَوَّل إلى الجانب الآخر فَيَفْعِل بِهِ مثل مافَعَلَ بالجانب الأوّل ، فَما يَفُرُغُ من ذلك الجانب حتى يَصِيحٌ ذلك الجانب كاكات ، ثم يعود عليه فَيَفُعُلَ مثل مافعل المرّة الأولى قال: قلت : سُبُحَانَ الله ما هذان ؟ قال : قالالي : انْطَلَقْ انْطَلِقْ ، فانطلقنا فأتيناكلي مِثْلِ التُّنَّوْرِ ، فإذا فيه لَغَطُ وأُصواتُ ، قال : فاطَّلَعْنَا فيه فإذا فيمه رجالٌ ونساء عُرَاةٌ ، وإذا هم يأتبهم لَمَبٌ منأسفلَ منهم ، فإذا أتاهم ذلك اللهَبُ ضَو ْضَو ال قَالَ : قلت لهما : ما هُؤلاء ؟ قال : قالا لي : انْطَلِق انْطَلِق . فانظلقنا فأتينا على نَهَرِ أَحْرَ مثلِ الدُّم ، وإذا في النَّهْرِ رجل منابح يُسْبَحُ ، وإذا عَلَى شَطُّ النَّهْرِ رجُل قد جم عنده حجارةً كثيرةً ، وإذا ذلك السابح يسبح مايسبح، ثم يأتى ذلك الذي قد جَمَع عنده الحجارة وَيَهْفُرُ له فاه فَيُلْقِيمَهُ حَجَراً فينطاق يسبح ثم يُرجع إليه كما رجع إليه فَغَرَله فاه فألقمه حجراً ، قال: قلت لهما: ماهذان ؟ قال:

⁽۱) ثلغ رأسه: شد خه.ويتدهده: يتدحرج والمكلوب: المهماز،وحديدة معطوقة الرأس والجمع كلاليب. وضوضو: صاح وصرخ.
(۲۳ م ـــ روضة الحبين)

⁽١) المرآه: المنظر.

⁽٢) اعتم النبت . ثم طوله وظهر نور.

⁽ ٣) رواية البخارى: فانتهينا إلى روضة عظيمة لم أر روضة قط الح.قال القسطلانى: وعند الإمام أحمد والنسائى: إلى دوحة بدلروضة والدوحة الشجرة المنظيمة من أى شجر كان و لهن : جمع لبنة: التي يبنى بها وهو فى الاصل المضروب من الطين يبنى به دون أن يطبخ. والحض : الخالص وكل شيء خالص لا يشوبه شيء مخالطه . والربابة : السحابة البيضاء .

مُنذُ اللّيٰلَةِ عَجَبًا فَاهْذَا الّذِي رَأَيتُ ؟ قال : قالالى : أَمَا إِناسَتَخْبُركُ أَمّا الرجل مُنذُ اللّهِ الرجل أينا الذي أتيت عليه يشر شر شدقه إلى وينام عن الصلاة المكتوبة ، وأما الرجل الذي أتيت عليه يشر شر شدقه إلى قفاه وعينه إلى قفاه فإنه الرجل يغدو من يبته فيكلب الكذبة تبلغ الآفاق ، وأمّا الرجال والنساء العراة الدين هم في مثل بناء التّنون المرافز أنه والرّواني ، وأمّا الرجل الذي أتيت عليه يسبح في النّهر وبلغّم المبحر فإنه آكل الربل الذي أتيت عليه يسبح في النّهر وبلغّم المبحر فإنه آكل الربل الرجل الذي أتيت عليه يسبح في النّهر وبلغّم المبحر فإنه آكل الربل الربل المويل الذي عند الدار يجشها ويسمى حولها فإنه مالك خازن جهم ، وأمّا الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم ، وأما الولدان حولة فكل مولود مات على الفيطرة ، قال : فقال بعض المسلمين : يارسول الله وأولاد المشركين ؟ قال : وأولاد المشركين ، وأمّا القوم الذين كانوا شكر منهم حسن وشكر منهم قبيح فإنهم قوم خلطوا هملاً القوم الذين كانوا شكر منهم حسن وشكر منهم قبيح فإنهم قوم خلطوا هملاً وآخر سيمًا تجاوز الله عنهم » .

وقال أبو مسلم الكبي : حدثنا صدّقة بن جابر ، عن سُكيم بن عام ، قال : حدثني أبو أمامة الباهلي قبل : سمت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « بينا أنا نائم إذ أتاني رجلان فأخذا بضبغني (١) فأخرجاني فأتيا بي جبلاً وعراق وقالا لى : اصْعَد فقلت : إني لا أطيقه فقالا : سنسهله لك قال : فصعدت حتى إذا كنت في سواء الجبل (٢) إذا أنا بأصوات مديدة فقلت: ماهذه الأصوات ؟ فقالا : هذا عُواء أهل النار ، ثم انطلق بي فإذا أنا بفوج أشد شيء انتفاخاً ، وأنتنه ريحاً ، وأسوأه منظراً ، فقلت : من هؤلاء ؟ فقالا : هؤلاء قالا : هؤلاء قالا : هؤلاء وأسوأه منظراً ، فقلت : من هؤلاء ؟ فقالا : هؤلاء قالا : هؤلاء قالا : هؤلاء فقالا ، من المناق بي فإذا بفوج أشد شيء انتفاخاً ، وأنتنه ريحاً ، كأن

⁽١) النبع: مابين الإبط إلى نضف المضد، والجمع اطباع.

⁽٧) سواء الجبل: وسطه.

وهمهم المراحيضُ فقلت : من هٰؤُلاء ؟ قال : هٰؤُلاء الزانون والزواني (١) » .

وقال تُعَدِّيبَةُ بن سعيد : حدَّ ثنا نوح بن قيس قال : حدَّ ثنى أبو هارون الله عليه الله عليه الله عليه الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليلة أسرى بى انطُيلِق بى إلى خَلْق من خلق الله كثير ، نساء مُمَلَّقات بنديمِّنَ ومنهن بأرجلهن منكسات ، ولهن صراخ وخواز فقلت : ياجبريل من له لأكوا و قال : هؤلاء اللوا في يَرْ نِينَ وَيَقْتُلُنَ أُولادَ هن ويجعلن لأزواجهن ورَثَةً من غيرهم » .

وقال أبو 'نعيم الفضل بن دُ گين : حد ثنا عبدالسلام بن شد آد ، عن غَرْ وان بن جَرير ، عن أبيه أمهم تذا كروا عند على بن أبي طالب رضى الله عنه الغواحش فقال لمم : هل تدرون أى الزنى أعظم ؟ قالوا : ياأمير المؤمنين كله عظيم قال : ولكن سأخبر كم بأعظم الزنى عندالله ، هو أن يَرْ نَى الرجل بروجة الرجل المسلم فيصير زانيا وقد أفسد على الرجل زوجته . ثم قال عند ذلك : إن الرجل المسلم فيصير زانيا وقد أفسد على الرجل زوجته . ثم قال عند ذلك : إن الناس يُرسَل عليهم يوم القيامة ربح منتنة حتى يتأذى منها كل بر وفاجر ، عني إذا بلغت منهم كل مبلغ وأكمت (٢) أن تمسك بأنفاس الأمم كلهم ناداهم مناد يُبسعهم الصوت ويقول لهم : هل تدرون ما هذه الربح التي قد آذت كم ؟ فيقولون : لاندرى والله إلا أنها قد بلغت منا كل مبلغ ، فيقال : ألا إنها ربح

⁽١) بعض همذا الحديث ورد فى الفتيح لان حجر عقب الحديث السابق وذكره المنذرى فى الترغيب والترهيب بأطول مما هنا ثم قال : رواه ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما واللفظ لابن خزيمة ولا علة له .

⁽٢) ألم : قرب، وبالناس : نول بهم.

فروج الزُّنَاة الذين لَقُوا الله بزناهم ولم يتوپوا منه ، ثم يصرف بهم ، فلم يذكر. عند الصرف بهم جنةً ولا ناراً .

وقال الخرائطى: حد ثنا على بن داود القنطرى ، حد ثنا سعيد بن عنير ، حد ثنى مسلم بن على الخشنى ، عن أبى عبدالر حن ، عن الأعمش ، عن شقيق ، عن حُد يفة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يامَعْشَرَ النُسْلِمِينَ إِيَّاكُمْ وَالزِّنِي قَإِنَّ فِيهِ سِتَّ خِصال : ثَلَاثٌ في الدُّنْيَا وَثَلاَثٌ في الدُّنْيَا وَثَلاَثٌ في الاَّغْرِ ، وَقَصَرُ الْعُمْرِ. النَّهَ إِنَّا اللَّوْاتِي فِي الدُّنْيَا فَذَهَابُ البَهَاء ، وَدَوَامُ النَّقُو ، وَقَصَرُ الْعُمْرِ. وَأَمَّا اللَّوْاتِي فِي الدَّنْيَا فَذَهَابُ البَهَاء ، وَدَوَامُ النَّقُو ، وَقَصَرُ الْعُمْرِ. وَأَمَّا اللَّوَاتِي فِي الاَخْرَةِ فَسَيْحَطُ الله ي ، وَسُسَوه الْحَسَابِ ، وَدُخُولُ وَالنَّارِ (١٠) » .

ويُذكر عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: الْمُقِيمُ على الزّنى كمابد وثن ، ورفعه بعضهم، وهذا أولى أن يُشَبّه بعابد الوثن من مُدْمِن الحمر ، وفى المسند وغيره مرفوعاً: مُدْمِنُ الْخُدرِ كَمَابِدِ وَثَن . فإنَّ الزِّن أعظمُ منشرب الحمر. قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى : ليس بعد قتل النفس أعظمُ من الزَّني .

وفى الصحيحين من حديث أبى وائل عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال : قلت : يارسول الله أَى الذنبِ أعظم عند الله ؟ قال : أَنْ يَجْعَلَ لله ندًا وَهُوَ خَلَقَكَ ، قال : قَال : أَنْ يَجْعَلَ لله ندًا وَهُوَ خَلَقَكَ ، قال : قَال : قُال : قَال : قُال : قَال : قَال : قَال : قُال : قَال : قَال : قَال : قَال : قُل : قُال : قُال

⁽١) ذكره السيوطى بنحوه فى الجامع السكبير وقال : رواه الخرائطى فى مساوى الاخلاق وأبو نعيم فى الحلية والبيهتى فى الشعب وضعفه ، وأبو الفتح الراشدى فى جزئه والرافعى .

وقال تُعَيِّية بن سميد : حدّثنا ابن كميعة ،عن ابن أنهُم ،عن رجل ،عن عبد الله بن عمر و رضى الله عنه قال ،قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الزّ الي يحليلة بجاره لا يَنظُرُ الله الله إلَيه يو م القيامة ولا يُز كيه ويقول له : آدخُلِ النّارَ مع الدّاخِلين » (٢) وذكر سفيان بن عينينة ،عن جامع بن شدّاد ،عن أبى وائل ، عن عبد الله قال : إذا بُخِس للكيال حُبس القطر ، وإذا ظهر الزّ بى وقع الطاعون ، وإذا كثر الكذب كثر الهرج .

وفى الصحيحين (٣) من حديث الأعمش ، عن أبى حازم ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثَلَاثَةُ لاَ يُسَكِّلُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْفِياَمَةِ وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهُمْ وَلاَ يُزَ كِيهِمْ وَلهَمُ عَذَابٌ أَليمْ : شَيْخُ زَانِ . وَعَائِلٌ مُستَكْبِرٌ » .

وذكر سفيان الثورى ، عن منصور ، عن ربعى بن حِرَاش ، عن أَبى ذَرِّ رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ اللهَ يُبْفُيضُ مُلَاثَةً :

⁽¹⁾ الآية ٦٨. سورة الفرقان.

⁽۲) رواه الحرائطي في مساوىء الأخلاق والديليي في مسند الفردوس، كما قال السيوطي .

⁽٣) هذا الحديث لم يرد فى صحيح البخارى وهو فى الجامع الصغير والترغيب والترهيب دون أن يشيرا فيه إلى رواية البخارى بل قالا : رواه مسلم والنسائى ، وزاد فى الزواجر أحمد .

الشَّيْخُ الزَّانِي ، وَالْمُقِلُ الْمُخْتِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ال

و يكنى فى تُبِح الزِّنى أن الله سبحانه وتعالى مع كال رحمته شرع فيه أفحش التقالات وأصعبها وأفضحها، وأمر أن يشهد عباده المؤمنون تعذيب فاعله، ومن قبحه أن الله سبحانه فَطَر عليه بعض الحيوان البهيم الذى لاعقل له كا ذكر البخارى فى محيحه عن عمرو بن ميمون الأودى قال : رأيت فى الجاهلية قرداً زنى بقردة فاجتبع عليهما القرود فرجوها عنى ماتا وكنتُ فيمن رجمهما .

⁽١) رواه أحمد وابن حبان والصميماء المقدسي . كما قال السيوطي . والمقل : الفقير .

⁽٢) رواه الطبراني في السكبير والحرائطي في مساوى الاخلاق . كما قال السيوطي . والاساود جمع أسود: العظم من الحيات وفيه سواد .

فصل

والزنى يجمع خيلال الشر" كلم من قلة الدين وذهاب الورع وفساد المُرُوءة وقلة الغيرة ، فلا تجد زانياً معه ورع ، ولا وفالا بعمد ، ولاصدق في حديث ، ولا محافظة على صديق ، ولا غيرة تامة تعلى أحله . فالغدر والكذب والخيانة وقلة الحياء وعسم للراقبة وعدم الأنفة للحرم وذهاب الغيرة من القلب من شعبه وموجباته .

ومن موجباته غضب الرّب بإفساد حرمه وعياله ، ولو تعرّض رجل إلى ملك من الملوك بذلك لقابله أسوأ مقابلة . ومنها سواد الوجه وظلمته وما يعلوه من الكآبة والمقت الذي يبدو عليه على الناظرين ، ومنها ظلمة القلب وطمّس نوره (١٠) وهو الذي أوجب طمس نور الوجه وغشيان الظلمة له . ومنها الفقر ورد وق أثر يقول الله تعالى (أنا الله منهلك الطفّاة ، ومُفقر الزّناة) . ومنها أنه يذهب حرّمة فاعله ، ويُد قطه من عين ربه ومن أعين عباده . ومنها أنه يسلبه أحسن الأسماء وهو اسم اليهة والبر والعدالة ، ويعطيه أضداد ها كاسم الفاجر والفادق والزاني والخائن . ومنها أنه يسلبه اسم المؤمن كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يَرْنِي الزّاني حين يَرْ في وَهُو مَن مُو مِن » . فسلبه اسم الإيمان المطلق وإن لم يَسلب عنه مطلق الإيمان . وسئل جعفر بن عمد عن هذا الحديث فحط دائرة في الأرض وقال : هذه دائرة الإيمان ، وسئل خرج من هذه ، ولم يخرج من هذه ، ولا يلزم من ثبوت جزء مامن الإيمان له خرج من هذه ، ولم يخرج من هذه ، ولا يلزم من ثبوت جزء مامن الإيمان له خرج من هذه ، ولم يخرج من هذه ، ولا يلزم من ثبوت جزء مامن الإيمان له

⁽١) طبس نوره: ذهابه وطمين الشيء طمساً وطبوساً: درس والمحيي .

أن يسمّى مومناً ، كما أن الرجل يكون معه جزير من العلم والفقه ولا يسمّى به عالماً فقيهاً ، ومعه جزير من الشجاعة والجود ولايسمّى بذلك شجاعاً ولاجواداً ، وكذلك يكون معه شيء من التقوى ولا يسمّى مُتَقِياً . ونظائره . فالصواب إجراء الحديث على ظاهره ولا يُمتأوّل بما يخالف ظاهره والله أعلم . ومنها أن يعرس نفسه لسُكنى التّنور الذي رأى النبي صلى الله عايسه وسلم فيسه الزّناة والزواني . ومنها أنه يفارفه الطيب الذي وصف الله به أهل العفاف ويستبدل به الخبيث الذي وصف الله به الزّناة كما قال الله تعالى : (الخبيثات المخبيثين والطّيبُون للطّيبات المخبيثين والطّيبُون للطّيبات) (الخبيثات المخبيثين والطّيبُون للطّيبات) (١٠) .

وقد حرسم الله الجنة على كل خبيث ، بل جعلها مأوى الطيبين ، ولا يدحلها إلاَّ طيب . قال الله تعالى : (الَّذِينَ تَتَوَقَّاهُمُ اللَّا يُكُهُ طَيبينَ يَتُولُونَ سَلَامْ عَلَيْكُمْ أَدْخُلُوا الجُنْةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْسَلُونَ) (٢) . وقال تعالى : (وَقَالَ لَهُم سَلَامْ عَلَيْكُمْ أَدْخُلُوا الجُنْةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْسَلُونَ) (٣) . وقال تعالى : (وَقَالَ لَهُم خَرَ نَتُمُ الله مَ عَلَيْكُمْ طَبِثُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ) (٣) . فإنما استحقوا سلاَمَ لَخَرَ نَتُمُ الله مَ عَلَيْكُمْ وَلِبُتُمْ وَالزُّنَاة مِن أَخْبَثُ الخَلق ، وقد جعل الله سبحانه الملائكة ودخول الجنة بطيبهم ، والزُّناة من أخبث الخلق ، وقد جعل الله سبحانه جهنم دار الخبيث وأهله ، فإذا كان يوم القيامة ميز الخبيث من الطيب وجعل الخبيث بعضة على بعض ثم ألقاد وألقى أهله فى جهنم فلا يدخل النار طيب ، ولا يدخل الجنة خبيث .

ومنها الوحشةُ التي يضعها الله سبحانه وتعالى في قلب الزاني، وهي نظير الوحشة التي تعلو وجهة، فالعنيف على وجهه حلاوةٌ وفي قلبه أنس، ومن جالسه

⁽١) الآية ٢٦. سورة النور .

⁽٢) الآية ٣٢. سورة النحل.

⁽٢) الآية ٧٣. سورة الزمر.

استأنس به ، والزانى تعلو وجهة الوحشة ومن جالسه استوحش به ، ومنها قِلَة المَيْبَة التى تنزع منصدور أهله وأسحابه وغيرهم له ، وهو أحقر شيء فى نفوسهم وعيونهم ، بخلاف العقيف فإنه يُر زق المهابة والحلاوة . ومنها أن الناس ينظرونه بعين الخيانة ولا يأمنه أحد على حر مته ولا على ولده . ومنها الراعمة التي تفوح عليه يَشمُها كل ذى قلب سلم من نفوح من فيه وجسده ، ولولا اشتراك الناس فى هذه الرائحة لفاحت من صاحبها ونادت عليه ولكن كا قيل :

كل به مثل مابى غسير أنهم من غيرة بعضهم للبعض عُذّال ومنها ضيقة العدر وحرَّجُه فإن الزُّناة يعاملون بضدٍ قصده ، فإن ما عند الله طلب لذة العيش وطيبَه بما حرّمه الله عليه عاقبه بنقيض قصده ، فإن ما عند الله لا يُنال إلا بطاعته ، ولم يجعل الله معصيته سبباً إلى خير قط . ولو علم الفاجر ما في العناف من اللذة والسرور وانشراح الصدر وطيب العيش لرأى أن الذى فاته من اللذة أضعاف أضعاف ما حصل له ، دع رائح العاقبة والفوز بثواب الله وكرامته . ومنها أنه يُعرض نفسه لفوات الاستمتاع بالملور العين في المساكن الطيبة في جنات عدن ، وقد تقدّم أن الله سبحانه و تعالى إذا كان قد عاقب لابس الحرير في الدنيا بحر مانه لبست يوم القيامة، وشارب الخر في الدنيا بحر مانه العبد الما يوم القيامة ، في الدنيا ، بل كل ماناله العبد في الدنيا فإن توسيّع في حلاله ضيّق من حظه يوم القيامة بقدر ماتوسيّع فيه ، وإن في الدنيا فإن توسيّع في حلاله ضيّق من حظه يوم القيامة بقدر ماتوسيّع فيه ، وإن فاله من حرام فاته نظير موم القيامة .

ومنها أن الزِّنى يُجِرَ له عَلَى قطيعة الرَّحم وعقوق الوالدّين وكَسُبِ الحرام وظُلْمُ الخلق وإضاعة أهله وعياله ، وربما قاده قسراً إلى سَفْك الدّم الحرام ، وربما استعان عليــه بالسحر وبالشرك وهو يدرى أو لايدرى ، فهذه المعصية لا تَتْمِ إِلّا بأنواع من المعامى قبلها و معها ، ويتولّد عنها أنواع أخر من المعامى بعدها ، فهى محفوفة بخند من المعادى قبلها وجند بعدها ، وفى أجاب شيء الشرّ الدّنيا والآخرة ، وإذا عَلقت بالعبد فوقع فى حبائلها وأشراكها عز على الناصحين استنقاذه ، وأعيى الأطباء دواؤه ، فأسير ها لا يُفدى ، وقتيلها لا يُودى (١) ، وقد وكلها الله سبحانه بزوال النّم ، فإذا انتهاى ، فإذا انتهاى ، وقديلها لا يُودى أنّ الله فإنها ضيف سريع الانتقال ، وشيك الزّ وال ، ان الله تعالى : (ذلك بأن الله كم يك مُعَيَّرًا نِعْمَة أَنْعَمَهَا على قو م حَتَى يُعَيِّرُوا مَا يَانَهُ مِهُ وَالله مَنْ دُونِهِ مِنْ وَال) " وقال أَنْ أَلله تعميع على : (وَإِذَا أَرَادَ الله عَمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَال) " وقال الله تعمل : (وَإِذَا أَرَادَ الله عَمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَال) " وقال الله تعمل : (وَإِذَا أَرَادَ الله عِمْ وَالْ الله عَمْ مَنْ دُونِهِ مِنْ وَالْ) " . "

فصنل

فهذا بعض مافى هـذه السبيل من الضرر ، وأما سبيلُ الأمة الأوطيّة فتاك سبيلُ الهالحكين المُفضِيّةُ بسالحها إلى منازل المعذّ بين الذين جمع الله عليهم من أنواع العقو بات مالم يجمعه على أمةٍ من الأمم ، لا من تأخّر عنهم ولا من تقدّم ، وجعل ديارَهم وآثارهم عبرةً للمعتبرين ، وموعظةً للمتّقين .

وكتب خالد بن الوليد إلى أبى بكر الصدِّ بق رضى الله عهما أنه وجد فى بعض ضواحى القرب رجلًا يُنْكَحُ كما تنكح المرأة ، فجمع أبو بكر رضى الله عنه لذلك ناساً من أسحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم على بن أبى طالب رضى الله عنه أشداً هم قولًا فيه فقال : إن

⁽١) لايودى : ليس له دية . وودى القاتل الفتيــل ودياً ودية : أعطى وله ديته .

⁽٢) أكَّية ٥٢. سيرة الأنفال.

⁽٣) الآية ١١، سورة الرعد.

هذا لم يعمل به أمَّة من الأمم إلّا أمّة واحدة فعينع الله بهم ما قد علمتم ، أرى أن متحر قوه بالنار ، فأحرقوه بالنار (١) .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه وجماعة من الصحابه والتابعين : يُرْجَمُ بالحجادة حتى يموت أحصن أولم يُحصَن ، ووافقه على ذلك الإمام أحمد وإسحاق ومالك ، وقال الزَّهرى : يُرْجَمُ أحصن أو لم يُحصَن ، سنة ماضية ، وقال جابر ابن زيد في رجل غَشي رجلاً في دُبره قال : الدبر مُ أعظم حُرمة من الفرج ، يُرْجَمَ أحصِن أو لم يُحصَن ، وقال الشَّعبي : يُمُتَلَ أحصِن أو لم يُحصَن ، وقال الشَّعبي : يُمُتَلَ أحصِن أو لم يُحصَن ، وقال الشَّعبي : يُمُتَلَ أحصِن أو لم يُحمَن .

وسئل ابن عباس عن اللوطى ما حدُّه ؟ قال يُنظَر أعلى بناء فى المدينــة فيُرْمى منه مُنَــكَمَّسَا ثم يُتبع بالحجارة . ورجم على للوطيًّا وأفتى بتحريقه . وكأنه وأى جواز هذا وهذا .

وقال إبراهيم النَّخَمى: لوكان أحدٌ ينبنى له أن يُرجَم مر تين لسكان ينبنى له أن يُرجَم مر تين لسكان ينبنى لأوطى أن يرجَم مر تين . وذهبت طائفة إلى أنه يُرجَم إن أحصِن ويجلد إن لم يُعْصَنَ. وهذا قول الشافعي وأحد في رواية عنه، وسعيد بن المسيَّب في رواية عنه، وعطاء بن أبي رباح .

قال عطاء: شهدت ابن الزبير أتي بسبعة أخذوا في اللّواط: أربعة منهم قد أحصيوا، وثلاثة لم يحصّنوا، فأص بالأربَّعة فأخرجوا من المسجد الحرام فر مجوا بالحجارة، وأص بالثلاثة فضربوا الحدّ وفي المسجد ابن عمر وابن عباس. فالصحابة اتفقوا على قتل اللّوطي وإنما إختلفوا في كيفية قتله، فظن بعض الناس أنهم متنازعون في قتله ولا نزاع بينهم فيه إلاّ في إلحاقه بالزاني أو قتله مطلقاً. وقد اختلف الناس في عقوبته على ثلاثة أقوال: أحدُها أنها أعظم من وقد اختلف الناس في عقوبته على ثلاثة أقوال: أحدُها أنها أعظم من

⁽١) رواه ابن أبي الدنيا ومن طريقه البيهتي . كما قال الهيتمي في الزواجر .

عقوبة الزِّني كما أن عقوبته في الآخرة أشدّ ، الثاني أنها مثلُها ، الثالث أنها دونها ، وذهب بعض الشافعية إلى أن عقوبة الفاعل كعقوبة الزاني ، وعقوبة المفعول به الجلال مطلقاً بكراً كان أو ثيّباً قال : لأنه لا يالمذ بالفعل به مخلاف الفاعل .

وذهب بعضُ الفقياء إلى أنه لاحدٌ على واحد منهما قال: لأن الوازع عن ذلك مافى الطباع من النَّفْرة عنه واستقباحه ، وماكان ذلك لم يحتَج إلى أن يَزْ جُر الشارعُ عنه بالحد كأكل العَذَرَة (١) والمَيْتَة والدم وشرب البول ، ثم قال هؤلاء: إذا أكثر منه اللَّوطيُ فللإمام قتله تعزير أرً)، صرَّح مذلك أمحاب أبى حنيفة.

والصحيح أن عقوبته أغلظ من عقوبة الزانى لإجماع الصحابة على ذلك ولف لف حُرمته وانتشار فساده ، ولأن الله سبحانه وتعالى لم يعاقب أمّة ما عاقب الله عائب الله عاقب الله عائب الله عاقب الله عائب اله عائب الله عائ

قال ابن أبي أنجيح في تفيره عن عمرو بن دينار في قوله تعالى: (إنَّكُمُ لَمُ اَنَّا اَبْنَا اللهُ وَمَا اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ وَمَا اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ وَمَا اللهُ وَمَا اللهُ اللهُ وَمَا اللهُ اللهُ وَمَا اللهُ وَمَا اللهُ وَمَا اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ وَمُ اللهُ اللهُ

⁽١) العذرة: الغائط.

⁽٢) تعزيراً: ردعا. والتعزير شرعا تأديب دون الحد.

⁽٣) الآية ٢٨ . سورة العنكبوت .

⁽٤) نزا الفحل : وثب .

⁽ه) تعبج: تصبيح وتصرخ.

⁽٦) سدوم : قرية قوم لوط .

ويل لك سدوم يوماً مالك ، فجاءت إبر َاهيمَ الرُّسلُ وكلُّمهم إبراهيم في أمر قوم له ط قالوا (يَا إِبْرَ اهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ لَهٰذَا) قال : (وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَالَ بِهِمْ ذَرْعاً)(١) فذهب بهم إلى منزله فذهبت امرأته فجاءه قومُهُ يُمهُرُعُونَ إليه فقال : ﴿ يَاقَوْمِ هُوْ كَاهِ بَنَاتِي هُنِ ۚ أَطْهَرُ لَـٰكُمْ ۚ ﴾(٢) أَزُوِّ جَكُم بَهِنَّ (أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ)(٢) ؟ وجعل لوط الأضياف في بيته وقعد على باب البيت وقَالَ : ﴿ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ ۚ ۚ وَوَ ۚ قَالُو آوِى إِلَى رُكُن شَدِيدٍ)(١) قال : أي عشـيرة تمنعني قال : ولم يُبْعَثُ نبيٌّ بعد لوط إلا في عِزٌّ ُمن قومه ، فلما رأت الرُّسَلُ ما قد لتي لوط ٌ في سبيهم ﴿ قَالُوا يَالُوطُ إِنَّا رُسُلُ ُ رَ بِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأْمْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعِ مِنَ ٱللَّيْلِ وَلَا يَكْتَفَتْ مَنْكُمُ أُحَد إلا المرا أتك إنه مُصِيمًا ما أصابَهُم إنَّ مَو عد مُ الصُّبحُ أليسَ السُّبعُ بقَرَرِيبٍ ﴾ (٥٠) فحرج عايهم جبريل عايه السلام فضرب وجوههم بجناحه ضربةً طَمَسَت أُعينَهم قال : والطبسُ أَن تذهب حتى تستوى ، واحتمل مدائنهُم حتى سمع أهلُ سماء الدنيا نَبيح كلابهم وأصواتَ دُيوكهم ، ثم قلبها وأمطر الله عايبهم .حجارةً من سَجِّيل (٦) قال : عَلَى أهل بو اديبهم وعلى رُعاتهم وعلى مسافريهم ، فلم ينفات منهم إنسان . وقال مجاهد : نزل جبريل عليه السالام فأدخل جَنَاحَهُ تحت مدائن قوم لوطٍ. فرفعها حتى سمع أهل السماء نَبيــحَ الكلاب وأصواتَ الدُّجاجِ والدِّيكَة ، ثم قلبها فجمل أعلاها أسفلَما ثم أتبعوا بالحجارة .

⁽ ۱ و ۲ و ۳ و ٤ و ه) الآيات ۷۷ و ۷۸ و ۸۰ و ۸۱ سورة هود .

⁽٦) سجيل: طين مطبوخ .

وفي تفسير أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أغلق لوط على ضينه الباب فخاموا الباب ودخلوا ، فَعَامَى جبريل أُعينَهم فذهبت أبصارهم فقالوا: يالوط جئتنا بالسحرة ؟ وتَوَعَّدوه ، فأوجس في نفسه خيفةً فال: يذهب هؤلاء ونُؤْذَى ، فقالوا: لا تخف إنَّا رُسُلُ رَبِّبكَ إِنَّا مَوْعِدَكُمُ ٱلصُّبْحُ قال لوط: الساعة ، قالجبريل: أليش الصُّبْتُ بِقَرِيبٍ ؟ قال فر ُ فعت المدينة حتى سمع أهل السماء كنبيحَ الحكلاب ثم أُقْلِبِت ورُمُوا بالحجارة . وقال حُذَيفة بن اليَمَان : لما أرسات الرسل إلى قوم لوط لتهاكميم قيل لهم : لاتهاكموهم حتى يشهد عليهم لوطُ ثلاث مرّات ، وطريقهم على إبراهيم قال: فأتو"ا إبراهيم فبشرُ وه بما بشروه المَّفَادَّهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتُهُ الْبُشْرِلَى يُجَادِلُنَا فى قُولِم أُوطِ)(١) ونَّ : كان بجادلتُه إيَّا هُم أن فال لهم : إن كان فيهم خسون أتهلكونهم ؟ قالوا: لا، عال : أَفر أَيتم إن كان فيهم أربعون؟ قالوا: لا، قال: فُ الأنون؟قالوا :لا.حتى انتهى إلى عشر قأو خسة، فأتُو الوطأ وهو في أرض يعمل فيها فحسبهم ضيفاً ، فأقبل بهم حـين أمسى إلى أهـله فأتَو اسعه فالتفت إليهم فقال : أما تَرَوْنَ ما يصنع هُؤُلاء؟ قالوا : وما يصنعون ؟عال : مامن الناسأُحدُ شر منهم، قال: فانتهى بهم إلى أهله فانطلقت العجوز السوء امرأتُه فأتت قومه فقالت: لقد تضيف لوطاً الليلةَ قوم ما رأيت قط أحسنَ وجوهاً ولا أطيبَ ريحاً منهم ، فأُقبلوا يُهْرَعُونَ إليه حتى دفعو ا الباب ثم كادوا أن يقلبوه عليهم، فقام مَلَكُ بُهناحه فَصَفَقه دونهم ثم أغلق الباب ثم عَلَو الأجاجير (٢٦) فجعل يخاطبهم نقال: (هَوْ لاَء بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ)(٣) حتى بلغ (أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكُنِ

⁽١) الآية ٧٤: سورة هود.والروع ما ألؤا في القلب من الفزع .

⁽٢) الاجاجير. جمع إجار وهو السطح.

⁽٢) الآية ٧٨. سورة هود .

شُدِيد. قالُوا يَالُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَ بِكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ) (1) فطمس جبريل أعيبهم فما بقى أحد منهم تلك الليلة حتى عمى قال: فباتوا بشر ليلة عُمياً ينتظرون العذاب. قال: وسارباً هله واستأذن جبريل عليه السلام في هلا كهم فأذن له ، فارتفع بالأرض التي كانوا عليها فألوى (٢) بهاحتى سمع أهل السماء الدُّنيا ضُغاء (١) كلابهم ، وأوقد تحتها ناراً ثم قلبها بهم قال : فسمت امرأ ته الوَجْبَة (١) وهي علمه فالتفتت فأصابها العذاب .

وفى تفسير العوفى عن ابن عباس رضى لله عنه : جادل إبراهيم الملائكة في قوم لوط أن يُتركوا فقال : أرأيتم إن كان فيهم عشرة أبيات من المسلمين أتتركونهم ؟ فقالت الملائكة : ليس فيها عشرة أبيات ولاخسة ولا أربعة ولا ثالاثة ولا اثنان ، فحزن إبراهيم على لوطوأهل بيته و (قال إن فيها أوطاً قالوا تحن أغلم من فيها كننتجيّنه وأهله إلا امر أنه كانت مِن الفابرين) (٥) فذلك قوله: (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتُهُ البُشْرِي يَجَادلُنا في قَوْم لُوط . إن إبراهيم ليخايم أوّاه مُنيب) (١) فقالت الملائكة : في قوم لوط . إن إبراهيم ليخايم أوّاه مُنيب) (١) فقالت الملائكة : في قوم لوط . إن إبراهيم المخايم قد جاء أمر كر بك وإنهم آتيهم عذاب غير مر دُود ي) (٧) فبعث الله إليهم جبريل فانتسف المدينة ومن فيها بأحد جَناحية فيل عاليها سافلها و تنعتهم المعجارة بكل أرض . فأهلك الله سبحانه الفاعل فيمل عاليها سافلها و تنعتهم المعجارة بكل أرض . فأهلك الله سبحانه الفاعل

⁽١) الآيتان ٨٠ و ٨١. سورة هود.

⁽٢) ألوى ما: ذهب بما مصداً.

٠ (٣) النفاء: الساح من الألم

⁽٤) الوجبة : صوت الساقط .

[ُ] هُ ﴾ الآية ٣٢ . سورة العنسكبوت . والغابرين : الباقين الماكثين وقد فمسر غبر بمعنى هلك ، فالغابرون : الهالسكون .

^{. (}۲و۷) الآیات ۷۶ وه۷ و ۷۲ سورة هود .

وللفعول به ، والساكت الرَّاضيَّ، والدَّالُّ المُحصَنَ منهم وغيرَ المُحصن ، الماشقَ والمعشوق ، وأخذهم وهم في سكرة عشقهم كَيْمَتَهُون .

وذكر ابن أبي داود في تفسيره عن وهب بن منبه قال : إن الملائكة حين دخلوا على لوط ظن أنهم أضياف ضافوه فاحتفل لهم وحرص على كرامتهم ، وخلوا على لوط ظن أنهم أضياف ضافوه فاحتفل لهم وحرص على كرامتهم ، وخلفته امرأته إلى فدانى قومه فأخبرتهم أنه ضاف لوطا أحسن النداس وجها وأنضر م جالا وأطيبهم ريحاً ، فكانت هذه خيانتها التي ذكر الله عز وجل في كتابه وفيه عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله : (فَخَانَتَاهُمَا)(1) قال : في كتابه وفيه عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله : (فَخَانَتَاهُمَا)(1) قال والله عنا زَنَتَا وَلا بنت آمر أَهُ نبي قط فقيل له : فما كانت خيانة امرأة نوح وامرأة لوط ؟ فقال ، أما امرأة نوح فكانت تخبر أنه مجنون ، وأما امرأة لوط فإنها كانت تذكل على الضيف .

وقال أبو مسلم الليثى في مسنده ، حدثنا سليان بن داود ، حدثنا عبدالو ارث حدثنا القاسم بن عبد الرحمن ، حسد أنه عبد الله بن محسد بن عقيل قال : سمعت جابر بن عبد الله رضى الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أخو فَ مَا أَنَافُ عُلَى أُمَّ يَى مِنْ بَعْدِى عَمَلُ قَوْم لوط » (٢) وقال هشام بن عمّار : حدثنا عبد العزيز الدر آوردي عن عمر و بن أبى عمر و ، عن عمر ممة ، عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لَمَنَ الله مَنْ وَقَعَ عَلَى بَهِيمَة ، وَلَمَنَ الله مُن عَمِلَ عَمَلَ قَوْم لوط » (رواه الإمام مَنْ وَقَعَ عَلَى بَهِيمَة ، وَلَمَنَ الله مُن عَمِلَ عَمَلَ قَوْم لوط » (رواه الإمام عمر و مولى المطلب بن عبد الله بن حنظب الحزيز هو الدراوردي ، عن عمر و بن أبى عمر و مولى المطلب بن عبد الله بن حنظب الحزومى ، عن عَمْر مَمّ ، عن

⁽١) الآية ١٠ سورة التحريم .

⁽ ۲) رواء أحمد والترحذى وابن ماجه والحاكم . كما قال السيوطى . (۲۶ م ـــ روضة الحبين)

ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لَعَنَ اللهُ مَنْ عَلَمَ عَلَى اللهُ مَنْ عَلَمَ اللهُ مَنْ عَلَمَ عَلَى اللهُ مَنْ عَلَمَ عَلَى اللهُ مَنْ عَلَمَ عَلَى اللهُ مَنْ عَلَمَ عَلَى عَلَى اللهُ مَنْ عَلَمَ عَلَى عَلَى قَوْمٍ لُوطٍ ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ عَلِمَ عَلَى عَلَى قَوْمٍ لُوطٍ ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ عَلِمَ عَلَى قَوْمٍ لُوطٍ ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ عَلِمَ عَلَى قَوْمٍ لُوطٍ ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ وَقَعَ عَلَى قَوْمٍ لُوطٍ ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ وَقَعَ عَلَى قَوْمٍ لِمُ اللهِ ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ وَقَعَ عَلَى قَوْمٍ لِمُ اللهِ ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ وَقَعَ عَلَى عَلَى مَنْ ذَبَاحَ لِللهِ ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ وَقَعَ عَلَى مَنْ فَاللهُ مَنْ وَقَعَ عَلَى اللهُ مَنْ وَلَعَلَى اللهُ مَنْ وَقَعَ عَلَى عَلَى اللهُ مَنْ وَلَعَلَمُ اللهُ مَنْ وَلَعَلَمُ اللهِ عَلَى اللهُ مَنْ وَلَعَلَمُ اللهُ مَنْ وَلَعَلَى اللهُ مِنْ وَلَعْ مَا اللهُ مَنْ وَلَعْ عَلَى اللهُ مَنْ وَلَعْ مَا اللهُ اللهُ مَنْ وَلَعْ مَا اللهُ اللهُ اللهِ عَلَمْ اللهُ مَنْ وَلَعْ مَا اللهُ الل

وقال أبو داود الطيالسى ؛ حدّ ثنا بشر بن الفضّل ، عن خالد اَلحَدَّاء ، عن عمد بن سيرين ، عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا مِكْشَرَ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فَمَمُا زَانِيانِ ، » وفى لَفَظٍ : « إِذَا مَكْشَرَ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فَمَمُا زَانِيانِ ، » وفى لَفَظٍ : « إِذَا أَتَى الرَّجُلُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ » (٢)

وفي المسند والسنن من حديث عِكْر مة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « اقْتُكُوا الْفَاعِلَ وَالْمَفْمُولَ بِهِ » وفى لفظ: « مَنْ وَجَدْ تُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْم لُوطٍ فَاقْتُكُوا الْفَاعِلَ اللَّفْعُولَ بِهِ » (٣) وإسناده على شرط البخارى .

وروى سهيل من أبي صالح عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

⁽١) رواه ابن حبان فى صحيحه والبيبتى كما جاء فى الترغيب والترهيب وفى الزواجر. وتعزم جمع تخم : الحد الفاصل بين أرضين ، والمعالم يهتدى بها فى الطريق . وكمه الاعمى : أضله .

⁽٢) روا. البيهتي في السنن . كما قال السيوطي .

⁽٣) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجمه والبيمسق. كما قال الهيتمي في الزواجر.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ وَجَدْ تُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمٍ لُوطٍ فَارْجُوهُ أَو قال : فاقْتُسُلُوا الْفَاعِلَ وَالْمَفْوُلَ بِهِ » .

وحرق اللوطيَّةَ بالنار أربمةٌ من الخلفاء: أبو بكر المَّدُّيقَ ، وعلَّ ابنُ أبى طالب ، وعبدُ الله بن الزُّبير ، وهشام بن عبد الملك .

وقال حمّاد بن سَلَمَةَ عن قتادة ، عن خِلَاس ، عن عبيد الله بن معمر قال : يُتُمَّلُ اللَّوطِيُّ . وقال سعيد بن المسيَّب: عندنا على اللوطي الرجم أحصن أو لم يُعْصَنُ سَنَة ماضية ، وهذا يدل على أن ذلك سنَّة مضى عليها العمل .

وقال الشَّمِيّ : يَقْتَلُ أَخْصِنِ أَو لَمْ يُخْصَن . وقال الزهريّ وربيعة وابن هرمز ومالكُ بن أنس : عليه الرجم أُخْصِن أُولم يُخْصَن .

وقال بعض العلماء: وإنما قال سعيد بن المسيَّب: إن ذلك سنَّة ماضية لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « اقْتُلُوا الفَّاعِلَ وَالمَّفْدُولَ بِهِ » ، ولم يقل محصناً أو غيرَ مُحْصَن .

وحرقهم أبو بكر رضى الله عنه بالنار بعد مشاورة الصحابة ، وأشار عليه على بن أبى طالب رضى الله عنه بذلك ، وحرقهم على وابن الزبير كما ذكره الآجرى وغير ه عن محمد بن المنكدر أن خالد بن الوليد كتب إلى أبى بكر أنه وجمد رجلاً فى بعض ضواحى العرب يُنكح كما تُنكح المراة ، فجمع أبو بكر لذلك أسحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم على بن أبى طالب رضى الله عنهم فقال على : إن هذا ذنب لم يعمل به إلا أمة واحدة فقعل الله بهم ما قد علم ، أرى أن تحرقوه بالنار ، فاجتمع رأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُحرق بالنار ، فأمى به أبو بكر أن يحرق .

قَالَ : وقد حرقهم ابن الزبير وهشام بن عبد الملك ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما : يُرْجَم اللوطى بَكراً كان أو ثيبًا .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : من عمل عَملَ قُو مِ لُوطٍ فاقتلوه ، ولم يفرّ ف أحدث منهم بين المحصّن وغيره ، وصرّح بعفهم بعموم الحركم للمحصّن وغير المحصّن ، فلذلك قال ابن للسيّب : إن هذا سنّة ماضية .

وفى مسائل إسحاق بن منصور السكو سَج قلت لأحمد: يُرْجَمُ اللَّوطِيُّ أَحْصِنَ أَوْ لَمْ يُحْصَنَ . قال إستحال بن أَحْصِنَ أَوْ لَمْ يُحْصَنَ . قال إستحال بن راهويه: هو كما قال .

والسنَّةُ فى الذى يعمل عمل قوم لوط أن يُرجَمَ محصناً كاف أو غيرَ عصن لأن الذي صلى الله عليه وسلم قال: « مَنْ عَملَ عَملَ قَوْم لُوط فَا قُتُلُوهُ » محصن لأن الذي صلى الله عليه وسلم كذلك ، ثم أنتى ابن عباس بعد الذي صلى الله عليه وسلم فيمن يعمل عمل قوم لوط أنه يرجَمُ و إن كان بكراً ، في ذلك بما رواه عن الذي صلى الله عليه وسلم .

وكذلك رُوى عن على بن أبى طااب مثلُ هذا القول إن اللوطى أيرُجَمُ ولم يذكر محصناً كان أو غير محصن ، وكذلك فعل الله سبحانه بقوم لوط ، وكذا يُرْوَى عن أبى بكر الصّدِّيقِ رضى الله عنه أنه حرقهم بالنار . هذا كلام إسحاق رحمه الله .

وذَكُو الآجرى فى كتاب تحريم اللواط من حديث عبدالله بن عمر مرفوعاً: « سَبَعَةٌ لاَ يَنْظُرُ ٱللهُ إِلَيْهِمْ بَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَيَقُولَ: أَذْخُلُوا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ: الْفَاعِلُ وَالْتَفْعُولَ بِهِ، وَالنَّاكِحُ يَدَهُ ، وَنَاكِحُ أَدْخُلُوا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ: الْفَاعِلُ وَالْتَفْعُولَ بِهِ، وَالنَّاكِحُ يَدَهُ ، وَنَاكِحُ

الْبَهِيَةِ ، وَنَا كِحُ الْمَرْأَةِ فِي دُبُرِهِا ، وَالْجَامِعُ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَا بَلَتِهَا ، وَالْجَامِعُ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَا بَلَتِهَا ، وَٱلْرَانِي بِحَلِيلَةِ جَارِهِ ، وَالْمُؤْذِي كَارِهِ حَتَّى تَيْلَمَنَهُ » .

وذكر عن أنس مرفوعاً نحوه وقال: « أَدْخُلُوا النَّارَ أُوَّلَ الدَّاخِلِينَ اللَّهِ الْحَلِينَ اللَّهُ عَلَيْهِ: إِلاَّ أَنْ يَتُوبُوا، إِلاَّ أَنْ يَتُوبُوا، وَلَمْ أَنْ يَتُوبُوا، وَلَمْ أَنْ يَتُوبُوا، وَلَمْ أَنْ يَتُوبُوا، وَلَمْ أَنْ يَتُوبُوا، إِلاَّ أَنْ يَتُوبُوا، وَلَمْ أَنْ وَمُدْ مِنْ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّاكِيجُ يَدَهُ ، وَالْفَاعِلُ ، وَالْمُؤْذِى جِيرَانَهُ حَتَّى يَلْعَنُوهُ ، وَالزَّانِي بِعَلِيلَةِ اللَّهُ عَلَيْهِ مَا يَعْدُوهُ ، وَالزَّانِي بِعَلِيلَةً عَلَيْهِ مَا يَعْمُونُ ، وَالزَّانِي بِعَلِيلَةً عَلَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ مَا اللَّهُ وَلَى إِلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللللْمُ اللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللللْمُ الللللْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللللْمُ اللَّهُ اللللْمُ اللَّهُ اللللْمُ الللللْمُ الللللْمُ اللللْمُ اللللْمُ اللللْمُ الللْمُ الللْمُوالِمُ الللللْمُوالِمُ الللللْمُ اللللْمُولِمُ الللللْمُولِمُ اللللْمُ ال

وقال مجاهد: لوأن الذي يعمل ذلك العمل يعنى عمل قوم لوطر اغتسل بمكل قطرة في السهاء وكل قطرة في الأرض لم يزل نجساً ، وقد ذكر الله سبحانه عقوبة اللوطية وما حل بهم من البلاء في عشر سُور من القرآن وهي : سورة الأعراف ، وهود ، والحبر ، والأنبياء ، والفرقان ، والشعراء ، والعمل ، والعنكبوت ، والصافات ، واقتربت الساعة ، وجمع على القوم بين عمى الأبصار وخسف الديار ، والقذف بالأحجار ، ودخول النار . وقال محذراً لمن عمل وخسف الديار ، والقذف بالأحجار ، ودخول النار . وقال محذراً لمن عمل عمام ما حل بهم من العداب الشديد : (وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ)(٢) .

وقال بعض العلماء: إذا علا الذكر الذكر هر بت الملائكة ، وعجت (٣) الأرض إلى ربِّهَا ، ونزل سَخَط الجبّار جلّ جلاله عليهم ، وغشِيَتْهُمُ اللعنة ،

⁽١) رواه الحسن بن عرفة في جزئه والبيبق في الشعب ، كما قال السيرطي .

⁽٢) الآية ٨٩: سورة هود .

⁽٣) عجت : صاحت ورفعت صوتها .

وحفّت بهم الشياطين ، واستأذنت الأرض ربّها أن تخسيف بهم ، وأمّلَ العرش على حَمّلينه ، وكبّرت الملائكة ، واستعرت (١٠ الجحيم ، فإذا جاءته رُسُلُ الله لنبض رُوحِه نقلوها إلى ديار إخوانهم ، وموضع عذابهم ، فكانت روحُه بين أرواحهم . وذلك أضيق مكاناً وأعظم عذاباً من تَنوُّر الزُّنَاة . فلا كانت لذة توجب هذا العذاب الأليم ، وتسوق صاحبها إلى مرافقة أصحاب الجمعيم . تذهب اللّذ أت ، وتُعقب الحسرات ، و تَفْنى الشهوة ، و تَبنَّى الشقوة . وكان الإمام احد بن حنبل رحمه الله تعالى يُنشِد :

تَفْنَى اللَّذَاذَةُ بَمِن نال صفوتَهَا من الحرام وَيَبْنِي الْخِزْيُ وَالْعَارُ تَبُنِقَ هواقبُ صوء في مَغَبَّتِهَا لا خيرَ في لَذَّةٍ من بعدها النارُ

فضل

وأما إن كانت الغاحشة مع ذى رَحِم يُحْرَم فذلك المُلك كُلُّ الهُلك ، ويجب قتل الفاعل بكل حال عند الإمام أحمد وغيره .

واحتج احمد بعديث عَدِى بنِ ثابت عن البَرَاء بن عازِب قال : لقيت خالى ومعه الراية فقلت : أين تريد ؟ قال : بمثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل تزوّج امرأة أبيمه أضرب عنقه ، وآخذ ماله (رواه الإمام أحمد) واحتج به .

وقال شمبة : حدَّثنا الرُّ كُــيْنُ بن الربيع عن عَدِى بن ثابت من الدَّاء

⁽١) استعرت النار : توقدت .

⁽ ٢) المفبة : الماقبة .

قال : رأيت أناماً ينطلقون فقلت : أين تذهبون ؟ قالوا : بعثما رسول الله ملى الله عليه وسلم إلى رجل يأتى امرأة أبيه أن نقتله .

وذكر عبد الله بن صالح: حد ثنا يحيى بن أيوب ، عن ابن جُرَيْج ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اقتُسُلُوا الله عليه وسلم قال : « اقتُسُلُوا الله على وَالمَّذِي وَالَّذِي بَأْتِي الْبَهِيمَةَ وَالَّذِي يَأْتِي كُلَّ ذَاتِ يَحْرَم يه (۱) وقال هشام بن عمّار : حد ثنا رفدة بن قضاعة ، حد ثنا صالح بن راشد قال : أي المجاج برجل قد اغتصب أخته على نفسها فقال : احبسوه وسلوه من ها هنا من أسحاب محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فسألوا عبد الرّحن بن مطرف (٢) فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ تَخَطَّى المُوْمَتَيْنِ فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ تَخَطَّى المُوْمَتَيْنِ فقال : سمعت رسول الله عليه ابن عباس رضى الله عنها بمثل ذلك . وقال فَتَخُطُّو ا وَسُطَهُ بِالسَّيْف » وأفتى ابن عباس رضى الله عنها بمثل ذلك . وقال عمر بن شَبَّة : حد ثنا مُعاذ بن هشام ، حدثنا أبى عن قَتَادَة قال : أتي الحباج برجل زنى بأخته ، فسأل عنها عبدالله فقال : يُضرب بالسيف ، فأمر به الحبحاج بضرب عنقه بالسيف ، فأمر به الحبحاج فضرب عنقه بالسيف ، فامر به الحبحاج فضرب عنقه بالسيف ، فامر به الحبحاج فضرب عنقه بالسيف ، فامر به المجاج فضرب عنقه بالسيف ، فامر به المحباح فضرب عنقه بالسيف .

وذكر جماعة عن حمّاد بن سَلَمَةَ ، عن بكر بن عبد الله المُزَنِيّ أن رجلاً تزوَّجَ خالته فرُ نع إلى عبد الملك بن مروان فقال : إنِّى ظَنَنْتُ أَنَّهَا تَحِلُّ لِي

⁽١) ذكره الهيتمى في الزواجر من دون الفقرة الأخيرة وقال: رواه البيهتي وغيره .

⁽٢) رواه أحمد والحاكم عن عبد الله بن أبى مطرف، كما قال السيوطى. وراجع هـذه القصة أيضاً فى الإصابة لابن حجر المسقلانى، وما قبل فى تخريجها.

فقال: لا جهالة فى الإسلام وأظن أنه أمر به فقتل. وفى مسائل صالح بن أحد قال: سألت أبى عن الرجل الذى تزوّج ذات تحرّم منه فقال: إن كان عدا يُقتل ويُؤخذ ماله ، وإن كان لا يعلم يُفَرّق بينهما ، واستحب أن يكون لها مأخذت منه ولا يَرْجِم عليها بشىء . وفى صحيفة عمر و بن شعيب ، عن أبيه عن جد من النبي صلى الله عليه وسلم قال: « لا يك خُل الجُنّة مَن أتى عن جد من منه ولا يَرْجِم » في الله عليه وسلم قال: « لا يك خُل الجُنّة مَن أتى ذات محرّم » (1) .

⁽١) رواه الحرائطي عن ان عمرو والطبراني في المعجم للسكبير وأبو لعيم في الحلية كلاهما عن ابن عباس . كما قال السيوطي .

البالنحام والعثرون

في رحم: الحبين والشفاعة لهم إلى أعبابهم في الوصال الذي يبيم الدين

قال الله تعالى: (مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةٌ حَسَنَةٌ يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةٌ سَيَّنَةٌ يَكُنْ لَهُ كَفْلَ مِنْهَا) (١) وكل من أعان غيره على أمر بقوله أو فعله فقد صاد شفيعاً له ، والشفاعة للمشفوع له هذا أصلها ، فإن الشافع يَشْفع صاحب الحاجة فيصير له شَفْعاً فيقضائها لهجزه عن الاستقلال بها ، فدخل في حكم هذه الآية كل متعاونين على خير أو شر بقول أو عمل . ونظيرها قوله تعالى : (وَتَعَاوَنُوا عَلَى البّرِ وَالنّقُو كَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالنّدُوانِ) (٢٠ في الشّنَعُوا تُول المنحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا جاءه طالب حاجة يقول : « الشّنَعُوا تُول المنحيح عنه مصلى الله عليه وسلم أنه كان إذا جاءه طالب حاجة يقول : البخارى أن بريرة الما عليه وسلم : « لَوْ رَاجَعْتِيهِ فَإِنّهُ أَبُو السّفارى أن بريرة الما الذي صلى الله عليه وسلم : « لَوْ رَاجَعْتِيهِ فَإِنّهُ أَبُو الشّفاء عليه وسلم : « لَوْ رَاجَعْتِيهِ فَإِنّهُ أَبُو وَلَا عَدْ الله عليه أَنّا شَافِع مَن قالت : فلا حاجه لى قيد في من أفضل في هذه شيفاعة من سيلًا الشّفاء لحب إلى محبوبه ، وهي من أفضل الشفاعات وأعظمها أجْرًا عند الله ، فإنها نتضمَّن اجماع محبو بَيْنِ على ما يحبة الله ورسوله ، ولهذا كان أحب ما لإبليس وجنوده التفريق بين هذين الحبوبين . وسيدن الحبوبين . وسيدن الحبوبين ، وهذا كان أحب ما لإبليس وجنوده التفريق بين هذين الحبوبين .

⁽١) الآية ٨٥. سورة النساء. (٢) الآية ٢. سورة المائدة ?

⁽٣) رواه الشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي ، كما قال السيوطي .

⁽٤) ألظر صفحة ١٤٣٠

و تأمَّل قوله تعالى فى الشفاعة الحسنة (يَكُن لَهُ نَصِيبٌ مِنها) وفى السيِّمَةِ (يَكُن لَهُ نَصِيبٌ مِنها) وفى السيِّمَةِ (يَكُن لَهُ مَعِيبٌ مِنها). فإن لفظ الكرفل يُشْعِرُ بالحل والثُقل ، ولفظ النصيب يُشْعِرُ بالحظ الذى يَنقَبُ طالبُه فى تحصيله ، وإن كان كلُّ منهما يُستعمل فى الأمرين عند الانفراد ، ولكن لما قرن بينهما حَسُنَ اختصاص صفط الخير بالنصيب معط الشر بالكفل .

وفى معيفة عرو بن شعيب عن أبيه عن حدة أن رجلاً على عهد رسول الله على الله عليه وسلم زوَّجَ ابنةً له وكان خطبها قبل ذلك عم بنتها ، فبلغ النبي ملى الله عليه وسلم أنها كارهة هذا الذى زوّجها أبوها ، وأنه كلن يعجبها أن يتزوّجها عم بنتها ، فأهدر النبي صلى الله عليه وسلم نكاح أبيها وزوَّجها عم بنتها (١) . وقد تقد م حديث عرو بن دينار ، عن طاوس ، عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رجلاً قال : يا رسول الله ، في حِجْرِي يتيمة قد خطبها رجُل مُوسِر ورجُل مُعدِم ، فنعن عب الموسِر وهي تحب المعدم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَيْسَ لِلْمُتَحَابَيْنِ مِثْلُ النّه كاح » رواه سلمان بن موسى عنه (٢) .

وقال تَحْفَلَد بن الحسين : حد ثنا هشام بن حسّان ، عن محمد بن سيرين قال : كان عمر بن الخطاب يَمُسُّ بالليل فسمع صوت امرأة تغنِّى وتقول : هل من سبيل إلى خر فأشر بَهَا مُ هل سبيل إلى نصر بن حجّاج

⁽١) رويت هذه القصة في صحيح البخارى وسنن النسائى وابن ماجه بألفاظ الخرى عن خنساء بذت خذام الالصارية . ورويت من طرق أخرى في كتا بي الإصابة وأسد الغابة .

⁽٢) أنظر تخريجه في صفحة ٢١٢.

فقال : أمّا وعمر حيّ فلا . فلما أصبح بعث إلى نصر بن حجّاج فإذا رجلٌ جيلٌ فقال : اخرج فلا نساكني بالمدينة ، فحرج حتى أتى البصرة وكان يدخل على مُبحاشع بن مسعود ، وكانت له امرأة جيلة فأتجبها نصر ، فأحبها وأحبّته فسكان يقعد هو ومُبحاشع يتحدّثان والمرأة معهما ، فكتب لها نصر في الأرض كتابًا فقالت : وأنا ، فعلم مُجَاشع أنها جواب كلام ، وكان يجاشع لا يكتب والمرأة تكتب ، فدعا بإناء فأكفاه على المكتوب ودعا كاتبًا فقرأه فإذا هو : إنى للمُحبِّث حبّاً لوكان فوقك لأظلّك ولوكان تحتك للأقلك لأقلك المناس عامن عباشع فاستحيا ولزم بيته وضني جسمه حتى كان كالفرخ (٢٠) ، وبلغ نعراً عاصنع كاست كالفرخ (٢٠) ، فقال عباشع لامرأته : اذهبي إليه فأسنديه إلى صدرك، وأطعميه الطعام بيدك ، فأبت ، فعزم عليها فأتته فأسلدته إلى صدرها وأطعمته الطعام بيدها ، فلما تعامل خرج من البصرة ،

إنّ الذين بخير كنت تذكرهم همأهلكوك وعنهم كنت أنهاكا لا تطلبن شيفاء عند غيرهم فليس يُعْيِيك إلا من توفّا كا

فإن قيسل : فهل تبيح الشريعة مثل ذلك ؟ قيل : إذا تعيَّنَ طريقاً للدوا، ونجاة العبد من الهككة للم يكن بأعظم من مداواة المرأة للرجل الأجنبي ، ومداواته لها ، ونظر الطبيب إلى بدن المريض وَمَسَّع بيده للْيَحَاجَة . وأما التداوى بالجماع فلا يبيحه الشرع بوجه ما ، وأما التداوى بالضم والقبلة فإن تحقق الشفاء به كان نظير التداوى بالخر عند من يبيحه ، بل هذا أسهل من التداوى

⁽١) أقل الشيء: حمله ورفعه .

⁽ ٧) الفرخ ؛ ولد الطاتر ، وكل صغير من الحيوان والنبات ، والفرخ أيضاً الرجل الضميف الذليل المطرود .

بالخر فإِنَّ شُرَّبَهُ من الكِبائر . وهذا الفعل منالصغائر (١). والمقصود أن الشفاعة للعشاف ، فيا يجوز من الوصال والتلاق ، سنَّة ماضية وسعى مشكور .

وقد جاء عن غير واحدي من الخلفاء الراشدين ومَن بعدهم أنهم شفعوا هذه الشفاعة .

فقال الخرائطى: حـد ثنا على بن الأعرابي ، حـد ثنا أبو غسان الدَّهْدِي قال : مر أبو بكر الصِّدِ يق رضى الله عنه فى خِلاَ فَتِهِ بطريقٍ من طُرُ مِن للدينة ِ فإذا جارية تطحنُ برحاها وهى تقول :

وهُو يِنُهُ مِن قبل قطع تمامًى متايسًا (٢) مثل القضيب الناعم وكأنَّ نُورَ الْبَدْرِ سُنَّةَ وَجْهِرِ يَنْسِي وَيصعد في ذُوْابة هاشم (٣)

ندق عليها البياب فخرجت إليه فقال : ويلك أُحُرَّةٌ أنت أم مملوكة ؟ فقالت : بل مملوكة يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فمن هو يت ؟ فبكت ثم قالت : بحق الله إلا انصرفت عنى ، قال : لا أريم أو تعلمينى فقالت :

وأنا التى لعب النـرامُ بقلبها فبكت لحبّ محـد بن القاسم فسكت لحبّ محـد بن القاسم فسار إلى المسجد وبعث إلى مولاها فاشتراها منه ، وبعث بها إلى محد بن القاسم بن جَعفر بن أبى طالب وقال : هؤ لاء فيّن الرجال ، وكم قد مات بهن من كريم ، وعَطِبَ عليهنّ من سايم .

⁽١) خالف المؤلف نفسه بهذا الرأى انظر صفحة ١٣٢ وما بمدها .

⁽٢) متهايساً: متبختراً.

^{(ُ}٣) ينمى : يزيد ويكثر . والدَّوَابَة : الناصية، وقيل منهمًا من الرأس . وذرَّابَة القوم : أشرفهم والمقدم فيهم .

ويُذَكّر عن عَبَان بن عَنَان رضى الله عنسه أنه جاءته جارية تستعدى على رجُل من الأنصار فقال لها عَبَان : ما قصَّتَك ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين كَلِفْتٌ بابن أُخيه ، فا أَنْفَكُ أَرَاعِيه ، فقال له عَبَان : إما أن تَهَبَهَا لابن أُخيك أو أعطيك ثمنها من مالى ، فقال : أشهدك يا أمير المؤمنين أنها له .

وأْتِي ۖ عَلَى ۚ بن أَبِي طَالَب بِغَلامٍ مِن العرب وُجِد فيدار قومٍ بِاللَّيل فقال له : ما قصتك ؟ فقال : لست بسادِقِ ولسَّكنِّي أصدُ قُكَ . `

تعلقت في دار الرباحي خَسو دَة يَدِلُ لَمَا من حسنها الشمس والبدر الما في بنات الرُّوم حُسْن ومنصِبُ إذا انتخرت بالحسن صدّقها الفخر المناطر قت الدار من حَرِّ مُهْجَة أَتِيت وفيها من توقدها جسسر المادر أهسل الدار لي ثم صيحوا هو الله عموماً له القتل والأسر المادر أهسل الدار لي ثم صيحوا هو الله عموماً له القتل والأسر المنادر أهسل الدار لي ثم صيحوا

فلما سمع على شمر م رقى له وقال للمهالب بن رياح : اسمح له بها ونمو ضك منها ، فقال : يا أسمر المؤمنين سَدلُهُ مَنْ هو لنمر ف نسبه ؟ فقال : النَّهاسُ بن عُمَيْنَةَ الْمَعِدْلِيّ ، فقال : خذها فهى لك .

وذكر التميمي في كتابه المسمى «بامتزاج النفوس» أن معاوية بن أبي سفيان الساتري جارية من البحرين فأتجب بها إنجاباً شديداً فسمما يوماً تنشد أبياتاً منها:

وفارقَتُه كالنصن يهتزُ في الثرى طَريراً وَسِيماً بعدماطر شاربُهُ (١) في وفارقتُه كالنصن يهتزُ في الثرى فردّها إليه وفي قلبه منها .

وقال سالم بن عبد الله : كانت عاتكة ابنة زيد تحت عبد الله بن أبي بكر

⁽١) الطرير : در المنظر والهيئة الحسنة . وطر شاربه : نبت .

الصدّيق رضى الله عنه ، وكانت قد غلبت على رأيه وشغلته عن سُوقه ، فأمره أبو بكر بطلاقها واحدةً ففعل ، فو جَدّ عليها فقعد لأبيه على طريقه وهو يريد الصلاة ، فلما بَصُرَ بأبي بكر بكى وأنشأ يقول :

ولم أَرَ مشكل طلَّقَ اليومَ مثلها ولا مثلهَا في غير جُكر م يطلَّق لما خُلُقُ جَرِ لُ وَحَلَمْ ومَنْصِبُ وخَلْقُ سَوِى فَى اللَّياةِ (١) ومَصْدَقُ فرق له أبو بكر رضى الله عنه وأمره بمراجعتها ، قلما مات قالت ترثيه :

فلما حلّت تزوَّجها عمر بن الخطاب رضى الله عنهُ وأولم عليها ، فقال له على ابن أبى طالب رضى الله عنه : أتأذن لى يا أمير المومنين أدخل رأسى إلى عاتكة أكلِّمها ؟ قال : نعم ، فأدخل على ترأسه إليها وقال : يا عُدَيَّة نفسها .

آلیت لا تنفك عین قریرة علیك ولا ینفك جلدی أصفرا فتبكت ، فقال له عمر : ما دعاك إلى هذا یا أبا الحسن ؟ كل النساء بفعلن هذا . فلما قُتُل عمر قالت ترثیه :

⁽١) رواية الأغانى والإصابة : , فى الحياء , . وجزل: كريم . ومصدق : صادق الحلال .

⁽٢) رواية الأغانى: , فأقسمت ، .

⁽٣) شرعت: تسددت،

فيعتنى المنون بالفارس المُعند آلم يوم الهيد الجوران والتثويب (١) قل لأهل الضراء والبؤس موتوا قد سقته المنون كأس شعوب (٢) فلما حلّت تزوّجها الرابير بن العوام ، فاستأذنت ليله أن تخرج إلى المسجد فشق ذلك عليه وكر أن يمنعها لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تَمنّدوا إِمّاء الله مَسَاجِدَ آلله به (٢) فأذن لها ثم انسكى (١) في موضع مظلم من الطريق ، فلما مرت وضع يدره عليها ، فكر ت راجعة تسبّع ، فسبقها الزبير إلى المنزل ، فلما رجعت قال لها : ما ردّك عن وجهك ؟ قالت : كنّا نخرج والناس ناس ، وأما اليوم فلا . وتركت المسجد ، فلما قتل الزبير قالت ترثيه :

غدر ابن جُرموز بفارس بُهْمَة يوم اللقاء وكان غير مُعَرِّد (°)
ياعرو لو نَبَّهْتَه لوجـــدتَه لاطائشاً رَعِشَ السِّنَانِ وَلا اليد
ثكاتك أُمُّك إن ظفرت بمشله فيا مضى حتى تروح وتفتدى
كم غرة قد خاضها لم يَهْنَيهِ عنها طرادُك يا ابن أمِّ الفرقد (۱)
إن الزبير لذو بلاء صــادق سمـح سجيتُه كريمُ المشهد

فلما حلت خطبها على بن أبي طالب رضي الله عنه فقالت : إني كأضِن بك

على القتل .

⁽١) رواية الآغانى: , والتلبيب ، . المعلم : الفارس جعل لنفسه علامة المحجمان في الحرب . والتثويب في أذان الفجر أن يقول المؤذن : المسلاة خير من النسوم .

⁽٢) المنون : الدهر . والمنون أيضاً : المنية . وشعوب : المنية والفراق .

⁽٣) تقدم تخريجه في صفحة ٣٠٠ ﴿ ٤) انسكمي : اختني واستتر .

⁽ o) البمة : النجاع يستبهم على قرنه وجه غلبته . ومعرد : هارب . وعرد عن قر نه : أحجم و نـكل .

⁽٦) الغيرة : الشدة . والفرقد : نجمقريب من الغطب الثيالي ، وولد البقرة

وذكر الخرائطي أن المهدى خرج إلى الحج حتى إذا كان بز بالة (١) جلس يتغد من فأتى بدوى فناداه: يا أمير المؤمنين إلى عاشق، ورفع صوته عنقال للحاجب: ويحك ما هذا؟ قال: إنسان يصيح إلى عاشق، قال: أدخلوه، فأدخلوه عليه فقال: مَن عشيقتك؟ قال: ابنة عمى، قال: أولها أب ؟ قال: نعم، قال: فا له لا يزوجك إياها ؟ قال: هذا شيء يا أمير المؤمنين، قال: ما هو ؟ قال: فا له لا يزوجك إياها ؟ قال: هذا أمه أممة ليست عربية — قال له المهدى: فأ يكون ؟ قال: إنه عندنا عيب ، فأرسل في طلب أبيها فأتي به، فقال: هذا ابن أخيك ؟ قال: نعم، قال: فلم لا تروجه كريمتك ؟ فقال له مثل مقالة ابن أخيه ، وكان من ولد العباس عنده جماعة ، فقال: هؤلاء كلهم بنو العباس وهم من ذلك ؟ قال: هو عندنا عيب ، فقال له المهدى: أخيه ، وكان من ولد العباس عنده جماعة ، فقال العيب ، وعشرة آلاف مثر ما الذي يضر هم من ذلك ؟ قال: هو عندنا عيب ، فقال له المهدى: زوجه إياها على عشرين ألف درهم ، عشرة آلاف للعيب ، وعشرة آلاف ممثر من فل نفهما إليه فأنشأ الشاب يقول:

إِبْتَمْتُ ظَبْيَةَ بِالْغَـلاءَ وإِمَا يُعْطِى الفَلاَء بَثَلْهَا أَمْثَالَى وَرَكْتُ أَسُوانَى القَلاء وإِن رَخُصْنَ غُو َالِي وَرَكْتُ أَسُوانَى القِباحِ وإِن رَخُصْنَ غُو َالِي وَرَكْتُ أَسُوانَى من حديث الهيثم بن عدي عن عَو اللّه بن الحسكم أن عمر ابن أبي ربيعة كان قد ترك الشهر ورغب عنه ونذر على نفسه بكل بيت يقوله هذي بَدَن بَدَن مَ مَرْج ليلةً يريد الطواف بالبيت إذ نفار

⁽١) زبالة (بضم أوله): منزل بطريق مكة من السكوفة ، كما فى ياقوت . (٧) الهدى: ما يهدى إلى الحرم من النعم . والبدنة ناقة أوبقرة تنحر يمكة سميت بذلك لانهم كانوا يسمنونها ، والجمع بدن بالضم .

إلى امرأة ذات جمال تطوف ، وإذا رجل يتلوها ، كلما رفعت رجَّلُها وضغ رِجِله موضعَ رِجُلها ، فجعل ينظر إلى ذلكِ من أمرها ، فلما فرغتَ المرأة من طُوافِهَا تَبِعِهَا الرَّجِلِ هُمُنَّيَّةً ثُم رَجِعٍ ، فلما رآه عمر وثب إليه وقال: لَتَخْبَرَنِّي عن أمرك ، قال : نعم ، هذه المرأة التي رأيت ابنة عمّى وأنا لها عاشق وليس لي مال ، فخطبتها إلى حمر فرغب عني (١) وسألني المَهْرَ مالا أقدر عليمه ، والذي رأيتَ هو حظِّي منها ، ومالى من الدُّنيا أمنية من عيرُها ، وإنما ألقاها عند الطواف وحفلًى مارأيت من فعلى. فقال له عمر : ومَن عمُّك ؟ قال : فلان بن فلان ، قال: الطلق معي إليه ، فانطلقا ، فاستخرجه عمر فخرج مبادراً فقال : ماحاجتُك يا أَبَا الْحَطَّابِ؟ قال : تزوَّج ابنتك فلانة من ابن أخيك فلان ، وهذا المَهْرُ الذي تسأله يُسَاق إليك من مالى ، قال : فإنى قد فعلت . قال عمر : إنى أحبُّ أن لا أبرحَ حتى يجتمعا ، قال : وذلك أيضًا ، قال : فلم كَيْرَحْ حتى جمعها جميعً ، وأتى منزلَه فاستلقى على فراشه فجمل النوم لا يأخــٰذه، وجعل جوفُه كَجِيش (٢) بالشمر ، فأ نكر تجاريته ذلك ، فجملت تسأله عن أمره وتقول: ويحك ماالذي قد دهاله ؟ فلما أكثرت عليه جلس وأنشد:

تقول وَلِيدُنَّى أَلَـــا رأتني طربتُ وكنت قد أقصرتُ حينا بربك هل أمَّاك لها رسمول فشاقك أم رأيت لها خَـدِينا^(٢)

أراك اليوم قد أحدثت شوقًا وهاج لك البكا داء دفينـــا فقلت شيكا إلى أن عب لل كبعض زماننا إذ تعلمينا نمدً على ما يُلْق مهند فوافق بعض ماكنًا لقينا

⁽١) رغب عني : لم يردني .

⁽٢) يعيش: يزخر، يفيض،

⁽٣) الحدن والحدين : الصاحب ، الحبيب ، الصديق ، والجمع : أخدان ، (۲۰ م ــ روضة الحبين)

وعرض خالد بن عبد الله القَسْرى سجنّه يوماً وكان فيسه يزيد بن فلان البجلي (٢٠) ، فقال له خالد : فى أى شيء حُبست يايزيد ؟ قال : فى تهمة - أصلح الله الأمير - قال : أفتمود إن أطلقتك ؟ قال : نعم ، وكره أن يمرّض بقصّته لئلا يفضيح معشوقته ، فقال خالد : أحضروا رجال الحيّ حتى نقطم يده بحضرتهم، وكان ليزيدَ أنهُ فكتب شعراً ووجّه به إلى خالد :

أَخَالِدُ قد أُعطيتَ في الخلق رتبة وما العاشقُ المسكينُ فينا بسارق أقرَّ بما لم يَأْتِهِ المسموء إنه رأى القطع خيراً من فضيحة عاشق ولولا الذي قد خفتُ من قطع كفة لألفيتُ في شأن الهوى غيرَ ناطق إذا بدت الرايات للسبق في العلى فأنت ابن عبد الله أول سابق

فلما قرأ خالد الأبيات علمصدق قوله ، فأحضر أولياء الجارية فقال : زوّجوا يزيد فتاتَكُم ، فقالوا : أمّا وقد ظهر عليه ما ظهر فلا ، فقال : لأن لم تزوّجوه طائمين كَتُزَوِّجُنّه كارهين ، فزوَّجوه ونقد خالد المَهْرَ من عنده .

وذكر أبو العباس المبرّد قال :كان رجل السكوفة يدعى ليث بن زياد قد ربى جارية وأدّبها فخرجت بارعة فى كل فن مع جال وافر ، فلم يزل معها مدّة حتى تبيّنت منه الحاجة فقالت : يامولاى لو بعتنى كان أصلح لك مما أراك به وإن كنت لأظن أنى لا أصبر عنك ، فقصد رجّلا من الأغنياء يعرفها

⁽١) الخلة : الخليل يستوى فيه المذكر والمؤلث . والقلى : الهجر والبغض .

⁽٢) في ديوان للصباية : والمجلى ، و

و يعرف فضلَها فباعها بمائة ألف دره ، فلما قبض لمال وجّه بها إلى مولاها وجزع أعليها جزعاً شديداً ، فلما صارت الجارية إلى سيّدها نزل بها من الوّحشة للأوّل مالم تستطع دفعة ولا كَثْمَة ، فباحث به وقالت :

أَمَانَى البِـالَاحِقًا فِـا أَمَا صَانِعُ أَمْ صَطَارِ لَلْبَيْنِ أَمْ أَمَّا جَازِعُ لَكُومَ لَلْبِينِ أَمْ أَمَّا جَازِعُ (١) كُنِي حَرَّنَا أَنِي عَلَى مثل جَرقٍ أَقَاسَى نَجُومَ اللَّيلُ والقلبُ نَازِعُ (١) فَإِنْ عَمْونِي أَنْ أَبُوحِ بَحِبُ فَإِنِي تَمْيلُ والعيـــونُ دوامع

قبلغ سيّد ها شعر ما فدعا بها وأرادها فامتنعت عليه وقالت له : ياسيّدى إنك لا تنتفع بى ، قال : ولم ذاك؟ قالت : إنى لما بى ، قال : وما بك؟ صفيه لى قالت : أجد فى أحشائى نيرانا تتوقد ، لا يقدر على إطفائها أحد ، ولا تسأل عما ورا • ذلك ، قر َ حَمَها ورق لما وبعث إلى مولاها فسأل عن خبره ، فوجد عنده مثل الذى عندها ، فأحضره فرد الجارية عليه ، ووهب له من تمنها خسين ألفا ، فلم تزل عنده مسدة طويلة . وبلغ عبد الله بن طاهر خبر مها وهو بخراسان ، فكتب إلى خليفته بالكوفة يأمره أن ينظر فإن كان هذا الشعر الذى ذكر له من قبل الجارية أن يشتريها له بما ملكت يمينه ، فركب إلى مولى الجارية فخبره من قبل الجارية أن يشتريها له بما ملكت يمينه ، فركب إلى مولى الجارية فخبره من قبل الجارية أن يمن قبل الجارية أن يمن عاهر ، فلم يجد سيّدُها بدّا من عرضهاعليه وهو كار قاراد الأمير أن يعلم ما عند الجارية فأنشأ يقول :

بديع حسن رشيق قد جعلت منى له مسلاذا فأجابته الجارية :

فعاتبوه فزاد عشمة في فيات شوقًا فكان ماذا فعلم أنها تَصْلُح له ، فاشتراها بمائق ألف دره ، فجرَّزها وحملها إلى عبد الله بن

⁽١) نازع: اشتد به الحنين والشوق

ظَاهُر إلى خُراسان ، فلما صارت إليه اختبرها فوجدها عَلَى ما أراد ، فغابته عَلَى عقله على عقله ، ويقال : إنها أمَّ محمد بن عبد الله بن طاهر ، ولم تزل ألطافُها(١) وجوائزها تأتى مولاها الأوّلَ حتى ماتت .

وقال عربن شَبّة ، حدّثنا أيوب بن عمر الغفارى قال : طلّق عبد الله بن عامر المرأته ابنة كلما ، ومعها وديعة عامر المرأته ابنة سهل بن عرو ، فقد مت المدينة ومعها ابنة كلما ، ومعها وديعة جوهر الستودعها إياه ، فتزوّجها الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه ، ثم أراد ابن عامر الحج قاتى المدينة فلق الحسن فقال : يا أبا محمد إن لى إلى ابنة سهل حاجة فأحب أن تأذن لى عليها ، فقال الحسن : البسبي ثيابك فهذا ابن عامر يستأذن عليك ، فدخل عليها فسألها وديعته عاءته بها عليها خاتمه . فقال لها : خذى ثلقها فقالت : ما كنت كنخذ على أمانة المتمنت عليها شيئاً أبداً ، ثم أقبل عليها ابن عامر فقال : إن ابنتي قد بلغت فأحب أن "كُلِّ يدى وبينها ، فبكت وبكت ابدتها ، فرق ابن عامر فقال الحسن : فهل لسكما ؟ فوالله ما مِن فبكت وبكت ابدتها ، فرق ابن عامر فقال الحسن : فهل لسكما ؟ فوالله ما مِن علل خير منى قال : فوالله لا أخرجها من عندك أبداً ، فكفلها حتى مات .

وذكر الانخشرى فى « ربيع الأبرار » أن زُبَيْدَة بنت أبى جعفر (٢) قو أت فى طريق مكة على حائط :

أما في عباد الله أو في إمانه كريم مُ بَجَلِي (٣) الهم عن ذاهب المقل له مقلة أما المآق فقرحة وأما الحشا فالنارُ منه على رجل(١)

⁽١) ألطاف جمع لطف: الهدايا.

⁽٢) كذا . . وهي بنت جمغر بن أبي جعفر .

⁽٣) يجل: يكشف.

⁽٤) المآ قى جمع مأقة : طرف العين عا يلى الانف وهى بجرىالدمع ، وعلى رجل : يمنى على اشدها .

فنذرت أن تحتال لقائلها حتى تجمع بينمه وبين من يحبه ، قالت : فإنى البَمْزُ دَلِقَةً إذ سمعت من ينشدها ، فاستدعيت به فزعم أنه قالها في بنت عم له وقد حلف أهلُها أن لا يزوِّجوها منه ، فوجَّهَتْ إلى الحيُّ وما زالت تبــذلُ لهم المالَ حتى زوَّجوه . وإذا للرأة أعشقُ من الرجل ، فسكانت زبَيْدُة تعدُّه في أعظم حسناتها وتقول: ما أنا بشيء أسرٌّ مني بجمعي بين ذلك الفتى والفتاة .

قال الزنخشرى: وَهَوِيَ أَحَدَ بِن أَبِي عَمَانِ السَكَاتِبُ جَارِيةً لَرُ بَيْدَةَ اسمها « نعم » حتى مرض وقال فمها أبياتًا منها :

> وإنى لَيْرضيني الْمَمَّرُ ببابها وأقنع منها بالشنيمة والزُّجْرِ فوهبتها له .

وذكر الخرائطي أنه كان لبعض الخلفاء غلامٌ وجاريةٌ من غلمانه وجواريه متحابُّ ين ، فكتب الغلامُ إليها يوماً يقول :

ولقد رأيتك في المنام كأنما عاطَيْتِني من ريق فيك البارد وكان كفك في يدى وكأندا بتنَّا جيمًا في فراشِ واحمد فطَهَتُ يوى كلَّه مستراقداً الأراكِ في نوى واستُ براقد نم انتبهت ومعماك كلاما بيدى المين وفي يمينك ساعدى

فأحابته الجارية :

إنى لأرجو أن تكون معانقي فتبيت منى فوق ثدى ناهــد وأراك بين خــلاخلي ودَمالجي وأراك بين ترائي وتجاًســدى(١)

⁽١) خلاخلي جمع خايخال: الخلخال، وثوب خلخال: رقيق. ودمالجي جمع=

ونَبِيتَ أَلطَنَ عَاشَقَيْنِ تَمَاطَيْنَ طَرفَ الحَديثُ بلا عَافَة راصد فبلغ الخليفة خبرُ هما فأنكحها وأحسن إليها على شدَّة غيرته.

وقال أبو الفرج بن الجوزى رحمه الله تعالى : سمع المُهَلَّب فتَّى يتغنَّى بشمرٍ فى جارية له فقال المهلَّب :

> لَمَمْرَى َ إِنَى الْمُحبِّيْنِ رَاحِمْ َ وَإِنَى بِسَـَثْرِ الْمَاشَقِينِ حَقِيقَ سَأْجِعِ مَنْكُمْ شَمْلُ وُدِّ مَبدُّد . و إِنِي بِمَا قَدْ تَرَجُوانَ خَلِيقَ ثم وهبوا له ومعها خسة آلاف دينار .

وقال الخرائطى : كان رجل نخاس عنده جارية لم يكن له مال غيرها ، وكان يَمْرِضها في المواسم فتغالى الناس فيها حتى بلغت مبلغا كثيراً من المال وهو يطلب الزيادة ، فعُلِقها (٢٠) رجل فقير فكاد عقله أن يذهب ، فلما بلغه ذلك وهبها له ، فعو تب في ذلك فقال : إنى سمحت الله تعالى يقول : (وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكُمْ النَّاسَ جَيِماً) (٢٠) أفلا أحيى الناس جميعاً ؟

وقال على بن قريش الجرجاني :

شكوت بلاء لا أطيق احمّالَه وقلبى مطيعٌ الهوى غيرُ دافع فأقسم ماتركى عنابك عن قِلَى ولكن لعلى أنه غيرُ نافع وإلى متى لم ألزَم الصبرَ طائعًا فلا بدٌّ منهُ مكرَ مَا غيرَ طائع

⁼ دملج . ودملوج : حلية تحيط بالمصد. والترائب جمع تريبة : عظام الصدر مما يلى الترقوتين وموضع القلادة . وبحاسد جمع بحسد : الثوب الملامس للجسد . وجسد به : لصق .

⁽١) علقها: أحبها.

⁽٢) الآية ٣٢. سورة المائدة .

إذا أنت لم يَعطفك إلا شفاعة فلا خير فى ودَّ يكون بشافع وكان أبو السائب المخزومى أحد القرّاء والفقهاء ، فرؤى متعلَّمًا بأستار السلمية وهو يقول: اللهم ارحم العاشقين ، واعطف عليهم قلوب المعشوقين ، فقيل له فى ذلك فقال: الدعاء لهم أفضل من عُمْرَةٍ من الجُعرانة (١) .

وذكر أحمد بن الفضل الكاتب أن غلامًا (٢) وجارية كانا في كُتَّاب فَهُو يَهَا الفلامُ ، فلما كان في بعض أيامه في غفلة من الغلمان كتب في لوح الجارية :

ماذا تقولين فيمن شَـفَّه سَـقَم م من طول حبَّك حَتَى صار حيرانا فلما قرأته الجارية أغرورقت عيناها بالدُّموع رحمة له وكتبت تحته:

إذا رأين اعبًّا قد أضرٌ به طولُ الصبابة أوْلَيْنَاهُ إحسانا

وذكر الهيم بن حَدِى ، عن محمد بن زياد أن الحارث بن السّليل الأردى خرج زائراً العلقمة بن حزم (٢) الطائى وكان حليفاً له ، فنظر إلى ابنة له تُدهى الربّابوكانت من أجل النساء ، فأعجب بهاوعشقها عشقاً حال بينه وبين الانصراف إلى أهله ، فقال لعلقمة : إلى أتيتك خاطباً وقد بُنْكُح الخاطب ، ويدرك الطالب ، و يُعنَبَح الراغب قال : كفو كريم فأقم ننظر في أمرك ، ثم انكفا (١) إلى أمّ لجارية فقال لها : إن الحارث سيّد قومه حسباً ومَنْصِباً ويعتافلا بنصرفن من عندنا إلا بحاجته ، فشاورى ابنتك وأديريها عما في نفسها ، فقالت لها : أي

⁽١) أنظر الصفحة ١٤٤.

٠ (٢) هو على بن الجيم.

⁽٣) اسمه علقمة بن خصفة واسم ابنته الزباء. كما ذكره الميسدائي في مثاله.

⁽٤) انكفأ:رجع.

مُدِيّة ، أي الرجال أعجب إليك ؟ الكَهْلُ الجعجام (١) ، المفضّل الميّاح (٢) ، أم الفقى الوضاّح (٣) ، المسلول العامّاح ؟ قالت : الفتى الوضاّح ، فقالت : إن الفتى يُعيرك (١) ، وإن الشيخ يُعيرك (١) ، وليس المكهلُ الفاضل ، الكثير النائل (٢) كالحديث السنّ ، الكثيرالمنّ . فقالت : يا أمّاه أحبُّ الفتى ، كحب الرّعاء أنيق المكلّا . قالت : يا بُدنيّة ، إن الفتى شديد الحجاب ، كثير العتاب . قالت : ياأمّاه المكلّا . قالت : يا بُدنيّة ، إن الفتى شديد الحجاب ، كثير العتاب . قالت : ياأمّاه أخشى من الشيخ أن يدنس ثيابى ، ويبُلى شَبابى ، ويشمت بى أترابى . فلم تزل بها الأمّ حتى غلبتها على رأيها فتروجها الحارث على خسين ومائة من الإبل وخادم وألف دره ، فبنى بها وكانت عنده أحبّ شيء إليه ، فارتحل بها إلى أهله ، فإنه المسراع وألف دره ، فبنى بها وكانت عنده أحبّ شيء إليه ، فارتحل بها إلى أهله ، فإنه فتنقست الصّقداء ، ثم أرسلت عينها بالبكاء فقال ما يبكيك ؟ فقالت : مالى وللشيوخ ، الناهضين كالفروخ (٨) ، فقال : شكلتك أمّلك قد تجوع الحرّة ولا وللشيوخ ، الناهضين كالفروخ (٨) ، فقال : شكلتك أمّلك قد تجوع الحرّة ولا تأكل بنديها ، فسارت مثلاً ، أى لا تكون ظئراً (١) ، وكان أوّل من نطق بها ، ثم قال : أما وأبيكلرب غارة شهدتها ، وسبية أردفتها ، وخرة شربتها ،

⁽¹⁾ الجحجاح: السيد السمح الكريم.

⁽٢) ماح في مشيته: مال وتبختر ، وماح فلاناً : أعطاه .

⁽٣) الوضاح صيغة مبالغة : الحسن الوجه البسام . ورجل وضاح الحسب : ظاهره و نقيه ومبيضه .

⁽٤) يغيرها : يجعلها تغار بالزواج وغيره .

⁽٥) يميرك: يهيء لك طيب العيش. والميرة: الطعام يجمع للسفر ونحوه.

⁽٦) النائل: السكثير العطاء.

⁽v) اعتلج القوم : اقتتلوا واصطرعوا .

 ⁽ A) الفرخ: ولد الطائر وكل صغير من الجيوان والنبات والشجر ومر.
 الرجال الذليل الضعيف.

⁽٩) الظثر: المرضعة لغير ولدها.

الحلقى بأهلك فلا حاجة لى فيك ، ثم أنشأ يقول :

فإن بقيتٍ رأيتٍ الشيبَ راغمةً وفي التفر ُق ما يقضي من العِـبر وإن يكن قد علا رأسي وغـيَّره صَرفُ الزمان(١) وتقتير من الشَّقر فقد أُروح للذَّات الذَّى جَــذِكُ وهمتي لم تُشَبُّ فاستخبري أثري (٢)

وعَيْرَتْ أَن رأتني لابسًا كِبَراً وغايةُ النفس بين الموت والكيبَر

 ⁽١) صرف الزمان : حدثانه ونوائبه .
 (٢) جذلا : فرحاً ونشيطاً ، لم تشب : لم يصبها الوهن .

البالليار والعيشرون

فى ترك الحبين أدنى الحبوبين رغبة فى أعلاهما

هذا باب لايدخسل فيه إلا النفوس الفاضلة الشريفة الأبيسة التي . لا تقنع بالدُّون ، ولا تبيسع الأعلى بالأدنى بيع العاجز المغبون ، ولا يملكها لطُنخ جال مُفَشُّرً على أنواع نن القبائح ، كما قال بعض الأعراب وقد نظر إلى امرأة مبرقعة :

إذا بارك الله في مَلْبَسٍ فلا بارك اللهُ في البُرْمَعِ يُريك عيونَ المَهِا مُسْبَلًا ويكشفِ عن منظرٍ في أشنع

وقال الآخر :

لاینرٌ نُكَ ماتری من نقابِ إِن تحت النقاب داء دَوِیاً فالنفس الأبیة لاترضی بالدُّون . وقدعاب الله سبحانه أقواماً استبدلوا طعاماً بطعام أدنی منه ، فنعی ذلك علیهم وقال : (أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلّذِی هُوَ أَدْنَی بِالّذِی هُوَ خَیْرٌ)(۲۲) ، وذلك دلیل علی وضاعة النفس وقلة قیمتها .

وقال الأصمعى: خلا رجل من الأعراب بامرأة فهم بالريبة ، فلما تمكن منها تنحى سليا وجعل يقول: إن امرءًا باع جنة عرضها السموات والأرض بفتر (٢٦ مابين رجكيك لقليل البصر بالمساحة .

⁽١) مفش : يخنى مافيه من عيوب .

⁽٢) الآية ٦١ : سورة البقرة .

⁽٣) الفتر : مابين طرف الإبهام وطرف السبابة إذا فتحهما .

وقال أبو أسماء: دخل رجل خَيْضَةٌ () فقال: لو خلوت هاهنا بمصية مَن كان ير انى ؟ فسم صوتًا ملأ ما بين لا َبْتَى ِ () الغيضة (أَلَا تَيْمُ مُن خَلَقَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ ٱلْخَلِيمُ) () .

وقال الإمام أحمد: حدّثنا هَيْثُم _ هو ابن خارجة _ حدّثا إسماعيل ابن عياش ، عن عبدالرحمن بن عَدِى البَهْرَ انى ، عن يزيد بن مَنْيسرة قال: إن الله تمالى يقول: أيها الشاب التارك شهوته لى ، المتبذل (١٠) شبابه من أجلى ، أنت عندى كبعض ملائكتى .

وذكر إبراهيم بن الجنيد أن رجلاً راود امرأةً عن نفسها فقالت له : أنت قد سمعت القرآن والحديث فأنت أعلم قال : فأغلق الأبواب فأغلقها ، فلما دنا منها قالت : بقى باب لم أغلقه قال:أى باب ؟ قالت:الباب الذى بينك وبين الله ، فلم يتعرص لها .

وذكر أيضاً عن أعرابي قال : خرجت في بعض ليالي الظلَم فإذا أنا بجارية كانها عَلَم فأ فأردتها عن نفسها فقالت : ويلك أما كان لك زاجر من عقل ، إذ لم يكن لك نام من دين ؟ فقلت : إنه والله مايرانا إلا السكواكب، قالت : فأين مُسكّو كُنها ؟

وجلس زياد مولى ابن عياش رضي الله عنهما إلى بعض إخوانه فقال له :

⁽١) الغيضة : الموضع يكثر فيه الشجر ويلتف.

^{(ُ} ٧ُ) اللابة : الحرة والموضع، ولابتا المدينة : حرتان تسكتنفانها . وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم حرم مابين لابتى المدينة .

⁽٣) الآية ١٤: سورة الملك.

⁽٤) المتبذل شبابه : الذي حرم نفسه من ملذاته .

⁽ ٥) العلم : الجبل : وشيء منصوب يهتدى به في الطريق .

يا عبد الله ، فقال له : قل ما تشاء ، قال : ماهى إلا الجنة أو النار ؟ قلت : نعم قال : وما ينهمامنزل ينزله العباد ؟ قلت : لاوالله فقال : والله إن نفسى ، لَنَفْسُ أضن جها على النار ، والصبر ليوم عن معاصى الله خير من الصبر عَلَى الأغلال ، وقال وهب بن مُنَبِّة : قالت امرأة العزيزليوسف عليه السلام : ادخل معى القيطون - تعنى السِّتر - قال : إن القيطون لا يسترنى من ربِّق .

وقال البزيدى : دخلت عَلَى هارون الرشيد فوجدته مُكِبَّا عَلَى وَرقة ينظر فيها مَكتوبة بالله أمير المؤمنين ؟ فيها مكتوبة بالله هذين البيتين في بعض خزائن بنى أُميّة فاستحسنتهما ، فأضفت البهما ثالثاً ، فقال : ثم أنشدنى :

إذا سُدّ باب عنك من دون حاجة قَدَّعْـهُ لأخرى ينفتح لك با بها فإن قُراب البطن يكفيك مَلاً ويكفيك سو وات الأمور اجتنابها فلا تك ميندالا لدينك واجتنب ركوب المعاصى يجتنيبك عِقابُها وقال أبو العباس الناشى و

إذا المرء يحمى نفسه حِلَّ شهوة السحة أيَّامِ تبيد وتَنفَدُ فَا بِالله لا يحتى من حرامه أبياً الصححة أيَّامِ تبيد وتَنفَدُ فَا بِالله لا يحتى من حرامه أبياً الصححة ما يبقى له وَ يُخَلَّدُ وقيل : إن على بن أبي طالب رضى الله عنه كان ينشد هذين البيتين : إقدم (١) النفس بالكفاف وإلا طلبت منك فوق ما يكفيها إنما أنت طول عرك ما عُسَّمِ تَ فَي الساعة التي أنت فيها ومن أحسن شعر العرب وكان عمر و بن العاص يتمثل بهما :

⁽١) اقدع النفس: إمنعها وكفها. وقدع فلاناً عن الشيء: كفه ومنعه .

وقال شُعْبَة : عن منصور ، عِن إبراهيم ، كلَّمْ رجلُ من العُبُّاد امرأَةً فلم يزل بها حتى وضع يدَه عَلى فَخِذِها فانطلق فوضع يده عَلى النار حتى نَشَّت (٢٠) .

وقال زيد بن أسلم عن أبيه : كان عابدٌ في صَوْمَهُ يَتَعَبَّد فأَشَرَفَ ذَاتَ يُومِ فرأَى امرأَةً فَفُتَن بها ، فأخرج إحدى رجليه من الصَّومَعة يُريد النزول إليها ، ثم فكروادُّ كر فأناب ، فأراد أن يعيد رِجْله إلى الصومَعة فقال : والله لاأدخلُ . رجْلًا خرجت تريد أن تعصى الله في صومَعتى أبداً ، فتركها خارجة من الصومَعة فأصابهاالثله والبرد والرياح حتى تقطَّمت .

وقال بعض السلف : من كان له واعظ من قلبه زاده الله عز وجل عزاً ، والذلُّ في طاعة الله أقربُ من الغز " في معصيته .

وقال أبو العتاهية: لَقيت أبا نُو اس فى المسجد الجامع فعذلته (٣) وقلت له: أما آن لك أن تَرَ عَوِى (١) وَتنزجر. ؟ فرفع رأسه إلى وقال: أثر أبى ياعَتَاهى (٥) تاركاً تلك الملاهى أثر أبى مفسداً بالنسسك عند القوم جاهى

فلما ألحمت عليه في المذل أنشأ يقول:

لا ترجع الأنفسُ عن غَيِّها مالم يكن منها لهـــا زاجرُ

[.] م : قصد .

⁽٢) نشت : جفت واحترقت .

⁽m) all : Kis.

⁽ ٤) ترعوى ؛ تسكف وترتدع.

⁽ ه) المتاهى: ناقصالمقل واللَّاحق . والمتاهية : ضلال الناس ،

فو ددت أنى قلت هذا البيت بكل شيء علته .

وقال ابن السهاك عن اسمأة كانت تسكن البادية : لو طالت قلوب المؤمنين بفكرها ما ذُخر لها في خَبُعب النيوب بمن خبر الآخرة ، لم يَصْفُ لهم في الدُّنيا عيش ، ولم تَقَرَّ لهم عين ، وقال ضَيْمَم لرجل : إن حبَّه عز وجل شغل قلوب عبيه عن التلذُّذ بمحبة غيره ، قليس لهم في الدُنيا مع عبته عز وجل لذه تداني عبيته ، ولا يأمُلون في الآخرة من كرامة النواب أكبر عنده من العظر إلى وجه محبوبهم ، فسقط الرجل مَنْشِيًّا عليه .

وفي مسند الإمام أحد من حديث عبد الرحن بن جُبَير بن نقير ، عن أبيه عن النواس بن سمان رضى الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، و ضرب الله مشالا صراطا مُستقيماً وعلى جَنَبة بالعثر الإسراط وران وف السورين أبو الب مُفقَعة وعلى الأبو أب ستور مرخاة وعلى رأس السراط العراط يقول المؤلم الناس الدخلوا العراط ولا تمرّ جُوا ، وَدَاع يدْعُو فَو و العراط فإذا أراد أحد قتح من على الأبواب قال : ويقك لا تفتح من على الأبواب في المراط والمناس المراط فإذا أن المراط كتاب الله والمناس المناس الله عن والمناس المناس المناس المناس المناس المناس المناس الله عن وحل ، والداعي من أو و العراط واعظ الله في قلب كل مسلم الله عن وحل ، والداعي من أو و العراط واعظ الله في قلب كل مسلم الهذا

وقال حَنّاد بن مُمَدّ ان ؛ مامن عبد إلّا وله عيمان في وجهه يبصر مهما أمر الدُنيا ، وعينان في قابمه يبصر بهما أمر الآخرة ، فإذا أراد الله بعبد خيراً فتح عينيه اللّه بن قابمه فأبعر مهما ما عده الله بالغيب ، وإذا أراد الله به غير ذلك تركه على ما هو ديه ، ثم قرأ : (أم على أنه ب أتفاكماً) (٢) .

⁽۱) الحنبة : الناحية والحمة . ولا تعرجو : لا تميلوا عنه أو تتركوه وتاحه : تدخله . (۲) الآية ٢٤. سورة محمد .

وفى الترمذى عنه صلى الله عليه وسلم « الْكُلِّيسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ اللهِ اللهِ الأَمَانِي » : لِمَا بَعْدَ اللهِ اللهِ اللهِ الأَمَانِي » : وفى المسند من حديث فضالة بن عُبيد عن النبي صلى الله عليه وسلم :

« الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ بَفْسَهُ فِي ذَاتِ إللهِ وَٱلْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَ مَمَنَّى عَلَى اللهِ ».

وقال الإمام أحمدُ رحمه الله تعالى : حدّ ثنا عبدالرحمن بن مَهْدِى ، حدّ ثنا عبدالرحمن بن مَهْدِى ، حدّ ثنا عبد العزيز بن مسلم ، عن الربيع بن أنس ، عن أبى العالية ، عن أبى بن كعب رضى الله عنه قال : « من أصبح وأ كثر (١) همه غير الله فليس من الله » .

وقال الإمام أحد: خد ثنا عبدالرحن ، عن هشام بن سعد ، عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن عطاء بن يَسَار قال : قال موسى صلى الله عليه وسلم : يا رب مَنْ أَهْلُك الذين تظلهم في ظلّ عرشك؟ قال : هم البريئة أيديهم ، الطاهرة قلوبهم الذين يتحابُون بجلالى ، الذين إذا ذُكرت ذُكروا بى ، وإذا ذُكروا بى ذُكرت بذكرهم ، الذين يُسْبغون الوضوء في المسكاره ، وينيبون إلى ذكرى كا تنيب النسور إلى وكورها ، ويَسَلفون بحبي كا ينضب النّبور إلى وكورها ، ويَسَلفون بحبي كا ينضب النّبور إذا حرب (٢) » .

وقال أَحمد: حدثنا إبراهيم بن خالد ، حدثنى عبد الله بن يحيى قال : سمعت وهب بن مُنَّبه يقول: قال موسى عليه السلام: « أَىْ رَبِّ أَىُّ عبادك أَحبُّ إليك ؟ قال: من أَذْ كَرَّ برؤيته ».

⁽۱) أورده السيوطى فى الجامع الصغير مرفوعاً عن ابن مسعود وقال : رواه الحاكم.

 ⁽۲) حرب: هیج أو طعن أوسلب. والحرب بالتفح: الویل والهلاك. وفی
 القاموس المحیط للفیروزابادی: حرب كفرح: كلب واشتد غصبه فهو حرب.

وقال أحمد: حدثنا سيّار ، حدّثنا جمفر ، حدثنا هشام الدّستُوابي قال : بلغني أن في حسكة عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم : « تعملون للدّ نيا وأنتم رُزَقون فيها بنير عمل ، ولا تعملون الآخرة وأنتم لآر ز قون فيها إلا بالعمل ، ويحكم علماء السوء ، الأجر تأخذون والعمل تضيعون ، توشكون أن تخرجوا من الدّ نيا إلى ظلمة القبر وضيقه ، والله عز وجل نها كم عن المعاصى كما أمر كم بالصوم والصلاة ، كيف يكون من أهل العلم من دنياه آثر عنده من آخرته وهو في الدنيا أعظم رغبة ؟ كيف يكون من أهل العلم من مسيره إلى آخرته وهو مقبل على دنياه ، وما يضره أشهى إليه مما لايضره ؟ كيف يكون من أهل العلم من اتهم الله عز وجل في قضائه فليس يرضى بشىء أصابه ؟ كيف يكون من أهل العلم من اتهم الله عن طلب العلم ايتحدث به ولم يطلبه ليعمل به ؟ » .

وقال عبدالله بن المبارك ، عن مَعْمَر ، قال الصبيان ليحيى بن زكريا : اذهب بنا نلمب ، قال : أوَ لاّمب خُلِقْنا ؟

وقال أحمد: حد ثنا أبو بكر الحنني ، حدثنا عبدالحيد بن جعفو ، حدثنى الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب أن أمه فاطمة حد ثنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن من شرار أمّي الّذين غُدُوا بالنّعيم ، الّذين تيطُلُبُونَ أَلُوانَ الطّعام، وَأَلُوانَ النّيابِ ، وَيَعَشّد قُونَ بالنّعيم ، الله عليه من الله عليه بالنّعيم ، الله عليه بالنّعيم ، الله عليه بالنّعيم ، الله عليه بالنّعيم ، الله بالنّه بالنّ بالنّال أنّ بالنّه بالنّه

وقال أحمد : حدثنا أبو قَطَنِ ، حدَّثنا شعبة ، عن أبى مَسْلَمَة (١) ، عن

⁽۱) الذي يروى عن أبي لغبرة ويروى عنه شعبة ، هو أبو ممالة سعيد بن يزيد . كما جاء في تهذيب التهذيب ،

أبى نضرَ قَ قال:قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأبى موسى :يا أباموسى شوِّ ثُمَنا · إلى ربنـا ، قال : فقرأ . فقالوا : الصلاة ؟ .

فصل

وملاك الأمر كله الرغبة في الله وإرادة وجهه والتقرُّب إليه بأنواع الوسائل، والشوق إلى الوصول إليه وإلى نقائه، فإن لم يكن للعبد همّة إلى ذلك فالرغبة في الجنة ونعيمها وما أعد الله فيها لأوليائه، فإن لم تكن له همّة عالية تطالبه بذلك فحشية النار وما أعد الله فيها لمن عصاه، فإن لم تطاوعه نفسه بشيء منذلك فليعلم أنه خلق للجحيم لا للنعيم، ولا يقدر على ذلك بعد قدر الله و توفيقه إلا بمخالفة هواه، فهذه فصول أربعة هن: ربيع المؤمن وصيفه وخريفه وشتاؤه، وهن منازله في سيره إلى الله عز وجل ، وليس له منزلة غيرها، فأما مخالفة الموى فلم يجمل الله للجنة طريقاً غير مخافقه، ولم يجمل للنار طريقاً غير متابعته، قال الله تعالى: (فَأَمّا مَنْ طَفَى وَآ ثَرَ الْحَياة الدُّنياً . فإن البُخيم هي آلماً وي وقل مؤلم أمن خاف مَقامَ رَبّه و أَمْهَى النّفس عَنِ آلمولى . فإن البُخيم هي آلماً وي العصية فيذكر مقام ربه عليه في الدُّنيا، ومقامَه بين يديه في الآخرة فيتركها الله .

وقد أخبر سبحانه أن اتباع الهوى بيضل عن سبيله، فقال الله تعالى : ـ

(۲۲م - رومنة الحبين)

⁽١) الآيات ٣٧ ـ ٤١ سورة النازعات.

⁽٢) الآية ٤٦ . سورة الرحمن .

(باً دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْدَكُم عَنْ النَّاسِ بِالْمَقِ وَلاَ تَدَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ آللهِ) (١) ثم ذكر مآل الضالين عن سبيله ومصيرَ هم فقال : (إِنَّ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ آللهِ كَمْمُ عَذَابٌ شَدِيدٌ مِمَا نَسُوا يَوْمَ فَقَال : (إِنَّ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ آللهِ كَمْمُ عَذَابٌ شَدِيدٌ مِمَا نَسُوا يَوْمَ اللهِ العبد فقال : أَلْحُسَابِ) (٢) وأخبر سبحانه أن باتباع الهوى يطبع على قلب العبد فقال : أَلْحُسَابِ) (٣) وقد أخبر النبي (أَوْلَئُكَ ٱلَّذِينَ طَبَعُ آلله على كُلُورِهِم وَآتَبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ) (٣) وقد أخبر النبي مسلى الله عليه وسلم أن العاجز هو الذي اتّبع هواه وتمني على الله عنه قال : قال أحمد من حديث راشد بن سعد ، عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : (مَا يَحْتَ ظِلَ السَّاءُ إِلَٰهُ يُعْبَدُ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ مِنْ هَوَى مُتَّبِع مِنْ .

وذكر من حديث جعفر بن حَيَّان ، عن أبى الحدكم ، عن أبى بر زة الأسلمى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أَخُوَ فَ مَاأَخَافُ عاييكم شَهُو اتُ الْغَى فَ فِي بُطورِنكُم وَفُرُ وَجِكُم وَمَضَلات الهوى) . وفي نسخة كثير ابن عبد الله بن عروبن عوف المرنى ، عن أبيه ، عن جد مرضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن أَخُو فَ ما ما أَخَافُ على أُمَّتى حُكُم جَارُ ، وَزَلَّهُ عالِم ، وَهُوك مُدَّبَم) (١)

⁽١) الآية ٢٦. سورة ص.

⁽٢) الآية ٢٦. سورة ص.

⁽٣) الآية ١٦ سورة محمد .

⁽ع) ورد في الترغيب والترهيب للحافظ المئذري بلفظ: ﴿ إِنِي أَخَافَ عَلَى أَمَافَ عَلَى أَمَافَ عَلَى أَمَافَ عَل أُمّتى من اللاث: من زلة عالم ، ومن هوى متبع ، ومن خكم جائر ، وقال : رواه البزار والطبراني من طريق كثير بن عبدالله وهو واه ، وقد حسنها الترمذي في موضع وصحما في موضع فأنسكر عليه ، واحتج بها ابن خزيمة في صحيحه .

وقيل لبعض الحسكاء: أيّ الأصحاب أبر ي قال: العمل الصالح، قيل: فأي شيء أضر ي قال: النفس والهوى. وقال بعض الحسكاء: إذا اشتبه عليك أمران فانظر أقر بهما من هو الله فاجتنبه. وأتي بعض الملوك بأسير عظيم الجرم نقال: لو كان هواى في العفو عنك لخالفت الهوى إلى قتاك، ولسكن لما كان هواى في قتلك خالفته إلى العفو عنك. وقال الهيشم بن مالك الطائي : سمعت النعمان بن بشير يقول على المنبر: إن للشيطان فخوخاً ومصالي (1) وإن من مصالى الشيطان وفخوخه البطر بأنعم الله ، والفخر بإعطاء الله، والكبرياء على عباد الله ، الشيطان وفخوخه المطرى في غير ذات الله ،

وفى المسند وغيره من حديث قتادة ، عن أنس رضى الله عنه قال ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاث مُهْلِكَات ، و ثلاث مُنْجِيات ، و ثلاث مُنْجِيات ، و ثلاث مُنْجِيات ، و ثلاث مُنْجِيات ، و أَعْجَابُ آلَم و بِنَفْسِه ، و المُنْجِيات : شُعْح مُطَاع ، وَهَو مى مُتَبَع ، و إعْجَابُ آلَم و بِنَفْسِه ، و المُنْجِيات : تقوى الله تعالى فى السر و العلانية ، و العدل فى الغضب و الرسط و القصد فى الفقر و الغنى » ،

وفى جامع الترمذى من حديث أسماء بنت عُمَيْسٍ رضى الله عنها قالث ؛ سمعت رسول الله عنها قالث ؛ سمعت رسول الله عسلى الله عليه وسلم يقول : « بنس العبد عبد تَخَيَّل واختال ، و نسي واعتذك ، ونسي الجبّار الأعلى . بنس العبد عبد تَخَيَّل واختال ، و نسي العبد الكبير المُتَمَال . بنس العبد عبد سها ولها ، و نسي المقابر والنبلى . بنس العبد عبد بنس العبد عبد يَخْيِلُ الدُّنيًا عبد بنس العبد عبد يَخْيِلُ الدُّنيًا بالدِّينِ] . بنس العبد عبد يَخْيِلُ الدِّينَ بِالشَّبُهَاتِ ، بنس العبد عبد علم طمَع الدِّينِ] . بنس العبد عبد يَخْيِلُ الدِّينَ بِالشَّبُهَاتِ ، بنس العبد عبد علم طمَع المناع العبد عبد عبد عبد عبد المحتفية عبد المحتفية المنس العبد عبد المحتفية المحتفية المحتفية المحتفية المحتفية المحتفية العبد العبد المحتفية المحتفية المحتفية المحتفية العبد المحتفية المحتفية العبد المحتفية المح

⁽١) جمنع مصلاة : وهي الشرك .

يَقُودُهُ ، بئس العبدُ عبد هُوَ مَى يُضِلُّهُ . [بئس العبدُ عبد رَغَبُ يُدِلَّهُ]» (١) وقد أقسم النبي صلى الله عليه وسلم أنه لايومنُ العبدُ حتى يكونَ هواه تَبَعَا لما جاء به ، فيكون هواه تابعًا لا متبوعًا ، فن اتَّبَعَ هواه فهواه متبوعُ له ، ومن خالف هواه لما جاء به الرسولُ صلى الله عليه وسلم فهواه تابع له ، فالمؤمن هواه تابع له ، فالمؤمن هواه تابع له ، والمنافق الفاجر هواه متبوع له .

وقد حكم الله تعالى لتابع نعواه بغير هُدًى من الله أنه أظلم الظالمين، فقال الله عز وجل : (قَانِ لَمْ يَسْتَجِيبُوا اللّهَ قَاعْلَمْ أَ فَمَا يَشْبِمُونَ أَهُو اء مُمْ وَمَن أَصَلُ مَرْ وَجِل اللّهِ إِنّ الله لا يَهْدِى اللّهِ مِن اللهِ إِنّ الله لا يَهْدِى اللّهِ عَلَى الله على الله على الله على الله عليه واه ، وجعل سبحانه وأنت تجد تحت هذا الخطاب أن الله لا يهدى من اتبع هواه ، وجعل سبحانه وإما الموى . فمن اتبع أحدها لم يمكنه اتباع الآخر ، والشيطان يُعليف والم من أين يدخل عليه فلا يجد عليه مدخلا ولا إليه طريقاً إلا من هواه . فلذلك من أين يدخل عليه فلا يجد عليه مدخلا ولا إليه طريقاً إلا من هواه . فلذلك كان الذي يخالف هواه يفر ق (٢) الشيطان من ظلّه ، وإنما تطاق مخالفة الموى عنالة الموى ، فإن متابِعتَه الداء الأكبر ، ومخالفته الشفاء الأعظم . وقيل لأبي عنالفة الموى ، فإن متابعتَه الداء الأكبر ، ومخالفتَه الشفاء الأعظم . وقيل لأبي القالم الجُنيد : متى تنال النفوس مناها ؟ فقال : إذا صار داؤ ها دواها ، فقيل له : ومتى يصير داؤ ها دواها ؟ فقال : إذا خالفت هواها ، ومعني قوله : يصير

⁽١) الزيادة من القرمذى ، وفيه قال : هـذا حديث غريب لا لعرفه إلا من هذا الوجه وليس إسناده بالقوى .

⁽٢) الآية . ه . سورة القصص .

⁽٣) يفرق: يفزع ويمخاف.

داؤها دواها أن داءها هو الهوى ، فإذا خالفته تداوت منسه پمخالفته . وقبل : إنما سُمِّيَ هو َّى لأنه يهوى بصاحبه إلى أسفل السافلين . والهوى ثلاثة أرباع الهوان ، وهو شارع النار الأكبر كما أن مخالفتَه شارعُ الجنــة الأعظم.وقال أبو دُآفَ العيجلي :

واســـوأتا لفتَّى له أدب مُنصى هـــواه قاهراً أدَّبَهُ * ياتي الدنيَّة وهـــو يعرفها فيَشِينُ عِرْضًا صائنًا أَرَّبَهُ فإذا أَرْعَوَى عادت بصيرتُهُ فبكى عَلَى الحين(١) الذي سُلِبَهُ وقال ابن المرتفق الهُذَكَّ :

أن لي ما ترى والره يأتي عزيمتسم ويغلبه مواه نیعی مایری نیه علیه ویحسب من یراه لایراه

فصل

وأما الرَّغبُهُ في الله وإرادةُ وجهه ، والشوقُ إلى لقائه فهي رأس مال العبد ومِلاكُ أمره وقوامُ حياته الطيبة ، وأصلسعادته وفلاجه ونعيمه وقُرُّة عينه ، ولذلك خُلق ، وبه أمِر ، وبذلك أرسلت الرُّسل ، وأنزلت الكتب، ولا صلاحَ للقلب ولا نعيمَ إلا بأن تسكون رغبتُه ۗ إلى الله عزٌّ وجلَّ وَحُدَه ، فيكون هو وحدًه مرغوبَه ومطلوبَه ومرادَه كما قال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ. وإِلَى رَبِّكَ قَارَغَبْ)(٢) وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ إِنَّهُمْ وَضُوا مَا آتَاكُمُ

⁽١) إلحين : الوقت طال أو قصر .

⁽٢) آخر سورة الأنشراح .

اللهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُواحَسَبُنَا آللهُ سَيُؤْتِينَا آللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى آللهِ رَاغِبُونَ)(١).

والراغبون ثلاثة أقسام: راغب في الله ، وراغب فيا عند الله ، وراغب ما عند الله ، وراغب عن الله . فالحب راغب فيه ، والغامل راغب فيا عنده ، والرّاضي بالد نيامن الآخرة راغب عنه . ومن كانت رغبته في الله كفاه الله كلّ مهم م ، وتولاه في جميع أموره ، ودفع عنه ما لا يستطيع دفعه عن نفسه ، ووقاه وقاية الوليد ، وصانه من جميع الآفات . ومن آثر الله على غيره آثره الله على غيره . ومن كان لله كان الله له حيث لا يكون لنفسه ، ومن عرف الله لم يكن شيء أحب كان الله اليه منه ، ولم تبق له رغبة فيا نسواه ، إلا فيا يُقرّبه إليه ويمينه على منوه إليه .

ومن علامات المعرفة الهيبةُ ، فَنكلّما ازدادت معرفةُ العبد بربه ازدادت هيبتُه ومن علامات المعرفة الهيبةُ ، فَنكلّما ازدادت معرفةُ العبد بربه ازدادت هيبتُه وخشيتُه إياه كا قال الله تعالى: (إنّما يَخشَى الله مِن عِبَادِهِ الله وَأَشَدُ كُ أَى العلماء به ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أَنَا أَعْرَفُكُم بِاللهِ وَأَشَدُ كُ الله وَهَا الله وَهَا الله وَهَا الله وَهَا الله وَهَا الله وَهَا الله الله والله الله الله عنه خوف الحال والله الله ، والإجلال والمراقبة والحجة والتوكل وأورثته المعرفة الحياء من الله ، والتعظيم له ، والإجلال والمراقبة والحجة والتوكل عليه ، والإنابة إليه والرّضا به والتسلم لأمره ، وقيل للجُنَيْد رحمه الله تعالى :

⁽١) الآية ٥٥. سورة النوبة.

⁽٢) الآية ٢٨. سورة فاطر.

⁽٣) من حديث رواهالبخارى بلفظ : ﴿ إِنَّى لَاعَلَمُمْ بَاللَّهُ وَأَشْدُهُمْ لَهُ خَشْيَةً ﴾ وفي مسلم بلفظ : ﴿ لَانَا أَعْلَمُمْ ﴾ الح ،

إن ها هنا أقواماً يقولون: إنهم يَصلون إلى البِرِّ بترك الحركات، فقال: هؤلاء تسكلموا بإسقاط الأعمال وهو عندى عظيم، والذى يزنى ويسرق أحسن حالاً من الذى يقول هذا، فإن العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله، وإلى الله رجعوا فيها، ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر شيئاً.

وقال: لا يكون العارفُ عارفاً حتى يكون كالأبرض يطوّه البَرُّ والفاجر، وكالمطر يستى ما ُيحب ومالا يحب .

وقال يحيى بن مُعاذ : يخرج الدارف من الدُّنيا ولا يقضى وطره من شيئين : بكاؤُه على نفسه ، وشوقه إلى ربه . وقال بعضُهم : لا يكون العارف عارفاً حتى لو أعطى ملك سليان لم يَشَغَلُهُ عن الله طَرْفَةَ عين . وقيل : العارف أنِسَ بالله فاستوحش من غيره ، وافتقر إلى الله فأغناه عن خلقه ، وذل لله فأعزه في خلقه .

وقال أبو سليان الدَّار ابى : يُمْتَتَحُ للعارف على فرائسه مالا يُفتح له وهو قائم يصلّى.

وقال ذو النون ؛ لسكل شيء عقوبة ، وعقوبة العمارف انقطاعه عن ذكر الله .

وبالجلة فحياة القلب مع الله لاحياة له بدون ذلك أبداً ، ومتى واطأ (١) اللسان القلب فى ذكره ، وواطأ القلب مراد حبيبه منه ، واستقل له الكثير من قوله وعمله ، واستكثر له القليل من بر"ه ولطفه ، وعانق الطاعة وفارق المخالفة ، وخرج عن كلة لمحبوبه فلم يبق منه شيء ، وامتلاً قلبه بتعظيمه وإجلاله وإبثار رضاه ، وعز عليه الصبر عنه ، وعدم القرار دون ذكره والرغبة إليه

⁽١) واطأ: وافق وطابق.

والاشتياق إلى لقائه، ولم يجد الأنس إلابذكره، وحفظ حدوده، وآثره على غيره فهو الحجب حَتًا .

وقال الجُنيَد: سمعت الحارث المُعَاسَى يقول: الحبـة ميلك إلى الشيء بكلّيتك. ثم إيشار ك له على نفسك وروحك ومالك، ثم موافقتك له سراً وجهراً، ثم علمك بتقصيرك في حبه. وقيل: الحبة نار في القلب عرق ماسوى مراد الحبيب من محبه. وقيل: بل هي بذل المجهود في رضا الحبيب، ولا تصبح الا بالحروج عن رؤية الحبة إلى رؤية الحبوب. وفي بعض الآثار الإلمية: عبدى أنا وحقك لك محبّاً. وقال عبد الله بن المبارك: من أعطى شيئًا من الحبة ولم يُعطَ مثلة من الخشية فهو مخدوع.

وقال يحني بن مُعاذ: مثقال خردلة من الحب أحبُّ إلَّ من عبادة سبعين سنة بلاحب .

وقال أبو بكر الكتّانى: جرت مسألة في المحبة بمكة أيام الموسم، فتكلّم الشيوخُ فيها، وكان ألجّنيد أصغرَهم سنّا فقالوا: هات ماعندك ياعراق، فأطرق رأسه ودَمَمت عيناه ثم قال: عبد ذاهب عن نفسه، متصل بذكر ربه، قائم أداء حقوقه، ناظر إليه بقلبه، أحرق قلبه أنوار هُويته، وصفا شربه من كأس ودّه، فإن تحكم فبالله، وإن نطق فن الله، وإن تحرّك فبأس الله، وإن سكت فع الله، فهو بالله ولله ومع الله، فبكي الشيوخ وقالوا: ما على هذا مزيد، حبرك الله ياتاج المارفين، وقيل: أوحى الله إلى داود عليه السلام: ياداود إلى حرّمت على القلوب أن يدخلها حبى وحب غيرى، فأجع العارفون كامم أن الحبة لاتمسخ إلا بالمو افقة حتى قال بعضهم: حقيقة الحب موافقة المحبوب في مراضيه ومساخطه، واتفق القوم أن المحبة لا تصبح الله بتوحيد المحبوب في مراضيه ومساخطه، واتفق القوم أن المحبة لا تصبح الله بتوحيد المحبوب في مراضيه ومساخطه، واتفق القوم أن المحبة لا تصبح الله بتوحيد المحبوب.

وَ يُعِكَى أَن رَجِلَا أَدَّعَى الاستهالاك (١) في محبة شخص فقال له : كيف وهذا أخى أحسن منى وجها وأتم جمالاً ؟ فالتفت الرجل ُ إليه فدفعه الشاب ُ وقال : من يدَّعى هو آنا ينظر إلى سو آنا ؟ وذكرت الحِبة عند ذي النون فقال : كُفُو ا عن هذه المسألة لا تسمعها النفوس فتدَّعها ، ثم أنشأ يقول :

الخوف أولى بالمسى ۽ إذا تألَّه والحَـزَنُ والحَـزَنُ والحَـرَنُ واللَّمَ مِنُ الدَّرَنُ

وقال سمنون: ذهب الحبون لله بشرف الدُّنيا والآخرة. إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « الْمَرْ لِهُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ » (٢) فهم مع الله في الدنيا والآخرة. وقال يحيى بن مُعاذ: ليس بصادق من ادّعي محبته ثم لم يحفظ حدودَه.

فصل

فالحبة شجرة فى القلب عروقُها الذلُّ للمحبوب ، وساقهامعرفته ، وأغصا ُها خشيته ، وورقُها الحياء منه ، وثمرتُها طاعته ، ومادّتها التى تسقيها ذكر ، فتى خلا الحبُّ عن شيء من ذلك كان القصاً .

وقد وصف الله سبحانه نفسَه بأنه يحب عباده المؤمنين ، ويحبونه ، فأخبر أنهم أشدّ حبًا لله، ووصف نفسه بأنه الوّدود وهو الحبيب قاله البخارى . والود خالص الحب، فهو يَوَدّ عباده المؤمنين ويودونه .

وقد روى البخارى في محيحه من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال: « مَنْ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيا يروى عن ربه عز وجل أنه قال: « مَنْ أَهَانَ لِي وَلِيا فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْمُحَارَبَةَ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَى عَبْدِي بِمِثْلِ أَدَاه

⁽١) استهلك في كذا: جهد تفسه فيه .

⁽٢) تفدم هذا الحديث في صفحة ٢٣ ...

مَا أَنْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَلَا يَزَ ال عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَّ بِالنَّو افِل حَتَّى أَحَبُّه ، فإذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي بَسْمَعُ بِهِ ، وَبِصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، ويَدَهُ الَّتِي يَبْظِشُ بِهَا ، ورِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، فَهِيَ يَسْتَعُ وبِيَ كَيْمِيرُ وبِيَ يَبْطِشُ وبِيَ يَمْشِي، وَكَانُ سَأَكِنِي لَأَعْطِيِّنَهُ وَكَانِ اسْتَمَاذَ بِي لَأُعِيذَنَّهُ ، ومَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءَ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّ دِي عَنْ قَبْضِ نَفْسٍ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وأَ كُرَّهُ مَسَاءَتَهُ وَلَا بُدُّ لَهُ مِنْهُ » . وفي لفظ في غير البخارى : « فإذَا أَحْبَبْتُهُ ۗ كُنْتُ لَهُ سَمْمًا وبصَرًا ويَدَأُومُؤيِّدًا» فتأمّل كال الموافقة في الكراهـــة كيف اقتضى كراهة الرب تعالى لمساءة عبده بالموت لمَّا كره العبد مساخط ربه ، وكالَ الموافقة في الإرادة كيف اقتضى موافقتة في قضاء حوائبه وإجابة طلباته و إعاذته مما استعاذ به ، كما قالت عائشة رضى الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم : ما أرى رَبُّكُ إلَّا يمارع في هواليَّد ، وقال له عمه أبو طالب: يا ابن أخي مَا أَرَى رَبُّكُ إِلَّا يَطْيَعُكُ ، فَقَالَ لَهُ : وَأَنْتَ يَاعَمُ لَوْ أَطَّعْتُهُ ۚ أَطَّاعَكُ (٢) . وفي تفير ابن أبي ُنجَييح عن مجاهد في قوله عز وجل : ﴿ وَأَ يُخَذَ ٱللهُ إِرَاهِمَ خَلِيــلَّا (٣) قال: حبيبًا قريبًا إذا سألهُ أعطاه ، وإذا دعاه أجابه . وأوحى الله تعالى إلى موسى علية الصلاة والسلام: ياموسي كن لي كا أريد أكن لك كا ترید . و تأمل هذه الباء فی قوله : نبی یسمع وبی یُبصر وبی یَبْطِش وبی پمشی كيف تجدها مبنية لمعنى قوله : كنت سمَّه الذي يسمع به و بصر م الذي يُبصر به إلى آخره، فإن سمع سمع بالله، وإن أبصر أبصر به، وإن بطش بطش به، وإن مشى مشى به . وهذا تحقيق قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَمَ ٱلَّذِينَ ٱتَّتَّمَوْ ا وٱلَّذِينَ مُمْ

⁽١) رواه البخارى ومسلم.

⁽٢) ذكره ابن حجر في الإصابة في ترجمة أبي طالب.

⁽٣) الآية ١٢٥ سورة النساء.

عضينون)(١) ، وقوله : (وَإِنَّ ٱللهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ)(٢) وقوله : (وَأَنَّ ٱللهَ مَعَ ٱلْمُوْ مِنِينَ)(٢) ، وقوله فيها رواه عنسه رسوله من قوله : (أَمْ لَهُمْ آلِهِةٌ تَمْنَعُهُمْ مَا ذَكُرْنَى وَحُرَّ كُتْ بِي شَفَتَاهُ » . وهذا ضد قوله : (أَمْ لَهُمْ آلِهِةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يُسْتَطِيعُونَ لَصْمَ أَنْفُسُهِمْ وَلا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ)(١) فالصحبة التي نفاها ها هنا هي التي أثبتها لأحبابه وأوليائه ، فتأمل كيف جعل محبته لعبده متعلقة بأداء فرائضه ، وبالتقرّب إليه بالنوافل بعدها لا غير ، وفي هذا تعزية لدّ عي محبته بدون ذلك أنه ليس من أهلها ، وإنما معه الأماني الباطلة والدّعاوي الكاذبة .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إذا أحب الله العبد نادى جبريل إن الله بحب فلانا فأحبوه وسلم قال: « إذا أحب الله العبد نادى جبريل إن الله بحب فلانا فأحبوه في في في الله الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال : إني أحب فلانا فأحبه قال فيحبه الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال : إن أحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل جبريل ثم ينادي في السماء فيقول : إن الله يُحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ، قال ثم يوضع له القبول في الأرض ، وإذا أبغض عبداً دعا جبريل في السماء فيقول : إن الله يُعب في المنادي في السماء في النه في في السماء في الله ينه في أو أنه المؤمن فالانا فأبغض فال في المناد في المناد في الله عن سهيل بن أبي صالح قال : كنا بعر فة فم عمر بن عبد العزيز وهو آخر السلم عن سهيل بن أبي صالح قال : كنا بعر فة فم عمر بن عبد العزيز وهو

⁽١) آخر سورة النحل .

⁽٢) آخر سورة العنكبوت .

⁽٣) ألَّاية ١٩. سورة الأنفال.

⁽٤) الآية ٣٤. سورة الانبياء.

عَلَى الموسم فِقَام الناس ينظرون إليه فقلت لأبى : يا أَبَتِ إِنَى أَرَى الله يحبُّ عَر بن عبد العزيز، قال : وما ذاك ؟ قلت : لما له من الحب في قلوب الناس، فقال : إنى سممت أبا هريرة رضى الله عنه يحدّث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكر الحديث. وأخرجه القرمذي ثم زاد في آخره فذلك قول الله تعالى : (إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُو ا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحُنُ وُدًّا) (١) تعلى . وقال بعضُ السلف في تفسيرها : يحبّهم ويحببهم إلى عباده .

وفى الصحيحين من حديث أنس رضى الله عنه أن رجلاً سأل الذي صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال: « وما أُعُدَدُتَ لها ؟» قال لا شَيْء إلّا أنى أحبِ الله وَرَسُولَهُ ؟ فقال : « أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ » قال أنس رضى الله عنه : فا فرَرِحْنا بشَيْء فَرَحنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم : « أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ » قال أنس وعمى الله عليه وسلم قال أنس وعمى الله عليه وسلم وأبا بكر ومُعر وأرجو أن أكون عليه عليه وسلم وأبا بكر ومُعر وأرجو أن أكون معهم بحبى إيّاهم وإن لم أعمل أعمالهم .

وفى الترمذى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «المَرْهِ مَعَ مَنْ أُحَبَّ وَلَهُ مَا اكْنَسَبَ» . وفي سنن أبى داود عنه قال: رأيت أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم فرحوا بشيء أشد منه، قال رجل : يا رسول الله عليه وسلم فرحوا بشيء أشد منه، قال رجل : يا رسول الله الرجل يحب الرجل على العمل من الخير يعمَل به ولا يعمل بمشله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المَرْهِ مَعَ مَنْ أَحَبَ » . وهده المحبة لله توجب الحبة في الله قطعاً ، فإن من محبة الحبيب المحبة فيه والبغض فيه .

وقد روى مسلم فى محيحه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: « يَقُولُ اللهُ تَعَالَى يَوْمَ القيامَةِ أَيْنَ اللَّيَحَا بُونَ

⁽١) الآية ٢٦ . سورة مريم .

بِحُكَلالِي؟ الْيُومْ مَ أَطْالُهُمْ فِي ظَلِّى يَوْمَ لاَ ظِلَّ إلاَّ ظَلِّى . وفي جامع أبي عيسى الترمذي من حديث مُعاذبن جبل رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قال الله عز وجل : المُتَحَابُونَ بِحَلالِي آمِهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورِ يَعْيِطُهُمُ النَّدِيُّونَ وَالشَّهُدَاء » . وفي لفظ نفيره «المُتَحَابُونَ بَجَلالِ الله يَكُونُونَ يَوْمَ الْقِيامَة عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورِ يَعْبِطُهُمُ أَهْلُ الْجُمْعِ » . وفي الفظ نفيره «المُتَحَابُونَ بَجَلالِ الله يَكُونُونَ يَوْمَ الْقِيامَة عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورِ يَعْبِطُهُمُ أَهْلُ الْجُمْعِ » . وفي الموطّأ من حديث أبي إدريس الْمُونُ لا في قال : دخلت مسجد دمشق فإذا وفي الموطّأ من حديث أبي إدريس اللهو ولا في شيء أسندوه إليه وصدروا(١) عن رأيه وفسأ الت عنه فقالوا : هذا مُعاذ بن جبل ، فلما كان الغد هَجَر ت (٢) إليه فو جدتُه قد سبقني بالتهجير (٢) ، ووجدته يصلي ، فانتظرته حتى قضى صلاته ، ثقال : فوجدتُه من قبل وجهه فسلمت عليه ثم قلت : والله إني لأحبُك في الله ، فقال : حبته من قبل وجهه فسلمت عليه ثم قلت : والله إني لأحبُك في الله ، فقال : أبشر فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : في الله نوب في الله تَعَالِينَ فِي ، وَالمُتَاذِابِنَ فِي » . وَالْهُ عَلَيْنَ فِي الله عَلَيْهِ وسلم يقول : وَالله أورينَ فِي ، وَالمُتَاذِابِنَ فِي » .

وفى سنن أبى داود من حديث أبى ذَرِّ رضَى الله عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « أَفْضَلُ الْأَعْمَاكِ الْخَبُّ فِى اللهِ وَالْبُغْضُ فِى آللهِ » .

⁽١) صدروا برأيه: أخذوا برأيه وعملوا به .

⁽ ٧) التهجير : التبكير إلى كل شيء والمبادرة إليه. والتهجز والتهجير :السير في الهاجرة .

⁽٣) حبوة الرداء: ما اشتمل عليه .

⁽٤) جيذه: جذبه،

وفيه أيضاً عَن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إنّ مِنْ عِبَاد اللهِ لَا نَاساً مَاهُمْ بِأَنْدِياء وَلَا شَهَداء يَغْمِطُهُمُ الأنبياء وَالشَّهَداء يَغْمِطُهُمُ الأنبياء وَالشُّهَداء يَوْمَ الْقِيامَة بَمَكانِهِم مِن اللهِ » قالوا: يارسول الله ، تخبر نا منهم؟ قال : « هُمْ قَوْمُ مَ تَحَابُوا بر ورح الله على غَيْرِ أَرْحام بَيْنَهُمْ وَلا أَمْوَ الْ يَتَعَاطُونَهَا قَوَاللهِ إِنَّ وُجُوهُمُ لَنُورٌ وَإِنَّهُمْ لَدُورٌ وَلا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النّاسُ وقرا هذه اللّه : (أَلا إِنْ أَوْلِياء اللهِ لاَخُونُ فَ عَلَيْهِمْ وَلا مُعْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النّاسُ » وقرأ هذه اللّه : (أَلا إِنْ أَوْلِياء اللهِ لاَخُونُ فَ عَلَيْهِمْ وَلا مُعْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النّاسُ » وقرأ هذه اللّه : (أَلا إِنْ أَوْلِياء اللهِ لاَخُونُ فَ

وفى لفظ اخيره: « إِنَّ يَتْهِ عِبَاداً لَيْسُوا بِأَنْهِيَاء وَلَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ الْأَنْهِيَاء يَمَا فَعَلَمُ مِنَ اللهِ » قالوا: يا رسول الله صفهُم لَنَا ، حَلَّهُم لنا لعلَّنا نحبتهم عقال : « هُمْ قُومٌ تَحَالُمُوا بِرِ وَحِ اللهِ عَلَى غَدِيرٍ أَمْدُوالٍ تَبَاذَلُوها وَلَا أَرْحَامِ قَال : « هُمْ تُومٌ تُحَالُمُوا بِرِ وَحِ اللهِ عَلَى غَدِيرٍ أَمْدُوالٍ تَبَاذَلُوها وَلَا أَرْحَامِ قَال : « هُمْ تُومٌ وَوَجُوهُمُ مُ نُورٌ وَعَلَى كُرَّ اسِي مِنْ نُورٍ لا يَخَانُونَ إِذَا تَوْاصُلُوها ثَمْ نُورٌ وَوَجُوهُمُ مُ نُورٌ وَعَلَى كُرَّ اسِي مِنْ نُورٍ لا يَخَانُونَ إِذَا تَوْلُهُمْ عَلَيْهِ وَلاَهُمْ يَعْزَ نُونَ) .

وفى سميح مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ رَجُلَازَارَ أَنَّا لَهُ فِي قَرْ يَهَ أُخْرَى فَأَرْصَدَ اللهُ عَلَى عليه وسلم قال : « إنَّ رَجُلَازَارَ أَنَّا لَهُ فِي قَرْ يَهَ أُخْرَى فَأَرْصَدَ اللهُ عَلَى هَذْهِ مَدْرَجَتِهِ (٢) مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قال : أَيْنَ تُويدُ ؟قال : أُرِيدُ أَنَّا لِي هٰذِهِ اللهِ اللهَ عَلَيْهُ مِن نِهْمَةً يُرُبُّهَا (٣) ؟ قال : لا غَـيْرَ أَنِّي أُحِبُّهُ فِي اللهِ اللهَ عَلَيْهُ مِن نِهْمَةً يُرُبُّهَا (٣) ؟ قال : لا غَـيْرَ أَنِّي أُحِبُهُ فِي اللهِ اللهَ عَلَيْهُ مِن نِهْمَةً يُرُبُّهَا أَنَّ اللهُ قَدْ أُحَبَّتُكَ كُلَّ أَحْبَبْتَهُ فِيهِ » .

⁽١) الآية ٢٢. سورة يونس.

⁽٢) المدرجة: الطريق.

⁽٣) تربها : تنعهدها أو تنهم بها . ورب على فلان . أنهم عليه .

وقال رجل لمُعاذ بن جبــل : إنى أُحبك فى الله ، قال : أُحبُّك الذى أحببتنى له .

وفى سنن أبى داود أن رجلاً كان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فر ً رجل ُ فقال : يارسول الله إنى لأحب ُ هذا، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أَعْلَمْتَهُ ؟ » قال : لا ، قال : « أَعْلِمْهُ » فلحقه فقال : إنى أحبك في الله، قال : أحبّك الذي أحبت في الله، قال .

وفيها أيضاً عن المِقْدَام بن معدى كَرِب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ » .

وفى النرمذى من حديث يزيدَ بن نَعامـة الضَّبِّيِّ رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إِذَا آخَى الرّجُلُ الرّجُلُ فَكَنْيَسْأَلَهُ عَنِ اسْمِــهِ وَاسْمِ أَبِيهِ وَمِمِّنْ هُو َ فَإِنّهُ أُوْصَلُ لِلْمَوَدَّةِ » .

وفى محيح مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « وَالَّذِي نَهْسِي مِيَدِهِ لَا تَدْخُلُونَ اللَّهِ مَنْوا وَلَا الله عليه وسلم قال : « وَالَّذِي نَهْسِي مِيَدِهِ لَا تَدْخُلُونَ اللَّهُ مَ تَقُ مِنُوا وَلَا تَوْمُنُوا حَتَّى ثَمَ تُوهُ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمُ ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ » .

وقال الإمام أحمد: حدّثنا حجّاج بن محمد النرمذي ، حدثنا شريك ، عن أبي سنان، عن عبد الله بن أبي الهُنذيل بعن عمّار بن ياسر أن أمحابه كانوا ينتظرونه ، فلما خرج قالوا: ما أبطأك عنّا أيها الأمير ؟ قال: أمَا إني سسوف أحدّ أسكم أنّ أخًا لسكم من كان قبلسكم وهو موسى صلى الله عليه وسلم قال: يارب حدّ ثني بأحب الناس إليك، قال: و لم ؟ قال: لأحبّه بحبك إياه ، قال: عبد في أقصى الأرض أو طرف الأرض سمع به عبد آخر في أقصى أو طرف الأرض

لا يعرفه ، فإن أصابته مصيبة فكا أما أصابته ، وإن شاكته شوكة فكا أنما شاكته ، لا يحبه إلّالى، فذلك أحبُّ خلق إلى قال : يارب خلقت خلقًا تدخلهم النمار أو تعذّبهم ، فأوحى الله إليه كلهم خلّق ، ثم قال : ازرع زرعاً فزرعه ، فقاله : استيه فسقاه ، ثم قال : قم عليه ، فقام عليه ماشاء الله من ذلك ، فحصده ورفعه فقال : ما فعل زرعك ياموسى ؟ قال : فرغت منه ورفعه ، قال : ما تركت منه شيئاً ؟ قال : ما لا خير فيه أو مالا حاجة لى فيه، قال : فكذلك أنا لا أعذّب إلا من لاخير فيه .

فصل

ولو لم يكن فى محبة الله إلّا أنها تنجى محبّه من عذابه لكان ينبغى للعبد أن لا يتعوّض عنها بشىء أبداً. وسئل بعض العلماء أين تجد فى القرآن أن الحبيب لا يعذّب حبيبه ؟ فقال : فى قوله تعالى : (وقالَتِ الْيَهُودُ والنَّصَارَى تَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وأَحِبَّاوُهُ قُلْ فَلَمَ يُعَدِّبُكُمُ فِذَ تُوبِكُم) (١) الآية .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل بن يونس عن الحسن رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « واللهِ لاَيُعَذَّبُ اللهُ حَبِيبَهُ ولْكَنِن قَدْ كَبِعْتَكِيهِ فَى الدُّنيَا » .

وقال الإمام أحمد : حدّثنا سيّار ، حدّثنا جعفر ، حدّثنا أبو غالب قال : بلغنا أن هذا الكلام فى وصية عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم : « يامعشر الحواريّبن تحبّبوا إلى الله ببغض أهل المعاصى، وتقرّبوا إليه بالمَقْت لهم ، والتمسوا رضاه بسخطهم » قالوا . يانبيّ الله فمن نجالس ؟ قال : « جالسوا من يزيد فى أعمال كم منطقه ، ومن تذكركم بالله رؤيته ، ويزهدكم فى دنياكم علمه » ،

⁽١) الآية ١٨ . سورة المائدة .

ويكنى فى الإقبال على الله تعالى ثوابًا عاجلاً أنَّ الله سبحانه وتعالى 'يقبل بقلوب عباده إلى من أقبل عليه ، كما أنه 'يعرص بقلوبهم عمن أعرض عنه ، فقلوب العباد بيد الله لا بأيديهم .

وقال الإمام أحمد: حدّثنا حسن فى تفسير شيبان عن قتادة قال: ذُكر لنا أن هَرِم بن حيان كان يقول: ما أقبل عبد على اللهِ بقابه إلا أقبل الله عز وجلً بقلوب المؤمنين إليه حتى يرزقه مودّثتهم ورحمتهم.

وقد روى هذا مرفوعاً ولفظه : «وَمَا أَقْبَلَ عَبْدٌ عَلَى اللهِ بِمَلْبِهِ إِلاَأْ قَبْلَ اللهُ عَرْ وَجَلَّ عَلَيْهِ مِنْكُ إِلَيْهِ بِالْوُدُّ وَالرَّحَةِ اللهُ عَرْ وَجَلَّ مُلُوّبَهُم تَفِدُ إِلَيْهِ بِالْوُدُّ وَالرَّحَةِ وَكَانَ اللهُ عِرْ وَجَلَّ عَبِولةً على حبّ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ خَيْرٍ إِلَيْهِ أَسْرَعَ » وإذا كانت القلوبُ مجبولةً على حبّ من أحسن إليها وكلُّ إحسان وصل إلى العبد فن الله عز وجل كا قال من أحسن إليها وكلُّ إحسان وصل إلى العبد فن الله عز وجل كا قال الله تعالى : (ومَا بِكُمْ مِن نِعِمَةً مَن اللهِ بحب عَبْره دوله .

قال الإمام أحمد: حدّثنا أبو معاوية قال حدّثنى الأعمش ، عن المُنهّال ، عن عبد الله بن الحارث قال : أوحى الله إلى داود عليه السلام : يا داود أحببنى وحبّب عبادى إلى وحببنى إلى عبادى ، قال : يارب هذا أنا أحبك وأحبب عبادك إليك فكيف أحببك إلى عبادك ؟ قال : تذكرنى عندهم ، فإنهم لايذكرون منى إلا الحسن .

ومن أفضل ماسئل الله عز وجل حبّه وحبّ من يحبّه وحبّ على يقرب إلى حبّه ، ومن أجمع ذلك أن يقول : « اللهم إلى أسألك حبّك وحبّ من يحبُّك وحبّ عمل يقربنى إلى حبّك ، اللهم ما رزقتنى مماأحبٌ فاجعله قوّة لى

⁽١) الآية ٣٥. سورة البخل.

فيا عب ، وما زُويت (١) عنى بما أحب فاجعله فراغاً لى فيا عب ، اللهم اجعل حبّك أحب إلى من أهلى ومالى ومن الماء البارد على الظما ، اللهم حبّبنى إليك وإلى ملائكتك وأنبياءك ورسلك وعبادك الصالحين ، واجعلى بمن يحبّك ويحب ملائكتك وأنبياءك ورسلك وعبادك الصالحين ، اللهم أحى قلبى بحبك واجعانى لك كا تحب ، اللهم اجعلى أحبّك بقلبى كا م وأرضيك بجهدى كله ، اللهم الحبل حبى كلة لك ، وسعي كلة في مرضاتك » (٢) وهدذا الدّعاء هو فسطاط خيمة الإسلام الذي قيامها به ، وهو حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محدا رسول الله ، والقائمون بحقيقة ذلك هم الذين هم بشهادتهم قائمون . والله سبحانه تعرق إلى عباده من أسمانه وصفاته وأفعاله بما يوجب محبتهم له ، فإن القلوب من كل وجه الذي لا نقص فيه بوجه ما ، وهو سبحانه الجيل الذي لا أجل منه من كل وجه الذي لا نقص فيه بوجه ما ، وهو سبحانه الجيل الذي لا أجل منه بل لو كان جال الخذق كائم على رجل واحد منهم وكانوا جيعهم بذلك الجال منه بل لو كان جالم مقط نسبة إلى حذاء حر م الشمس (ويله المقل آلاعلى)

وقد رَوَى عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: « إِنَّ اللهَ جَمِيلُ مُحِبُّ الجُمَّالَ » عبيدُ الله بن عَمْر و بن العاص ، وأبو سعيد انْلُدْرى ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وثابت بن قيس ، وأبو الدَّرداء ، وأبو هريرة ، وأبو ريحانة رضى الله عنهم .

⁽١) زواه عن الشيء: صرفه ونحاه .

⁽٢) في الجامع الصحيح للترمذي قال : عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : و كان من دعاء داود : اللهم . . ، وذكر نحواً من هذا الدعاء .

⁽٣) الآية . ٦ . سورة النحل .

ومن أسمائه الحسني : الجميل ، ومَن أحقُّ بالجمال بمن كلُّ جمالٍ في الوجود فهو من آثار صُنعه ، فله جالُ الذَّات ، وجال الأوصاف ، وجالُ الأفعـال ، وجمالُ الأسماء، فأسماؤه كأمُّا حُسْنَى، وصفاتُه كأمُّا كال، وأفعاله كلما جميلة، فلا يستطيع بشر النظر إلى جلاله وجماله في هذه الدار ، فإذا رأ وه سبحانه في جنات عدن أنستهم رؤيتُه ماهم فيه منالنعيم ، فلا يلتفتون حينئذ إلى شيء غيره ، ولولا حجابُ النور على وجهه لأحرقت سُبُحَاتُ (١) وجهه سبحانه و تعالى ما انتهى إليه بصره من خلقه ، كما في محييج البخاري (٢) من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال : قام فينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بخسس كلمات فقال : « إنَّ اللهُ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ كَيْغَيْضُ الْتِسْطَ ۗ ٣ وَيَرْفَعُهُ ، يُرْفَعُ ۚ إِلَيْهِ عَلَ الأَيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ وعَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّهْلِ، حِبِعَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَ قَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقُهِ ».

وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : ليس عند ربكم ليل ولا نهاد نور السموات من نور وجهه ، وإن مقدار كلّ يوم من أيامكم عند الله اثنتا عشرة ساعة ، فتعرض عليه أعمال كم بالأمس [فتعرض عليه] أول النهار أو اليوم فيتظر فيها ثلاث ساعات ، فيطُّلع منها عَلَى بعض ما يكره فيغضبه ذلك ، فأوَّلُ من يعلم بغضبه الدين يحملون العرش بجــدونه يَثَقُل عليهم فيسبحه الذين يحملون العرش وسُرادقات العرش والملائكة ُ المقرَّ بون وسائر الملائكة ، وينفخ جبريلُ في القَرْنِ فلا يبقى شيء إلاَّ الثقلين الجنَّ والإنس، فيسبحونه ثلاث ساعات حتى يمتليء الرحمن رحمةً ، فتلك ستُّ ساعات ، ثم يُؤْتَى بما في الأرحام فينظر فيها

⁽١) سبحات الله : أنواره وجلالته وعظمته .

 ⁽٢) مو في صحيح مسلم .
 (٣) التسط : المزان ، وهو أيضاً المدل والنصيب .

اللاث ساعات فيصور ركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو الغزيز الحكيم، فتلك تسع ساعات ، ثم ينظر في أرزان الخلق كلمِّم ثلاث ساعات ، فيبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شيء عليم ، ثم قرأ : (كلَّ يَو م هُو فِي شَأْنِ)(١)، ثم قال عبد الله: هذامن شأنكم وشأن ربكم تبارك وتعالى (رواه عثمان بن سعيدالدَّارمي) حد أننا موسى بن إسماعيل ، حد ثنا حمَّاد بن سامة ، عن الزبير بن عبد السلام ، عن أيوب بن عبد الله الفهرى (٢) ، عن ابن مسعود رضى الله عنه . رواه الحسن ابن إدريس ، عن خالد بن الحياج ، عن أبيه ، عن عَبّاد بن كثير ، عن جعفر بن الحارث ، عن مَدُّد أن ، عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : إن ربكم ليس عنده نهار ولا ليل ، وإن السموات مملوءات نوراً من نور الكرسي ، وإن يوماً عند ربك اثنتا عشرة ساعةً ، فترفع فيها أعمال الخلائق في ثلاث ساعات ، فيرى فها مَا يَكُرُهُ فَيَغْضُبُهُ ذَلِكُ ، وَإِنْ أَوَّلَ مِن يَعْلَمُ بَغْضُبُهُ حَمَّلَةُ العَرْشُ يُرُونُهُ يَتُمُّلُ عَلَيْهُمْ فيسبُّحون له ويسبح له سُرادقات العرش في ثلاث ساعات . من المهار ، حتى يمتليء ربنا رضاً فتلك ست ساعات من النهار ، ثم يأمر بأرزاق الخلائق فيعطى من يشاء في ثلاث ساعات من النهار ، فتلك تسع ساعات. ثم يرفع إليه أرحام كل دابَّة فيخلق فيها ما يشاء ، ويجعل المدَّة لمن يشاء في ثلاث ساعات من النهار ، فتلك اثنتا عشرة ساعةً ، ثم تلا ابن مسعود رضى الله عنه هذه الآية (كُلَّ يَوْم هُوَ في شَأْنِ ﴾ هذا من شأن ربنا تبارك و تعالى . وفي دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الذى دعا به يوم الطائف: « أَعُوذٌ بِنُورِ وَجْوِكَ ۖ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلَااتُ وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنيَا والآخِرَةِ أَنْ يَعِلُّ عَلَى غَضَبُكَ أَوْ يَنْزِلَ عَلَى سَخَطُكَ

⁽١) الآية ٢٩ . سورة الرحمن .

⁽٢) فى تهذيب النهذيب (ج ١ ص ٤٠٧) أن حاد بن سلمة يروىعن الزبير أبي عبد السلام عن أيوب بن عبد الله بن مكرز القرشى عن ابن مسعود .

لَكَ الْعُتْبَى حَتَى تَرْضَى وَلَا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِكَ ﴾ (1) وإذا جاء سبعانه وتعالى يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده تشرق لنوره الأرض كآما كما قال الله تعالى : (وأشرَقَتِ ٱلأرضُ بِنُورِ رَبِّهَا ووُضِعَ ٱلْكِتَابُ) (٢) وقول عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه : نور السعوات والأرض من نور وجهه ، تفسير القوله تعالى : (ألله نُور السّموات والأرض) (٣).

وفي الصحيحين من حديث أبي بكر رضى الله عنه في استفتاح النبي صلى الله عليه وسلم قيام الله إلى اللهم لك الحدث أنت نور السموات والأرض ومن فيهن » وفي سنن ابن ماجة وحرب السكرماني من حديث الفضل بن عيسى الرقاشي ، عن محمد بن المنكر كدر ، عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : قالى رسول الله صلى الله عليه وسلم « بَيْنَا أهْلُ المَّنَةُ في نَعْيِمِهم إذْ سَطَعَ لَهُمْ نور فَرَ فَعُوارُ وُوسَهُم فإذَا الرّب تُولَّ أَشَرَفَ عَلَيْهِم مِن فَوقْهِم فَيقُولُ : السلام عنه عنه عنهم فينظرون اليه وينظر الرب قولا أله من رب رب رجم الله فيرفعون ووسم م فينظرون إليه وينظر إليهم ولا يَلْقَقْتُونَ إلى شيء مِن النعيم حتى رووسهم فينظرون إليه وينظر إليهم ولا يَلْقَقْتُونَ إلى شيء مِن النعيم حتى من عنه عنهم فيناني فوره وبر كته عليه وسلم : « أسألك لله النظر إلى النعيم في النه عليه وسلم : « أسألك لله النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك » . (ذكره الإمام أحد والنسائي وابن حبّان في معيمة) ناسمع الآن شأن أوليائه وأحبّائه عند لقائه مم اختر لنفسك :

⁽١) رواه ابن إسحاق في السيرة والعبراني في الدعاء والمعجم السكبير .

⁽٢) الآية ٦٩ . سورة الرَّم .

⁽٣) الآية ه٣. سورة النور .

⁽ع) الآية بره . سورة يس .

أنت القتيسلُ بكل من أحببتَه اختر لنفسك في الهوى من تصطفي قال هشام بن حسان عن الحسن : إذا نظر أهل الجنة إلى الله تعالى نَسُو ا نعيم الجنة . وقال هشام بن عمار : حدّ ثنا محمد بن سعيد بن سابور(١) ، حدّ ثنا عبد الرحمن بن سلمان ، حدّ ثنا سميد بن عبد الله الجرشي القاضي أنه سمع أبا إستعاق الممداني يحدّث عن الحارث الأعور ، عن على بن أبي طالب رضي الله عنه رفعه قال : « إِنَّ ٱلله إِذَا أَسْكُن أَهْلَ الْجُنَّةِ الْجُنَّةَ وَأَهْلَ النَّارِ النَّارَ النَّارَ بَمَتَ إِلَى أَهْلِ الْجُنَّةِ الرُّوحَ الأُوينَ فيقولُ : يَا أَهِلَ الْجُنَّةِ إِنَّ رَبُّكُمْ مُ 'يُقْرِثُكُمْ السَّلاَمَ وَيَأْمُرُ كُمْ أَنْ تَزُورُوهُ إِلَى فِناَء ٱلجُنَّةِ وَهُوَ أَبْطَحُ (٢) ٱلجُنَّةِ ، ثُرْ بَنَّهُ الْمِسْكُ وَحَصْبًا وُ مُ الدُّرُّ وَالْمَاقُونَ وَشَـــــــجَرُهُ الذُّهَبُ الرَّطْبُ وَوَرُقُهُ الزُّمُرُّد، فَيَخْرُجُ أَهْلُ الْجُنَّةِ مُسْتَبْشِرِين مُسْرُورِينَ ، فَمُ يَجْمَعُهُمْ وَهُمَّ كُرَامَةُ اللهِ وَالنَّظَرُ إِلَى وَجْهِهِ ، وَهُوَ مَوْعِدُ اللهِ أَنْجَزَهُ لَمْمُ ، فَيَأْذَنُ اللهُ لَمَمْ فِي السَّمَاعِ وَالْأَكُلِ وَالشُّرْبِ ، وَيُكْسَونَ حُلَلَ الْكَرَامَةِ ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ : يِا أُولَتِهَاءَ ٱللهِ هَـــِلْ بَقِيَ مِمَّا وَعَدَكُمُ اللهُ [رَبُّ كُمُ] شيء ؟ فيقولونَ لاَ وَقَدْ أَنْجَزَ نَا مَا وَعَدَنَا فَا بَقِيَ شَيْءٍ إِلاَّ النظرُ إلى وَجْهِهِ ، فَيَتَجَلَّى لَهُمُ الرَّبُّ (تَبَارَكَ وَتَعَالَى) في حُبُبِ فَيَقُولُ : يا جِبْرِيلُ ارْفَعْ حِجَابِي لِعِبَادِي كَنْ يَنْظُرُوا إِلَى وَجْهِي ، قالَ : فَيَرْفَعُ

⁽۱) فى تهذيب التهذيب (ج ۹ ص ۲۲۲) أن الذى يروى عنه هشام بن عمار هو محمدبن شميب بن شابور وهو يروى عن عبدالرحن بن حسان السكنانى . (۲) الابطح: المكان المتسع يمر به السيل فيترك فيه الرمل والحصى الصغار ومنه أبطح مكة وبطحاء مكة .

⁽٣) جمع حصبة : الحصى و

الحد آب الأوّل قينظرُون إلى نور من نور الرّب فينجر ون له سبسداً فيناديهم الرّب ياعبادي آرفعوا رُو وسَكُم فإ هما كيست بدار عَل إيما فيناديهم الرّب الرّب الموقع أعظم وأجل في دَارُ ثَو الله عامدين ساجدين، فيناديهم الرّب أن آرفعوا رُووسكم فيخرون لله عامدين ساجدين، فيناديهم الرّب أن آرفعوا رُووسكم إنها كيست بدار عَمَل إنها هي دَارُ ثَو الله وَ نعيم مُقيم . فيروض ألحجاب النّالي فيند ذلك ينظرُون إلى وجه رب العالمين، فيقول كرّامتي أمكنتكم من النّظر إلى وجهي المن ما عبد ناك حق عبادتك ، فيقول كرّامتي أمكنتكم من النّظر إلى وجهي وأحكيت من وأحد كراى . فيأذن الله للجنّة أن تعكلي من النّظر إلى وجهي لمن سكنني وطوبي لين يَعْلَدُ في وَطُوبي لِمَن أعددت وجود من منذ ناضرة وله تعالى : (وجود من منذ ناضرة من إلى ربّها ناظرة ") "(٢)

وفى الصحيحين من حديث أبى موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « جَنَّمَانِ مِنْ ذَهَبِ آنِيتُهُمَا وَحِلْيَتُهُمَا وَمَا فَيهما ، وَجَنتان مِنْ فَهُمَا ، وَمَا بَيْنَ الْقُوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنظُرُ وا إلى مِنْ فِضَّةً آنِيتُهُمَا وَحَلَيْتُهُما وَمَا فَيهما ، وَمَا بَيْنَ الْقُوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنظُرُ وا إلى رَبِّهُمْ إلا رِدَالِهِ الْكِبرِياء عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةً عَدْنِ » .

وذكر عثمان بن سعيد الدّارمى : حـد ثنا أبو الرّبيع ، حدّثنا جرير بن عبد الحميد ، عن يزيد بن أبى زياد ، عن عبدا لله بن الحارث ، عن كعب قال : ما نظر الله إلى الجنة إلا قال : طيبى لأهلك فزادت طيباً على ماكانت ، وما من

⁽١) الآية ٢٩: سورة الرعد.

^{(ُ} ٢ ُ) الآيتان ٢٢ و ٢٣ : سورة القيامة .

يوم كان عيداً في الدُّنيا إلا يخرجون في مقداره إلى رياض الجنة ، و يَبرُزُ لهم الرب تبارك وتعالى وينظرون إليه ، وتَسْفي (١) عليهم الربح بالطيب والمِسك فلايسألون ربَّهم تبارك وتعالى شيئاً إلا أعطاهم، فيرجعون إلى أهلهم وقد ازدادوا على ما كانوا عليه من الحسن والجال سبعين ضعفاً .

وقال عَبْدُ بن مُحَيد أخبر بى شبابة عن إسرائيل ، حد ثنا أبو يو بن أبى فاختة سممت ابن عمر رضى الله عنهما يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
« إِنَّ أَدْ بَى أَهْلِ الجُنَّةِ مَنْ لِهُ مَنْ يَنظُرُ إِلَى خَدَمِهِ وَتَعِيمِهِ وَسُرُرهِ مَسِيرة الله مَنْ يَنظُرُ إِلَى خَدَمِهِ غَمَدُوةً وَعَشِيَّةً مَ الله مَنْ يَنظُرُ إِلَى وَجْهِ غَمَدُوةً وَعَشِيَّةً مَ الله مَنْ يَنظُرُ إِلَى وَجْهِ غَمَدُوةً وَعَشِيَّةً مَ تَلا هَذَه الآية (وُجُوهُ يَو مَثَلِدُ نَاضِرَةً . إلى رَبِّهَ نَاظِرَةً (٢٠) » رواه الترمذي في جامعه عنه .

وذكر عُمَان بن سعيد الدَّارِي ، عن ابن عمر رضى الله عنهما رفعه إله النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إنّ أَهْلَ الجُنّةِ إِذَا بَلَغَ مِنْهُمُ النبي الله عليه وسلم قال: « إنّ أَهْلَ الجُنّةِ إِذَا بَلَغَ مِنْهُمُ النبي كُلّ مَبَلَغ وَظَنوا أَنْ لاَ يَعِيمَ أَفْضَ لَ مِنْهُ تَجَلّى لَهُمُ الرَّبُ تَبَارَا وَتَعَالَى فَنَظُرُ وا إلى وَجْهِ الرَّحْنِ فَلَسُوا كلَّ نعِيمٍ عَا يَنُوهُ حِينَ لَظُرُ اللهِ وَجْهِ الرَّحْنِ فَلَسُوا كلَّ نعِيمٍ عَا يَنُوهُ حِينَ لَظُرُ اللهِ وَجْهِ الرَّحْنِ فَلَسُوا كلَّ نعِيمٍ عَا يَنُوهُ حِينَ لَظُرُ اللهِ وَجْهِ الرَّحْنِ ».

وقال الحسن البصرى قوله تعالى: (وُجُوهُ كَوْمَئِذِ نَاضِرَةٌ . إلى رَبِّ نَاظَرَةٌ) قال: حسنها الله تعالى بالنظر إليه سبحانه، وحَقَّ لَمَا أَن تَنضَرَ وَ تنظر إلى رمها عز وجل . قال أبو سلمان الدَّاراني: لو لم يكن لأهـ

^(1) سفت الربح التراب ونحوه : ذرته أو حملته .'

⁽٢) الآيتان ٢٢، ٣٢ . سورة القيامة .

الحَبَّة _ أَو قال المعرفة _ إلا هذه الآية : (وُجُوهٌ يَوْ مَنْذِرٍ نَاضِرَةٌ . إلى رَبِّهَا نَاظَرَةٌ) لا كُنَتَفَوْ الهما .

وذكر النسائى من حديث الزُّهرى ، عن سعيد بن المسيّب، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قلنا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : « هَلُ نَضَا مُونَ فَى رُوْيَة الشَّمْسِ فِى يَوْمِ لاَغَيْمَ فِيهِ وَفِى الْقَهَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لاَغَيْمَ فِيهِ وَفِى الْقَهَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لاَغَيْمَ فِيهِ ؟ » قلنا: لا، قال « فإنَّكُمُ سَتَرَوْنَ رَبِّكُم حَتَّى إِنَّ أَحَدَ كُمْ لَيْحَاضِرُ هُ (١) مُعَافِرَةً فَيقُولُ: عَبْدِى هِلْ تَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا وكذا ؟ فيقول : ياربِ أَكُمْ تَغْفِرْ لَى ؟ فيقول : يارب أَكُمْ هذا » .

وفى الصحيحين من حديث مالك ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يَسَار ، عن أبي سعيد الحُدري رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى يقول لأهل الجنّة : يَا أَهلَ الجنة ، فيقولون : لَبّيكَ رَبّبنا وَسَمدَ يكَ وَالْخِيرُ فِي يَدَيكَ فيقولُ : هل رضيتم " ؟ فيقولون : وَمَا لَنَا لاَرضى وَقَدْ أعطيتَناما لم تُعط أَحَداً مِن خَلْقِك ، فيقول : ألا أعطيك أفضل مِن ذلك ؟ فيقولون : أحل عليكم ذلك ؟ فيقولون الحرث عليكم أفضل مِن ذلك ؟ فيقول : أحل عليكم وضواني فلا أَسْخَط عَليكم أبدا » .

وفى الصحيح والسين والمساند من حديث ثابت البنانى ، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عن صهيب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إذا دَخَل أَهلُ ٱلجُنَّةُ ٱلجُنَّةُ الدى مناد : يَا أَهلَ ٱلجُنَّةُ إِنَّ لَكُمْ

⁽١) حاضر القوم: جالسهم وحادثهم بما يحضره.

عِنْدَ اللهِ مَوْعِداً يَرِيدُ أَنْ يُنْجِزَ كُمُوهُ ، فيقولون : ماهو أَلَمْ يُبَيِّضْ وُجُوهَنَا وَيُدْخِلْنَا اللَّهِ أَنْ يُنْجِزَ نَا مِنَ النّارِ ؟ فَيَكْشُفُ اللّهِ اللّهِ اللّهِ وَيُدْخِلْنَا اللّهِ اللّهُ شَيْئًا أَحَبّ إلَيْهِمْ مَنَ النّظَرِ إلَيْهِ وَلَا فَيَنْظُرُ وَنَ إِلَيْهِم مَنَ النّظَرِ إلَيْهِ وَلَا أَقُرٌ لأَعْيَنِهِمْ » .

وفى مُعَيَّح البخارى من حديث جرير بن عبد الله قال : كُنَّا جُلُوساً عند النه صلى الله عليه سلم إِذْ نَظَرَ إلى القمر لَيلةَ الْبدر فقالَ : « إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبِّكُمْ كَا تَرَوْنَ هذا القَمْرَ لاتُضَامُونَ في رُوْيَتِهِ فإِن اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَاتُغْلَبُوا عَلَى صَلاةً قَبَلَ طُلوع ِ الشَّمْس وقَبْلَ غُرُوبِهَا فا فَقُلُوا » .

وفى الصحيحين من حديث الزُّهرى ، عن عطاء بن يزيد الليثى ، عن أبى هريرة رضى الله عنه أنَّ الناس قالوا : يا رسول الله هل نرى رَّ بنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه رسلم : «هَلْ تُضَارُ ونَ (١) فى الْقَمَر ليلهَ البَدر ؟» قالوا : لا يارسول الله قال : « فَهَلْ تُضَارُ ونَ فى الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَنَا سَحَابُ ؟» قالوا : لا يارسول الله قال : « فَهَلْ تُضَارُ ونَ فى الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَنَا سَحَابُ ؟» قالوا : لا يارسول الله ، قال : « فإنسكم مُ تَرَوْنه كُذلك ؟ . وَف لَفْظُو: « فإنسكم في الشَّمْسُ لَهُ مَن وَق لَفْظُو: « فإنسكم لَهُ اللهُ عَلَى اللهُ ال

وقال الترمذى : حدَّثنا قُتَيْبةً ، حدَّثنا عبد العزيز بن محمد ، عن القلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضى الله عنه أن "رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَومَ القيامَةِ في صَعيدٍ وَاحدٍ ثُمَّ يَطَيعُ عَلَمهم وسلم قال : « يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ يَومَ القيامَةِ في صَعيدٍ وَاحدٍ ثُمَّ يَطَيعُ عَلَمهم رب القالمين تَبارك وتقالى فيقُولُ : لِيتَسِعْ كُلُّ إنْسَانِ مَاكَانَ يَعْبُدُ، فيُمَثّلُ الصَّاحِبِ الصَّليبِ صَليبُهُ ولِصَاحِبِ النَّصَاوِيرِ تَصَاوِيرُ هُ ، واصاحِبِ النَّارِ نارُ هُ الصَّاحِبِ النَّارِ نارُ هُ . واصاحِبِ النَّامونَ تَضاماً يب النَّامونَ تَضاماً . لا تضامون تضاماً يبدنو بعضكم من بعض فيضايقه . وجاء في لسان العرب : لا يضر بعضكم بعضا وينفرد برؤيته ، وقال في تفسيرها أيضاً : لا يقع بكم في رؤيته ضر ولا يلحقكم ضم .

فَيَتَّبِّهُونَ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ وَيَبْقِي المُدلِمُونَ فَيَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ رَبُّ العَّالِينَ تَبَارِكَ وتَعَالَى فَيَقُولُ : أَلَا تَنَبِعُونَ النَّاسَ؟ فَيَقُولُونَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ لَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ ، أَللهُ رَبُّنا هٰذَا مَكَا نُنَا حَتَى تَرْى رَبَّنَا ، وَهُوَ يَأْمُرُ مُمْ وَيُثَبِّتُهُمْ. مُمَّ يَتَوَارَى ثُمَّ يَطِّلِمُ عَلَيْهِمْ فيقول: أَلَا تَنْبِعُونَ النَّاسَ؟ فَيَقُولُون: تَعُوذُ بالله مِنكَ نَعُوذُ باللهِ مِنك، أَللهُ رَبُّنَا، وهذا مَـكَانُذا حَتَى نَرْى رَبُّنا، وهُوّ رَيَّأُمُرُهُمْ ويُكَبِّئُهُمْ . قالوا: وهَلْ نواهُ يا رسول الله ؟ قال: وهَل تُضَّارُ ون في رُ وْ يَةِ الْقَمَرِ لِيلَةَ البِّدْرِ ؟ قالوا: لا يا رسول الله قال: فإنْسَكُم لا تُضَارُ ون في رو ينهِ تِلْكُ السَّاعَةَ . قال : ثُمَّ يَتُو ارلى ثُمَّ بَطَّلِعُ فَيُمْرِّ فَهُمُ لَفْدَهُ ثُم يقول : أَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّبِمُونَى، فَيقومُ الْسَالِمُونُ و يُوضَعُ الصِّرَاطُ فَيمُرُّونَ عَلَيهِ مِثلَ جِيَاد الخَيلِ والرِّكابِ، وقُولِمُم عايـه: سَلَّم سَلِّم، وَيَبِلَى أَهِلُ النَّارِ فَيُطْرَحُ مَنْهُم فيها قوح فيقُالُ هل امتَلات ؟ فتَقُولُ : هل مِن مَزيد ا ثُمُ يُطْرَحُ فيها فَوجٌ فيقُالُ : هلِ امتَلَاتِ ؟ فتَقولُ هل مِن مَزيدٍ ؟ حَتَى إِذَا أُوعَبُوُا(١) فيها وضَعَ -أُلَّ الْحَرْثُ كَبَارِكُ وَتَعَالَى فَهَا قَدْمَهُ فَأَزْوَى (٢) تَبْمُضَهَا إِلَى بَعْضٍ وقالت: ُ قَطْ قَلَى، فإذا أَدخَلَ اللهُ أَهِلَ الْجُنَّةِ الْجُنَّةِ وَأَهِلَ النَّارِ النَّارَ أَتَى بِالمُوتِ مُكَتبياً فَيُو تَفُ عَلَى السُّورِ الَّذِي تَبَينَ أَهُلِ الْجُنَّةِ وأَهْلِ النَّارِ ، ثُمَّ 'يَثَالُ يَا أَهُلَ الْجُنَّةِ فَيَطَلِّعُونَ خَانِفِين ، ثُمَّ يُقَالُ : يا أهل النَّار فَيَطَّلِعُونَ مُسْتَبشِرِينَ يَرجُون الشَّفَاعَةَ فيقُالُ لأهـل أَجْنَةِ والنَّار : هل تَعرُفُونَ هَـذًا ؟ فَيَقُولُونَ هُؤُ لاء وهُوْ لَاء : ۚ قَدْ عَرَفْنَاهُ ، هُو البُّوتُ الذِي وُكُلُّ بِنَا ، فَيُضْجَعُ فَيُذَّبِحُ ذُبِّكًا

⁽¹⁾ أوعبوا فيها : أدخلوا فيها ولم يبق أحد منهم خارجها .

⁽٢) أزوى بمضها إلى بمض : ضم بمضها إلى بعض .

عَلَىٰ السُّورِ . ثُمَّ كُيقَالُ : يا أَهْلَ الجُنَّةِ خُلُودٌ وَلَامَوْتُ ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ وَلَامَوْتُ ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ وَلَا مَوْتُ » .

قال الترمذى: هذا حديث حسن محيح وأصله فى الصحيحين لكن هذا السيان أجم وأخصر. وفى لفظ الترمذى: « فَلَوْ أَنْ أَحَدًا مَاتَ فَرَّ مَا لَمَاتَ أَهْلُ النَّارِ ».

وفى مسند الحارث بن أبى أسامة من حديث قُرَة ، عن مالك ، عن زيادبن سعد ، حدَّ ثنا أبو الزبير قال : سممت جابر بن عبد الله رضى الله عنهما يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذَا كانَ يَوْمُ الْقَيامَةِ جُمِعَتْ الْأَمْمُ وَرُعِيَ كُلُّ أَنَاس بإمامِهِم فَجِمْنَا آخِرَ النَّاسِ فَيَقُولُ قَائِلٌ مِنَ النَّاسِ مَنْ هٰذِهِ الْأَمَّةُ ؟ قال : فيُشرِفُ إليّنا النَّاسُ فيقالُ : هذه الأمّةُ الأهيئة ، مَنْ هٰذِهِ أَمّةُ مُحَمَّدٍ ، وَهٰذَا مُحَمَّدٌ في أُمّتِهِ ، فيُنادِي مُنادِ إِنكُم الآخِرُ ونَ النَّاسِ هَنَّى نَكُونَ أَقْرَبَ النَّاسِ الْمُورِثُ ، قال : فَنَأْتِي فَنتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ حَتَّى نَكُونَ أَقْرَبَ النَّاسِ الْمُورِثُ ، قَلَدُ عَى النَّاسِ عَلَى اللهِ تَقَالَى مَنْ أَنْمُ ؟ فيقولون : كَنَّ أَنَاسِ بإمامِهِم ، فَيَدْعَى اليَهُودُ اللهِ اللهِ تَقَالَى مَنْ أَنْمُ ؟ فيقولون : كَنَّ بُنا اللهِ وَلَا اللهِ وَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ وَلَا اللهِ وَلَا اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ ال

لهداى : ياعيسى (عَأْنَتُ كُفْتُ لِلنَّاسِ آ يَخِذُونِي وَأَمِّي إِلَمْيْنِ مِنْ دُونِ الله (١) فيقول : (سَهُ حَافَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَالَيْسَ لِي بِحَقَّ) للى قوله : (العزيزُ آلَكُ كَمِيرُ أَلَّهُ كَمْ يَدْعَى كُلُّ أَمَاسِ بِإَمَامِهِمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مَى يَضَمُ وَلَقَرَبُ المَّالِمَ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ إِلَما فَلْيَتْبِعِهُ ، تَقَدَّمُهُمْ آلِمَتُهُم مِنْهِ النَّفُسُ والمَّحْرُ ، ومِنها الدَّجُالُ ، حَتَى تَبْقَى مِنها الخَشْبُ والمُجَارِةُ ، ومِنها الشَّاسُ والقَمْرُ ، ومِنها الدَّجُالُ ، حَتَى تَبْقَى مِنها الخَشْبُ والمُجَارِةُ ، ومِنها الشَّاسُ والقَمْرُ ، ومِنها الدَّجُالُ ، حَتَى تَبْقَى السَّلُونَ فَيقُولَ : عَنْ السَّلُمُونَ ، قالُونَ : عَنْ السَّلُمُونَ ، قالُونَ عَلَيْهُ مَا الله وَحَدَهُ لا مُر يَكُ السَّلُونَ ، قالُونَ ، قالُونَ : فَعْمَدُ ، فيقُولُ : مَا كِتَابُكُم ؟ الله وَقُولُونَ : نَعْبُدُ الله وحَدَهُ لا شَرِيكُمْ وَلَوْنَ : نَعْبُدُ الله وحَدَهُ لا شَرِيكُمْ وَلُونَ : نَعْبُدُ الله وحَدَهُ لا شَرِيكُ أَنَّهُ لا عَدُلُ له ، قالُ : مَا الذِي وُعُدِنًا فيقُولُ : فَقُولُ : فَعُولُ : فَقُولُ : فَقُولُ : فَقُولُ : فَقُولُ : فَعُولُ اللهُ الله

وفى مسند الإمام أحد رضى الله عنه من حديث أبى الزبير قال: سألت جابراً عن الورود فأخبر في أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « تجيء يوم الرتيامة على كوم ('' فَوق النّاس ، فَتَدْعَى الأَمَم بَأُونا نها وما كانت تعبد ، الأول فالأول ، ثم يأتينا ربّنا بعد ذلك فيقول : ما تَذْتَظُر وَن النّاس ، فيقولون : حتى تنظر ربّنا ، فيقول : أنا ربّنا م فيقولون : حتى تنظر إليك ، فيقولون : حتى تنظر اليك ، فيقولون : حتى تنظر اليك ، فيقولون . حتى تنظر اليك ، فيتجلى لهم فيضحك فيتبعونه » .

^{(1} و ٢ و ٢) الآيات ١١٦ - ١١٨ . سورة المائدة .

⁽٤) الكوم: مكان مرتفع .

وذكر عبان بن سعيد الدّارى أن أبا بُر دّة بن أبي موسى الأشعرى أني الله عنه أن رسول عمر بن عبد العزيز فقال: حدد ثنا أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه أن رسول الله عليه وسلم قال: « يَجْمَعُ اللهُ الأَمَم يَومَ القيّامَة في صَعيدٍ وَاحد فإذا بدا لَهُ أن يَصدَع بَيْنَ خَلقهِ مَثْلَ لِسكلِّ قَوْمٍ ما كانُوا يَعبُدونَ فَيقول: فيقول: فيقول: فيقول: فيقول: مَنْ أَنْمُ ؟ فَنقولُ: نَعْمُوهُم (() النّارَ ، ثمّ يأتينا ربنّا و نَعْنُ في مَكان فيقول: من أنه مُ وفقول: ما تَذْمَطُورُ ون ؟ فنقولُ: نَدْمَتُظُورُ مَنْ أَنْمُ عَلَيْونَ أَنْهُ ربّسَكُم ؟ فَنقولُ: حَدَّمَلْنا الرّسُلُ أَوْ بَنْمَ اللهُ عَلَيْونَ أَنْهُ ربّسَكُم ؟ فَنقولُ: عَنْ مُلَمُ أَنْهُ لا عَدلاً ، فيقولُ: عَمْرُ النّا السّلَمُ اللهُ عَلَيْهِ اللهُ عَلَيْهِ النّارَ يَهُودُونَ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عليه الله عليه وسلم ؟ قال: إن والله الذي لا إله إلا هو لقد سمت أبي والله الذي لا إله إلا هو لقد سمت أبي يذكره عن رسول الله عليه مسلمة الله عليه وسلم ؟ قال: إلى والله الذي لا إله إلاً هو لقد سمت أبي يذكره عن رسول الله عليه ما سمت في الإسلام حديثاً هو أحب إلى منه .

وفى الترمذى من حديث الأوزاعى حدَّنى حسّان بن عطية ، عن سعيد ابن المسيّب أنه لتى أبا هريرة رضى الله عنه فقال أبو هريرة : أساًل الله تعالى أن يحمع بينى وبينك فى سوق الجنة ، فقال سعيد : أو فيها سوق ؟ قال : نعم أخبر فى رسول الله صلى الله عايه وسلم أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم في فيدن لهم فى مقدار يوم الجمعة من أيام الدُّنيا فيزورون الله تبارك و تعالى ، فيبر زلم عرشه و يتبدًى لهم فى روضة من رياض الجنة ، فتُوضع لهم منابر من أوري

⁽١) يقحموهم: يرمو هم فيها على وجوههم .

ومثارُ من كُوْكُوْ ومنابرُ من ياقوت ومنابرُ من زَّبَرْ جَد ومنابرُ من ذَهب ومنابرُ من ذهب ومنابرُ من ذهب ومنابرُ من فضّة ، و يجلس أدناهم وما فيهم دنى الله عَلَى كَثبان (١٦) المسك والكافور ما يرون أنَّ أَهل الكراسي أفضلُ منهم مجلساً .

قال أبو هريرة : قلت : يا رسول الله وهل برى دبنا يوم القيامة ؟ قال :

« نَمَمْ هَلُ مُكَارُونَ فَى رُوْيَةَ الشَّمْسِ والقَسَرِ لَلْلَةَ البَدْر ؟ » قلنا : لا ، قال :

« كَذَلِكَ لا مُكَالِكُ لا مُكَارُونَ فَى رُوْيَةَ رَبِّكُم ولا يَبنَى فَى ذَلِكَ الْمَجْلِسِ أَحَدُ إلا
حَاضَرَهُ اللهُ تَمَالَى مُحَاضَرَةً حَتَى يقولَ لِيرَّ جُلِ مِنهُمْ : يَافَلَانُ بْن فَلَانِ
حَاضَرَهُ اللهُ تَمَالَى مُحَاضَرَةً حَتَى يقولَ لِيرَّ جُلِ مِنهُمْ : يَافَلَانُ بْن فَلَانِ
أَتَذْ كُو مُ يَوْمَ كَذَا عَمِنتَ كَذَا وَكَذَا اللهُ فَيْدَ كُو مُو المَالِقُ مَنْ فَوْقِهِمْ فَامْطَرَتَ عَلَيْهِمْ طِيما
هذه (٢٠) ، فَبَيْنَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ عَشْيَتْهُمْ سَحَانِةٌ مِن فَوْقِهِمْ فَامْطَرَتَ عَلَيْهِمْ طِيما
هذه (٢٠) ، فَبَيْنَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ عَشْيَتُهُمْ سَحَانِةٌ مِن فَوْقِهِمْ فَامْطَرَتَ عَلَيْهِمْ طِيما
الْكَرَامَةِ فَنَخُذُوا مَا اشْتَهِينَهُمْ ، فَنَأْتِي سُوقًا قَدْ حَفَّتْ بِهِ الْمَلَالِكُمْ ، فِيهِ مَالَمُ
لَمْ يَجِدُ وا مِثْلَ رِيحِهِ شَيْئًا قَطَّ ، ثُمَّ يَقُولُ : قُومُوا إلى مَا أَعْدَدُتُ لَكُمْ مِن
الْكَرَامَةِ فَنَخُذُوا مَا اشْتَهَيْتُهُمْ ، فَنَأْتِي سُوقًا قَدْ حَفَّتْ بِهِ الْمَلَالِكُ مَا أَعْدَدُتُ لَكُمْ مِن
الْكَرَامَةِ فَنَخُذُوا مَا اشْتَهَيْتُهُمْ ، فَنَاقِي سُوقًا قَدْ خَفَّتْ بِهِ الْمُلْكِثُونَ عَلَى السُّوقِ بَلْكُولُ الْمَنْ لَوْ الْمَنْ اللَّهُ فَيْتُولُ اللهُ فَيْ اللهُ مِنْ اللّهُ اللهُ فَيْ اللّهُ فَي مُولِكُ اللهُ لا يَنْفَعِي آخِرُ حَلَيْهِ مِن اللّهُ اللهُ فَي اللهُ اللهُ فَي مَنْ فَهُ عَلَى اللهُ فَي مُنْ وَلَا اللهُ فَي اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلْمَ اللهُ اللهُ اللهُ وَلَا اللهُ اللهُ

(٢) أنظر صفحة ٢٥٠٠.

⁽۱) جمع كثيب: تل من الرمل سمى به لأنه انكثب أى أنصب فى مكان فاجتمع فيه .

ِ بِكَ مِنِ الجُمْالِ وَالطِّيبِ أَ كَثَرَ مِمَّا فَارَ قَتَنَا عَلَيْهِ ، فَيَقُولُ : إِنَّا جَالَسْنَا الْيومَ رَبَّنَا الجُبْارَ وَ يَحْقَنا أَنْ نَنْقُلِبَ مِمْلِ مَا انقَلَبنا » :

وقال يعقوب بن سفيان في مسنده : حدَّثنا ابن المصنَّى ، حدَّثنا سُويد بن عبد العزيز ، حدَّثنا عرو بن خالد ، عن زيد بن على ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن على بن أبي طالب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَزُ ورُ أَهْلُ اللهُ عَلَى اللهُ عَنْهُ وَنَمَا لَى فَى كُلِّ يَوْم مُجْمَةً وَذَكَرَ مَا يُمُطُونَ وَلَمَا لَى فَى كُلِّ يَوْم مُجْمَةً وَذَكَرَ مَا يُمُطُونَ قَال : ثم يقول اللهُ تعلى : اكشفوا المُخبِّب ، فَيَكشفُوا حَجَابًا ثمَّ حَجَابًا مُح حَجَابًا مُح يَتَجَلَى لهم عن وجهه تبارك و تعالى وكأنهم لم يَرَوْ نعمة قبل ذلك ، وهو قول الله تعالى : وَلَدَيْنَا مَزِيدُ () .

. وذكر عَمَان بن سمعيد الدَّارِمي من حديث الحسن رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليمه وسلم مرسكر أنّه قال: « يَأْتَيْنَا رَّبْنَا يَوْمَ القيامَةِ وَنْحَنُ عَلَى مَكَانٍ رَفِيمٍ فِيتَعَلِّى لنا ضاحكاً » (مرسك محيح) .

وقال عثمان الدّارمى: حدّثنا أبو موسى ، حدّثنا أبو عوانة ، حدّثنا الأجلح حدّثنا الضعاك بن مزاحم قال : إن الله يأس السهاء يوم القيامة فتنشق بمن فيها فيحيطون بالأرض ومن فيها ، نم يأس السهاء الثانية حتى ذكر سبع سموات فيكونون سبعة صفوف قد أساطوا بالناس ، ثم ينزل المايك الأعلى جلّ جلاله فى بهائه وجماله ومعه ماشاء من الملائكة .

وقال عُمَان بن سمید ؛ حدَّثنا هشام بن خالد الدمشقى ، وكان ثقة ، حدَّثنا محمد بن شمیب بنشاور ، حدَّثنا عمر بن عبد الله مولى غفْرَة ، عنأ نس بنمالك

⁽١) الآية ه٧٠ سورة ق.

رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « جاءني جِيْرِيلُ وَفَى كَنَّهِ مِرآةٌ فَهَا نُكْنَةً (١) سَوْدَاهِ ، فقات : ماهـذه يَاجِبْرِيلُ ؟ قال : هٰذِهِ الْجُمَّةُ أُرسَلُ بِهَا إِلَيْكَ رَبُّكَ فَتَسَكُّونِ هُدَّى لَكَ وَلاَمَّتِكَ مِنْ بَعْدِكَ ، فقلت: وَمَا لِنَا فِيهَا ؟ قال: لَـــكمُ فِيهَا خَيْرُ كَيْثِيرِ مُ أَنْتُمُ الْآخِرُ ونَ السَّابِقُون يومَ الْقِيامَهِ وَفَيْهَا سَاعَةٌ لاَ يُوافِقُهَا عَبْدُ مُؤْمِنَ يُصَلِّى يَسْأَلُ ۚ اللَّهَ خيرًا هُو له ُ قسم إلاّ أَنَّاهُ وَلَاخِيرًا لِيْسُ لَهُ بِقِسِمِ إِلَّا دُخِيرًا لَهُ أَفْضَلُ مِنْهُ ، وَلا يَسْتَمِيذُ بِاللَّهِ مِمَّا هُو مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ إِلَّادُ فِعَ عَنْهُ أَكْثُرُ مِنْهُ ، قلت : ماهذه النَّكْتَةُ السَّوداه؟ قِالَ : هذه السَّاعَةُ يَوْمَ تَقُومُ الْقَيَامَةُ وَهُو سَيِّدُ الأَيامِ وَتَحْنُ 'نَسَمِيهِ عَنْدَ نَا يَوْمَ لَازِيدِ ، قلت : وَلِمَ تُسمُّونهُ يومَ اللَّزِيدِ ياجِهْرِيلُ ؟ قال : لأنَّ ربَّكَ الْمُخَذَّ في اَلْجُنَّةَ وَادِيًّا أُفْيِحَ (٢ مِنْ مُسْكِ أَبِيَضَ فَإِذَا كَانَ يُومُ الْجُمُّةَ مِنْ أَيَّامِ الآخرةِ هَبَطَ الْجَبَّارُ عَنْ عَرْشِهِ إِلَى كُرْسِيَّةً إِلَى ذَلِكَ الْوَادَى وَقَدْ حُفَّ الْكُرْسِيُّ عِنَابِرَ مِنْ نُورِ يَجْلِسُ عَلَيْهَا الصِّدِّيقُونَ والشُّهَدَاءِ يوْمَ الْقيامة مُمَّ يَجِيءِ أَهْلُ الْنُورَفِ حَتَّى يَحُفُّوا بِالْكَثْنِبِ ، ثُمَّ يَبْدُو كَلَمُ ذُو الْجُـكَالِ والإَكْرَامِ تَبَادِكَ وَتَمَالَى فَيَقُولُ : أَنَا الَّذِي صَدَقَتُكُم وَعْدِي وَأَتْمَتُ عَلَيْكُم نِعْنَى وأَخْلَتُكُم دَارَ كُرَ امَتِي فَسَلُونِي ، فَيقُولُونَ بِأَجْمِيهِم ؛ نَسَأَلُك الرِّضَا عَنَّا ، فَنَشْهَدُ لَم على الرضائم يقُولُ لم : سلوني ، فَيسْأَلُونهُ حَتى يَلْتُهِي أَنْهُمَةُ (٢٠ كُلُّ عَبْدُ مِنْهُمْ ثُم يقول: سلوبي ، فيقولون : حَسبُنا ربُّنا رضينا ، فَيَرْجِعُ ٱلجَبَارُ جَلَّ جَلاُّهُ إلى

⁽١) الشكتة في الشيء كالنقطة: وهي النقطة السوداء في الابيض وقبل البيضاء. لاسه د.

⁽٢) أفيح : واسع عصب.

⁽٣) النهمة : الحاجة ، وبلوغ الشهوة فى كل شى. .

⁽٨ م - روحة المحبين)

عَرْشِهِ فَيُهْتَحُ لَهُمْ بِقَدْرِ إِشْرَاقِهِم مِن يومِ الجُمْنَةِ مالاً عَيْنُ رأَتْ وَلاَ أَذُنْ عَمِيْتُ وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ. وَيَرْجِعُ أَهْلُ الْغُرَفِ إِلَى غُرَفِهِمْ وَهِى غُرْ فَةً مِن لُو لُؤَة بَيْضاء وَيَاقُونَة خَرَاء وَزُمُرُدَة خَضْرَاء لَيْسَ فيها قَصْم ولا مِن لُو لُؤَة بَيْضاء وَيَاقُونَة فيها عَارُها، فيها أَزواجُها وَخَدَهُما وَسَسَاكِنُها فَلَيْسُوا إِلَى يَومِ أَخْوجَ مَهُمْ إِلَى يَومِ الْجُهْعَةِ لِيَرْدَادُوا فَضَالًا مَن رَبِّهِمْ وَرضُوانًا ».

رواه عن أنس جماعه منهم عمان بن عمير بن اليقظان (٢) ومن طريقه رواه الشافعي في مسنده ، وعبدالله بن الإمام أحمد في السنة (٣) ، ومنهم أبوصالح ، والز بير بن عدى ، وعلى بن الحديم البناني ، وعبد الملك بن عمير ، ويزيدار قاشي وعبد الله بن بُريدة ، كامّهم عن أنس وصححه جماعة من الحقاظ ، وزاد الشافعي في مسنده في آخره : « وهُو اليومُ الذي اسْتُوى فيه ربّه مَ عَلَى العَر ش » وساقه عمان بن أبي شيبة من طر ق ، وقال في بعضها : « ثم يَّ يَتَجَدَّلَى لهُمْ ربّهُم تَبارك وَتَعَالَى فَيقُولُ : أنا الذي صَد قُد تُم وعدي وأهدا على على العر سيّه وير تفيع معه النبيون وهذا والصدِّيقُون والشّهداء وير جسع أهل الغر في إلى غُر فهم » .

وروى محمد بن الزِّبرِقان ، عن مقاتل بن حيَّان ، عن أبى الزبير ، عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ أَهْلَ الجُنَّةِ

⁽١) قصمه قصماً : كسره وأيانه ، وقيل كسره وإن لم يبن . ووصم الشيء وصماً : صدعه وعايه. والمعني : ليس فيها كسر ولا عيب .

⁽٢) كذا . . والصواب : أبو اليقظان كما جاء في تهذيب التهذيب

⁽٣) كذا . . ولعل الصواب في المسند .

لَيَنْ تَأْجُونَ إِلَى الْعُلْمَاء فِي الجُلِّهِ ۚ كَا يَعْتَاجُونَ إِلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا وَذَلِكَ أَسَّهُمْ يَزُ ورُونَ رَبَّهُمْ فِي كُلِّ جُمُعَةً فِيقُولَ لَهُمْ : كَمَنُّوا ، فَيقُولُونَ: وَمَا نَتَمَنَّى وَقَدْ . أَدْخَلْتُنَا الْجُنَّةَ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا أَعْطَيْتَنَا ، فَيُقَالُ لِهُمْ : كَمَنُّوا ، فَيَكْتَفَعُونَ إِلَى الْعُلْمَاء » وذكر الحديث في قصَّة الجمعة .

وروى ابن مَندَه من حديث الأعمش ، عن أبى وائل ، عن حُذيفة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قصَّة الجمعة بطولها وفيها يقول : « سَلُونى فيقولون : أَرِنَا وَجُهِكَ رَبَّ القالَمِينَ نَنْظُر ۚ إِلَيْكَ ، فَيَكَشْفِ الله ُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تِلْكَ الله ُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تِلْكَ الله مُ الله مُ فَيَنْظُر ُ ونَ إليه م » .

وذكر عَمَان الدّارِمى ، عن محمد بن كعب القرّ على ، أنه حمد عرّ بن عبد العزيز قال : إذا فرغ الله من أهل الجنه والنار أقبل فى ظُلَل من الفام والملائكة فيسلم على أهل الجنة فىأوّل درجة فيردّ ون عليه السلام ، قال القرطى: وهذا فى القرآن (سَلَامٌ قَو لا مِن رَبِّ رَحِيمٍ)(١) فيقولُ : سلونى ، يفعل بهم ذلك فى درجهم حتى يستوى على عرشه ، ثم تأتيهم التُّحَفُ من الله تحمله (٢) الملائكة إلهم .

وقال عبد الواحد بن زيد ، عن الحسن : لو علم العابدون أنهم لا يرون وبهم فى الآخرة لذابت أنفسهم فى الدُّنيا . وقال هشام بن حسان عنه أنه تبارك وتعالى يتجلّى لأهل الجنة فإذا رأّوه نَسُوا نعيم الجنة .

أُعِبُ الصبر صبرُ الحبين . قال الشاعر :

⁽١) الآية ٨ه . سورة يس ،

⁽ ٣) كذا . . ولعل الصواب: تعملها ،

والصبر معمد في المواطن كامم الله عليك فإنه لا ميم المدر المدر والصبر أن المارين ؟ قال : الصبر وقف رجل على الشبلي فقال : أي الصبر أشد على الصابرين ؟ قال : الصبر مع الله ، في الله ، فقال السائل : لا ، فقال : الصبر من الله ، فال : لا ، قال : فيا هو ؟ قال : الصبر عن الله ، فصرخ الشبلي ضرخة كادت روحه تَز هَق . قال الشاعر :

والصبر عنه فذموم عواقبُهُ والصبر في سائر الأشياء محمود

الخوف يبعدك عن معصيته ، والرجاء يخرجك إلى طاعته ، والحب يسوقك إليه سوقًا . لما علم الله سبحانه أن قلوب المشتاقين إليه لاتهدأ إلّا بلقائه ضرب لهم أجلًا للقاء تسكيناً لقلوبهم ، فقال الله تعالى :

(مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ ٱللهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللهِ كَآتِ إِنَّ أَجَلَ ٱللهِ كَآتِ إِنَّ ا

يامن شكى شوقة من طول فرقته إصبر لعلك تنلق من تحبُّ غدا وسير إليه بنار الشوق مجتهداً عساك تلقى على نار النرام هدى

المحب الصادق كلا قرب من محبوبه زاد شوقاً إليه .

وأعظم مايكون الشوق يوماً إذا دَنَت الخيسام من الخيام (٢) كنا وقع بصر الحجب على محبوبه أحدثت له رؤيته شوقاً على شوقه:

ما ير جع الطرّ ف عنه حين يبصره حتى يعود إليه الطرف مشتاقا الحجب الصادق إذا سافر طرفه في الكون لم يجد له طريقاً إلّا على محبوبه،

⁽١) تقدم في صفحة ٢٦٦ باختلاف في اللفظ .

⁽٢) الآية ه . سورة العنكبوت .

⁽٣) وروى: إذا دنت الديار من الديار .

فإذا انصرف بصرمه عنه رجع إليه خاسئًا وهو حسير (١).

ويَسْرَحُ طرفى فى الأنام وينثنى وإنسانٌ عينى بالدُّموع غريق فيرَّجِعُ مردوداً إليك ومالَه على أُحدرٍ إلَّا عليكَ طريق

أقر شيء لعيون الحب خلوته بسر مع محبوبه . حد أنى من رأى شيخنا في عُنْفُوان أمره ، خرج إلى البريَّة بكرة فلما أصحر (٢) تنفَّس الصَّعَداء ثم تمثل بقول الشاعر :

وأَخرُجُ من بين البيوت لعلنى أحدث عنك القلب بالسر خاليا(٣) الشوق يحمل الحجب على العَجَلة في رضا الحجبوب والمبادرة إليها على القور ولو كان فيها تَلفَهُ . (وما أَعْجَلكَ عَنْ قَوْمِكَ يَامُوسَى . قالَ مُمْ أُولاه عَلَى أُثَرَى وعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لتَرْضَى)(١) قال بعضهم : أراد شوقاً إليك فستره بلفظ الرضا .

ولو قلت ِطَأْ فى النبارِ أَعلمُ أَنه رضاً لكِ أُومُدُن لِنا من وصالكِ لقد من رجلي نحوها فوطِئتُهُ هدى منك لِي أوضِلَةً من ضلالكِ لقد من رجلي بكتي على الحشا ورقراق عيني خشية من إزيالكِ (٥)

⁽١) خاسئًا: ذليلا، وحسير: كليل، ضعيف، أعياه النظر والبحث. قال تعالى: (ارجع البصركرتين ينقلب إليك البصر خاسئًا وهو حسير).

⁽٢) أمخر الرجل: خرج إلى الصحراء.

⁽٣) تقدم في صفحة ٢٨١ .

⁽٤) الآيتان ٨٠ و ٨٤ . سورة طه ،

⁽ه) رقرق الماء وغيره : صبه برقة ، وعينه : أجرى دمعها ، والرقراق من الاشياء ما تلالاً إومن الدمع ما ترقرق منه . زيالك : فرافك ، وزايله مزايلة وزيالا : فارقه .

وإن ساء في أن لِلتنبي بمساء قي لقد سر" في أنى خطرتُ ببالكِ من علامات المحبة الصادقة أن المحب لا يُرتم له سرور إلاَّ بمحبوبه ، ما دام غائباً عنه فعيشُه كلُّهُ مُنعَفَّصُ .

نحن في أكمل السرور ولكن ليس إلاَّ بكم يَنِمُ السرورُ عيبُ ما نحن فيه ياأهل ودى أنسكم غُيَّبٌ ونحن حضــــور وقال آخر:

من سرة العيدا الجديد فقد عَدِمتُ به السرورا كان أحبا بى حضورا لو كان أحبا بى حضورا لو قيل للمحب على الدّوام: ما تتمنى ؟ لقال : لقاء الحبوب.

وقال الجنيد: سممت السرى يقول: الشوق أجل مقام العارف إذا تحقق فيه ، وإذا تحقق بالشوق لها عن كل ما يَشْغَلُه عن يشتاق إليه . وقيل: أوحى الله تصالى إلى داود عليه السلام ، قل لشبان بنى إسرائيل لم تَشْغُلُون نفوسكم بغيرى وأنا مشتاق إليكم ؟ ماهذا الجفاء ؟ ولو يعلم الله برون عنى كيف انتظارى لم ورفقى بهم ومحبتى لترك معاصبهم لماتوا شوقاً إلى وانقطعت أوصالهم من محبى . هذه إراد في للمد برين عنى فكيف إرادتى للمقبلين على ؟ وسئل الجنيد من أى شيء بكاء الحب إذا لتى الحبوب؟ فقال: إنما يكون ذلك سروراً به من أى شيء بكاء الحب إذا لتى الحبوب؟ فقال: إنما يكون ذلك سروراً به

⁽١) حاليا . مزدانا .

⁽٢) أجد: أحدث .

ووجداً من شدَّة الشوق إليه ، قال : ولقد بلغى أن أخوين تعانقا فقال أحدها : واشوقاه وقال الآخر : والدجداه . وكانت مجوز لها غائب فقدم من السفر فأظهر أهلها الفرح والسرور به . فجملت تبكى فقيل لها : ماهذا الليكاء؟ فقالت: . ذكر ني قدومُ هذا الفتى يوم القدوم على الله .

وقال بعض الحبين: قلوب المشتاقين منو رة بنورالله ، فإذا تحرك اشتياقهم أضاء النور مابين الساء والأرض ، فيعرضهم الله سبحانه وتعالى على الملائكة فيقول: هو لا المشتاقون إلى أشهدكم أبى الهم أشوق

فصل

قال ابن أبي الحواري رحمه الله تعالى: سئل أبو سلمان الدّاراني رحمه الله وأنا حاضر ما أقرب ما يُتقرّب به إلى الله عزّ وجل ؟ فبكي ثم قال : مثلي يُسكَّل عن هذا ؟ أقرب ما يُتقرّب به إليه أن يطلع على قابك وأنت لا تريد من الدّنيا والآخرة إلا هو (1) . وقال يحيى بن مُعاذ : النسك هو المناية بالسرائر وإخراج ما سوى الله من القلب . وقال سهل بن عبد الله : مامن ساعة إلا والله سبحانه ما سوى الله من القباد ، فأى قلب رأى فيه غيرة سلّط عليه إبليس . وقال سهل بن عبد الله عن عبد الله على قاوب العباد ، فأى قلب رأى فيه غيرة سلّط عليه إبليس . وقال سهل بن عبد الله : من نظر إلى الله عز وجل قريباً منه بَعد عن قلبه كل شيء سوى الله ، ومن طلب مرضاته أرضاه الله سبحانه وتعالى ، ومن أما قلبه إلى الله تولى الله موارحة وقال سهل أيضاً : حرام على قلب أن يشم وأعمة اليقين وفيه سكون إلى غير الله ، وحرام على قلب أن يدخله النور وفيه شيء مما يكره وفيه سكون إلى غير الله ، وحرام على قلب أن يدخله النور وفيه شيء مما يكره الله وسئل يعضهم عن أفضل الأعمال فقال : رعاية السر" عن الالتفات إلى شيء الله وسئل يعضهم عن أفضل الأعمال فقال : رعاية السر" عن الالتفات إلى شيء

⁽١) كذا . . وفي حلية الاولياء : والآخرة غيره .

سوى الله عز" وجل" . وقال مسلم (١٠) : تركتموه وأقبل بعضكم عَل بعضٍ ، لو أقبلتم عليه لرأيتم العجائب .

فصل

فإن تقاصرت هناك الدّنيّة عن ترك الفواحش محبة لهذا الجبوب الأعلى ولست هناك فاتركها محبة للنساء اللاتى وصفَهن الله فى كتابه ، وبعث رسولة داعيًا إلى وصالهن فى جنة المأوى . وقد تقدّم ذكر بعض صفاتهن ولدّة وصالهن ، فإن تقاصرت همتُك عنهن ولم تكن كفؤاً لخطبتهن ودعتك نفسك إلى إيثار ما هاهنا عليهن فكن من عقويته العاجلة والآجلة على حذر . واعلم أن العقوبات مع فتارة تُعجّل و تارة توخر و تارة يجمع الله على العاصى بينهما . وأشد العقوبات العقوبة بسلب الإيمان ، ودونها العقوبة بموت القلب ومحو لدّة الذكر والقراءة والدّعاء والمناجاة منه ، ورجما دبّت عقوبة القلب فيه ذبيب الظلمة إلى والقراءة والدّعاء والمناجاة منه ، ورجما دبّت عقوبة القلب فيه ذبيب الظلمة إلى الدّنيا ، وأهون منها ماوقع بالمال ، وربما كانت عقوبة النظر فى البصيرة أو فى البصيرة أو فى البصر أو فهما .

قال الغُضيل: يقول الله تعالى: ابن آدم إذا كنت أقلبك فى نعمى وأنت تتقلب فى معصيتى فاحذر لثلا أصرعك بين معاصيك، ابن آدم اتّقنى ونم حيث شئت، إنك إن ذكر تنى ذكر تُك، وإن نسيتنى نسيتُك، والساعة التى لاتذكرنى فها عليك لالك.

⁽١) كذا . . وفى لسان الميزان : سلم ، وفى حلية الاوليا. : سالم وهو اين ميمون الخواص الزاهد .

⁽٢) تقاصرت: تضاءلت وعجزت.

وقال الفضيل أبضاً: ما يؤمنك أن تكون بارزت الله تعالى بعمل مقمَك عليه فأغلق عنك أبواب للغفرة وأنت تضعك ؟ وقال علقمة بن مَر ثَدَ : بينا رجل يطوف بالبيت إذ بَرَق له ساعد امرأة فوضع ساعدة على ساعدها فالتذ به فلصقت ساعداهما ، فأتى بعض أولئك الشيوخ فقال : ارجع إلى المكان الذي فعلت هذا فيه فعاهد رب البيت أن لا تعود ، فقعل فحلى عنه .

وقال ابن عباس، وأنس رضى الله عنهم: إن للحسسنة نوراً فى القلب، وزَيْنَا فى الوجه، وقوَّةً فى البدن، وسَمَةً فى الرزق، ومحبةً فى قلوب الخلق. وإن للسيئة ظلمة فى القلب. وشَيْناً فى الوجه، ووهناً فى البدن، ونقصاً فى الرزق، وبغضةً فى قلوب الخلق.

وقال الحسن: ماعصى الله عبد إلا أذاه الله . وقال المعتمر بن سلمان: إن الرجل لَيُصيب الذنب في السر فيصبح وعليه مَذَلَّتُهُ · وقال الحسن: هانوا عليمه فعصوه ولو عز وا عليه لعصمهم . وكان شيخ من الأعراب يدور على المجالس ويقول: من سر ه أن تدوم له العافية فليتق الله .

وقال أبو سلمان الدّاراني : من صفا صفا له ، ومن كدر كدر عليه ، ومن أحسن في نهاره كُنِيَ في ليله ، ومن ترك أحسن في نهاره كُنِيَ في ليله ، ومن ترك لله شهوة من قلبه فالله أكرم أن يعذّب بها قلبه . وكتبت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها إلى معاوية : أما بعد فإن العامل إذا عمل بمصية الله عاد حامدُ من الناس ذامًا .

وقال مُعَارِبُ بن دِثَار : إنَّ الرجلَ لَيُذْ نِبُ الذنبَ فيجد له في قلبه وهناً . وقال الحسين بن مُطَهر :

ونفسَك أَكْرِمْ عن أمور كثيرة في لك نفس بسدها تستعيرُها

ولا تقرّب الأمر (١) الحرامَ فإِمَا حلاوتُهُ تَهْنَى ويبقى مَرِيرِها وكان سفيان الثوري يتمثّل يهذين البيتين:

تغنى اللّذاذة من ذاف (٢) صفوتَها من الحرام ويبقى الإثم والعارُ تُبَقى عواقبُ سوه في مَفَبّتها لاخيرَ في لذّة سن بعدها النارُ

فصلل

واعلم أن الجزاء من جنس العمل، والقلب معلق بالحرام كما هم أن يفارقه ويخرج منه عاد إليه، ولهذا يكون جزاؤُه في البرزخ وفي الآخرة هكذا.

وفى بعض طُرِرُق حديث سَمُرَةً بن جُندُ ب الذى فى معيح البخارى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي فَأَخْرَجَانِي فَانْطَلَقَتُ مَمْهُمَا فَإِذَا بَيْتُ مَنْبِي على مِثْلِ بِنَاء التّنَّوْرِ أَعْلَاهُ صَيِّقٌ وَأَسْفَلُهُ وَاسِعٌ مَمْهُمَا فَإِذَا بَيْتُ مَنْبِي على مِثْلِ بِنَاء التّنَّوْرِ أَعْلَاهُ صَيِّقٌ وَأَسْفَلُهُ وَاسِعٌ يوقّدُ تَعْتَهُ نَارٌ فِيهِ رَجَالٌ وَنِسَالِهِ عُرَاةٌ فَإِذَا أُوقِدَتِ النَّارُ ارْ تَفَعُوا حَتَّى يوقّدُ تَعْتَهُ نَارٌ فِيهِ رَجَالٌ وَنِسَالِهِ عُرَاةٌ فَإِذَا أُوقِدَتِ النَّارُ ارْ تَفَعُوا حَتَّى يَكَادُوا أَنْ يَغْرُجُوا فَإِذَا أُخِدَتُ رَجَعُوا فِيهَا فَقَلْتُ : مَنْ هُولُلاء؟ قالَ : يَكَادُوا أَنْ يَغْرُجُوا فَإِذَا أُخِدَتُ رَجَعُوا فِيهَا فَقَلْتُ : مَنْ هُولُلاء؟ قالَ : يَكَادُوا أَنْ يَغْرُجُوا فَإِذَا أُخِدَتُ رَجَعُوا فِيهَا فَقَلْتُ : مَنْ هُولُلاء؟ قالَ : يَكُلدُوا أَنْ يَغْرُجُوا فَإِذَا أُخِدَتُ رَجَعُوا فِيهَا فَقَلْتُ الله قاوبهم فى الدُّنيا فإنهم كا هوا بِلَاتُوبَة والإقلاع والخروج من تثور الشهوة إلى فضاء التوبة أركيوا (٣) فيه وعادوا بعد أن كادوا يخرجون .

ولما كان الكفَّار في سبن الكفر والشِّرك وضيقه وكانوا كلما هموا

⁽ ١) تقدم البيتان في صفحة . ٣٣ و فيها : ولا تقرب المرعى الحرام الخ .

⁽٢) تفدم البيتان في صفحتي ٣٧٠ ٢٣٠ .

⁽ ٣) أركسو قيه : ردوا إليه وأعيدوا إليه ، قال تعالى (كلما ردوا إلى الفتنة أركسو ا فيها) أي عادوا إليها وقلبوا فيها أقبح قلب .

بالخروج منه إلى فضاء الإيمان وسَعَته ورَوْحه رجعوا على حوافرهم كان عقوبتهم في الآخرة كذلك، قال الله تعالى: (كُلمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أَعِيدُوا فِيها) (٢). وقال في موضع آخر: (كُلمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمْ أَعِيدُوا فِيها) (٢) فالكفرُ والمعاصي والفسوقُ كَاتُهُ غُومٌ ، وكلا عزم العبدُ أَعِيدُ وا فِيهَا) كان فالمحترج منه أبت عليه نقسه وشيطانه ومألفه ، فلا يزال في غمّ ذلك حتى يموت ، فإن لم يخرج من غم ذلك في الدُّنيا بتى في غمه في البرزخ وفي القيامة ، وإن خرج من غمّة وضيقه هاهنا خرج منه هناك ، فما حبس العبد عن الله في هذه الدار عن الله في هذه الدار ، وإيما هم في الدُّنيا ، فليس العشاق (٣) والفَحَرَة والظَّلَمَةُ في لذَّة في هذه الدار ، وإيما هم يعسلاً بون فيها وفي البرزخ وفي القيامة ، ولسكن سكر الشهوة وموت القلب على يعمد وبين الشمور بالألم ، فإذا حيل بينهم وبين ما يشتهون أخضرت نفوسهم الألم الشديد ، وصار يعمل فيها بعد الموت نظير ما يعمل الدود في نفوسهم الألم الشديد ، وصار يعمل فيها بعد الموت نظير ما يعمل الدود في نفوسهم الألم الشديد ، وصار يعمل فيها بعد الموت نظير ما يعمل الدود في خومهم . فالآلام تأكل أرواحهم غير أنها لا تفني ، والدُّود يأكل جسومهم .

قال الإمام أحمد رضى الله عنه: حدّ ثنا إسماعيل بن عبد الكريم قال: حدّ ثنى عبد الصمد بن معقل، حدّ ثنى وهب بن منبة قال: كان حزقيـل قائمًا فأتاه ملك فذكر حديثًا طوي لدوفيه أنه من بقوم أموات فقيل له: ادعُهم فدعاهم فأحياهم الله له فقال: سلهم فيم كنتم ؟ فقالوا: لما فارقنا

⁽١) الآية ٢٠. سورة السجدة .

⁽٢) الآية ٢٢ سورة الحج.

⁽٣) كذا . . ولعلها الفساق ، وهي بالصواب أشبه .

الحياة لقينا ملكاً يقال له ميكائيل فقال : هلموا أعماله وخذوا أجوركم فذلك سُنتُنا فيكم وفيمن كان قبله وفيمن هو كائن بعدكم ، فنفاروا في أحمالنا فوجدونا نعبد الأوثان ، فسلط الدُّود عَلَى أجسادنا وجعلت الأرواح تأكم ، وسلّط الغم على أرواحنا وجعلت الأجساد تأكم ، فلم نزل كذلك نعدنًا محق دعوتنا .

البالليابع والعيثرون

قیمی ترك محبوبه حراما فبذل له حلالا أو أعامنه الله خیرا منه

عنوانُ هذا الباب وقاعدته أن من ترك لله شيئًا عوضه الله خيراً منه ، كا توسف الصديق عليه السلام امرأة العزيز لله واختار السجن عَلَى الفاحشة فحوضه الله أن مكّنه في الأرض يتبوأ (١) منها حيث يشاء ، وأتته المرأة صاغرة سائلة راغبة في الوصل الحلال فتروجها ، فلما دخل بها قال : هذا خير مما كنت تريدين . فتأمّل كيف جزاه لله سبحانه وتعالى عَلى ضيق السجن أن مكّنه في الأرض ينزل منها حيث يشاء ، وأذل له العزيز وامرأته ، وأقر ت المرأة والنسوة ببراءته ، وهذه سُنته تعالى في عباده قديمًا وحديثًا إلى يوم القيامة . ولما النسوس سخر الله له الريح يتمير عَلى مَنتها التي شغلته عن صلاة العصر حتى غابت الشمس سخر الله له الريح يَسير عَلَى مَنتها الله عن مأراد . ولما ترك المهاجرون ديارهم لله وأوطا مهم التي هي أحب شيء إليهم أعاضهم الله أن فتح عليهم الدنيا المصوم لله لآناه الله مشرق الأرض وغر بها . وله اتتى الله السارق وترك سرقة المال المصوم لله لآناه الله مشرق الأرض وغر بها . وله اتتى الله السارق وترك سرقة المال عَمْرَجًا . وَمَنْ يَتَقَى الله يَجْمَلُ له المصوم لله لآناه الله مشرق الله من حيث لا يحتسب ، وكذلك الزابي اتقاه بترك أخذ مالا يحل له رزقه الله من حيث لا يحتسب ، وكذلك الزابي اتقاه بترك أخذ مالا يحل له رزقه الله من حيث لا يحتسب ، وكذلك الزابي اتقاه بترك أخذ مالا يحل له رزقه الله من حيث لا يحتسب ، وكذلك الزابي

⁽١) تبوأ منزلا : نزله واتخذه سكناً. وبوأه منزلا : ميأه ومكن له فيه .

⁽٢) المآن : الظهر .

⁽٣) الآيتان ٢و٣. سورة الطلاق .

لو ترك ركوبَ ذلك الفرج حرامًا لله لأنابه اللهُ بركوبه أو ركوب ما هو خيرٌ منه حلالاً .

وقال الإمام أحمد: حدّثنا هشيم ، حدّثنا عبد الرّحن بن إسحاق ، عن محارب بن دِثَار ، عن صِلَة ، عن حُذيفة بن اليمان رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « النّظْرَةُ إلى المَرْأَةِ سَهَمْ مِنْ سِيماً مِ اللّهِ سَنّهُومْ مَنْ تَرَكَهُ خَوْفَ اللهِ أَثَابَهُ اللهُ إِيماناً يَجِدُ حَلَاوَتَهُ فَى قلبهِ (١) » .

وقال عمر من شَبَّة : حدَّ ثَنا أحمد بن عبد الله بن يونس ، حدَّ ثنا عَدْبَسَةُ بن عبد الرحمن ، حدَّ ثنا عَدْبَسَةُ بن عبد الرحمن ، حدَّ ثنا أبو الحسن المدّ بى ، عن على رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نَظَرَ ُ ارَّ جُلِ فِى تَحاسِنِ الْمَرْأَةِ سَمَّمُ مِنْ سَمِّاً مِ إِبْلِيسَ مَسْمُومٌ فَمَن أُعْرَضَ عَن ذَلِكَ السَّمْمِ أَعْمَبُهُ الله عَبادَةً مَن شَمْرُم بُفَن أَعْرَض عَن ذَلِكَ السَّمْمِ أَعْمَبُهُ الله عَبادَةً تَشَرُهُ » (٢) .

وقال أبو الفرج بن الجوزى رحمه الله تعالى: بلغنى عن بعض الأشراف أنه اجتاز بمقبرة فإذا جارية حسناه عليها ثياب سواد، فنظر إليها فعلقت بقلبه فكتب إليها:

فد كنت أحسب أن الشمس واحدة

والبدرَ في منظرٍ بالحسن بموصوفُ

حتى رأيتُمكِ في أثواب ناكلةٍ

سُودٍ ومدعُك فوتَى الخــد معلوفُ

فَرُ حَتْ والقلبُ منى هائمٌ دَنِفُ

ُ والسَكِبْدُ حَرَى ودمُعُ العين مَذْرونُ

⁽ ۱ و۲) هذان الحديثان تقدما في صفحة ۲۰۹ ،

رُمْزًى الجوب ففيه الـشكر ُ واغتنبي

وصلَ المحبِّ الذي بالحبِّ مشغوف

ورمى بالرقعة إليها ، فلما قرأتها كتبت:

إن كنت ذا حسب زاك وذا نسب

فطفنا فلاحت فى الطواف لوانخ غَنينا بها عن كل مرّاًى ومسْمَع وقال الحسن البصرى: كانت امرأة بَمِي قد فاقت أهل عصرها فى الحسن لا يمكن من نفسها إلا بملّة دينار ، وإن رجلاً أبصرها فأعبته ، فذهب فعيل بيديه وعالج (٢) فجمع مائة دينار ، فجاء فقال : إنك قد أنجبتني فانطلقت فعيلت بيديه وعالج تحقي جمعت مائة دينار فقالت : ادفعها إلى القهر مان حتى بيدى وعالجت حتى جمعت مائة دينار فقالت : ادفعها إلى القهر مان حتى بيدى وعالجت من الله ويزنها ، فلما فعل قالت : ادخل، وكان لها بيت منتجد وسرير من

⁽١) لحاك الله : أى قبيحك و لعنك .

⁽٢) المدرعة : ثرب من الصوف وجبة مشقوقة المقدم.

⁽٣) عالج الثيء معالجة وعلاجاً : مارسه وزاوله .

⁽٤) الفهرمان : الوكيل الخاص بتدبير خرجها ودخلها .

ذهب فقالت: هم الله ، فلما جلس مهما مجلس الخائن تذكر مقامه بين يدى الله فأخذته رعدة وطفئت شهوته فقال: أتركيني لأخرج ولك المائة دينار، فقالت: مابدا لك وقد رأيتني كا زعمت فأمجبتك فذهبت فعالجت وكدَحت حتى جمعت مائة دينار فلما قدرت على فعلت الذي فعلت ؟ فقال: ماحملني على ذلك إلا الفرك من الله ، وذكرت مقامي بين يديه ، قالت: إنكنت صادقاً فمالى زوج غيرك قال: ذريني لأخرج قالت: لا إلا أن تجعل لى عهداً أن تتزوجني فقال: لا حتى أخرج ، قالت: عايك عهد الله إن أنا أتيتك أن تتزوجني ، قال: لعل ، فتقنع بثوبه ثم خرج إلى بلده ، وارتحلت المرأة بدنياها نادمة على ماكان فتقنع بثوبه ثم خرج إلى بلده ، وارتحلت المرأة بدنياها نادمة على ماكان على حتى قدمت بلده ، فسألت عن اسمه ومنزله فدكت عايه ، فقيل له: الملكة جاءت بنفسها تسأل عنك ، فلما رآها شهيق شهقة فمات ، فأسقيل له: الملكة عقالت : إنى أثر وجك حبًا لأخيك ، قال : فتروجته فولدت له سبعة أبناء . فقالت : إنى أثر وجك حبًا لأخيك ، قال : فتروجته فولدت له سبعة أبناء .

وقال يحيى بن عامر التيمى : خرج رجل من الحى حاتبا فورد بعض المياه ليلاً ، فإذا هو بامرأة ناشرة شعركها ، فأعرض عنها فقالت له : هلم إلى فلم تعرض عنى ؟ فقال : إلى أخاف الله رب العالمين ، فتجلببت (٢) ثم قالت : هبت والله مُهاباً ، إن أولى من شركك فى الهيبة لَمَن أراد أن يَشْر كك فى المعصية ، ثم ولّت فتبعها ، فدخلت بعض خيام الأعراب ، فال : فاما أصبحت أبيت رجلاً من القوم فسألته عنها وقلت : فتاة و فمّها كذا وكذا فقال : هي

⁽١) أسقط فى يدها . بصيغة الجهول : تحييرت وتحسرت على مافاتها وندمت على ماضاع منها .

⁽ ٧) تجلبيت : لبست الجلباب ، والجلباب النميص والخار وما يلبس فوق الثياب كالملحفة والملاءة تشتمل بها المرأة .

والله ابنتى ، فقات : هل أنت مُز وَّجبى بها ؟ فقال : على الأكفاء فمن أنت ؟ فقلت : رجل من تَنْيم الله ، قال : كُفو من كريم، فما رمث حتى تزوّجها ودخلت بها ، ثم قلت : جهز وها إلى قدومى من الحج ، فلما قدمنا حملها إلى الكوفة ، وها هى ذى ولى منها بنون وبنات ، قال : فقلت لها : ويحك ماكان تعر ضك لى حينئذ ؟ فقالت : ياهذا ليس للنساء خير من الأزواج ، فلا تعجب من المرأة تقول هويت، فوالله لوكان عند بعض السودان ماتريده من هواها لكان هو هو اها .

وقال الحسن بن زيد: وليمناً بديار مصر رجل فوجد (١) على بعض مُمَّاله فبسه وَقيَّده، فأشرفت عليه ابنة الوالى فبهويَّته فكتبت إليه:

أيها الراى بعينيه وفى الطرف الحتُونُ الرف الحَتُونُ اللهِ وَ الطَّبِي اللَّالُونُ الطَّبِي اللَّالُونُ

فأجابها الفتى :

إِن تَرَيْنَى زَانِيَ العَيْبِ نَيْنِ فَالْفَرْجُ عَلَيْفُ (٢) لِينَ إِلَّا النَظْرِ الْفَا تَرُ وَالشَّمْ الظَرِيفُ

فأجابته:

قد أردناك فألفي على إنساناً عفيفاً فتأبيت فلا 'زِلْت ت لقيدَيْك حليفاً

فأجابها:

(٢٩م - روحة المعيد)

⁽١) وجد عليه: غينب.

⁽٧) تقدم البيتان في صقحة ٧٤٠.

مَا تَأْثِيتَ لَأَنِي كَنتَ لَلظَبِي عَيوِفَا⁽¹⁾ عَيوِفَا أَن يَ بَرُّ الطَيفَا عَيوِ أَلْ الطَيفَا

فَذَاعِ النَّمْسِ وَبِانْتَ القَصَّةِ الوالى فَدَعَا بِهُ فَرَوَّجِهِ إِياهًا وَدَفَعُهَا إِلَيْهِ .

وذكر أن رجلًا أحب امرأة وأحبته ، فاجتمعا فراودته المرأة عن نفسه فقال: إن أجلى ليس بيدى ، وأجلك ليس بيسدك ، فربما كان الأجل قد دنا فنلتى الله عاصيّين، فقالت : صدقت ، فتابا وحسُنت حالها وتزرّجت به .

وذكر بكر بن عبد الله المز في أن قصاباً واسع بجارية البعض جيرانه ، فأرسلها أهلها إلى حاجة في قرية أخرى ، فتبعها فراودها عن نفسها ، فقالت : لا تغمل : لأنا أشد حباً لك منى ، ولسكنى أخاف الله ، قال : فأنت تخافينه وأنا لا أخافه ؟ فرجع تائباً ، فأصابه العطش حتى كاد ينقطع عنته ، فإذا هو برسول لبنى إسرائيل ، فسأله فقال : مالك ؟ قال : العطش ، فقال : تعال حتى ندعو الله حتى تظلنا سحابة حتى ندخل القرية ، قال : فأما أدعوه وأمن أنت ، فدعا وأمن الرجل ، فأظلتها سحابة حتى انتهيا إلى القرية ، فذهب القصاب إلى مكانه فرجعت السحابة معه ، فرجع إليه الرسول فقال : فغل : زعمت أن ليس لك عمل وأنا الذي دعوت وأنت أمنت ، ف ظلتنا سحابة ممن ممن الناس بمكانه .

وقال يحيى بن أيوب: كان بالمدينة فتى بُمجب عمر بن الخطاب رضى الله عنه شأنه ، فانصرف ايسلة من صلاة العشاء فتمثلت (٢) له امرأة أبين يديه .

⁽١) عيوفاً : كارماً ، وعاف الثيء : تركه وزهد فيه .

⁽ ۲) تمثلت له : عرضت له بنفسها وظهرت له .

فسر صت (۱) له بنفسها فَهُتِنَ بها ومضت ، فأتبعها حتى وقف كلَى بأبها فأبصر وجلا عن قلبه وحضرته هذه الآية : (إنَّ الَّذِينَ آتَقُو اإذَا مَسَّهُمْ طَائِفْ مِنَ الشَّيطَانِ تَذَكَرُ وا فَإِذَاهُمْ مُبْصِرُونَ) (۲) فحر معشيًا عليه ، فنظرت إليه المرأة فإذا هو كالميت ، فلم تزل هى وجارية للى يتعاونان عليه حتى ألقياه على باب داره ، فخرج أبوه فرآه مُملَّتى على باب الدار لما به فحمله وأدخله فأفاق ، فسأله ما أصابك يابنى ؟ فلم يخبره ، فلم يزل به حتى أخبره ، فلما تلا الآية شهق شهقة فرجت نفسه ، فبلغ عمر وضى الله عنه قصتُه فقال : ألا آذنتمو بى (٣) بموته ؟ فذهب حتى وقف على قبره فنادى : يافلان (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَرَبَّةِ جَنَّةَ انِ) (١) فسمع صوتًا من داخل القبر : قد أعطانى ربى يا عمر .

وذكر الحسن هذه القصة عن عمر رضى الله عنه على وجه آخر قال: كان شابٌ على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ملازماً المسجد والعبادة ، فَهُو يَتَهُ جارية فَدَتُ نفسه بها، ثم إنه تذكر وأبصر فشهق شهقة فَهُشِيَ عليه منها ، فجاء عمٌ له فحمله إلى بيته ، فلما أفاق قال : ياعم الطلق إلى عمر فأقرئه منى السلام وقل له : ما جزاء من خاف مقام ربه ؟ فأخبر عمر فأتاه وقد مات فقال : لك جنّان .

وفى جامع الترمذى من حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كان ذو الكفِل (٥) لا يَتُو رَّعُ مِنْ ذَنْبٍ عَمِلَهُ ،

⁽١) عرضت له بنفسها: تصدت له وأغرته بها .

⁽٢) الآية ٢٠١ سورة الأعراف.

⁽٣) آذنتمونى: أعلمتمونى.

⁽٤) الآية ٢٩ سورة الرحمن.

⁽ ٥) تقدمت هذه القصة في صفحة ٢٢٣ .

وقال أبو هريرة ، وابن عباس رضى الله عنهم : خطب رسول الله صلى الله على اله على الله على الله على الله على الله على الله على الله على الله

وقال مالك بن دينار : جنات النعيم بين الفردوس وبين جنات عدن . فيها جَوار خُلِقْنَ من ورد الجنة ، يسكنها الذين همّوا بالمعاصى فلما ذكروا الله عز وجل راقبوه،فانثنت وقابهم من خشية الله عز وجل .

قال ميمون بن مهران: الذِّكرُ ذكران: فذكرُ الله عزَّ وجلَّ باللسان حسن ، وأفضل منه أن تذكر الله عزَّ وجلَّ عند ماتُشرف على معاصيه.

وقال قَتَادة رضى الله عنه : ذُكر لنا أَن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : «لَا يَقْدِرُ رَجُلُ عَلى حَرَامٍ ثُمّ يَدَعُهُ لَيْسَ بِهِ إِلَّا يَغَافَهُ اللهِ عز وجل إلّا أَبْدَلَهُ فِي عاجلِ اللهُ نيا قَبْلَ الآخِرَةِ مَاهُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ذُلك » .

وقال عبيد بن عُمَير : صدقُ الإيمان وبرُّه أَنْ يُخلَقُ الرجل بالمرأة الحسناء فيدعَمَا لا يدعُما إِلّالله عز وجل . وقال أبو عمران الجُوني : كان رجل من بنى إسرائيل لا يمتنع من شىء ، فَجَود (١) أهل يبت من بنى إسرائيل فأرسلوا إليه جارية منهم تسأله شيئاً فقال: لا أو تمكنيني من نفسك ، فرجت فيهدوا جَهداً شديداً فرجعت إليه فقالت : أعطنا فقال : لا أو تمكنيني من نفسك ، فرجعت ، فيهدوا جَهداً كثيراً فأرسلوها إليه فقال لها ذلك ، فقالت : دونك ، فلما خلا بها جعلت تنقض كا تنتفض السقفة ، قال لها : مالك ؟ قالت : إنى أخاف الله رب العالمين ، هذا شيء كم أصنعه قط ، قال ؛ أنت تخافين الله ولم تصنعيه وأفدكه ؟ أعاهد الله أبي لا أرجع إلى شيء مما كنت فيه ، فأوحى الله إلى نبي من أنبيائهم أن فلانا أصبح في كتب أهل الجنة .

وذُكر أن شابًا في بنى إسرائيل لم يكن فيهم شاب أحسن منه كان يبيع المكاتل، فبينا هو ذات يوم يطوف بمكاتله إذ خرجت امرأة من دار ملك من ملوك بنى إسرائيل، فلما رأته رجعت مبادرة فقالت لابنة الملك: إنى رأيت شابا بالباب يبيع المكاتل لم أر شابًا قط أحسن منه ، قالت: أدخليه ، فخرجت فقالت: ادخل فدخل، فأغلقت بابًا فقالت: ادخل فدخل، فأغلقت بابًا آخر دونه ، ثم استقبلته بنت الملك كاشفة عن وجهها و نحرها ، فقال لها: استترى عافاك الله ، فقالت : إنا لم كد عك لهذا ، إنما دعو ناك الكذا و راودته عن نفسه ، فقال لها: اتتى الله ، قالت : إنا لم كن عُك لهذا ، إنما دعو ناك الكذا و راودته عن نفسه ، فقال لها : اتتى الله ، قالت : إنك إن لم تطاوعنى على ماأريد أخبرت الملك أنك إنما دخلت تكابر نى (٢) على نفسى ، قال لها : فضعى لى وضوءًا ، فقالت : أعلى تتعمل ؟ ياجارية ضعى له وضوءًا ، فقالت : أعلى تتعمل ؟ ياجارية ضعى له وضوءًا ، فقالت : أعلى تتعمل ؟ ياجارية ضعى له وضوءًا ، فوق الجُوستى (٢) مكانًا لا يستطيع أن تيفر منه ، فلما ياجارية ضعى له وضوءًا ، فوق الجُوستى (٢) مكانًا لا يستطيع أن تيفر منه ، فلما

⁽١) جهد أهل البيت : أجدبوا ، وجهد العيش : ضاق واشتد .

⁽۲) تكابرنى على نفسى ; تراودنى عن نفسى .

⁽٣) الجوسق. القصر أو الحصن.

صاد في الجوسق قال: اللهم إلى دُعيتُ إلى معصيتك وإنى أختار أن ألتي نفسى من هذا الجوسق ولاأركب معصيتك، ثم قال: بسم الله وألتي نفسه من أعلاه، فأهبط الله ملكا أخذ بضبعيه (١) فوقع قائمًا على رجليه ، فلما صار في الأرض قال اللهم إن شئت رزقتني رزقًا يغنيني عن بيع هذه المكاتل، فأرسل الله عليه رجلا (٢) من جراد من ذهب فأخذ منه حتى ملا ثوبه ، فلما صار في ثوبه قال: اللهم إن كان هذا رزقًا رزقتنيه من الدنيا فبارك لى فيه ، و إن كان ينقصني بمالى عندك في الآخرة فلا حاجة لى فيه ، فنودي إن هذا الذي أعطيناك جزلا من خسة وعشرين جراء الصبرك على إلقائك نفسك ، فقال: اللهم فلا حاجة لى فيا ينقصني بما لى عندك في الآخرة ، فرُجم الجراد .

وذكر أبو الفرج بن الجوزى عن رجل من بعض المياسير (٣) قال : بينا أنا يوماً فى منزلى إذ دخل على خادم لى فقال لى : رجل بالباب معه كتاب ، فقلت : أدخله أو خذكتابه ، فأخذ الكتاب منه فإذا فيه :

تجنبك الردى (۱) ولَقيت خيراً وسلّمك المليسك من الغموم شكون بنيات أحشائى إليكم وما إن تشتكين إلى ظللوم وساكتنى الكتاب إليك فيا يخامرها - فد تلك - من الهموم وهن يقلن يا ابن الجود إنا برمنا من مزاعاة النجوم وعندك لو مَنتَ شفاء سُمْم لأعضاء دمِين من الكلّوم (۱)

⁽١) الضبع : مابين الإبط إلى الكتف.

⁽٢) الرجل: طائفة عظيمة من الجراد .

⁽٣) جمع ميسور : ذو اليسار والغني .

⁽ ٤) الردى: الهلاك .

⁽ ه) جمع كلم: الجراحة.

· قال : فاما قرأت الأبيات قلت : عاشق ، فقلت للخادم : أدخله، فخرج فلم يرَّم فارتُدِتُ في أَمره، فِعل الفكر يتردد في قلبي ، فدعوت جواري كابن فجمعتهن فقات لهن : ماقصة هذا الكتاب ؟ فحلفر . يلى وقلن : ياسيدنا ما نعرف لهذا الكتاب سبباً ، فن جاءك به ؟ فقلت: قد فاتني وما أردت سؤ الكن إلا أني ظلنت له هو "ى في بمضكن" ، فن عرفت منكن أنها صاحبته فهي له ، فلتذهب إليه ولتأخذ كتابي إليه ، وكتبت كتابًا أشكره على فعله وأسأله عن حاله ، ووضعت الكتاب في موضع من الدُّار، فيكث الكتاب في موضعه حينًا لا يأخذه أحد ولا أرى الرجل، فاغتممت غمًّا شديداً . ثم قلت : لعمله بعض فتياننا، ثم قلت: إن هذا الفتي قد أُخبر عن نفس بالورع ، وقد قنع بمن يحبه بالنظر ، فدبرت عليه فحجبت جوارئ عن الخروج ، فما كان إلا يوم وبعض الآخر إذ دخل على الخادمُ ومعه كتاب قال: أرسل به إليك فلان، وذكر بمض أصدقائي ففضضته فإذا فيهمكتوب:

ماذا أردت إلى روح معلَّقــــة

عند النراق (١) وحادي الموت بحدُوها

حَمَّنْتُ حاديبها ظلماً فيد بها في السير حتى تولَّت عن تراقمها حجیت من کان تحیا عند رؤیتها روحی ومن کان یشفینی تراثبها فالنفسُ تجنَّحُ نحو الظلم جاهلةً والقلبُ منى سليمٌ ما يؤاتيها والله لو قيـل لي تأتي بفاحشــة وإن عقباك دنيانا وما فمــــــا لقلت لا والذي أُخشي عقوبتَـه ولا بأضعافها ماكنتُ آتبها لولا الحياء لبُحنا بالذي كتمت بنتُ الفؤاد وأبدينا تَمَّنام الله

⁽١) جمع ترقوة : عظمة مشرفة بين ثمنرة النحر والعاتق . وعندالتمراثيكنا عن مشارفة المرت.

قال: فبهتُّ وقلت: لاأدرىما أحتال في أمر هذا الرجل، وقلت للخادم: لا يَأْتِيكُ أَحِدْ بَكِتَابِ إلا قبضت عليه حتى تدخلَه على ، ثم لم أعرف له خبراً بعد ذلك ، فبينا أنا أطوف بالكعبة إذا فتى قد أقبل نحوى وجعل يطوف إلى جنبي ويلاحظني ، وقد صار مثلَ العود ، فلما قضيت طوافي خرجت وأتبعني فقال: يا هذأ أتعرفني ؟ قلت : لا أنكرك اسوم، قال: أنا صاحب الكتابين، فا تمالكت أن قبّلت رأسه وبين عينيم وقلت: بأبي أنت وألمي ، والله لقد شغلت قلبي وأطلت غمِّي بشدّة كتمانك لأمرك ، فهل لك فما سألت وطابت؟ قال : بارك الله لك وأقر عينيك ، إما أتيتك أستَحلك من نظرة كنت نظرتها على غـير حكم السكتاب والشُّنَّة ، والهوى دايع إلى كل بلاء ، وأستغفر الله العظيم ، خَمَّلَت : يَاحِبِينِي أُحَبُّ أَن تَصَيْرِ مَعِي إِلَى مَنْزِلِي فَآنَسَ بِكُ وَتَجْرِيَ ٱلْحُرِمَة بِينِي وبينك، قال: ليس إلى ذلك سبيل، فقلت: غفر الله لك ذنبك وقد وهبتها لك ومعها مائة دينار ، ولك في كل سنة كذا وكذا ، قال : بارك آلله لك فها، فلولا عهودٌ عاهدت الله علمها وأشياء أكدتها على لم يكن في الدُّنيا شيء أحبَّ إلىّ من هذا الذي تَعَرِّضه على ، ولكرث ايس إلى ذلك سبيل والدُّنيا منقطعة ، فِقَلْتُ لَهُ ؛ فَإِذَا أَبِيتَ أَنْ تَقْبُلُ مَنَى ذَلَكُ فَأَخْبِرُنَى مِنْ هِي حَتَّى أَكُومَهَا لِأَجِلْك ما بقيت، فقال: ماكنت لأذكرها لأحد، ثم قام وتركني.

وذكر عبد الملك بن قُرَيب قال: هَو يَ رجلُ من الناء جارية فاشتد حبّه لها . فبعث إليها يخطبها . فامتنعت وأجابته إلى غير ذلك ، فأبى وقال : لا إلّا ما أحل الله ، ثم إن محبّته ألقيت في قلبها فبذلت له ماسأل ، فقال : لا والله لا حاجة لى بمن دعوتها إلى طاعة الله ودعتني إلى معصيته .

وحكى المبرَّدُ عن شيخه أبي عُمَان المازي أنه قصده بعضُ أهل الذمة ليقرأً

⁽١) استحله : سأله أن يحله له .

عليمه «كتاب سيبويه » وبذل له مأنة دينار ، فامتنع وردّه ، فقلت له : أتر ُدُّ هذا القدر مع شدّة فاقتك ؟ فقال : إن هذا الكتاب يشتمل عَلَى ثلاثمانة وكذا وكذا آية من كتاب الله، ولست أرى تمكين هذا الدّى " منها غيرة عَلَى القرآن . فاتفق أن غنت جارية بمضرة الوائق بقول العرّ جِي " :

أَظلُومُ إِن مصابَكُم رجلاً أَهدى السلام تحيَّةً ظلمُ ؟

فاختلف أهل مجاسه فى إعراب رجل ، فمنهم من قال : هو نصب وجعله اسم إن ، ومنهم من رفعه على أنه خبرها ، والجارية أصر تعلى النصب وقالت: لقنى إياه كذلك شيخى أبو عنمان المازى ، وأمر الواثق بإحضاره إلى بين يديه، قال : فلمّا مَثَلَتُ بين يديه قال : ممن الرجل ؟ قلت : من بنى مازن ، قال : أيّ الموازن ؟ أمازن تميم أم مازن قيس أم مازن ربيعة ؟ قلت : من مازن ربيعة ، فكلّمنى بكلام قومى فقال لى : با اسمك ؟ وقومى يقلبون الميم باء والباء ميا ، فكرهت أن أواجهه بافظة مكر فقات : بكر يا أمير المؤمنين، ففطن لما قصدته وأعجب به فقال : ما تقول فى قول الشاعر :

أَظْلُومُ إِن مصابَكُم رجلاً أَهدى السلامَ تَحيةً ظلمُ ؟

أَترفع رجلاً أم تنصبه ؟ فقلت على الوجه النصب ياأمير المومنين: فقال: ولم ذلك؟ فقلت: لأن مصابح مصدر بمنى إصابتكم ، فأخذ البزيدى في معارضى ، فقلت: هو بمنزلة قولك: إن ضرَبك زيداً ظلم ، فرجلاً مفعول مصابكم ومنصوب به ، وابد ليل عليه أن الكلام معلّق إلى أن تقول ظلم قَيْتِم ، فاستحسنه الواثق وقال: هل لك من ولد؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين بُذيّة ، قال: فما قالت لك عند مسيرك إلينا ؟ قلت: أنشدت قول الأعشى:

⁽١) الذمى : المعاهد الذى أعطىعهداً يأمن به على ماله وعرضه ودينه ، وهى ذميسة ء

أَيَا أَبِتَا لَا تَوْمُ (١) عندنا فإنا بخيير إذا لم ترم ترانا إذا أضمر تك (٢) البلا دُرُجُني و تُقَطِّع منّا الرّحيمُ

قال: فما قلت لما؟ قال: قلت قول جرير:

ثقى بالله ايس له شريك ومِنعندالخايفة بالنجاح .

فقال : على النجاح إن شاء الله ، ثم أمر لى بألف دينار ،وردَّ في إلى البعـرة مُكرَّمًا ، فقال أبو العباس المبرّد : فلما عاد إلى البعـرة قال لى : كيف رأيت يا أبا العباس ؟ رددنا لله مائة دينار فعوّضنا الله ألغاً .

⁽۱)رام مكانه : برحه وفارقه .

⁽٣) أضمرته البلاد: غيبته إما بسفر أو بموت.

البالثامر والعثرون

فيمن آثر عاجل العقوبة والآلام ، على لذة الوصال الحرام

هذا باب إنما يدخل منه رجازن: أحدُها مَن تمكّن من قابه الإيمان بالآخرة وما أعد الله فيها من النواب والعقاب لمن عصاد ، فآثر أدنى الفو تين ، واختار أمهل العقوبتين . والثانى رجل غاب عقله على هواه فعلم مافى الفاحشة من المفاسد ، وما مى المُسدول عنها من المصالح ، فآثر الأعلى على الأدنى ، وقد جع الله سبحانه وتعالى ليوسف الصديق صلوات الله وسلامه عليه بين الأمرين ، قاختار عقوبة الدُنيا بالسجن على ارتسكاب الحرام ، فقالت للرأة : (وكان لم يفقل ما آمرة كالسجن على ارتسكاب الحرام ، فقالت للرأة : (وكان لم يفقل ما آمرة كالسجن على ارتسكاب الحرام ، فقالت للرأة أ : (وكان لم يفقل ما آمرة كالسبخن أليستكونا ومن الصاغرين . قال رب السبخن أحب المرام من السبخن أحب المرام من المنه من حوله وقوته ، ألم المرام المنافقين) (١) قاختار السبعن على الفاحشة ، ثم تبرأ إلى الله من حوله وقوته ، وأخبر أن ذلك ليس إلا بمعونة الله له وتوفيقه وتأييده لا من نفسه فقال : (وإلا تصرف عتى كيد هن أباهلين) فلا يركن العبد إلى نفسه وصبره وحاله وعقته ، ومتى ركن إلى ذلك تخلّت عنه عصمة الله وأحاط به نفسه وصبره وحاله وعقته ، ومتى ركن إلى ذلك تخلّت عنه عصمة الله وأحاط به الخذلان . وقد قال الله تعالى لا كرم الخلق عليه وأحبهم إليه : (وَلُولَا أن الله تعالى لا كرم الخلق عليه وأحبهم إليه : (وَلُولَا أن المُنه الله تعالى لا كرم الخلق عليه وأحبهم إليه : (وَلُولَا أن المُنه الله تعالى لا كرم الخلق عليه وأحبهم إليه : (وَلُولَا أن المُنه المُنه الله الله تعالى لا كرم الخلق عليه وأحبهم إليه : (وَلُولَا أن الله الله تعالى لا كرم الخلق عليه وأحبهم إليه : (وَلُولَا أن الله الله تعالى اله كرم الخلق عليه وأحبهم إليه : (وَلُولَا أن الله الله الله تعالى اله تعالى الله تعالى اله تعالى اله تعالى اله تعالى الله تعالى الله تعالى اله تعالى

⁽١) الآيتان ٣٢ر ٣٣ سورة يوسف .

⁽٢) الآية ٧٤ سورة الإسراء

النُّلُوبِ ثَبِّت قلبِي على دينيك (١) » ، وكانت أكثريمينه « لَا ومُقلِّبِ النَّلُوبِ (٢) » كيف وهو الذي أنزل عليه : (وَاعلَمُوا أَنَّ الله كَعُولُ بَينَ الْمَرَءَ وَقَلبِهِ) (٣) وقد جرت سنَّة الله تعالى فى خلقه أن من آثر الألم العاجل على الوصال الحرام أعقبه ذلك فى الدُّنيا المسرة التامَّة ، وإن هلك فالفوز العظم ، والله تعالى لا يضيع ما عبده لأجله .

وفى بعض الآثار الإلهية يقول الله سبحانه وتعالى : بعينى ما يتحمّل المتحمّلون من أجلى . وكل من خرج عن شيء منه لله حفظه الله عليه أو أعاضه الله ماهو أجل منه ، ولهذا لما خرج الشهداء عن نفوسهم لله جعلهم الله أحياء عنده يرزقون ، وعوّضهم عن أبدانهم التى بذلوها له أبدان طير خضر جعل أرواحهم فيها تسرح فى الجنة حيث شاءت . وتأوى إلى قناديل مُعلّقة بالعرش (') ، ولما تركوا مساكنهم له عوّضهم مساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم .

وقال وهب بن مُنبِّة : كان عابد من عَبّاد بنى إسرائيل يتعبّد فى صومعة، فجاء رجل من بنى إسرائيل إلى امرأة بنى فيذل لها مالًا وقال : لعلك أن تفتنيه ، فجاءته فى ليسلة مطيرة فنادته فأشرف عليها ، فقالت : آونى إليك ، فتركها وأقبل على صلاته ، فقالت : يا عبد الله آونى إليك ، أما ترى الظلمة والمطر ؟ فلم تزل به حتى آواها ، فاضطجعت قريبًا منه فجملت تريه محاسها حتى بعته نفسه إليها ، فقال : لا والله حتى أنظر كيف صبرك على النار ، فتقدم إلى

⁽۱) رواه الترمذي في جامعه .

⁽۲) رواء البخارى

⁽٣) الآية ٢٤. سورة الانفال.

⁽٤) ذكره مسلم في صحيحه .

المصباح فوضع إصبعاً من أصابعه حتى احترقت ، ثم عاد إلى صلاته فدعته نفسه إليها ، فعاود المصباح فوضع إصبعه الأخرى حتى احترقت ، فلم يزل تدعوه نفسسه وهو يعود إلى المصباح حتى احترقت أصابعه جميعاً وهى تنظر ، فصيعة وماتت .

وقال الإمام أحمد : حدَّثنا إبراهيم بن خالد ، حدَّثنا أمية بن شــبل ، عن عبد الله بن وهب قال: لا أعلمه إلا ذُكره عن أبيه أن عابداً من بني إسرائيل كان في صومعته يتعبَّد ، فإذا نفر من النُّواة قالوا : لو استنزلناه بشيء فذهبوا إلى امرأة بَغَىٌّ فقالوا لها: تعرَّضي له ، فجاءً في ايلة مظلمة مَطيرة فقالت: ياعبد الله آو ني إايك ، وهوقائم يصلي ومصباحُه ثاقب (١٦) ، فلم يلتفت إليها ، فة لت : ياعبد الله الظُّلمة والغيث (٢) ، آو بى إليك ، فلم تزل به حتى أدخلها إليه فاضطحمت وهو قائم يصلي ، فجعلت تنقلّب وتريه محاسن خَلقها حتى دعته نفسُه إليها . فقال : لا والله حتى أنظر كيف صبرك عَلَى النار ، فدنا إلى للصباح فوضع إصبهاً من أسابعه فيه حتى احترقت ، قال : ثم رجع إلى مُصلَّاه، قال: فدعته نفسُه أيضًا ، فعاد إلى المصباح فوضع إصبعه أيضًا حتى احترقت أصابعه وهي تنظر إليه فَصَمِقَتَ فَمَا تَتَ . فَلَمَا أُصِبِحُوا غَدَوْا لينظرُ وَا مَاصِنِعْتَ، فَإِذَا بِهَا مَيْتَةً ، فقالُوا : ياعدو الله يامُرأْني ! وقعت عامها (٣) ثم قتلتها ، قال : فذهبوا به إلى ملكهم فشهدواعليه،فأمر بقتله ، فقال : دعو بي حتى أصليَ ركمتين ، قال : فصلي ثم دعا فقال: أى ربِّ إِنَّى أعلم أنك لم تكن لتؤ اخذَ نَّى بما لم أَفعل، ولكن أسألك أن لا أكون عاراً عَلَى الْقُرَى بعدى ، قال : فردَّ الله نفسَمَا فقالت : أنظر وا إلى يده ، تم عادت ميتة .

⁽١) ثانب: مضي.

⁽٢) الغيث: المطر.

⁽٣) وقعت عليها : جامعتها .

وقال الإمام أحد رحمه الله تعالى: حدَّثنا محمد بنجمفر ، حدَّثنا شعبة ، عن منصور ، عن إبراهيم قال ، بينما رجل عابد عند اسرأة إذ عَمَد فضرب بيده عَلَى منصور ، عن إبراهيم قال ، بينما رجل عابد عند اسرأة إذ عَمَد فضرب بيده عَلَى منصور ، عَنْ أَشْتُ (١) .

وقال حُصيَين بن عبد الرحمن : بلغني أن فتّي من أهل المدينة كان يشهد الصَّاو ات كُلُّما مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكان عمر يتفقُّده إذا غاب ، فشقته امرأة من أهل المدينة، فذكر تذلك البمض نسائيها ، فقالت : أنا أحتال لك في إدخاله عليك ، فقعدت له في الطريق ، فلما مرَّ سها قالت له : إني امرأةٌ ﴿ كبيرةُ المن ولى شاةٌ لا أستطيع أن أحلِبُها ، فلو دخلت فحاببُها لى ، وكانوا أرغب شيء في الخير ، فلدخل فلم يَرَ شاةً ، فقالت : اجلس حتى آتيك بها ، فإذا المرأة قد طامت عليه ، فاما رأى ذلك عَمَد إلى محراب في البيت فقعد فيــه فأرادته (٢) عن نفسه فأبي وقال: اتقى الله أيتها المرأة ، فجملت لاتسكف عنه ولا تلتفت إلى قوله ، فلما أبى علمها صاحت عانيه فجاءوا فقالت : إن هذا دخل عليَّ يريدنى عن نفسى ، فوثبوا عليه وجعلوا يضربونه وأوثقوه ، فلما صلَّى عمرُ الغداةَ نقده ، ببينا هو كذلك إذ جاءوا به فى وَنَاف ، فلما رآه عمر قال : اللهم لا تُخْلِف ظنى به، قال : مالكم ؟ قالوا : استغاثت امرأة تسبالليسل فجئنا فوجدنا هذا الغلام عندها فضر بناه وأو ثقناه ، فقال عمر رضى الله عنه : اصدُ قني ، فأُخبره بالقصة على وجهما، فقال له عمر رضي الله عنه : أتمرف العجوز ؟ فقال : نعم إنرأيتها عرفتها، فأرسل عمر إلى نساء جيرانها وعجائزهن عامبهن فمرضهن ، فلم يعرفها فيهن ،حتى مرت به المحوز فقال : همذه يا أمير المؤمنين ، فرفع عمر عايبها الدِّرَّةَ وقال: أمد ُ قيني ، فقصت عليه القصة كما قصبها الفتى . فقال عمر : الحد لله الذي جمل فينا شبية يوسف .

⁽١) لشت : احترفت : ونش اللحم سمع لد صوت على المقلى أو فى الفدر .

⁽٢) أرادته عن نفسه : راودته عن نفسه .

. وقال أبو الزناد: كان راهب متعبد في صومعت فأشرف (١) منها مرأى المرأة فقتن بها ، فأخرج رجله من الصومعة لينزل إليها ، فنزلت عليه المعمة فقال: رجل خرجت من الصومعة لتعصى الله والله لا تعود ممى في صومعتى ، فتركها معلقة خارج الصومعة يسقط عليها الثلوج والأمطار حتى تناثرت وسقعات، فشكر الله ذلك من صنعه ، ومدحه في بعض كتبه بذي الرسط .

وقال مُصْعَب بن عُمَان : كان سليمان بن يسار من أحسن الناس وجبها فدخلت عليه امرأة يبتد، فسألته نفسه فامتنع عليها ، فقالت : إذن أفضَحُك ، فخرج هاربًا عن منزله وتركها فيه .

وقال جابر بن نوح : كنت بالمدينة جالساً عند رجل فى حاجة ، فمر بنا شيخ حسن الوجه حسن الثياب ، فقام إليه ذلك الرجل فسلم عليه وَقال : يا أبا محمد أسأل الله أن يُمظم أجرك ، وأن ير بُط عَلَى قابك بالصبر ، فقال الشيخ :

وكان يميى في الوغى (٢) ومساعدى فأصبحت قد خانت يمينى ذراعها وقد صرت حيرا الأمن الشكل باهتا أخا كلف ضاقت على رباعها القال له الرجل: أبشر فإن الصبر مُقوَّل المؤمن ، وإنى لأرجو أن لا يخرِمك الله الأجرَ عَلَى مصيبتك ، فقلت له : من هـذا الشيخ ؟ فقال : رجل منا مر الأنصار ، فقلت : وما قصته ؟ قال : أصيب بابنه وكان به باراً قد كفاه جميع ما يَمنيه ، ومَنييّتُه عَجَبُ ، قلت : وما كانت ؟ قال أحبته امرأة فأرسلت إليه مديق متكوا حبّه وتسأله الزيارة ، وكان لها زوج فألحت عليه ، فأفشى ذلك إلى مديق

⁽١) أشرف: اطلع.

⁽٧) الوغى: الجلبة والحرب لما فها من الصوت والجلبة .

 ⁽٣) الكاف : حرة كدرة تعاو الوجه ، والبهق ، والأمر يحتمل على مشقة
 وعسر . والرباع : المنازل والديار والاحياء ،

له، فقلل له: لو بعثت إليها بعض أهلك فوعظها وزجرتها رجوت أن تسكفت عنك، فأمسك ، وأرسلت إليه إما أن تزورنى وإما أن أزورك فأبى ، فلما يئست منه ذهبت إلى امرأة كانت تعمل السحر فجعلت لها الرغائب (۱) فى تهييجه، فعملت لها فى ذلك ، فبينا هو ذات ليلة مع أبيه إذ خطر ذكر ها بقلبه وهاج منه أمر مم يكن يعرفه واختلط (۲) ، فقام مسرعاً فصلى واستعاذ والأمر يشتد ، فقال : يابنى ما قصتك ؟ فحد ثه بالقصة ، فقام وقيده وأدخله يبتاً ، فجمل يضطرب ويخور كما يخور النور ، ثم هدأ فإذا هو ميت والدم يسيل من منخره .

فصل

وهذا ليس بعجيب من الرجال ولكنه من النساء أعجب. قال أبو إدريس الأودى : كان رجلان فى بنى إسرائيل عابدان ، وكانت جارية جيلة فأحباها وكتم كل منهما صاحبه، واختبأ كل منهما خلف شجرة ينظر إليها ، فبصر (٣) كل منهما سره إلى صاحبه ، فاتفقا على أن يراوداها ، فلما قر بت منهما قالالها : قد عرفت منزلتنا فى بنى إسرائيل ، وإنك إن لم تؤاتينا و إلا قلنا إذا أصبحنا : إنا أصبنا معك رجلا، وإنه أفلتنا، وإنا أخذناك، فقالت : ماكنت لأطيقكا فى معصية الله ، فأخذاها وقالا : إنا أصبنا معهارجلا فأفلتنا ، وأقبل نبي من أنبيائهم فوضعوا له كرسيًا فجلس عليه وقال : أقضى بينكم ؟ فقالا : نعم اقض بيننا ، ففرق بين الرجلين وقال لأحدها : خاف أى شجرة رأيتها ؟ قال : شجرة كذا

⁽١)الرغائب جمع رغبة : العطاء الكثير .

⁽ ٢) اختلط عقله: فسد .

⁽ ٣) أطلعه عليه : أظهره عليه .

وكذا ، وقال للآخر ، فقال : شجرة كذا وكذاغير التى ذكرصاحبُه ، ونزلت نار من السهاء فأحر تتهما وأفلتت المرأة .

وقال عبد الله بن المبارك : عشق هارون الرشيد جارية من جواريه فأرادها فقالت : إن أباك متنى ، فشغف بها وقال فيها :

أرى ماء وبي عطش شديد ولكن لا سبيل إلى الورود (۱) أما يكفيك أنك ملكيني وأن الناس عندى كالعبيد در أما وأنك لو قطعت يدى ورجلي لقلت من الرضا أحسنت زيدى فسأل أبا يوسف عن ذلك فقال: أو كلا قالت جارية شيئًا تصدق ؟ قال ابن المبارك: فلا أدرى بمن أعجب، من هارون الرشيد حيث رغب فيها ،أو منها حيث رغبت عنه ، أو من أبي يوسف حيث سو ع (۱) له إنيانها .

وقال أبو عُمان التيمى: مر" رجل براهبة من أجمل النساء فافتتن بها ، فتلطّف فى الصعود إليها فراودها عن نفسها فأبت عليه وقالت: لاتفتر بما ترى وليس وراءه شيء ، فأبى حتى غلبها عَلَى نفسها وكان إلى جانبها تَجْمَرة فوضعت يدها فيها حتى احترقت ، فقال لها بعد أن قضى حاجته منها: مادعاك إلى ماصنعت ؟ قالت: إنك لما قهر تنى كلّى نفسى خفت أن أشاركك فى اللذة فأشاركك فى المدّة وتاب ماكان عليه .

وذكر الحسين بن محمد الدامغاني أن بعض الملوك خرج يتصيد وانفرد عن

⁽١) إلى الورود: إلى بلوغه والدنومنه.

⁽٢) أنظر صفحة ١٨٧ وفيها لسب هذا البيت إلى ملك مجمول .

⁽٣) سوغ له : جوزه .

⁽٣٠ سـ روضة المحبين)

أسمابه ، فمر بقرية فرأى امرأة جيلة فراودها عن نفسها ، فقالت : إنى غير طاهر فأتطهر وآتيك ، فدخلت بينها وخرجت اليه بكتاب فقالت : انظر فى هذا حتى آتيك ، فنظر فيه فإذا فيه ما أعد الله للزانى من العقوبة فتركها وذهب، فلما جاء زوجها أخبرته الخبر ، فكره أن يقربها مخافة أن يكون الملك فيها حاجة فاعترلها ، فاستعدى (١) عليه أهل الزوجة إلى لللك وقالوا إن لتا أرضاً في يد الرجل فلا هو يَعْمُرُها ولا هو يردها علينا وقد عظلها ، فقال الملك : ما تقول ؟ فقال : إنى رأيت في هذه الأرض أسداً وأنا أتخو ف دخولها منه ، ففهم الملك القصة فقال : اعمر أرضك فإن الأسد لا يدخلها ، ونعم الأرض أرضك .

وكانت بعض النساء المتعبدات وقعت فى نفس رجل مؤسر وكانت جميلة وكانت مخيلة وكانت مخيلة المناب فتأبى، فبلغ الرسجل أنها تريد الحج ، فاشترى ثلاثمائة بعير و نادى : من أراد الحج فليكتر من فلان ، فاكترت منه المرأة ، فلما كان فى بعض الطريق جاءها فقال : إمّا أن تزوّجينى نفسك ، وإمّا غير ذلك ، فقالت : ويحك اتتى الله ! فقال : ماهو إلّا ما تسمعين ، والله ما أنا بجمّال ولا خرجت ويحك اتتى الله ! فقال : ماهو إلّا ما تسمعين ، والله ما أنا بجمّال ولا خرجت إلّا من أجلك ، فلما خافت على نفسها قالت : ويحك انظر أبقى فى الرسجال عين منهقة غرت ميتة ، وخر " الرجل مَفْشيًا عليه ، فلما أفاق قال : ويحى قتلت نفساً ولم أبلغ شهوتى .

وقال وهب بن مُنبّه : كان فى بنى إسرائيل رجلُ متعبّدُ شديدُ الاجتهاد فرأًى يوماً امرأة فوقعت فى نفسه بأوّل نظرة ، فقام مسرعاً حتى لحقها فقال : رويدك ياهذه ، فوقفت وعرفته فقالت : ماحاجتك ٤ قال : أذاتُ زوج أنت؟

⁽١) استمداه: استعانه واستنصره:

قالت : نعم فما تريد ؟ قال : لو كان غير هذا لــكان لنا رأى ، قالت : على ذلك. وما هو ؟ قال : عرض بقلبي من أمرك عارض(١) ، قالت : وما يمنعك مر ٠ إنفاذه ؟ قال : وتتابعيني على ذلك ؟ قالت : نعم ، فحلت به في موضع فلما رأته نُجِدًّا في الذي سأل قالت : رويدك يامـكين لا يسقط جاهك عنده ، فاننبه لهـا وذهب عنه ماكان بجد فقال: لاحرمك اللهُ ثوابَ فعلك . ثم تنبِّي ناحية فقال! لنفسه : اختارى إمّا عملى العين ، وإمّا الجُبُّ ٢٠٪ ، وإما السياحة مع الوحوش ، فاختارت السياحة مع الوحوش، فكان كذلك إلىأن مات .

وأحبُّ رجل مجاريةً من العرب وكات ذاتَ عقل وأدب، فما زال يحتال. في أمرها حتى اجتمع معها في ليلة مظلمة شديدة السواد ، فحادثها ساعةً. ثم دعته نفسه إليها فقال ياهذه قد طال شوقي إليك، قالت : وأناكذلك. فقال : هـذا الليل قد ذهب والصبح قد اقترب، قالت: هكذا تَهْني الشهوات و تنقطع اللَّذَّات فقال لها : لو دنوت مني فقالت : هيهات أخاف البعد من الله ، قال : فما الذي دعاك إلى الحضور معى ؟ قالت : شقو تى وبلائى، قال لها : فتى أراك ؟ قالت : ماأ نساك وأما الاجتماع معك فما أراه يكون، ثم تولت. قال: فاستحتيتُ مما سمت منها ، وأنشد:

ولم تأتِ ما تخشٰی به أن تُعَـــذَّبا توقّت عبذابًا لا يطاق انتقامُه وقانت مقالًا كدتُ من شدة الحيا أهيم على وجهى حيًا وتعجُّب أَلا أَفَ الحبِّ الذي يورث العمي. فأقبل عَو دى فوق بَد أَى مفكراً وقد زال عن قلبي العمى فتسر با

ويُورد ناراً لا تَمَلُّ التاليُّبِـــا

وقال ابن خلف: أخبرني أبو بكر العامري قال: عشقت عاتسكة المُرِّيَّة

⁽١) عرض بقلي عارض: أي خطر لي خاطر .

⁽ ٢) الجب: القطع، والجبوب الذي استؤصلت مذاكيره .

أبن عم ملا ، فأرادها عن نفسها فامتنعت عليه وقالت :

فيا طعمُ ماء من سبحابٍ مُرَوَّقِ تحدَّر من غرَّ طوالِ الذوائب(١). بِمُنْعَرَجِ (٢) أو بطنِ واد تطلعت عليه رياحُ الصيف من كل جانب تَرَقرق مَا مِدَالُونُ نِ (الله فيهن والتقت عليهن أنفاس الرسياض الغرائب فلیس به عیب ٔ تراه اشارب بأطيب مما يقصر الطرّف دونه أُنتي الله واستحياءُ تلك العواقب

نَفَتْ جِرْ يَةُ للا القذى عن متو نه (1)

^(1) تحدر : تنزل . والذوائب جمع ذؤابة ، والذؤابة من كل شيء أعلام ، وشعر مقدم الرأس.

⁽٢) منعرجالوادى : منعطفه بمنة ويسرة .

⁽٣) جمع مزنة : السحاب يحمل الماء.

⁽ ٤) القذى ما يقمع : بالمينوالشراب من تبنة وغيرها . والمتن : الظهر ، ومن الأرمَن : ما ارتفع وصلب منها .

البالالاسيغ والغيون

فی ذم الہوی ، وما فی مخالفتہ میں ٹیل المثی

وقد تقدّم ذكر الآيات في ذلك وبعض ماورد في السنة .

الهوى ميل الطبع إلى مايلائمه ، وهذا الميل خلق في الإنسان لضرورة بقائه فإنه لولا ميسله إلى المطم والمشرب والمنسكح ما أكل ولا شرب ولا نكح ، فالموى مستحث لها لما يريده ، كا أن الغضب دافع عنه مايؤذيه ، فلا ينبغى ذم الهوى مطلقاً ، ولا مدحه مطلقاً ، كا أن الغضب لايذَم مطلقاً ولا مُختد مطلقاً ، وايما يُذَم المفوط من النوعين ، وهو ما زاد على جلب المنافع ودفع المضار " ، ولما كان الغالب من مطيع هو اه وشهو موغضبه أنه لا يقف فيه على حد المنتفع به أطلق ذم الهوى والشهوة والغضب لعموم غلبة الضرر ، لأنه يَندُر من يقصد المدل في ذلك ويقف عنده ، كما أنه يَندُر في الأمرجة المزاج المعتدل من كل وجه ، بل في ذلك ويقف عنده ، كما أنه يَندُر في الأمرجة المزاج المعتدل من كل وجه ، بل قوى الشهوة والغضب من كل وجه ، وهذا أمر " يتعذر وجُودُه إلا في حق قوى الشهوة والغضب من كل وجه ، وهذا أمر " يتعذر وجُودُه إلا في حق أفراد من العالم ، فلذلك لم يذكر الله تعالى الهوى في كتابه إلا ذمه ، وكذلك في السنة لم يجىء إلا مذموماً إلا ما جاء منه مُقيَّداً كقوله صلى الله عليه وسلم : في السنة لم يجىء إلا مذموماً إلا ما جاء منه مُقيَّداً كقوله صلى الله عليه وسلم : في السنة لم يجىء إلا مذموماً إلا ما جاء منه مُقيَّداً كقوله صلى الله عليه وسلم : في السنة لم يجىء إلا مذموماً إلا ما جاء منه مُقيَّداً كقوله صلى الله عليه وسلم : في السنة لم يجىء إلا مذمق يكون هواه كله يقوى لأنه يهوى بصاحبه، ومُطلقه يدهو كين لا يُؤْمَن و قال الشَّه ي : وحمى هو "ى لأنه يهوى بصاحبه، ومُطلقه يدهو

⁽١) أخلاط الإنسان: أمزجته الاربعة .

⁽٢) تقدم تخريجة في صفحة ٣٣٠

إلى اللّذة الخاضرة من غير فكر في العاقبة ، ويحث على نيل الشهوات عاجلاً وإن كانت سبباً لأعظم الآلام عاجلاً وآجلاً ، فللدنيا عاقبة قبل عاقبة الآخرة ، والهوى يُعمى صاحبة من ملاحظها ، والمروعة والدّين والعقل ينهى عن الدّة تعقب أكما ، وشهوة تورث ندما ، فكل منها يقول للنفس إذا أرادت ذلك : لا تفعلى ، والطاعبة لمن غلب ، ألا ترى أن الطفل يُؤثر ما يهوى وإن أدّاه إلى التلك لضعف ناهى العقل عنده ، ومن لا دين له يُؤثر ما يهواه وإن أدّاه إلى هلاكه في الآخرة لضعف ناهى الدّين ، ومن لامرُ وءة له يُؤثر ما يهواه وإن أشافى مرروعة أو عدمها اضعف ناهى الدّين ، ومن لامرُ وءة المين هذا من قول الشافعي رحمه الله تعالى : لو علمت أن الماء البارديت للمرروعة ي فأين هذا من قول الشافعي رحمه الله تعالى : لو علمت أن الماء البارديت للمرروعة ي لما شربته .

ولمّا امتُحن المسكلفُ بالهوى من بين سأر البهائم وكان كل وقت تحدُث عليه حوادثُ جُعل فيه حاكان: حاكم العقل وحاكم الدِّين؛ وأمر أن يَرفع حوادث الهوى دائمًا إلى هذين الحاكينوان ينقاد لحسكها، وينبنىأن يتمر ن على دفع الهوى المأمون العواقب ليتمر ن بذلك على ترك ماتؤذى عواقبه وليعلم اللبيب أن مدّ منى الشهوات يصيرون إلى حالة لا يلتذون بها وهم مع ذلك لا يستطيعون تركها ، لأنها قد صارت عندهم بمنزلة العيش الذى لابد لمم منه ، ولهذا ترى مدّ من الخر والجاع لا يلتذ به عُشرَ معشار التذاذ من يفعله نادراً فى الأحيان ، غير أن العادة مقتضية ذلك فيلتى نفسه فى المهالك لنيل ما تطالبه به العادة ، ولو زال عنه رَيْن (٢) الهوى لعلم أنه قد شَقى من حيث قدّر السعادة ، واغتم من حيث ظنّ الفرح ، وألم من حيث أراد اللذة . فهو كالطائر المخدوع واغتم من حيث ظنّ الفرح ، وألم من حيث أراد اللذة . فهو كالطائر المخدوع

⁽١) كالمالجدار وغيره: أخدث فيه شقاً .

 ⁽٢) الرين: الغطاء والحجاب الكثيف، والصدأ يعلوالثيء الجلى، والدنس
 وما غطى على القلب من النسوة للذنب بعد الذنب.

بحبة القمح ، لا هو نال الحُبّة ولا هو تخلص بما وقع فيه ، فإن قبل : فكيف يتخلص من هذا من قد وقع فيه ؟ قيسل : يمكنه التخلّص بعون الله وتوفيقه له بأمور :

(أحدُها): عزيمة حرٌّ يغار لنفسه وءايها

(الثانى): جرعة صبر يصبر نفسه على مرارتها تلك الساعة .

(الثالث): قو "ة نفس تشجعه على شرب تلك الجرعـة ، والشجاعة كالبًا صبر ساعة ، وخير عيش أدركه العبد بصبره .

(الرابع) : ملاحظته حسن موقع العاقبة والشفاء بتلك الجرعة .

(الخامس) : ملاحظته الألم الزائد على لذّة طاعة هواه .

(السادس) : إبقازُه على منزلته عند الله تعالى وفى قلوب عباده ، وهو خيرٌ وأُنفع له من لذَّة موافقة الهوى .

(السابع) : إيثاره لذَّةَ العفة وعزَّتُهَا وحلاوتُهَا عَلَىٰلَـٰةَ المُعَسِيةُ .

(الثامن): فرحه بغلّبة عدوّه وقهره له وردّه خاسئاً بغيظه وغمّه وهمّه حيث لم ينل منه أُمنيتَه ، والله تعالى بحب من عبده أن يراغم (١) عدوّه ويغيظه كا قال الله تعالى فى كتابه العزيز: (وَلاَ يَطَوُّنَ مَوْطِئاً يَعْبِظُ الْسَكُفَّارَ وَلاَ يَطَوُّنَ مَوْطِئاً يَعْبِظُ الْسَكُفَّارَ وَلاَ يَالُونَ مِنْ عَدُوَّ نَيلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلُ صَالِحٌ) (٢) وُقال: (لِيَعْيظَ يَالُونَ مِنْ عَدُوَّ نَيلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلُ صَالِحٌ) (٢) وُقال: (لِيعْيظَ بِهِمُ الْسَكُفَّارَ) (١) وقال تعالى: (وَمَنْ بُهَاجِرْ فِي سَدِيلِ الله يَجِدْ فِي الْأَرْضِ بِهِمُ الْسَكُفَّارَ) (١) وقال تعالى: (وَمَنْ بُهَاجِرْ فِي سَدِيلِ الله يَجِدْ فِي الْأَرْضِ

⁽١٤) "راغم فلافا : هجره وعاداه .

⁽٢) الآية ١٢٠. سورة التوبة .

⁽٣) الآية الاخيرة منسورة الفتح

مُرَّا َهُمَّاكُثيراً وَسَمَةً ﴾(١) أى مكاناً يراغم فيه أعداء الله . وعلامة المحبة الصادقة مغايظة أعداء المحبوب ومُراغمتهم .

(التاسع): التفكُّر في أنه لم ُ لَنَى للهوى وإنما هُيِّء لأمر عظيم لايناله إلاَّ بمعمينته للهوى كما قيل :

قسد هيَّاوك لأمر لو فَطِنت له فارباً بنفسك أن ترعى مع الممل (٢)

(العاشر): أن لا يختار لنفسه أن يكون الحيوان البهيم أحسن حالاً منه، فإن الحيوان يميِّر بطبعه بين مواقع مايضرته وما ينفعه ، فيُؤثر النافع على الضار ، والإنسان أعطى العقل لهذا المعنى ، فإذا لم يميِّر به بين مايضرته وما ينفعه أو عرف ذلك وآثر مايضرته كان حال الحيوان البهيم أحسن منه ، ويدُلُ على ذلك أن البهيمة تصيب من لذة المطعم والمَشْرَب والمنكح مالا يناله الإنسان مع عيش هني ه خال عن الفكر والهم ، ولهذا تُساق إلى مَنْحَر ها (الله وهي منهمكة على شهواتها لفقدان العلم بالعواقب ، والآدمى لا يناله مايناله الحيوان لقوة الفكر الشاغل ، وضعف الآلة المستعملة وغير ذلك ، فلو كان نيل المشتهى فضيلة كما الشاغل ، وضعف الآلة المستعملة وغير ذلك ، فلو كان نيل المشتهى فضيلة كما توفير حظ الآدمى من العقل والعلم والمعرفة عوض عن ذلك .

(الحادى عشر): أن يسير بقلبه في عواقب الموى فيتأمل كم أفاتت معصيته (١)

⁽١) الآية ١٠٠ سورة النساء . والمراغم : الملجأ والمهرب والحصن ،

⁽٢) فى لامية العجم للطغرائى: قد رشحوك .

 ⁽٣) المنحر: موضع النحر في الحلق ، والمسكلن تذبح فيه الذبائح، والجنع مناحر . الهمل: المتروك بلا عناية ولا رعاية .

⁽٤) ولعل. الصواب: كم أفاتت طاعته من فضيلة لآن الظاهر أن الضمير عائد على الهوى الخ .

من فضيلة ، وكم أوقعت فى رذيلة ، وكم أكلة منعت أكلات ، وكم من لذّة فو تت لذّات ، وكم من لذّة و تت لذّات ، وكم من شهوة كسرت جاها، ونكست رأساً ، وقبيّحت ذكراً ، وأورثت ذمّا، وأعقبت ذلّاً ، وألزمت عاراً لا ينسله الماء ، غير أن عين صاحب الهوى عياء ."

(الثانى عشر): أن يتصوّر العاقل انقضاء غرضه بمن يهواه ثم يتصوّر حالَه بعد قضاء الوطر ^(۱) وماناته وما حصل له .

فأفضل الناس من لم يرتـكب سبباً حتى يميز لمــــا تجنى عواقبــه (الثالث عشر): أن يتصــو ر ذلك فى حقِّ غيره حق التصــو ر ، ثم ينزل نفسه تلك المنزلة، فحــكم الشيء حكم نظيره :

(الرابع عشر): أن يتفكر فيا تطاابه به نفسه من ذلك، ويسأل عنه عقله ودينه يُخبرانه بأنه ايس بشيء. قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : إذا أعجب أحد كم امرأة فليذكر مَنَا تَنِهَا، وهذا أحسن من قول أحمد بن الحسين: لو فكر العاشيق في منتهى حسن الذي يسبيه "كم يَسْبه لأن ابن مسعود رضى الله عنه ذكر الحال الحاضرة الملازمة، والشاعر حال على أمر متأخر.

(الخامس عشر): أن يأنف لنفسه من ذل طاعة الهوى ، فإنه ما أطاع أحد هو اه قط إلا وجد فى نفسه ذُلا ، ولا ينتر بصولة (٣) أتباع الهوى وكبرهم فهم أذل الناس بواطن ، قد جمعوا بين فصياتي الكبر والذل .

(السادس عشر): أن يوازن بين سلامة الدين والعِرض والمال والجاه ونيل

⁽١) الوطر: الحابجة . أو حاجة لك فيها هم وعناية. والجمع أو طار .

⁽٢) يسبيه: يأسره.

⁽٣) الصولة: المطوة أر القدرة.

اللذة المطلوبة ، فإنه لا يحد بينهما نسبة البِّنَّة ، فليعلم أنه من أسفه الناس ببيعسه هذا بهذا .

(السابع عشر):أن يأنف النفسه أن يكون تحت قهر عد وه ، فإن الشيطان إذا رأى من العبعد ضعف عزيمة وهمة وميلا إلى هواه طمع فيه وصرعه وألجمه بلجام الهوى وساقه حيث أراد ، ومتى أحس منه بقوة عزم وشرف نفس وعلو همة لم يطمع فيه إلا اختلاساً وسرقة.

(الثامن عشر): أن يعلم أن الهوى ماخالط شيئًا إلاَّ أفسده ، فإن وقع فى العلم . أخرجه إلى البدعة والضلالة وصار صاحبه من جملةاً هل الأهواء ، وإن وقع فى الزهد أخرج صاحبه إلى الرياء ومخالفة السنة ، وإن وقع فى الحمم أخرج صاحبه إلى الظلم وصد من الحق ، وإن وقع فى القسمة خرجت عن قسمة العدل إلى قسمة الجُور ، وإن وقع فى الولاية والعزل أخرج صاحبه إلى خيانة الله والمسلمين حيث يُولًى بهواه ويعزل بهواه ، وإن وقع فى العبادة خرجت عن أن تكون طاعة وقربة ، فيا قارن شيئًا إلا أفسده .

(التاسع عشر): أن يعلم أن الشيطان ليسله مدخل مَلَى ابن آدم إلا من باب هواه ، فإنه يُطِيف به من أين يدخل عليه حتى يفسد عليه قلبه وأعماله، فلا يجد مدخلاً إلاً من باب الهوى ، فيسرى معه سركان السمّ في الأعضاء .

(العشرون): أن الله سبحانه وتعالى جعل الهوى مضادًا لما أنزله على رسوله، وجعل اتباعه مقابلاً لمتابعة رسله ، وقسم الناس إلى قسمين : أتباع الوحى، وأتباع الهوى ، وهذا كثير في القرآن كقوله تعالى : (قَإِنْ لَمْ يَسْتَحْرِيبُوا لِللَّكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَدَّبِعُونَ أَهُو المَهُمْ)(١).

⁽١) الآية: ٥٠ سورة القصص.

وقوله تعالى : (وَ لَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَاءُهُمْ بَعْدٌ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ ٱلْعِــلْمِرِ '') ونظائره.

(الحادى والعشرون): أن الله سبحانه و تعمالى شبّه أتباع الهوكى بأخس الحيوا مات صورة ومعنى ، فشبتهم بالمكلب نارة كقوله تعالى : (وَلَكِيّلُهُ أَخُلَدَ إِلَى ٱلأَرْضِ وَٱتَّبِتَعَ هَرَاهُ فَشَلُهُ كَمَثَلُ الْكَلْبِ)(٢) وبالحرُ تارة كقوله تعالى : (كَأَنَّهُمْ خُرُ مُسْتَنْفُرِةُ . فَرّت مِنْ قَسُورَةٍ)(٢) وقلب صُورَهم إلى تعالى : (كَأَنَّهُمْ خُرُ مُسْتَنْفُرِةُ . فَرّت مِنْ قَسُورَةٍ)(٢) وقلب صُورَهم إلى صورة القررَة والخنازير نارة .

(الثانى والعشرون): أن متّبع الهوى ليس أهدلاً أن يطاع ولا يكون إماماً ولا متبوعاً، فإن الله سبحانه و تعالى عزله عن الإمامة و نهى عن ظاعته، أما عزله فإن الله سبحانه و تعالى قال لخليله إبراهيم: (إنّي جَاعِلُكَ لايناس إمَاماً قال وَمِنْ ذُرِيّتِي قَالَ لا يَنالُ عَهْدِي الظّالِينَ) (أَنّي أَى لا ينالُ عهدى بالإمامة قال وَمِنْ ذُرِيّتِي قَالَ لا ينالُ عَهْدِي الظّالِينَ) (أَنّي أَى لا ينالُ عهدى بالإمامة قال وَمِنْ ذُرِيّتِي قَالَ لا ينالُ عَهْدِي الظّالم الله تعالى: (بَلِ النّبَعَ الّذِينَ ظَلَمُوا فَلَا الله تعالى: (بَلِ النّبَعَ الّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءُ هُمْ يَعْبُر عِلْمَ وَأَمَا النّبي عن طاعته فلقوله تعالى: (وَلا تُعَلِيعُ مَنْ أَمْوَنُهُ فُرُطًا) (٢) وَلا تُعْلِيعُ مَنْ أَمْوَنُهُ فَرُطًا) (٢) وَاللّه تعالى: (وَلا تُعْلِيعُ مَنْ أَمْوَنُهُ فَرُطًا) (٢) وَاللّه تعالى: (وَلا تُعْلِيعُ مَنْ أَمْوَنُهُ فُرُطًا) (٢) وَاللّهُ عَنْ ذُكُونًا وَاتّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) (٢)

(الثالث والعشرون): أن الله سبحانه وتعالى جعل متبع الهوى بمنزلة

⁽١) الآية ١٢٠. سورة البقرة .

^{. (}٢) الآية ١٧٦. سورة الاعراف.

⁽٣) الآيتان ٥٠ و ٥١ . سورة المدثر ، والحر المستنفرة : الوحشية ، والقسورة : الاسد،

⁽٤) الآية ١٢٤. سورة البقرة .

⁽ ه) الآية ٢٩. سورة الروم .

⁽٦) الآية ٢٨ - سررة السكيف . وفرطاً : إسرافاً .

عابد الوئن فقال تعالى: (أَرَأَيْتَ بَمِنِ آتَخَذَ إِلَمَهُ هَوَاهُ)() في موضعين من كتابه ، قال الحسن : هو المنافق لا يهوى شيئًا إلا ركبه ، وقال أيضًا : المنافق عبد هو اه لا يهوى شيئًا إلا فعله .

(الرابع والعشرون) : أن الهوى هوحظارُ (٢) جهنم المحيطُ بها حولها ، فمن وقع فيه وقع فيها كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلمأنه قال : «حُفّتِ ، الْمُنْهُمُ اللهُ عَلَيْهُ وَحُفّتِ النَّارُ اللهُ عَلَيْهُ وَاتِ » .

وفي الترمذي من حديث أبي هريرة رضى الله عنه يرفعه: « أَمَّا خَلَقَ اللهُ الْجُنَةُ أَرْسُلَ إِلَيْهَا جِهِ بِيلِ فَقَالَ: انْظُرُ إِلَيْهَا وَإِلَى مَاأَعْدَدْتَ لِأَهْلِمَا فِيهَا، وَجَاء فَنَظُرَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللهُ لِأَهْلِما فِيها فَرَجْعَ إِلَيْهِ وَقَالَ: وَعِزَ تِكَ لَاَيْسَعُ بِهَا أَحَدُ مِنْ عِبَادِكَ إِلَا دَخَلَهَا، فأَمرَ بَها فَحُجْبَتْ بِالْمَكَارِهِ وَقَالَ: وَعِزَ تِكَ لاَيْسَعُ بِهَا أَحَدُ مِنْ عِبَادِكَ إِلاَ دَخَلَهَا، فأَمرَ بَها فَحُجْبَتْ بِالْمَكَارِهِ ، فَقَالَ : وَعِزَ تِكَ اللهُ عَلَيْهَا فَاللهُ وَعِزَ تِكَ اللهُ لاَهْلِها فِيها، فَإِذَا هِي قَلْ : اذْهَبْ إِلَى النّارِ فانظُرُ إليْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللهُ لِأَهْلِها فِيها، فَإِذَا هِي مَا أَعَدَ دُتُ لِأَهْلِها فِيها، فَإِذَا فِي مَا أَعَدَ اللهُ لاَهْلِها فِيها، فَإِذَا هِي مَا أَعْدَ دُتُ لِللهُ فَإِلَى اللهُ وَعِنْ تِكَ لا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدُ فَيَذْخُلُهَا فَأَمْرَ بِهَا فَحُدَ بِلا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدُ فَيَذْخُلُهَا فَأَمْرَ بِهَا فَحُدَتُ بِالشّهُو الْبَ وَقَالَ : وَعِزْ تِكَ لا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدُ فَيَذْخُلُهَا فَأَمْرَ بِهَا فَحُدْتُ بِالشّهُو الْبَ وَقَالَ : وَعِزْ تِكَ لا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدُ فَيَذْخُلُهَا فَأَمْرَ مِنَا فَعَلَ : وَعِزْ تِكَ لا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدُ فَيْدُخُلُهَا فَأَمْرَ مِنْ الشّهُو الْبَ وَقَالَ : وَعِزْ تِكَ لا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدُ فَلَا لاَيْنَاقُولُ اللهُ وَعَلَى اللهُ وَعَلَى اللهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَعَلْ اللهُ وَعِنْ تِكَ لَهُ وَاللْهِ اللهُ اللهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَقَالَ : وَعِزْ تِكَ لَلْهُ وَقَلْلَ : وَعِزْ تِكَ لَاللّهُ وَلَا اللهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ اللّهُ وَلَا الللّهُ اللّهُ وَالْهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَلَا الللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَلَا الللّهُ وَلَا الللّهُ اللّهُ وَلَا الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ فَلَا اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللهُ الللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ الللللّهُ اللّهُ الللّهُ اللهُ اللّهُ الللللللّ

(الخامس والعشرون) : أنه كيخاف عَلَى من اتبع الهوى أن ينسلخ من (الخامس والعشرون) : أنه كيخاف عَلَى من اتبع الهوى أن ينسلخ من (1) الآية ٢٣ . سورة الجاثمة بزيادة الفاء بعد ممزة الاستفهام .

(٢) الحظار : كل شيء حمجز بين شيئين كحائط البستان . وحظار الإرض . المحاط مها . الإيمان وهولايشمر ، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يُؤْمِنُ مِنُ أَحَدُ كُمْ حَتَى تَيكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا إِلَا جَنْتُ بِهِ بِهِ الله عليه وسلم أنه قال : « أَخُو َ فُ مُ اللَّهُ عَلَى أَعَافُ مُ عَلَمُ مُنْ أَوَاتُ الْغَيِّ فِي بُطُونِكُمُ وَفُرُ وَجِهِكُو مَضَلَّاتُ الْغَيِّ فِي بُطُونِكُمُ وَفُرُ وَجِهِكُو مَضَلَّاتُ الْغَيْ فِي بُطُونِكُمُ وَفُرُ وَجِهِكُو مَضَلَّاتُ الْغَيْ فِي بُطُونِكُمُ وَفُرُ وَجِهِكُو مَضَلَّاتُ الْغَيْ فِي بُطُونِكُمُ وَفُرُ وَجِهِكُو مَضَلَّاتُ الْقَوْسِينَ ﴾ (١) .

(السادس والمشرون) : أن اتباع الهوى من المهلكات. قال صلى الله عليه وسلم : « ثَلَاثُ مُنجِياتٌ وثَلَاثُ مُهُلِكاتٌ : فأما المُنجِياتُ فَتَقُولُى اللهِ عَزَ وجل في السِّخ والقَلانية ، والقَولُ بالحق في الرِّضا والسَّخَط ، والقَصد في وجل المنظني والفَقر . وأمنا المُهاكِكاتُ فَهو في مُنتَبع ، وشُح مُطَاع ، وإعجابُ المَرْ وبنفسِه » (٣) .

(السابع والعشرون): أن مخالفة الهوى تورث العبد قو ّةً فى بدنه وقابمه ولسانه ، قال بعض الساف : الغالب لهواه أشد من الذى يفتح المدينة وحده . وفى الحديث الصحيح المرفوع : « لَيْسَ الشّديدُ بالصُّرَعَةِ ولَكُنَ الشَّدِيد الّذى يَهِلَكُ مَا لَهُ عَنْدَ الفَضَبِ » (ع) وكما تمر سن على مخالفة هواه اكتسب قو "ته الله قو "ته .

(الثامن والعشرون): أن أغزر الناس مُرُوءَةً أَشَدُّهُم مُخَالِّفَةً لهواه . قال معاوية : المُرُوءَة ترك الشهوات وعصيات الهوى ، فاتباع الهوى 'يُزمن (٥)

⁽١) تندم تخريجه في صفحة ٢٣.

⁽٧) تقدم هذا الحديث بسنده في صفحة ٢٠٤٠

⁽٣) تقدم في صفحة ٣٠٤ معزواً إلى المسند وغيره .

⁽٤) رواه البخاري ومسلم وأحمد في مسنده .

⁽ه) يزمن: يذهب ويضعف.

المُرْمُوءَة ، ومخالفته تنعُشها .

(التاسع والعشرون): أنه ما من يوم إلا والهوى والعقل يعتلجان (() في ما حبه ، فأيها قوى على صاحبه طرده وتحكم وكان الحسكم له . قال أبو الدّرداء: إذا أصبح الرجل اجتمع هواه وعمله (۲) ، فإن كان عمله (۲) تبعاً لهواه فيومه يوم سوء ، وإن كان هواه تبعاً لعمله (۲) فيومه يوم صالح .

(الثلاثون): أن الله سبحانه وتعالى جعل الخطأ واتباع الهوى قرينين، وجعل الطفأ واتباع الهوى قرينين، وجعل الصواب ومخالفة الهوى قرينين، كما قال بعضالسلف: إذا أشكل عليك أمران لاتدرى أيها أرشد فخالف أقربهما من هواك، فإن أقرب مايكون الخطأ في متابعة الهوى .

(الحادى والثلاثون): أن الهوى داء ودواؤه مخالفته، قال بعض العارفين: إن شئت أخبر تك بدائك ، وإن شئت أخبر تك بدوائك ، داؤك هواك ، ودواؤك ترك هواك و مخالفه .

وقال بشر الحافى رحمه الله تعالى : البلاء كلُّهُ في هواك ، والشفاء كلُّه في خالفتك إياه .

(الثانى والثلاثون): أن جهاد الهوى إن لم يكن أعظم من جهاد الكفار فليس بدونه ، قال رجل للحسن البصرى رحمه الله تعالى : يا أبا سعيد ، أى الجهاد أفضل ؟ قال : جهادُك هو اك ، وسمعت شيخنا يقول : جهادُ النفس والهوى أصلُ جهاد الكفار والمنافقين ، فإنه لا يقدر على جهادهم حتى يجاهد نفسه وهواه أولاً حتى " يخرج إليهم .

⁽١) يورتلجان: يصطرعان .

⁽٢) كذا . . ولعل الصراب :عقله .

⁽٣) كذا. . ولعل الصواب: ثم .

(الناك والثلاثون): أن الهوى تخليط (١) و مخالفته حديث (٢) ، و مجاف على من أفرط فى التخليط وجانب الحديد أن يصرعة داؤه . قال عبد الملك بن قر يب : مررت بأعرابي به رمد شديد ودموعه تسيل على خد يه فقلت : ألا تمسح عينيك ؟ قال : نهاني الطبيب عن ذلك ، ولاخير فيمن إذا زُجر لا ينزجر، وإذا أمر لا يأتمر ، فقلت ألا تشتهي شيئا ؟ فقال : بلى ولكني أحتى ، إن أهل النار غلبت شهوتهم حَميّتَهُم فهلكوا .

(ارابع والثلاثون): أن اتباع الهوى يغلق عن العبد أبواب التوفيق، ويفتح عليه أبواب الخلالان، فتراه يلهج (٣) بأن الله لو وفق لحكان كذا وكذا، وقد سد على نفسه طراق التوفيق باتباعه هواه. قال الفُضَيل ابن عياض: من استحوذ عليه الهوى واتباع الشهوات انقطعت عنه موارد التوفيق.

وقال بعض العلماء : الكفر في أربعة أشياء : في الغضب ، والشهوة والر:بة ، والرهبة ، ثم قال : رأيت منهن اثنتين : رجلاً غضب نقتل أمه ، ورجلاً عشى عشق فتنصر . وكان بعض السلف يطوف بالبيت فنظر إلى امرأة يجيلة فمشى إلى جانبها ثم قال :

أهوى هوى الدِّين واللذَّاتُ تُعجبني

فكيف لى بهوى اللذَّاتِ والدين

فقالت دع أحدها تَنَلُ الآخر .

⁽¹⁾ التخليط. النخبط والاضطراب.

⁽٢) الحية : الامتناع مما يضر والوقاية منه

⁽٣) اللهج بالشيء: الولوع به، وقد لهج به إذا أغرى به فثابر عليه .

(الخامس والثلاثون): أن من نصر هم اه فسدعليه عقلَه ورأيه ، لأنه قد خان الله في عقله فأفسده عليه ، وهذا شأنه سبحانه وتعالى في كل من خانه في أمر من الأمور ، فإنه يفسده عليه .

وقال المعتصم يوماً لبعض أصحابه: يافلان إذا ُنصر الهـوَى ذهب الرأى . وسمنت رجلاً يقول لشيخنا: إذا خان الرجلُ في نقـد الدراهم سلبه الله معرفة النقد ــ أو قال نَسِيهَ ــ . فقال الشيخ: هكذامن خانالله تعالى ورســـوله في مسائل العلم .

(السادس والثلاثون): أن من فسم لنفسه فى اتباع الهوى ضيَّق عليها فى قبره ويوم مَعاده ، ومن ضيَّق عليها بمخالفة الهوى وسَّع عليها فى قبره ومَعاده ، وقد أشار الله تعالى إلى هذا فى قوله تعالى : (وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً) (١) . فلما كان فى الصبر الذى هو حبسُ النفس عن الهوى خشونة وتضييق ، جا زاهم على ذلك نعومة الحرير وسَمَة الجنة . وقال أبو سليان الدارانى رحمه الله تعالى فى هذه الآية جزاهم بما صبروا عن الشهوات .

(السابع والثلاثون): أن اتباع الهوى يصرع العبد عن النهوض يوم القيامة عن السعى مع الناجين ، كا صرع قلبة فى الدُّبنيا عن مرافقتهم . قال محمد بن أبى الورد: إن الله عز وجل يوماً لا ينجو من شرته منقاد لهواه ، وإن أبطأ الصَّرعٰى نهضة يوم القيامة صريع شهوته ، وإن المقول لما جرت في ميادين الطلب كان أوفر مها حظاً من يطالبها بقدر ما صحب من الصبر . والعقل مَعدِن ، والفكر مُدَّقُ ل .

(الثامن والالاثون): أن اتباع الهوى يَحُلُّ العزائم ويوهنها، ومخالفته تشدُّها

⁽١) الآية ١٢: سورة الدهر.

وتقويها . والعزائم هي مركب العبد الذي يسيّره الى الله والدّار الآخرة ، فتى تمطّل المركوب أوشك أن ينقطع المسافر . قيل ليحيى بن مُعاذ : مَن أصح الناس عزماً ؟ قال : الغالب لمواه . ودخل خلف بن خايفة عَلَى سليمان بن حبيب بن المهلب وعنده جارية يقال لها البدر من أحسن الناس وجها ، فقال له سليمان : كيف ترى هذه الجارية ؟ فقال : أصاح الله الأمير مارأت عيناى أحسن منها قط ، فقال له : خذ بيدها ، فقال : ماكنت لأفح الأمير بها وقد رأيت شدة بجبه بها ليعلم هواى أنى له غالب ، وأخذ " بيدها وخرج وهو يقول :

لقد حبانى وأعطى انى وفضَّى انى عن غير مسألة منه سليمان أعطانى البدر خَوْداً (١) فى محاسنها والبدر لم يُعْظه إنس ولا جان ولست يوماً بناس فضلَه أبداً حتى ينينِّدني السيد وأكفان

(التاسع والثلاثون): أن مثل راكب الهوى كمثل راكب فرس حديد صعب جموح لا لجام له فيوشك أن يصرعَه فرسه فى خلال جَرْيه به أو يسير به إلى منهلك . قال بعض العارفين: أسرع المطايا إلى الجنة الزهد فى الدُّنيا، وأسرع المطايا إلى النار حب الشهوات، ومَن استوى عَلَى مَن هواه أسرع به إلى وادى الملك كات. وقال آخر: أشرف العلماء من هرب بدينه من الدُّنيا، واستصعب الملك كات. وقال عطاء: من غلب هواه عقلة وجزعة صبرة افتضح.

(الأربعون): أن التوحيد واتباع الهوى متضادًانَ ، فإن الهوى صنم ولكل عبد صنم و لكل عبد صنم في قابه بحسب هواه . وإنما بعث الله كسر الأصنام وعبادته وحدَّه لاشريك له ، وليس مرادُ الله سبحانه كسرَ الأصنام الجسَّدة وترك

⁽١) الحود : الشابة الناعمة .

الأصنام التي في القلب ، بل المراد كسرُها من القلب أوّلاً . قال الحسن بن على المطّوّعي : صنم كل إنهان هواه ، فن كسره بالمخالفة استحق اسم الفتو ة . و و الملوّعي الله عليه وسلم لقومه : (ما هَذَهِ التّمانيل الّي أنّم لها عاليه وسلم لقومه : (ما هَذَهِ التّمانيل الّي أنّم لها عاكمون) (أكون كيف تجده مطابقاً للتمانيل التي يهواها القلب ويعكف عليها ويعبدُها من دون الله ، قال الله تعالى : (أَرَّ أَيْتَ مَن اتَّحَدُ إِلَيْهُ هَوَاهُ أَمَانُتُ تَكُونُ عَلَيْهُ وَ كَيلًا مَا أَمْ تَعْسَبُ أَنَّ أَسُمْرُهُمْ يَسَمَعُونَ أَوْ يَعْقَدُونَ أَوْ يَعْقَدُونَ أَوْ يَعْقَدُونَ أَوْ يَعْقَدُونَ أَنْ أَسُمْرُهُمْ يَسَمَعُونَ أَوْ يَعْقَدُونَ أَنْ أَسُونَ عَلَيْهِ وَ كَيلًا سَدِيلًا) (٢)

(الحادى والأربسون): أن مخالفة الهوى مَطْرَدَة للداء عن القاب والبدن ، ومتابعة كَعِلْبَة لداء القلب والبدن ، فأمراض القلب كلم ا من متابعة الهوى ، الو فاشت تحلى أمراض البدن لرأيت خالبها من إيثار الهوى على ماينه في تركه .

(الثابي والأربعون): أن أصل العداوة والشر والحسد الواقع بين الناس من اتباع الهوى ، فمن خالف هواه أراح قلبة وبدئة وجوارحة فاستراخ وأراح . قال أبو بكر الوراق: إذا غلب الهوى أظلم القلب ، وإذا أظلم شاق الصدر ، فانظر وإذا ضاق الصدر ساء الخلق ، وإذا ساء الخلق البغضة الخلق وأبغضهم ، فانظر ماذا يتولد من التباغض من الشر والغداوة وترك الحقوق وغيرها . "

(الثالث والأربعون): أن الله سبحانه وتمالى جمل في العبد هو مي وعقلاً فأيهما ظهر توارى الآخر . سما قال أبو على الثقني : من غلبة هو أه توارى عند عقله ، فانظر عاقبة من استترعنه عقله وظهر عليه خلافه . وقال على بن سمل رحم الله : العقل والهوى يتنازعان ، فالتوقيق قرين العقل، والحدلان قرين الهوى ، والنفس واقفة ينهما ، فأيهما غلب كانت النفس سعه

⁽١) الآية ٢٥ سورة الانبياء. (٢) الايتان ٣٤ ونع يم أسورة الفرقان

(الرابع والأربعون): أن الله سبح تعالى جعل القاب مَاكِ الجوارح، ومعدن معرفته ومحبته وعبته والمحت والمح

الله المامس والأربعون) أن أعداى عدق المرء شيطانه وهمواه، وأصدق صديق له عقلُه والملك الناصح له ، فإذا اتبع هواه أعطى بيده العدة واستأسر له وأشمته به وساء صديقه ووليّه ، وهذا هو بهينه هو جَمْدُ البلاء ، ودَرَاكُ الشقاء ، وسوء القضاء ، وشمانة الأعداء .

(السادس والأربعون) أن للكال عبد بداية ونهاية ، فن كانت بدايته النباع البوى ، كانت نهايته الذل والحزمان والبلاء المتبوع بحسب ما اتبع من هو اه ، بل يصير له ذلك في نهايته عذاباً يُعَذَّب به في قلب كا فال ألقائل:

مآرب كانت فى الشباب لاهاما عداباً فصارت فى الشيب عداباً مع فلو: تأمّات حال كل ذى حال سيئة زَريّة لرأيت بدايته الذهاب مع هو اه و إيثاره عَلَى عقله ، و من كانت بدائته مخالفة هو اه وطاعة داعى رشده كانت نهايته العز والشرف والذي والجاه عندالله وعند الناس قال أبو على الد فاق : من ملك شهواته فى حال شبيهته أعزه الله تعالى فى حال إكورلته .

وقيل للمهلّب بن أبى صُفْرة : بمَ نلتَ ما نلت ؟ قال : بطاعة الحزم وعصيان الهوى ، فهذا فى بداية الدُّنيا ونهايتها ، وأما الآخرة ُ فقد جمل الله سبحانه الجنة نهاية من خالف هواه ، والنار نهاية من اتبعهواه ،

(السابع والأربعرن): أن الهوى رقّ فى القلب، وغُلّ فى المنق، وقيد فى الرّجل، وغُلّ فى المنق، وقيد فى الرّجل، ومُتابعه أنبير لكل سى الملكة، فن خالفه عَتَقَ من رفه وصار حرًّا، وخلع النّل من عنقه والقيد من رجله وهار بمزلة رَجُل سالم لرجل، بمد أن كان رجلا فيه شركاء متشاكسون (١).

(الثامن والأربعون): أن مخالفة الهوى تقيم العبد فى مقام من لو أقسم عَلَى الله لأبَرَّه، فيقضى له من الحوائج أضعاف أضعاف ما فاته من هواه، فهو كن رغب عن بعزق فأعطى عوضها درة . ومتبع الهوى يفوته من مصالحه العاجلة والآجلة والعيش الهنيء مالًا نسبة لما ظفر به من هواه الْبَدَّة ، فتأمَّل البساط يد يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام ولسانه وقدمه ونفسه بعد خروجه من السجن لما قبض نفسه عن الحرام .

وقال عبدالرحن بن مهدى : رأيت سفيان الثورى رحمه الله تمالى فى المنام فقلت له : مافعل الله بك ؟ قال : لم يكن إلا أن وضعت فى لحدى حتى وقفت (1) تشاكس القوم : تماسروا وتمالفوا . والشكس : العسر السيء الحلق قال تمالى (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون) .

بین یدی الله تبارك وتعالی، فحاسبی حساباً یسیراً ثم أمر بی إلی الجنة ، فبینا أنا أدور بین أشجارها وأنهارها لا أسمع حِساً ولا حركه إذ سمعت قائلا یقول : سفیان بن سعید، فقال : تحفظ أنك آثرت الله عز وجل علی هواك یونما ؟ قلت : إی والله ، فأخذنی النّار (۱) من كل جانب .

وقال عبدالرزاق : بعث أبو جعفر الخشَّابين حين خرج إلى مكة وقال : إن رأ بتم سفيان فاصلُبوه، فجاءوا ونصبوا الخشب، وُطلبَ ورأسُه في حِجْر الفضيل فقال له أصحابه : اتق الله عز وجلّ ولانشمت بنا الأعداء ، فتقد م إلى الأستار ثم أخذها بيده وقال : برئت منه إن دخلها أبو جعفر ، فمات قبل أن يدخل مكة ، فتأمل عاقبة خالفة الهوى كيف أقامه في هذا للقام .

(التاسم والأربعون): أن مخالفة الهوى توجب شرف الدنيا وشرف الآخرة، وعز الظاهر وعز الباطن، ومتابعته نضع العبد في الدنيا والآخرة وتذله في الفاهر وفي الباطن، وإذا جمع الله الناس في صعيد واحد نادى مناد : ليعلمن أهل الجمع من أهل الكرامة، أهل الجمع من أهل الكرامة، وأنباع الهوى ناكرو ردو سهم في الموقف في حر "الهوى وعر قه وأله، وأولئك في ظل العرش.

(الخسون) : أنك إذا تأمَّلت السبعة الذين يظلهم الله عز وجل فى ظل عرشه يوم لاظل إلا ظله (٢٠) ، وجدتهم إنّما نالو ا ذلك الظل بمخالفة الهوى ، فإن الإمام المسلّط القادر لا يتمكن من العدل إلا بمخالفة هواه ، والشابُّ المؤثر

⁽۱) النثار : مانیک فی حفلات السرور من حلوی و نقو د، وبالنام مانیار من الشهره.

⁽٢) تقدم هذا الحديث في صفحة ٢٢١ وقد أغفل المؤلف هنا ذكر الرجلين اللذين محابا في الله

المبادة الله على داعى شبايه لولا مخالفة هو اه لم يقدر على ذلك ، والرجل الذى قلبه معلق بالمساجد إيما حله على ذلك مخالفة الهوى الداعى له إلى أماكن اللذات ، والمتصدق الدخني لصدقته عن شماله لولا قهر ه لهواه لم يقدر على ذلك، والذى دعته المرأة الجميلة الشريفة فخاف الله عز وجل وخالف هواه ، والذى ذكر الله عز وجل خالياً ففاضت عيناه من خشيته ، إنما أوصله إلى ذلك مخالفة هواه، فلم يكن لحر الله قف وعرقه وشدته سبيل عليهم يوم القيامة ، وأصحاب الهوى قد بلغ منهم ألحر والمترف محكل مبلغ وهم ينتظرون بعد هدا دخول سجن الهوى، فالله سبحانه وتعالى المسؤول أن يعيدنا من أهواء نفوسنا الأمارة بالسوء وأن يحمل هوانا تبماً لما يحبه ويرضاه ، إنه على كل شيء قدير ، وبالإجابة جدير .

« تم الكتاب و الجديّة »

الفهرسات.

المراجع أزرر المراجع أورر المراجع المر ١٦ الباب الأوّل: في أسماء الحجبة . ١٧٠٠ البائب الثانيّ: في الشّقاق هذه الأسماء ومعانيها . الباب الثالث: في نسبة هذه الأسماء بعضها إلى بعض : ` الباب الزائع : فَيْ أَنْ الْعَالَمُ العَاوَىٰ وَالسَّفِلَى ۚ إِنَّمَا وَجَدَّ بِالْحَمَّةُ وَلَأَجَلَّمُا ۖ . ١ ٢٧ أَ اللَّبَابُ الْخَامَانُ أَنَا دَوْ اعْنَى الْحَبَّةُ وْمَتَعَاقَمُهَا . الباب السادس: في أحُكام النظر وغائلته وُما يحنَّى على صاحبه . الباب السابع : في ذكر مناظرة بين القلب والغين . " " النابُ الثَّامنَ وَفَي ذَكُرُ الشُّبُّةِ التي احتج "بها من الأباح النظر إلى من 111 . الا يحل له الاستعتاع به وأباح عشقه : ا ١٢١ الباب التاسع: في الجواب عما احتجت له هذه الطائفة ومالما وما عليها ر في هذا الاحتجاج . . ١٢٧ الباب العاشر : في ذكر حقيقة العشق وأوطنافه وكالام الناس فيه . ا ١٤٢ الباب المادي عشر ؛ في العشق وهل هو اضطواريٌّ خارجٌ عرب الاختيار ،أوأس اختياري واختلاف الناس، في ذلك وذبكر الصواب فيه. ١٤٩ ، الباب الثاني عشر: في سكرة العشاف. ١٠ ١١٠ الباب الثالث عشر : في أن اللذة تا بعة للمحبة في البكال والقصان. ﴿ ﴿ ١٢١٩ ﴾ ﴿ اللياب الرابع عشر : فيمن ولمدح العشق وتمناه ، ونَجَبَط صاحب على ما أوتيه من مناه . ما روبيه من مناه . الباب الخامس عشر . فيمن ذمَّ العشق و تبرعُ به ، وما احتجَّ به كل فريق عَلَى معة مذهبه .

- ١٩٧ البابالسادس عشر: في الحكم بين الفريقين، وفصل النزاع بين الطائفتين.
 - ٢٠٣ الباب السابع عشر: في استحباب تخيرُ الصورَ الجميــلة للوصال الذي يحبه الله ورسوله . "
 - ٣١٢ الباب الثامن عشر: في أن دواء المحبين ، في كال الوصال الذي أباحه رب العالمين .
 - ٢٢١ الياب التاسع عشر: في ذكر فضيلة الجمال ، وميل النفوس إليــ عَلَى كل حال .
 - ٢٥٩ الباب العشرون: في علامات الحبة وشواهدها .
 - ۲۸۸ الباب الحادى والعشرون: فى اقتضاء المحبة إفرادَ الحبيب بالمحب، وعدمَ التشريك بينه وبين غيره فيه.
 - ٢٩٠ الباب الثانى والمشرون : في غيرة المحبين عَلَى أحبابهم .
 - ٣١٩ الباب الثالث والعشرون: في عفاف المحبين مع أحبابهم.
 - ٣٥٢ الباب الرابع والعشرون: في ارتكاب سبل الحرام ، وما يغضى إليه من للفاسد والآلام ...
 - ٢٧٧ الباب الخامس والعشرون: في رحمة المحبين ، والشفاعة لهم إلى أحبابهم في الوصال الذي يُكبيحه الدين.
 - ٣٩٤ الباب السادس والعشرون: في ترك الحبين أدنى الحبو بَيْن رغبــة ً في أعــلاَها .
 - وع عبوبه حراماً فَبْذُل له حلالاً ، أو أعاضه الله خيراً منه .
 - وه و الباب الثامن والمشرون: فيمن آثر عاجل المقوبة والآلام ، عَلَى لَدَّة البوصال الحرام .
 - ٤٦٩ الباب التاسع والمشرون: في ذمَّ الهوئ ، وما في مخالفته من نيل المني .